

التفسير البسيط

أبوالحسن علي بن محمد بن محمد بن أبي

ت (٤٦٨ هـ)

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الوائلي

ت (٤٦٨ هـ)

الجزء الرابع والعشرون
من سورة البلد إلى آخر المصحف

تحقيق

الدكتورة فورة بنت عبد الله بن عبد العزيز الورتان

دقته ونقحه وضبطه

الأستاذ الدكتور

تركيب بن سميون بن زلال العتيبي

الأستاذ الدكتور

عبد العزيز بن طاهر بن عبد العزيز السعوي

② شركة العبيكان للتعليم، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الواحدى، أبو الحسن علي أحمد
التفسير البسيط. / أبو الحسن علي أحمد
الواحدى. - الرياض، ١٤٣٨هـ - ٢٥٠٠م.
٣٩٢ ص؛ ٥، ١٦ × ٢٤ سم

ردمك: ٠-٢٣-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٦-٥٤٧-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨ (ج ٢٤)

١. الواحدى، علي بن أحمد، ت ١٤٦٨هـ (المؤلف).
٢. آل سعود، عبدالعزيز بن سطاتم.
- العتيبي، تركي بن سهو، (تدقيق وتنقيح وضبط).

ديوي: ٢٢٧،٣ - ٣٠٥٢ / ١٤٣٨

الطبعة الثانية

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

نشر وتوزيع
العبيكان
Obeikan

المملكة العربية السعودية - الرياض -

طريق الملك فهد - مقابل برج المملكة

هاتف: ٩٦٦ ١١ ٤٨٠٨٦٥٤ + فاكس: ٩٦٦ ١١ ٤٨٠٨٠٩٥ +

ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧

www.obeikanpublishing.com

جميع الحقوق محفوظة لصاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن سطاتم بن عبدالعزيز آل سعود. ولا
يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما
في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الأمير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير

سورة البلد^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾. أجمع المفسرون على أن هذا قسم بالبلد الحرام^(٢)،
والسورة نازلة بها.

(١) مكية بالإجماع قال بذلك ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٢٥٠، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٥٩. قال أبو حيان في البحر المحيط ٨/ ٤٧٤: «هذه السورة مكية في قول الجمهور»، وقال الشوكاني في فتح القدير ٥/ ٤٨٣: «قيل: إنها مدنية».

(٢) ومن حكي الإجماع على أن المراد بالبلد هو مكة: ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٣، والفخر في التفسير الكبير ٣١/ ١٨٠، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦٠، والخازن في لباب التأويل ٤/ ٣٧٩، والشوكاني في فتح القدير ٥/ ٤٤٢. ولم يذكر الطبري في جامع البيان ٣٠/ ١٩٣ اختلافاً في الآية. والمفسرون على أنه أقسم بالبلد الحرام، قال بذلك قتادة، وابن عباس، ومجاهد، وعطاء، وابن زيد، وسعيد بن جبير، وأبو صالح، وعطية. انظر: جامع البيان ٣٠/ ١٩٣، والدر المنثور ٨/ ٥١٨، وانظر أيضاً: معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٢٧، وبحر العلوم ٣/ ٤٧٩، والكشف والبيان ١٣/ ٩٥، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٨٨، وزاد المسير ٨/ ٢٥٠، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٤٦. ومنهم من شذَّ فقال: إنها مدنية، وهو قول الواسطي. قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦٠: «والأول أصح؛ لأن السورة نزلت بمكة باتفاق»، وقال الشوكاني في فتح القدير ٥/ ٤٤٢: «وهو مع كونه خلاف إجماع المفسرين، هو أيضاً مدفوع بكون السورة مكية لا مدنية». وعليه، ما ذكر من الإجماع فصحيح، ولا عبرة في من شذَّ، وقد رُدَّ من الأئمة، والله أعلم. وذكر الماوردي في تفسيره ٦/ ٢٧٤ أن البلد الحرام مكة، وساق قولاً آخر، هو أنه الحرم كله.

٢. قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾. قال الليث: «الحِلُّ: الرجل الحلال الذي خرج من إحرامه ولم يحرم»^(١).

قال أبو إسحاق: «يقال: رَجُلٌ حِلٌّ وَحَلَالٌ مُحِلٌّ، وكذلك رَجُلٌ حِرْمٌ، وَحَرَامٌ وَمُحَرَّمٌ»^(٢).

وقال^(٣) مجاهد: «أحلت للنبي ﷺ أن يصنع فيها ما يشاء»^(٤).

وقال قتادة: «أنت به حل لست بآثم»^{(٥)(٦)}.

قال مقاتل: «وأنت حل أن تقتل بمكة مَنْ شئت من الكفار»^(٧).

قال المفسرون: «أحل لنبيه ﷺ مكة يوم الفتح حتى قاتل، وقتل، وقد قال ﷺ: «لا تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، ولم تحل لي إلا ساعة من نهار»^(٨).

-
- (١) تهذيب اللغة (حلل) ٤٣٧/٣.
- (٢) معاني القرآن وإعرابه ٣٢٧/٥.
- (٣) في (أ): (قال).
- (٤) جامع البيان ١٩٤/٣٠، وورد بمعناه في النكت والعيون ٢٧٤/٦، وزاد المسير ٢٥٠/٨، وفتح القدير ٤٤٣/٥.
- (٥) بياض في (ع).
- (٦) تفسير عبدالرازق ٣٧٣/٢، جامع البيان ١٩٥/٣٠، التفسير الكبير ١٨٠/٣١، الجامع لأحكام القرآن ١٩٥/٢٠، تفسير القرآن العظيم ٥٤٦/٤، الدر المنثور ٥١٨/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر، وابن أبي حاتم، فتح القدير ٤٤٣/٥.
- (٧) بمعناه في تفسيره ١٢٤٠، قال: ﴿لَا أَقِيمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ يعني مكة، ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ يعني ما أحلها لأحد قبلك ولا بعدك، وإنما أحللتها لك ساعة في النهار.
- (٨) في (أ): (عليه السلام).
- (٩) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب العلم ٥٦/١ ح ١١٢، باب (٣٩) من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة، ولفظ البخاري في صحيحه في كتاب الديات ٢٦٨/٤ ح ٦٨٨٠، باب (٨): «ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي، ولم تحل لأحد بعدي، ألا وإنها حلت لي ساعة من نهار»، ومسلم في =

وهذا قول ابن عباس^(١)، وعطاء^(٢)، (والكلبي^(٣))، وابن زيد^(٤)، والضحاك^(٥)^(٦).

والمعنى : إن الله - تعالى - لما ذكر القسم بمكة دلَّ ذلك على عظم قدرها مع كونها حراماً ، فوعد نبيه ﷺ أن يحلها له حتى يقاتل فيها ، وأن يفتحها على يده ، وهذا وعد من الله بأن يحلها له ، حتى تكون بها^(٧) حلاً^(٨).

وهذا اعتراض بين القسم وما نسق عليه ، وهو قوله (تعالى)^(٩) :

٣. ﴿وَالِدٌ وَمَوْلَةٌ﴾ . (هذا الذي ذكرنا قول عامة أهل التفسير)^(١٠).

- = صحيحه في كتاب الحج ٢/ ٩٨٦، ٩٨٨، ٩٨٩ ح ٤٤٥، ٤٤٧، ٤٤٨، باب (٨٢)، وأحمد في المسند ١/ ٢٥٣، ٢٥٩، ٣١٦، وقال ابن حجر في الكافي ٤/ ١٨٤ : «متفق عليه من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة، وله طرق وألفاظ» .
- (١) جامع البيان ٣٠/ ١٩٤، والنكت والعيون ٦/ ٢٧٤، والمحزر الوجيز ٥/ ٤٨٣، وزاد المسير ٨/ ٢٥٠، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦٠، والبحر المحيط ٨/ ٤٧٤، والدر المنثور ٨/ ٥١٦ منسوباً إلى ابن مردويه، وابن أبي حاتم .
- (٢) جامع البيان ٣٠/ ١٩٥، وبحر العلوم ٣/ ٤٧٩، والدر المنثور ٨/ ٥١٨ منسوباً إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم .
- (٣) لم أشر عليه في ما لدي من مصادر .
- (٤) جامع البيان ٣٠/ ١٩٥، والجامع لأحكام القرآن ٣٠/ ٦١، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٤٦، والدر المنثور ٨/ ٥١٨ .
- (٥) جامع البيان ٣٠/ ١٩٥، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٤٦ .
- (٦) ما بين القوسين ساقط من نسخة (أ) .
- (٧) في (أ) : (ما) .
- (٨) من قوله : (فوعده نبيه . . .) إلى قوله : (بها حلاً) نسبه ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٢٥٠، ٢٥١ إلى المفسرين ، وانظر : فتح القدير ٥/ ٤٤٣ .
- (٩) ما بين القوسين ساقط من (ع) .
- (١٠) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

قال الحسن : « وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ » ؛ أي أنت مقيم فيه ^(١) ، وهو محلك ، ومعناه التنبيه على شرفه ، بشرف مَنْ حل فيه من الرسول الداعي إلى توحيد الله ، وإخلاص العبادة له ؛ المبشر بالثواب ، والمنذر بالعقاب .

وذكر المبرّد هذا القول ، فقال : « ويقال : حِلٌّ : تأويله حَالٌ ؛ أي ساكن » ^(٢) .

وذكر قولاً آخرَ : « وهو أن المعنى أن الكفار من أهل مكة يجرمون أن يقتلوا بها صيداً ، أو ^(٣) يعضدوا بها شجرة ، ويستحلون إخراجك وقتلك » .

وهذا يروى عن شُرْحَبِيل بن سعد ^(٤) .

(١) لم أعثر على مصدر لقوله ، وقد ورد نحوه غير منسوب في الجامع لأحكام القرآن ٦١ / ٢٠ ، ولباب التأويل ٢٧٩ / ٤ .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٣) في (أ) : (و) .

(٤) ورد قوله في الكشف والبيان ٩٥ / ١٣ ب ، ومعالم التنزيل ٤٨٨ / ٤ ، والمحصر الوجيز ٤٨٣ / ٥ ، والكشاف ٢١٢ / ٥ ، والتفسير الكبير ١٨٠ / ٣١ ، والجامع لأحكام القرآن ٦١ / ٢٠ ، والدر المنثور ٥١٨ / ٨ منسوباً إلى سعيد بن منصور ، وابن المنذر .

وأما قوله : ﴿وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ فهو عطف على القسم ، والمراد بـ (الوالد وما ولد) آدم وذريته ، وهو قول : مجاهد ^(١) ، (ومقاتل ^(٢)) ^(٣) ، وقائدة ^(٤) ، (والضحاك ^(٥) ، والكلبي ^(٦) ، وعطاء عن ابن عباس ^(٧) ، والحسن ^(٨)) ^(٩) .

قال الفرّاء : «وصلحت (مَا) للناس ، كقوله : ﴿مَا طَابَ لَكُمْ﴾ [النساء : ٣] ، ومثله كثير ^(١٠) ، قال : ويجوز أن يجعل (مَا) مع الذي بعدها في معنى مصدر ، كأنه قيل : ووالد وولادته ، كقوله : ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾ [الشمس : ٥]» ^(١١) .

(١) ورد نحوه في تفسير مجاهد ٧٢٩ ، وجامع البيان ٣٠ / ١٩٥ ، والكشف والبيان ١٣ / ٩٥ ب ، والنكت والعيون ٦ / ٢٧٥ ، والمحزر الوجيز ٥ / ٤٨٣ ، وزاد المسير ٨ / ٢٥١ ، وحاشية الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٦١ ، والبحر المحيط ٨ / ٤٧٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٤٧ ، والدر المنثور ٨ / ٥١٩ ، ونسبه الشوكاني في فتح القدير ٥ / ٤٤٣ إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وجميعها بلفظ : (آدم وولده) ، وأخرجه البخاري معلقاً عليه في كتاب التفسير (سورة البلد) ٦ / ٨٣ .

(٢) تفسير مقاتل ٢٤٠ أ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) تفسير عبدالرزاق ٢ / ٣٧٣ ، وجامع البيان ٣٠ / ١٩٥ ، والكشف والبيان ١٣ / ٩٥ ب ، والنكت والعيون ٦ / ٢٧٥ ، وزاد المسير ٨ / ٢٥١ ، وحاشية الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٦١ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٤٧ ، وفتح القدير ٥ / ٤٤٣ ، وجميعها بلفظ : (آدم وولده) .

(٥) المراجع السابقة عدا تفسير عبدالرزاق . قال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٤٧ : «والذي ذهب إليه مجاهد وأصحابه حسن قوي ؛ لأنه - تعالى - لما أقسم بأم القرى ، وهي أم المساكن ، أقسم بعده بالمساكن ، وهو آدم أبو البشر وولده» .

(٦) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٧) المستدرک ٢ / ٥٢٣ ، وصححه الحاكم عن ابن عباس .

(٨) الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٦١ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٤٧ ، وفتح القدير ٥ / ٤٤٣ ، وتفسير الحسن البصري ٢ / ٤١٩ .

(٩) ما بين القوسين ذكر بدلاً من تعدادهم لفظ : وغيرهم في نسخة (أ) .

(١٠) نحو قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [الليل : ٣] ، وقوله : ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء : ٢٢] .

(١١) معاني القرآن ٣ / ٢٦٣ ، ٢٦٤ بتصرف .

وروى عكرمة عن ابن عباس : «(الوالد) : الذي يلد ، (وما ولد) : العاقر الذي لا يلد»^(١) .

وعلى هذا (ما) تكون نفيًا ؛ كأنه قيل : ووالد غير والد ، ولا يصح هذا القول إلا بإضمار الموصول ، كأنه قيل : ووالد والذي ما ولد ، وذلك لا يجوز عند البصريين^{(٢)(٣)} .

وقال في رواية العوفي : «الوالد وولده ، يعني كل والد ، وكل مولود»^(٤) .

وروي عن أبي عمران الجوني أنه قال : «يعني إبراهيم^(٥) وولده»^(٦) .

(١) جامع البيان ٣٠/ ١٩٥ ، والكشف والبيان ١٣/ ٩٥ ب ، والنكت والعيون ٦/ ٢٧٥ ، وبمعناه في المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٤٧ ، وغرائب التفسير ٢/ ١٣٤٢ ، وقد عده الكرمانى من العجيب في التأويل .

(٢) انظر : الدر المصون ٣٠/ ٥٢٤ ، والكشف والبيان ١٣/ ٩٥ ب ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦٢ ، وفتح القدير ٥/ ٤٤٣ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٧٥ .

(٣) البصريون : هم أصحاب المدرسة النحوية بالبصرة ، الذين نشأ النحو على أيديهم وتطور . وضعوا قواعدهم على الأعم الأغلب مما نقل عن العرب ، من ذلك : التشدد في السماع ، فلا يأخذون إلا من ثقات العربية ، ولا يعتمدون الشاهد النحوي مقياساً إلا إذا جرى على ألسنة العرب ، وكثر استعمالهم له ، وغير ذلك من القواعد ، وهم أسبق من أصحاب المدرسة الكوفية ، وأكثر تشدداً منهم . ومن علماء المذهب البصري : أبو عمرو بن العلاء ، والخليل بن أحمد ، وسيبويه ، وقطرب ، والأخفش الأوسط ، والمازني ، والمبرد . انظر : المدارس النحوية لشوقي ضيف ١١ وما بعدها ، ومعجم المصطلحات النحوية والصرفية لمحمود اللبدي ٢١-٨٧ .

(٤) الكشف والبيان ١٣/ ٩٥ ب ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦٢ ، وهو اختيار الطبري في جامع البيان ٣٠/ ١٩٦ .

(٥) (إبرهم) في كلتا النسختين .

(٦) جامع البيان ٣٠/ ١٩٦ ، والكشف والبيان ١٣/ ٩٥ ب ، والنكت والعيون ٦/ ٢٧٥ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٣ ، وزاد المسير ٨/ ٢٥١ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦١ ، والدر المنثور ٨/ ٥١٩ منسوباً إلى ابن أبي حاتم .

قال مقاتل : « أقسم الله - تعالى - بمكة ، وبآدم وذريته »^(١) ، فقال :

٤ . (قوله تعالى)^(٢) : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ . قال ابن عباس في رواية مِمْسَم : « قائماً على قدميه منتصباً »^(٣) .

وهو قول أبي صالح^(٤) ، وإبراهيم^(٥) ، والضحاك^(٦) ، وعبدالله بن شداد^(٧) (٨) (٩) ، وعكرمة^(١٠) ، (ورواية عطاء عن ابن عباس^(١١) (١٢) ، قالوا :

-
- (١) لم أعثر على مصدر لقوله .
- (٢) ما بين القوسين ساقط من (ع) .
- (٣) ورد معنى قوله من غير ذكر طريق مِمْسَم في المحرر الوجيز ٥ / ٤٨٤ ، ولباب التأويل ٤ / ٣٨٠ ، والبحر المحيط ٨ / ٤٧٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٤٧ ، والدر المنثور ٨ / ٥١٩ منسوباً إلى الطبراني .
- (٤) ورد معنى قوله في جامع البيان ٣٠ / ١٩٧ ، والكشف والبيان ١٣ / ٩٦ ، والمحرر الوجيز ٥ / ٤٨٤ ، والبحر المحيط ٨ / ٤٧٥ .
- (٥) ورد معنى قوله في تفسير الإمام مجاهد ٧٢٩ ، وجامع البيان ٣٠ / ١٩٧ ، والكشف والبيان ١٣ / ٩٦ .
- (٦) ورد معنى قوله في جامع البيان ٣٠ / ١٩٧ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٤٨٨ ، وزاد المسير ٨ / ٢٥٢ ، والبحر المحيط ٨ / ٤٧٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٤٨ ، والمحرر الوجيز ٥ / ٤٨٤ .
- (٧) لعله يريد به عبدالله بن شَدَاد المديني ، أبو الحسن الأعرج ، كان من تجار واسط ، صدوق ، روى له الجماعة . انظر : تهذيب الكمال ١٥ / ٨٥ ت ٣٣٣١ .
- (٨) ورد قوله في الكشف والبيان ١٣ / ٩٦ ، والمحرر الوجيز ٥ / ٤٨٤ ، والبحر المحيط ٨ / ٤٧٥ .
- (٩) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (١٠) ورد معنى قوله في جامع البيان ٣٠ / ١٩٧ ، والكشف والبيان ١٣ / ٩١ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٤٨٨ ، وزاد المسير ٨ / ٢٥٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٤٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٦٢ .
- (١١) وردت روايته عن طريق مِمْسَم في بحر العلوم ٣ / ٤٧٩ ، والكشف والبيان ١٣ / ٩٦ ، وزاد المسير ٨ / ٢٥٢ ، والدر المنثور ٨ / ٥٢٠ ، ووردت من غير ذكر طريق عطاء في النكت والعيون ٦ / ٢٧٥ ، والتفسير الكبير ٣١ / ١٨٣ .
- (١٢) ما بين القوسين ذكر بدلاً منه في (أ) بلفظ : (وغيرها) .

«معتدلاً، ومنتصباً»^(١)، وكل شيء خلق يمشي على أربع إلا الإنسان، فإنه خلق منتصباً.

قال المنذري: «سمعت أبا طالب يقول: الكبد: الاستواء والاستقامة»^{(٢)(٣)}.

وقال الوالبي عن ابن عباس: (في نصب)^{(٤)(٥)}، وهو قول مجاهد^(٦)، وسعيد بن جبير^(٧)، والحسن^(٨)، قالوا: «في شدة».

قال الحسن: «لم يخلق الله خلقاً يكابد ما يكابد ابن آدم»^(٩).

(١) في (أ): (منتصباً) من غير واو.

(٢) في (أ): (الإقامة).

(٣) تهذيب اللغة (كبد) ١٠/١٢٧، وانظر: لسان العرب ٣/٣٧٦.

(٤) ساقط من (أ).

(٥) ورد قوله في جامع البيان ٣٠/١٩٦، والكشف والبيان ١٣/٩٥، ومعالم التنزيل ٤/٤٨٨، وزاد المسير ٨/٢٥١، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٦٢، ولباب التأويل ٤/٢٧٩، وصحيفة علي بن أبي طلحة ٥٣٣.

(٦) تفسير الإمام مجاهد ٧٢٩، وزاد المسير ٨/٢٥١، والدر المنثور ٨/٥١٩ منسوباً إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٧) المراجع السابقة عدا تفسير مجاهد، وانظر: الكشف والبيان ١٣/٩٥، ومعالم التنزيل ٤/٤٨٨، وزاد المسير ٨/٢٥١، وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٤٧، ونسبه صاحب الدر إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد.

(٨) جامع البيان ٣٠/١٩٦، وزاد المسير ٨/٢٥١، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٦٢، وتفسير الحسن البصري ٢/٤٢٠.

(٩) ورد قوله في جامع البيان ٣٠/١٩٧، وبحر العلوم ٣/٤٨٠، والمحضر الوجيز ٥/٤٨٤، والدر المنثور ٨/٥٢٠ منسوباً إلى ابن المبارك في الزهد، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم. انظر: فتح القدير ٥/٤٤٣، وتفسير الحسن البصري ٢/٤٢٠.

قال أخوه سعيد^(١): «يكابد مصائب الدنيا ، وشدائد الآخرة»^(٢) .

ونحو هذا قال قتادة : «يكابد أمر الدنيا والآخرة ، فلا تلقاه إلا في مشقة»^(٣) .

وروى عن ابن جريج ، عن (عطاء ، عن^(٤) ابن عباس قال : «يعني حمله ، وولادته ، ورضاعه ، وفصاله ، ونبت أسنانه ، وختانه ، ومعاشه ، وموته ، كل ذلك بشدة»^(٥) .

ونحو هذا روى (القاسم^(٦) بن أبي بزة^(٧))^(٨) ، عن مجاهد قال : «﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥] ، ومعيشته في شدة ، فهو يكابد ذلك»^(٩) .

(١) سعيد بن أبي الحسن ، واسمه يسار الأنصاري ؛ مولا هم ، البصري ، أخو الحسن البصري ، روى عن ابن عباس ، وروى عنه أخوه الحسن البصري ، ثقة ، توفي قبل الحسن سنة ١٠٠هـ ، وروى له الجماعة . انظر : تاريخ الثقات ١٨٢ ت ٥٣٦ ، والتاريخ الكبير ٣/ ٤٦٢ ت ١٥٣٨ ، والكاشف ١/ ٢٨٣ ، ت ١٨٨٥ .

(٢) الوسيط ٤/ ٤٨٩ ، وقد وردت الرواية من طريقه عن أخيه الحسن البصري في بحر العلوم ٣/ ٤٧٩ ، والكشف والبيان ١٣/ ٩٥ ب ، والنكت والعيون ٦/ ٢٧٦ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٨٨ ، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٦٢ ، وتفسير ابن كثير ٤/ ٥٤٧ .

(٣) تفسير عبدالرزاق ٣/ ٣٧٣ ، وجامع البيان ٣٠/ ١٩٦ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٨٨ ، والدر المنثور ٨/ ٥١٩ منسوباً إلى عبد بن حميد .

(٤) ساقط من (أ) .

(٥) ورد بمعناه في جامع البيان ٣٠/ ١٩٧ ، وبحر العلوم ٣/ ٤٨٠ ، والكشف والبيان ١٣/ ٩٥ ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٨٨ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٨٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٤٧ ، والدر المنثور ٨/ ٥١٩ منسوباً إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . انظر : المستدرک للحاكم في كتاب التفسير (سورة البلد) ٢/ ٥٢٣ ، وصححه ، ووافقه الذهبي .

(٦) في (ع) : (القسم) .

(٧) بزة غير واضحة في (ع) .

(٨) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٩) وردت روايته من غير ذكر طريق القاسم عن أبي بزة في تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٤٧ ، وورد نحوه عن ابن جريج في النكت والعيون ٦/ ٢٧٦ .

وذكر الكلبي^(١)، والفرّاء^(٢) القولين جميعاً .

وعلى هذا (الكبد من مكابدة الأمر ، وهي معاناة شدته^(٣) ، ومشقته ، والرجل يكابد الليل ، إذا قاسى هوله وصعوبته^{(٤)(٥)} .

وقال أهل المعاني : «الكبد شدة الأمر ، ومنه تكبد اللبن ، إذا غلظ واشتد ، ومنه الكبد : كأنه دم^(٦) يغلظ ويشتد ، فالإنسان مخلوق في شدة مكونة^(٧) في رحمه ، ثم في القمّاط ، والرباط ، ثم على خطر (عظيم)^(٨) عند بلوغه حال التكليف ، ومكابدة المعيشة ، والأمر والنهي ، فينبغي [له]^(٩) أن يعلم أن الدنيا دار مشقة وكد ، وأن الجنة هي دار الراحة والنعمة^(١٠)» .

ومن المفسرين من يذهب^(١١) بالكبد إلى شدة الخلق والقوة ، وهو قول الكلبي ، قال : «نزلت في رجل من بني جمح^(١٢) ، كان يكنى أبا الأشدين ، وكان

(١) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٢) معاني القرآن ٢٦٤ / ٣ .

(٣) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (كبد) ١٢٧ / ١٠ بتصرف ، وانظر : لسان العرب (كبد) ٣ / ٣٧٦ .

(٤) ومن قوله : (الرجل يكابد . . .) إلى قوله : (وصعوبته) من قول الليث . انظر : المرجعين السابقين .

(٥) ما بين القوسين منقول من تهذيب اللغة (كبد) ١٢٧ / ١٠ .

(٦) في (أ) : (ولم) .

(٧) في (أ) : (ركمه) .

(٨) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(١٠) لم أعثر على مصدر لقولهم .

(١١) في (أ) : (ذهب) .

(١٢) بنو جمح : بطن بني هصيص من قريش من العدنانية ، النسبة إليهم جمحي . انظر : نهاية الأرب

للقلقشندي ٢٠٢ ، ومعجم قبائل العرب لمحمد رضا كحالة ١ / ٢٠٢ ، ونهاية الأرب للنويري

يجعل تحت قدميه الأديم (العكاظي)^(١)، ثم يأمر العشرة فيجتذّبونه من تحت قدميه، فيتمزق (الأديم)^(٢)، ولم تزل قدماه^(٣). ونحو هذا قال مقاتل^(٤).

وعلى هذا الكبد من الشدة التي هي بمعنى القوة، وغلظ القول^(٥)، والخلق.

قال المبرّد: «يقال: فلان يكابد الأمر، إذا كان يدافعه بشدة»^(٦)، وأنشد أبو عبيدة قول لبيد:

عَيْنُ هَلَا بَكَيتِ أَرْبَدَ إِذْ قُمْنَا وَقَامَ الْخُصُومُ فِي كَبَدٍ^{(٧)(٨)}

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٣) ورد غير منسوب في التفسير الكبير ١٨٣/٣١، والجامع لأحكام القرآن ٦٣/٢٠، وللباب التأويل ٣٨٠/٤.

(٤) الكشف والبيان ١٣/٩٦، ومعالم التنزيل ٤/٤٨٨، وانظر: نهاية الأرب للقلقشندي ٢٠٢، ولم أعثر على قوله في تفسيره.

(٥) في (ع): (القوة).

(٦) جاء في حاشية الكامل ٣/١٣٩٤ قول المبرّد، قال: «والكبد: الشدة والمشقة».

(٧) ورد البيت في ديوانه ٥٠، طبعة دار صادر. انظر: تهذيب اللغة (كبد) ١٠/١٢٧، ولسان العرب ٣/٣٧٦، وجامع البيان ٣٠/١٩٨، والكشف والبيان ١٣/٩٦، والنكت والعيون ٨/٢٧٦، والمحرم الوجيز ٥/٤٨٤، والكشاف ٤/٢١٣، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٦٢، وروح المعاني ٣٠/١٣٥، والكامل ٣/١٣٩٤، والخصائص ٢/٢٠٥، والدر المنثور ٨/٥٢٠، والإتقان ٢/٥٧، وجمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ٢١، تحقيق البجاوي.

(٨) ورد قوله في مجاز القرآن ٢/٢٩٩.

أي في شدة وعناء^(١)، ويجوز أن يكون في شدة وقوة للدفع، ويدل على هذا المعنى قوله:

٥. ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾. قال الفرّاء: «أحسب بشدته أن لن يقدر عليه أحد؟ والله قادر عليه»^(٢).

وهو قول الكلبي، قال: «أیظن من شدته أن لن يقدر عليه أحد، وأن لن يعاقبه الله؟»^(٣).

٦. ثم أخبر عن مقالة هذا الإنسان، فقال: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بُدَّ﴾.

قال أبو عبيدة: «لبدًا: فَعَلٌ مِنَ التَّلَبُّدِ، وهو المال الكثير بعضه على بعض»^(٤).

قال أبو إسحاق: «وَفَعَلٌ للكثرة، يقال: رجل حُطَمَ إذا كان كثير الحُطَمِ»^(٥).

وقال الفرّاء: «واحدته بُدَّة، ولُبْد جماع، وقال: وجعل بعضهم واحداً على جهة قُتْمٍ وحُطَمٍ، وهي في الوجهين جميعاً الكثير»^(٦).

قال الليث: «قال: لبد لا يخاف فناءه من كثرته»^(٧)، وذكرنا تفسير هذا الحرف عند قوله: ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبْدًا﴾ [الجن: ١٩].

(١) تهذيب اللغة (كبد) ١٠/١٢٧.

(٢) معاني القرآن ٣/٢٦٤.

(٣) الوسيط ٤/٤٨٩.

(٤) مجاز القرآن ٢/٢٩٩.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٥/٣٢٨.

(٦) لم أعر على قوله في معانيه، وانظر: تهذيب اللغة (لبد) ١٤/١٢٩، والتفسير الكبير ١/١٨٣، ولسان العرب ٣٠/٣٨٧، وقد سبق بيان قراءة (لبدًا) في الآية ١٩ من سورة الجن.

(٧) لم أعر على مصدر لقوله، وقد ورد نحوه غير منسوب في لسان العرب (لبد) ٣٠/٣٨٧.

وجميع المفسرين قالوا في (اللبد) : «إنه الكثير المجتمع»^(١).

قال الكلبي^(٢)، ومقاتل^(٣) : «يقول أهلك في عداوة محمد مالا كثيراً» .

٧ . ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : «أيحسب أن لم ير الله عمله ؟»^(٤) .

ونحو هذا قال مقاتل : «أيحسب أن لم يطلع الله على ما عمل ؟»^(٥) .

ومعنى هذا التهديد باطلاع الله على ما عمل ، كما قال قتادة : «أيظن أن الله لم يره ، ولا يسأله عن ماله : من أين كسبه ؟ وأين أنفقه ؟»^(٦) .

(١) قال بذلك قتادة ، وابن عباس ، ومجاهد ، وابن زيد ، والحسن ، والشَّدي ، وغيرهم . انظر : جامع البيان ١٩٨/٣٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٥٤٧/٤ . وبه قال الزَّجَّاج في معاني القرآن وإعرابه ٣٢٨/٥ ، وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٥٢٨ ، والسجستاني في نزاهة القلوب ٣٩٢ ، ولم يذكر الطبري في جامع البيان ١٩٨/٣٠ قولاً مخالفاً ، قال : «وبنحو الذي قلنا قال أهل التأويل» ، وقال به أيضاً الثعلبي في الكشف والبيان ١٣/٩٦ ، وانظر أيضاً : معالم التنزيل ٤/٤٨٩ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٦٤ ، ولباب التأويل ٤/٣٨٠ ، والمفردات في غريب القرآن ٤٤٦ ، ونفس الصباح ٢/٧٨٢ ، وتحفة الأريب ٢٧٦ . وقد ذكر الماوردي في النكت والعيون ٦/٢٧٧ قولاً محتملاً ، قال : «ويحتمل أن يكون المعنى مالا قديماً لا اشتقاقه من الأبد ، أو للمبالغة في قدمه في عهد لبد ، لأن العرب تضرب المثل في القدم بـ(لبد) . وذكر قدمه لطول بقائه ، وشدة ضنَّه به» . قلت : وهذا الاحتمال بعيد عن مفهوم الآية ، وهو ضعيف ، وعليه لا يعده الإمام الواحدي قولاً مخالفاً ؛ بل لا يعد أن له وجوداً ، ولهذا حكى الإجماع .

(٢) زاد المسير ٨/٢٥٢ ، وفتح القدير ٥/٤٤٣ ، وذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/٦٤ عن ابن عباس .

(٣) فتح القدير ٥/٤٤٣ ، وورد بمعناه في الكشف والبيان ١٣/٩٦ ، والمحزر الوجيز ٥/٤٨٤ ، وزاد المسير ٨/٢٥٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٦٤ ، وتفسير مقاتل ٢٤٠ ب ، قال : «لبد أي مالا كثيراً» .

(٤) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٥) تفسير مقاتل ٢٤٠ ب .

(٦) تفسير عبد الرزاق ٢/٣٧٣ ، وجامع البيان ٣٠/١٩٩ ، والكشف والبيان ١٣/٩٦ ، ومعالم =

وقال الكلبي : « كان كاذباً ، لم ينفق ما قال ، فقال الله : أيطن ما رأى الله ذلك منه فعل أو لم يفعل ، أنفق أو لم ينفق ؟ »^(١) .

واختاره الفرّاء ، فقال : « ﴿ أَيْحَسْبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴾ في إنفاقه ، يقول : أنفقت وهو كاذب »^(٢) .

قال مقاتل : (ثم ذكره النعم ليعتبر ، فقال^(٣) :

٨ . ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴾^(٤) . قال أبو إسحاق : « (أي)^(٥) ألم نفعل به ما يُستدل به على أن الله قادر على أن يبعثه ، وأن يحصي عليه ما يعمل به ؟ »^(٦) .

٩ . (قوله تعالى)^(٧) : ﴿ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾ . قال الليث : « الشِّفَّة حُذِفَتْ منها (الهاء) ، وتصغيرها : شُفْيَهة ، والجميع شِفَاه ، وإذا ثلثوا قالوا : شفها^(٨) ، وشفهوات ، (والهاء) أقيس ، (والواو) أعم ؛ لأنهم شبهوه بالسنوات^(٩) ، ونقصانها حذف (هائها) »^(١٠) .

التنزيل ٤/ ٤٨٩ ، والتفسير الكبير ٣١/ ١٨٣ ، ١٨٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٤٧ ، وفتح القدير ٥/ ٤٤٤ .

(١) معالم التنزيل ٤/ ٤٨٩ ، والتفسير الكبير ٣١/ ١٨٤ ، وفتح القدير ٥/ ٤٤٤ .

(٢) معاني القرآن ٣/ ٢٦٤ بتصرف .

(٣) في (أ) : (فقال قوله) .

(٤) ما بين القوسين من قول مقاتل ، انظر : تفسيره ٢٤٠ ب .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٢٨ بنصه .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٨) في (أ) : (شفها) .

(٩) في (أ) : (بالسموات) .

(١٠) تهذيب اللغة ٦/ ٨٥ ، ٨٦ ، وانظر : لسان العرب (شفه) ١٣/ ٥٠٦ .

قال الأزهري : «والعرب تقول : هذه شَفَّةٌ في الوَصَل ، وشَفَّةٌ أيضاً بـ (الهاء)»^(١) .

١٠ . وقوله : ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ . النجد معناه في اللغة ما ارتفع من الأرض ، وأشرف ، ونجد : هو ما ارتفع عن انخفاض تِهامة ، وكل عال من الأرض نجد ، والنجد الطريق في ارتفاع^(٢) .

قال ابن عباس^(٣) ، والمفسرون : «يريد بيِّنًا له طريق الخير ، وطريق الشر» .

وهو قول عبدالله^(٤) ، (وعلي^(٥))^(٦) ، ومجاهد^(٧) ، ومقاتل^(٨) (والكلبي^(٩))^(١٠) ، قالوا : «يعني سبيله الخير والشر والطاعة ، والمعصية ، كقوله : ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الدهر : ٣]» .

(١) انظر : المرجعين السابقين .

(٢) انظر : المرجعين السابقين ، وانظر أيضاً : الصحاح (نجد) ٢ / ٥٤٢ ، وتاج العروس (نجد) ٢ / ٥٠٨ ، ٥٠٩ .

(٣) جامع البيان ٣٠ / ٢٠٠ ، والمحزر الوجيز ٥ / ٤٨٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٦٥ ، والبحر المحيط ٨ / ٤٧٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٤٧ .

(٤) تفسير عبدالرزاق ٢ / ٣٧٤ ، وجامع البيان ٣٠ / ١٩٩ ، وبحر العلوم ٣ / ٤٨٠ بمعناه ، والمحزر الوجيز ٥ / ٤٨٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٦٥ ، والبحر المحيط ٨ / ٤٧٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٤٧ ، والدر المنثور ٨ / ٥٢١ منسوباً إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وتفسير الطبراني ٩ / ٢٧٥ . انظر : المستدرک في کتاب التفسير (سورة البلد) ٢ / ٥٢٣ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ / ١٣٨ : «رواه الطبراني بإسنادين ، وفيه عاصم بن أبي النجود ، وهو ثقة ، وفيه ضعف ، وبقيّة رجاله رجال الصحيح» .

(٥) ورد قوله من طريقه عن ابن عباس في جامع البيان ٣٠ / ١٩٩ ، ومن طريقه في الدر المنثور ٨ / ٥٢٢ .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) جامع البيان ٣٠ / ٢٠٠ .

(٨) تفسير مقاتل ٢٤٠ ب ، وبحر العلوم ٣ / ٤٨٠ .

(٩) لم أعثر على مصدر لقوله .

(١٠) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

قال أبو إسحاق : « المعنى : ألم نُعرِّفه طريق الخير والشر بَيِّنَيْنِ الطريقين العاليتين ؟ »^(١) .

وروى عيسى بن عقال^(٢) ، عن أبيه^(٣) ، عن ابن عباس في قوله : ﴿التَّجْدِينَ﴾ قال : « الثديين »^(٤) . وهو قول سعيد بن المسيب^(٥) ، والضحاك^(٦) ، والقول هو الأول^(٧) ؛ لُبُّعْدُ أَنْ يَرَادَ بِالنَّجْدَيْنِ الثَّدْيَانِ ، وَمَنْ قَالَ ذَلِكَ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهَا^(٨) كَالطَّرِيقَيْنِ لِحَيَاةِ الْوَلَدِ وَرِزْقِهِ ، وَاللَّهُ - تَعَالَى - هَدَى الْطِفْلَ الصَّغِيرَ حَتَّى ارْتَضَعَهَا ، فَهُوَ قَوْلُهُ : ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ .

-
- (١) ورد نحوه في معاني القرآن وإعرابه ٣٢٩/٥ .
- (٢) عيسى بن عقال البجلي ، عن أبيه ، روى عنه القاسم بن مالك في الكوفيين ، وسكت عنه البخاري في تاريخه ، وكذا ابن أبي حاتم ، وذكره ابن حبان في الثقات . انظر : كتاب الجرح والتعديل ٢٨٣/٦ : ت ١٥٦٩ ، والتاريخ الكبير ٤٠٣/٦ : ت ٢٧٨٦ ، والثقات ٤٩٠/٨ .
- (٣) لم أعثر له على ترجمة .
- (٤) ورد قوله في جامع البيان ٢٠١/٣٠ ، والكشف والبيان ٩٧/١٣ ، كما ورد نحوه من طريق محمد بن كعب عن ابن عباس بمثله في تفسير عبدالرزاق ٣٧٤/٢ ، ومعالم التنزيل ٤٨٩/٤ ، كما ورد قوله من غير ذكر الطريق في زاد المسير ٢٥٣/٨ ، والتفسير الكبير ١٨٤/٣١ ، ولباب التأويل ٣٨٠/٤ ، والبحر المحيط ٤٧٦/٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٥٤٨/٤ ، والدر المنثور ٥٢٢/٨ منسوبا إلى عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم .
- (٥) معالم التنزيل ٤٨٩/٤ ، وزاد المسير ٢٥٣/٨ ، والتفسير الكبير ١٨٤/٣١ ، والجامع لأحكام القرآن ٦٥/٢٠ ، والبحر المحيط ٤٧٦/٨ ، وفتح القدير ٤٤٤/٥ .
- (٦) المراجع السابقة عدا التفسير الكبير ، وانظر : جامع البيان ٢٠١/٣٠ ، وقد عدَّه الكرماني في التفسير ١٣٤٣/٢ من الغريب .
- (٧) وهو الذي رجَّحه أيضاً الطبري في جامع البيان ٢٠١/٣٠ ، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٥٤٨/٤ ، والشوكاني في فتح القدير ٤٤٤/٥ .
- (٨) في (أ) : (أنها) .

١١. قوله : ﴿فَلَا أَفْنَحُمُ الْعُقَبَةَ﴾ . قال (ابن قتيبة^(١)) و^(٢) (الأزهري^(٣)) : «أي فلا هو اقتحم ، يعني الإنسان المذكور ، (والاقتحام الدخول في الأمر الشديد ، وهو المهالك ، ويقال قَحَمَ يَقْحِمُ قُحُومًا ، واقتحم اقتحامًا ، وتقحم تقحُمًا ، إذا ركب القحم ، وهي المهالك ، والأمر العظام)^(٤) ، (والعقبة : طريق في الجبل وعر ، والجميع : العقب والعقاب)^(٥) .

قال عطاء : «يريد عقبة جهنم»^(٦) .

وقال الكلبي : «هي عقبة بين الجنة والنار»^(٧) .

وقال ابن عمر رضي الله عنه : «هي جبل زلال^(٨) في جهنم»^(٩) .

-
- (١) ذكره ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٥٢٨ ، وكلامه : «قال : فلا هو اقتحم العقبة» .
- (٢) ما بين القوسين ساقط من نسخة (أ) .
- (٣) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (قحم) ٧٧ / ٤ ، قال : «أي قل : هو اقتحم العقبة» .
- (٤) ما بين القوسين منقول عن تهذيب اللغة (قحم) ٧٧ / ٤ ، وانظر : لسان العرب (قحم) ١٦٢ / ١٢ ، ١٦٣ .
- (٥) ما بين القوسين تناول المعنى اللغوي للعقبة . انظر ذلك في : تهذيب اللغة ٢٨٢ / ١ ، ولسان العرب (عقب) ٦٢١ / ١ .
- (٦) التفسير الكبير ٣١ / ١٨٤ .
- (٧) التفسير الكبير ٣١ / ١٨٤ ، وورد قوله في الكشف والبيان ١٣ / ٩٧ ، وزاد المسير ٨ / ٢٥٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٦٧ ، وفتح القدير ٥ / ٤٤٤ .
- (٨) زلال : لعله أراد أنه سريع النزول منه ، كما يقال : ماء زلال ، وزليل : سريع النزول والمر في الحلق ، والله أعلم . انظر : لسان العرب (زلل) ١١ / ٣٠٧ .
- (٩) ورد قوله في جامع البيان ٣٠ / ٢٠١ ، والكشف والبيان ١٣ / ٩٨ ، والنكت والعيون ٦ / ٢٧٨ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٤٨٩ ، وزاد المسير ٨ / ٢٥٤ ، والتفسير الكبير ٣١ / ١٨٤ ، ولباب التأويل ٤ / ٣٨٠ ، والدر المنثور ٨ / ٥٢٢ منسوباً إلى ابن أبي شيبه ، وابن أبي حاتم .

وقال الضحاك^(١)، ومجاهد^(٢): «هي الصراط يضرب على جهنم»، وهو معنى قول الكلبي: «عقبة بين الجنة والنار».

وقال قتادة: «إنها قحمة شديدة، فاقتحموها بطاعة الله»^(٣).

هذا كلام المفسرين في تفسير هذه العقبة المذكورة هاهنا^(٤).

قال المبرّد^(٥)، والفرّاء^(٦)، وأبو عبيدة^(٧)، والزّجاج^(٨)^(٩): «معنى ﴿فَلَا أَقْنَحَ﴾ فلم يقتحم».

قال الفرّاء^(١٠)، والزّجاج^(١١): «ولم يضم إلى قوله: ﴿فَلَا أَقْنَحَ﴾ كلاماً آخر فيه (لا)، والعرب قلّ ما تتكلم في مثل هذا المكان^(١٢) إلا ب (لا) مرتين أو أكثر، لا تكاد تقول: لا حييتني، تريد ما حييتني، فإن قال: لا حييتني، ولا بررتني صلح. كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ [القيامة: ٣١]، واكتفى هاهنا بواحدة؛

(١) ورد قوله في الكشف والبيان، والنكت والعيون، ومعالم التنزيل، وزاد المسير، وانظر: الجامع لأحكام القرآن ٦٧/٢٠.

(٢) المراجع السابقة عدا النكت والعيون.

(٣) جامع البيان ٢٠١/٣٠، والكشف والبيان ٩٨/١٣، والحجة ٤١٤/٦، وفتح القدير ٤٤٤/٥.

(٤) أيضاً من الأقوال في معنى العقبة: (قال كعب: هو سبعون درجة في جهنم). جامع البيان ٢٠٢/٣٠.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٦٦/٢٠، وفتح القدير ٤٤٤/٥.

(٦) لم أعثر على مصدر لقوله.

(٧) مجاز القرآن ٢٩٩/٢.

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٣٢٩/٥.

(٩) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(١٠) معاني القرآن ٣/٢٦٤، ٢٦٥.

(١١) معاني القرآن وإعرابه ٣٢٩/٥.

(١٢) في (أ): (للمكان).

لأن المعنى يدل على التكرير ، وهو قوله : ﴿فَكُ رَقَبَةً ۝١٣ أَوْ إِطْعَمٌ ۝١٤﴾^(١) ، ﴿تُذَكَّرَ ۝١٥﴾^(٢) كأنه قيل : فلا تفعل ذا ولا ذا ، ولا آمن .

قال أبو علي الفارسي : «معنى ﴿فَلَا أَقْنَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ لم يقتحمها ، وإذا كانت ﴿لَا﴾ بمعنى ﴿لَمْ﴾ لم يلزم تكريرها ، كما لا يلزم التكرير مع ﴿لَمْ﴾ ، فإن تكررت في موضع نحو : ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ [القيامة : ٣١] ، فهو كتكرير (لم) نحو : ﴿لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ [الفرقان : ٦٧]»^(٣) .

ويدل على صحة ما ذكر أبو علي ما أنشد أبو عبيدة ، والمبرد^(٤) :

وَأَيُّ خَمِيسٍ لَا أَفَانَا^(٥) نِهَابَهُ وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ كَبْشِهِ دَمًا^(٦)
يعني : لم يفر ، ولم يكرر (لا) .

وأما ما ذكرنا عن المفسرين في تفسير العقبة ، فغير متوجه هاهنا ؛ لأن^(٧) من المعلوم أن هذا الإنسان وغيره لم يقتحموا عقبة جهنم ، ولا جاوزوها ، فإذا لا معنى لحملها على عقبة في الآخرة ، ولكن الصحيح أن ذكر العقبة هاهنا مثل ضربه الله (تعالى)^(٨) لمجاهدة النفس والشيطان في أعمال البر ، (وهذا مذهب الحسن ومقاتل)^(٩) .

(١) في النسختين ، وفي معاني الفراء : (طعم) .

(٢) الحجة ٤١٥ / ٦ بنصه .

(٣) الكامل ١٠٤٤ / ٢ ، ولم أجده في مجاز القرآن .

(٤) في (أ) : (أفا) .

(٥) البيت لطرفة بن العبد . سبق ذكره ، انظر تفسير سورة القيامة ؛ الآية : ٣١

(٦) في (أ) : (إلا) .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٨) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

قال الحسن : «عقبة الله شديدة ، ومجاهدة الإنسان نفسه وهواه ، وعدوه والشيطان»^(١) .

وقال مقاتل : «هذا مثل ضربه الله ؛ يريد أن المعتق رقبة ، والمطعم تقاحم نفسه وشيطانه ، مثل من يتكلف صعود العقبة ، فشبه المعتق رقبة في شدته عليه بالتكلف صعود العقبة»^(٢) .

وهذا مذهب أبي عبيدة ، فقد قال : «لم يقتحم العقبة في الدنيا»^(٣) ، فيبين أن هذه العقبة في الدنيا ، وهي ما ذكر الله من بعد ، فقال :

١٢-١٣ . ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقْبَةُ﴾ . قال ابن عباس : «يريد اقتحام العقبة»^(٤) .

قال أبو علي : «لا بد من تقدير هذا المحذوف ؛ لأنه لا يخلو»^(٥) من أن تقدّر حذف هذا المضاف ، أو لا تقدّره ، فإن لم [تقدّره]^(٦) ، وتركت الكلام على ظاهره كان المعنى : العقبة : فك رقبة ، ولا تكون العقبة الفك ؛ لأنه عَيْنٌ ، والفك حدث^(٧) ، والخبر ينبغي أن يكون المبتدأ في المعنى ، وإذا لم يستقم^(٨) هذا كان المضاف مراداً ، فيكون المعنى : اقتحام العقبة فك رقبة ، أو إطفام ، أي اقتحامها

(١) النكت والعيون ٦/٢٧٨ بمعناه ، والكشاف ٤/٢١٣ ، والتفسير الكبير ٣١/١٨٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٦٧ .

(٢) تفسير مقاتل ٢٤٠ ب ، والتفسير الكبير ٣١/١٨٥ ، وقد رجّح الفخر الرازي هذا القول في التفسير الكبير ٣١/١٨٥ ، وقال الماوردي في النكت والعيون ٦/٢٧٩ : «وهو أشبه بالصواب» ، وكذا قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/٦٨ .

(٣) مجاز القرآن ٢/٢٩٩ .

(٤) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٥) (لا يخلوا) في كلتا النسختين .

(٦) في كلتا النسختين (تقدر) ، والمثبت من مصدر القول هو (الحجة) .

(٧) في (أ) : (حديث) .

(٨) (لم يستفهم) هكذا ورد في أصل الكلام ، وهو (الحجة) .

أحد هذين ، أو هذا الضرب من فعل القُرْب ، ومثل هذا قوله : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا
الْحُطْمَةُ﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿[الهمزة: ٥-٦] ؛ أي الحطمة نار الله﴾^(١) .

ونحو هذا قال الزَّجَّاج^(٢) .

المعنى : اقتحام العقبة فك رقبة ، أو إطعام ؛ فالمضاف محذوف من الآية
الأولى ، والمبتدأ محذوف من قوله ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ على ما بيَّنا وشرحنا .

(وفكُّ الرقبة : تخليصها من إيسار الرق ، وفكُّ الرهن ، وفكاكه : تخليصه من
غَلَقِ الرهن ، وكل شيء أطلقته فقد فككته ، ومنه فكُّ الكتاب ، وهو أن تأخذ
السحانة^(٣) فتلوها حتى ينفك ختامها^(٤)) .

وقال أهل المعاني : «الفكُّ فرق يزيل المنع ، فكفُّ القيد والغلُّ ، وفك الرقبة ،
وفرق بينها وبين حال الرق بإيجاب الحرية ، أو إبطال العبودية»^(٥) .

قال الفراء في المصادر : «فكَّها يفكُّها فكاً ، بفتح الفاء في المصدر ، ولا تقل
بكسرهما»^(٦) .

(١) انتهى كلام أبي علي الفارسي في الحجة ٤١٤ / ٦ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣٢٩ / ٥ بمعناه .

(٣) لعله يراد بالسحانة : السَّخْن ، وهو أن تدلك خشبة بمسحن حتى تلين من غير أن تأخذ من الخشبة
شيئاً . انظر : تهذيب اللغة (سحن) ٣١٩ / ٤ .

(٤) ما بين القوسين منقول عن الأزهري من تهذيب اللغة (فك) ٤٥٩ / ٩ ، وانظر : لسان العرب (فك)
٤٧٥ / ١٠ .

(٥) لم أعثر على مصدر لقولهم ، غير أنني وجدت نحوه من غير نسبة في التفسير الكبير ١٨٥ / ٣١ .

(٦) لم أعثر على مصدر قوله في معانيه ، ولكنه ورد في التفسير الكبير ١٨٥ / ٣١ .

١٤. وقوله ^(١): ﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾. قال أبو عبيدة: «ذي مجاعة» ^(٢)؛ يقال سَغِبَ يَسْغَبُ سَغْبًا: إذا جاع، فهو سَاغِبٌ وَسَغْبَانٌ ذُو مَسْغَبَةٍ ^(٣).

قال ابن عباس: «يريد بالمسغبة الجوع» ^(٤).

قال مجاهد ^(٥)، وعكرمة ^(٦): «ذو مجاعة».

وقال الحسن: «يوم محروص فيه على الطعام» ^(٧).

قال أبو علي: «وجاز أن يوصف اليوم بهذا، كما جاز أن يقال: ليل نائم، ونهار صائم، ونحو ذلك» ^(٨). (هذا) ^(٩) الذي ذكرنا قراءة العامة ^(١٠).

-
- (١) في (أ): (قوله).
 (٢) مجاز القرآن ٢/ ٢٩٩.
 (٣) ما بين القوسين قول الليث نقله عن تهذيب اللغة ٨/ ٤١ بتصرف، وانظر: لسان العرب (سغب) ١/ ٤٦٨، وتاج العروس (سغب) ١/ ٢٩٩.
 (٤) ورد في جامع البيان ٣٠/ ٢٠٣، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٤٩، والدر المنثور ٨/ ٥٢٥ منسوباً إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وكلها برواية: (يوم مجاعة).
 (٥) المراجع السابقة برواية: (الجوع)، وانظر: جامع البيان ٣٠/ ٢٠٤.
 (٦) المراجع السابقة عدا الدر المنثور.
 (٧) التفسير الكبير ٣١/ ١٨٦.
 (٨) ورد في الحجة ٦/ ٤١٥ بتصه.
 (٩) ما بين القوسين ساقط من (أ).
 (١٠) قرأ عاصم، وابن عامر، ونافع، وحزرة ﴿فَكَرَّبُّهُ﴾ بالإضافة، و﴿أَوْ إِطْعَمٌ﴾ بالرفع. انظر: السبعة في القراءات ٦٨٦، والقراءات وعلل النحويين فيها ٢/ ٧٧٧، والحجة ٦/ ٤١٣، والمبسوط ٤١٠، وحجة القراءات ٧٦٤، والكشف ٢/ ٣٧٥، والتبصرة ٧٢٧، وإتحاف فضلاء البشر ٤٣٩.

وقرأ أبو عمرو ، والكسائي : (فكَ رَقَبَةً) بفتح الكاف ، (أو) (أطعم) بغير ألف^(١) .^(٢)

(قال الفرّاء)^(٣) : «وهو أشبه الوجهين بصحيح العربية ، لقوله : ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ ، وهو أشكل (بفك) و(أطعم) ، والفك والإطعام اسم ، فينبغي أن يرد على الاسم اسم مثله ، فلو قيل : (ثم إن كان) كان أشكل للإطعام ؛ لأنه حينئذ يكون بمعنى المصدر ، وهذا وجه القراءة الأولى مع قوله : ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ ، وهو أن يضمّر (أن) وتُلقَى ، فيكون مثل قول الشاعر^(٤) :

ألا أيُّ هذا الزاجري أخضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مُخلد^(٥)

ألا (ترى)^(٦) أن ظهور (أن) في آخر الكلام يدل على أنها معطوفة على أخرى مثلها في أول الكلام ، وقد حذفها^(٧) .

(١) قرأ بذلك أيضاً ابن كثير . انظر : المراجع السابقة .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) البيت لطرفة بن العبد البكري من معلقته .

(٥) ورد البيت أيضاً في كتاب سيبويه ٣/ ١٠٠٩٩ ، وشرح أبيات سيبويه ١٦٩ ، والمقتضب ٢/ ٨٥ ، والمدخل ٣٠١ ، رقم ٣١٥ ، ولسان العرب (أنن) ٣٢/ ١٣ ، ومغني اللبيب ١٧/ ٢ ، رقم ٦١٦ ، وشرح ابن عقيل ٤/ ٢٤ ، رقم ٣٣٣ . وانظر أيضاً : شرح أبيات معاني القرآن للفرّاء ١١٥ ، رقم ٢٤٠ ، ولم أجده في ديوانه . والشاهد : (أحضر) حذف (أن) الناصبة ، وانتصاب الفعل بعدها ، وفي حذفها ونصب الفعل بعد حذفها خلاف بين الكوفيين والبصريين ، فالكوفيون يُميزون النصب قياساً حينئذ ، واستدلوا بهذا البيت ، بدليل العطف : (أن أشهد) عليه ، فدل على أنها تنصب مع الحذف . ومعنى البيت : هل أنت مُبقيّ يا مَنْ يلومني في حضور الحرب ، لثلاث أقتل ، وفي أن أنفق مالي في الفتوة ، ولا أخلفه لغيري المراجع السابقة . وانظر : المقتضب ٢/ ٨٥ .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) ورد في معاني القرآن ٣/ ٢٦٥ بتصرف . ولتفصيل هذه المسألة النحوية ، انظر : المصادر الآنف ذكرها ، مثل : كتاب سيبويه ٣/ ٩٩ ، والمقتضب ٢/ ٨٥ ، وشرح ابن عقيل ٤/ ٢٤ ، وغيرها . وخلاصة القول فيها : ذهب الكوفيون إلى أن (أن) الخفيفة تعمل في الفعل المضارع النصب مع الحذف من غير =

وقال أبو علي : «مَنْ قرأ : (فَكَ رَقَبَةً * أو أَطْعَمَ) فإنه يجوز أن يكون ما ذكر من الفعل تفسيراً لاقتحام العقبة ، وقد جاء : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ [آل عمران : ٥٩] ، ثم فَسَّرَ المثل بقوله : ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ [آل عمران : ٥٩] ، فكذاك قول مَنْ قال : (فَكَ رَقَبَةً * أو أَطْعَمَ) .

قال : «وَمَنْ احتج لهذه القراءة بقوله : ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ فقال : [كأنه لما] ^(١) كان فعلاً يجب أن يكون المعطوف عليه مثله ، كان هذا وجهاً حسناً» .

وقد يجوز أن يكون قوله : ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ كالقطع من الأول ، والاستئناف ، كأنه أعلم أن فكأك الرقبة من الرق من الذين آمنوا ؛ لأنه بالإيمان يجوز ثواب ذلك ويجوز ، فإذا لم ينضم الإيمان إلى فعل القرب التي تقدم ذكرها لم ينفع ذلك ^(٢) .

١٥ . قوله تعالى : ﴿يَتِمَّا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ . قال أبو إسحاق : «معناه ذا قرابة ، تقول : زيد ذو قرابتي ، وذو مقربتي ^(٣) ، (وزيدٌ قرابتي) ^(٤) قبيح ، لأن القرابة المصدر ، قال الشاعر ^(٥) :

يبيكي الغريبُ عليه ليس يعرفهُ
وذو قرابته في الحيِّ مسرورٌ ^(٦) ^(٧) .

بذلك ، وذهب البصريون إلى أنها لا تعمل مع الحذف من غير بدل ، وقد عرض كلٌّ منهما أدلته . راجع ذلك في الإنصاف ٢ / ٥٥٩ - ٥٧٠ .

- (١) في النسختين : (لما كان كان) ، وأثبت ما جاء في الحجة : (لانتظامه) .
- (٢) ورد في الحجة ٦ / ٤١٥ ، ٤١٦ بتصرف يسير .
- (٣) في (أ) : (ذوا) .
- (٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (٥) قيل : هو ابن لبيد العذري ، وقيل : هو الحارث بن جبلة ، وقيل : هو عبيد بن شربة . انظر : الإصابة ٦ / ١٠٢ ت ٦٣٩١ ، وشواهد المغني ١١٨ ، ٢٤٥ ، طبعة بيروت ، وأخبار النحويين البصريين ٣١ ، وقد نسبته السيرافي إلى شيخ من أهل نجد كان أسنهم .
- (٦) ورد البيت في المراجع السابقة .
- (٧) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٢٢٩ ، ٢٣٠ بنصه .

قال مقاتل : «يعني يتيماً بينه وبينه قرابة»^(١) .

١٦ . وقوله : ﴿أَوْسِكِنَا ذَا مَرَّةٍ﴾ . قال أبو عبيدة^(٢) ، والمبرد^(٣) ،
(والزجاج^(٤))^(٥) : «﴿أَوْسِكِنَا﴾ قد لصق بالتراب من فقره وضره .
يقال : ترب الرجل ، إذا افتقر حتى يلصق بالتراب»^(٦) .

قال عطاء : «يريد قد لصق بالتراب ، فليس فوقه ما يستره ، ولا تحته ما يوطئه»^(٧) .

وروى مجاهد عن ابن عباس قال : «هو المطروح في التراب لا يقيه شيء»^(٨) .

-
- (١) ورد في تفسير مقاتل ٢٤٠ ب ، والتفسير الكبير ١٨٧ / ٣١ ، وورد نحوه من غير نسبة في بحر العلوم ٤٨١ / ٣ ، ومعالم التنزيل ٤٩٠ / ٤ .
- (٢) مجاز القرآن ٢ / ٢٩٩ ، وكلامه : «قال : قد لزق بالتراب» .
- (٣) لم أعثر على مصدر لقوله .
- (٤) ذكره الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٣٣٠ ، وكلامه : «يعني أنه من فقره قد لصق بالتراب» .
- (٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (٦) انظر : تهذيب اللغة (ترب) ١٤ / ٢٧٤ ، والصحاح ١ / ٩١ ، ولسان العرب ١ / ٢٢٩ .
- (٧) لم أعثر على مصدر لقوله ، وقد ورد نحوه غير منسوب في التفسير الكبير ١٨٧ / ٣١ .
- (٨) ورد نحوه في جامع البيان ٣٠ / ٢٠٤ ، والنكت والعيون ٦ / ٢٧٩ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٤٩٠ ، وزاد المسير ٨ / ٤٥٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٧٥ ، ولباب التأويل ٤ / ٣٨١ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٤٩ ، والدر المنثور ٨ / ٥٢٥ منسوباً إلى الفريابي ، وسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والمستدرک في کتاب التفسير : (سورة البلد) ٢ / ٥٢٤ ، وقال عنه : «صحيح» ، ووافقه الذهبي .

روى^(١) أبو صالح أن ابن عباس مرَّ بمسكين لاصق التراب ذي حاجة ، فقال : « هذا الذي قال الله : ﴿ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ »^(٢) ، ونحو هذا قال جماعة المفسرين^(٣) .

والمتربة : مصدر قولهم : تَرَبَّ يَتَرَبُّ تَرَبًّا وَمَتْرَبَةً ، مثل مَسْعَبَةٍ ، إذا افتقر حتى لصق بالتراب ضرأً^(٤) .

ثم يَبَيِّن أن هذه القرب إنما تنفع مع الإيمان ، فقال :

١٧ . ﴿ تُعْرَكَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ؛ أي كان مقتحم العقبة ، وهو فاك الرقبة ، والمطعم من الذين آمنوا ، فإنه إن لم يكن منهم لم ينفعه قربة ، لإحباط الكفر لها .

فإن قيل : ليس من شرط صحة هذه القرب ، ووقوعها من الله بمكان القبول : الإيمان ، فهلاً قَدَّمَ الإيمان عليها ، وثم للتراخي ، فقوله : ﴿ تُعْرَكَانَ ﴾ يوجب الإيمان إذا تراخى عن هذا القرب صحت دونه ؟

والجواب عن هذا أن يقال : هذا التراخي في الذكر ، لا في الوجود والترتيب^(٥) ؛ لأن المعنى أنه فعل هذه الأشياء وهو مؤمن معها .

(١) في (أ) : (أنه) بدلاً من (روي عن ابن عباس) .

(٢) ورد بمعناه في معاني القرآن ٢٦٦/٣ ، والتفسير الكبير ١٨٧/٣١ .

(٣) وإلى معنى القول : (ذو اللصوق بالتراب) ذهب مجاهد في تفسيره ٧٣١ ، وعكرمة في جامع البيان ٣٠/٢٠٤ ، ٢٠٥ . انظر : النكت والعيون ٢٧٩/٦ ، والدر المنثور ٨/٥٢٥ ، وبه قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٥٢٩ ، والشعلبي في الكشف والبيان ٩٨/١٣ ، والسمرقندي في بحر العلوم ٤٨١/٣ ، والسجستاني في نزاهة القلوب ٤١٦ ، وانظر أيضاً : المفردات ٧٣ .

(٤) انظر : لسان العرب (ترب) ٢٢٨/١ .

(٥) انظر تفصيل ذلك في : معني اللبيب ١٩٧/١ .

وكذا ذكر المفسرون^(١)، فقالوا: «ثم كان مع ذلك من الذين آمنوا، وقد قال:

إِنَّ مَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ ثُمَّ قَدْ سَادَ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهُ»^(٢).

لم يرد بقوله: ثم ساد التأخير، وإنما المعنى: ثم اذكر أنه ساد أبوه، كذلك في الآية، على أنه يجوز أن يحمل على الظاهر بمعنى: ثم كان في عاقبة أمره من الذين آمنوا، وهو أن يموت مؤمناً، فإن مَنْ كانت موافاته على الإيمان نفعتة القرب، ومن لا، فلا، ويجوز فيه وجه آخر، وهو أن مَنْ أتى هذه القرب تقرباً إلى الله، وابتغاء وجهه، وهو غير مؤمن بمحمد عليه السلام ثم آمن به (أجر)^(٣) على ما سلف له من الخير. يدل على صحة هذا ما روي أن حكيم بن حزام بعد ما أسلم، قال لرسول الله: «إِنَّا كُنَّا نَتَحَنَّنُ»^(٤) بأعمال في الجاهلية، فهل لنا فيها شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: «أسلمت على ما قَدَّمت من الخير»^(٥).

(١) قال بذلك الثعلبي في الكشف والبيان ١٣/٩٩.

(٢) البيت لأبي نواس الحسن بن هانئ في ديوانه ٤٩٣ برواية:

قُلْ لِمَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ قَبْلَهُ ثُمَّ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهُ

وورد البيت غير منسوب في التفسير الكبير ٣١/١٨٧، ومغني اللبيب ١/١٩٧ ش ١٧٤، وغرائب التفسير ١/٢٦٠.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ع).

(٤) تَحَنَّنُ: تَعَبَّدَ واعتزل الأصنام. انظر: الصحاح (حنث) ١/٢٨٠، والقاموس المحيط (حنث) ١/١٦٥. وجاء في فتح الباري ٣/٣٠٢: «التحنن: الإحسان، وعمل الخير من الحنث، وهو الإثم، يقال: تحنن؛ أي ألقى عنه الإثم».

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ١/٤٤٣، ٤٤٤ ح ١٤٣٦ في كتاب الزكاة، باب (٢٤)، واللفظ كما هو عند البخاري: عن حكيم بن حزام - رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله، أرايت أشياء كنت أتحننُ بها في الجاهلية؛ من صدقة، أو عتاقة، ومن صلة رحم، فهل فيها من أجر؟ فقال النبي ﷺ: «أسلمت على ما سلف من خير».

وورد أيضاً في كتاب البيوع ٢/١١٩ ح ٢٢٢٠، باب (١٠٠)، وكتاب العتق ٢/٢١٨ ح ٢٥٣٨، باب: (١٢)، وكتاب الأدب ٤/٩٠ ح ٥٩٩٢. قال المازني: «ظاهره: أن الخير الذي أسلفه كتب له، =

وقوله: ﴿وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ ؛ أي على فرائض الله وأمره . قاله ابن عباس^(١) ، ومقاتل^(٢) .

(قوله)^(٣) : ﴿وَتَوَّصُوا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ . فالأمر في ما بينهم ، والتراحم لليتيم ، والمسكين ، والضعيف . وهذا من صفة أصحاب النبي ﷺ : أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعبدالرحمن بن عوف ، أي كان من الجملة الذين هذه صفتهم .

ثم ذكر أن هؤلاء منهم ، فقال :

١٨ . ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ . وتفسير أصحاب الميمنة قد سبق في سورة الواقعة^(٤) ، وكذلك تفسير أصحاب المشأمة الذين ذكروا هاهنا في قوله :

١٩ . ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَائِبُنَا لَهُمُ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ قد تقدّم هناك^(٥) .

والتقدير : أسلمت على قبول ما سلف لك من خير ، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان ١/ ١١٣ ح ١٩٤ ، ١٩٥ ، باب (١١٤) ، والإمام أحمد ٣/ ٤٠٢ . انظر : التفسير الكبير ٣١/ ١٨٧ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٧٦ ، وفتح القدير ٥/ ٤٤٥ .

(١) لم أعثر على مصدر لقوله ، وقد ورد نحوه غير منسوب في معالم التنزيل ٤/ ٤٩١ ، وزاد المسير ٨/ ٢٥٥ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٨١ .

(٢) ورد في تفسير مقاتل ٢٤١ أ ، وذكر نحوه السيوطي في الدر المنثور ٨/ ٥٢٦ عن هشام بن حسام .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٤) عند قوله تعالى : ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [الواقعة : ٨] .

(٥) عند قوله تعالى : ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ [الواقعة : ٩] . ومما جاء في تفسير الآيتين السابقتين : يعني اليمين ، وجمعها الميامن ، وهي جوانب اليمين . وفي أصحاب الميمنة أربعة أقوال : قال عطاء عن ابن عباس : «هم الذين يعطون كتابهم بأيديهم» .

وعن ابن عباس أيضاً : «هم الذين كانوا على يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه» .

وقال الحسن ، والربيع : «هم الذين كانوا ميامين مباركين على أنفسهم ، وكانت أعمارهم في طاعة الله عز وجل» .

القول الرابع : «إنهم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة» .

٢٠. وقوله : ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ . قال جماعة المفسرين : «مطبقة»^(١) .

وقال الفرّاء^(٢) ، وأبو عبيدة^(٣) ، والمبرد^(٤) ، (وَالزَّجَّاجُ)^(٥)^(٦) : «يقال : أَصَدْتُ الْبَابَ وَأَوْصَدْتُهُ ، إذا أغلقته وأطبقتة ، (فَمَنْ قَرَأَ : ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ بالهمز^(٧)^(٨) : أخذها من : أَصَدْتُ^(٩) ، فهمز اسم المفعول ، ويجوز أن يكون من أَوْصَدْتُ ، ولكنها همز على لغة مَنْ يهمز (الواو) إذا كان قبلها ضمة نحو : مُؤَسَّى»^(١٠) .

المشأمة : يعني أصحاب الشمال ، والمشأمة : اليسرى ، يقال : اليد اليمنى ، واليد الشومى ، ومن هذا أخذ اليمين والشؤم ، واليمن والشام ، وفي أصحاب المشأمة أربعة أقوال تضاد الأقوال التي ذكرنا في أصحاب الميمنة .

(١) قال بذلك ابن عباس ، وقتادة ، والضحاك بمعناه ، وأبو هريرة ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، ومحمد بن كعب ، وعطية العوفي ، والحسن ، والسدي . انظر : تفسير عبدالرزاق ٣٧٥ / ٢ ، وجامع البيان ٢٠٧ / ٣ ، والنكت والعيون ٢٨٠ / ٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٥٥٠ / ٤ ، والدر المنثور ٥٢٦ / ٨ ، وبه قال الطبري في جامع البيان ٢٠٧ / ٣ ، وبحر العلوم ٤٨١ / ٣ ، والكشف والبيان ١٣ / ٩٩ . وانظر أيضاً : معالم التنزيل ٤ / ٩١ ، والمحرق الوجيز ٥ / ٤٨٦ ، والكشاف ٤ / ٢١٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٨٢ ، ولباب التأويل ٤ / ٣٨١ .

(٢) معاني القرآن ٣ / ٢٦٦ ، قال : «والموصدة تهمز ولا تهمز ، وهي المطبقة» .

(٣) مجاز القرآن ٢ / ٢٩٩ ، قال : «مطبقة ، أَصَدْتُ وَأَوْصَدْتُ ، وهو أَطَبَقْتُ» .

(٤) التفسير الكبير ٣١ / ١٨٨ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٣٣٠ ، واللفظ له .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) في (أ) : (فأهمز) .

(٨) قرأ بذلك أبو عمرو ، وحمزة ، وحفص عن عاصم ، ويعقوب ، وخلف ، وقرأ الباقر (مُؤَصَّدَةً) بغير همز . انظر : السبعة في القراءات ٦٨٦ ، والقراءات وعلل النحويين فيها ٢ / ٧٧٧ ، والحجة ٦ / ٤١٦ ، والمبسوط ٤١٠ ، وحجة القراءات ٧٦٦ ، والتبصرة ٧٢٦ ، والوافي ٣٨٠ .

(٩) في (أ) : (أمرت) .

(١٠) من بيت لجريز ، وقماته :

لَحَبَّ الْوَاقِدَانِ إِلَى مُؤَسَّى وَجَعَدَةُ لَوْ أَضَاءَ هُمَا الْوَقُودُ

وجعدة ابنته ، ومؤسى ابنه ، يمدح ولديه بالكرم والاشتهار به . والمعنى أنه لما أضاء إيقاد النار موسى =

(وكان أبو حية النميري يفعل ذلك)^(١)، وقد ذكرنا ذلك في ما تقدّم^(٢).

ومن لم يهمز، احتمل أمرين :

أحدهما : أن يكون من لغة من قال : أوصدتُ ، فلم يهمز اسم المفعول ، كما يقال : من أوعدت موعود .

والآخر : أن يكون قد أصد مثل : آمن ، ولكنه خفف ، كما تقول في تخفيف جُؤْنَة^(٣) ، وبُؤْسٍ ، ونُؤْيٍ : جُونُهُ ، وبُوس ، ونوى ، فيقلبها في التخفيف (واواً)^(٤).

قال الفراء : «ويقال : من هذا الأصيد ، والوصيد ، وهو الباب المطبق»^(٥).

قال الليث : «الإِصاد ، والوَصاد ، والأُصدة ، (بمنزلة الطبق ، يقال : أطبق عليهم الإِصاد ، والوَصاد ، والأُصدة)^{(٦)(٧)} .

= وجعدة ، ورأيتها ذوي ضياء ونور وبهجة صاروا محبوبين . انظر : ديوانه ٢٨٨ / ١ ، طبعة دار المعارف ، والخصائص ٥٦٧ / ١ ، وشرح أبيات المغني ٧٦ / ٨ ش ٩١٨ .

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) ورد في الحجة ٢٣٩ / ١ ، وأيضاً جاء ذكره ذلك في سورة البقرة : ٣ .

(٣) جؤنة : سُلَيْلَةٌ مستديرة مُغَشَّاة أدمًا ، تكون مع العطارين ، وجمعها جُونٌ . انظر : تهذيب اللغة (جون) ٢٠٤ / ١١ .

(٤) ما بين القوسين نقلاً عن الحجة ٤١٦ / ٦ ، ٤١٧ بتصرف .

(٥) معاني القرآن ٦٦ / ٣ .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) ورد في تهذيب اللغة (وصد) ٢٢٢ / ١٢ بنصه ، وانظر : لسان العرب (وصد) ٣ / ٣٦٠ .

قال مقاتل : «عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ» ؛ يعني أبواب مطبقة ، فلا يفتح لهم باب ، ولا يخرج منها غمٌ ، ولا يدخل فيها روح آخر الأبد»^(١) .

(والمؤصدة هي الأبواب ، وقد جرت صفة للنار على تقدير : عليهم نار مؤصدة الأبواب ، فلما تركت الإضافة عاد التنوين ؛ لأنها يتعاقبان)^(٢) .

(١) ورد في التفسير الكبير ١٨٨ / ٣١ بلفظ : (قال : وهي جهنم) .

(٢) انظر : المراجع السابق .

تفسير



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ . هذه الآية ، والتي بعدها أقسام كلها إلى قوله :
﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ وهو جواب القسم .

قال الزَّجَّاج : « المعنى لقد أفلح ، ولكن اللام حذفت ؛ لأن الكلام طال
فصار طوله عوضاً منها »^(٢) .

وأما تفسير : (ضحاهها) .

(١) مكية بقول الجميع . انظر : تفسير مقاتل ٢٤٠/أ ، وجامع البيان ٣٠/٢٠٧ ، وبحر العلوم ٣/٤٨٢ ،
والكشف والبيان ١٣/٩٩ ب ، والكشاف ٤/٢١٤ ، وزاد المسير ٨/٢٥٦ ، والجامع لأحكام القرآن
٢٠/٧٢ ، وغيرها .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٥/٣٣١ .

فقال الليث: «الضَّحُو ارتفاع النهار، والضُّحَى فُوقَ ذلك، والضُّحَاءُ^(١) معدود إذا امتد النهار وكرَبَ^(٢) أن ينتصف»^(٣).

وقال أبو الهيثم: «الضُّحَى: على فُعل حين تطلع الشمس، فيصفو ضَوْوُهَا»^(٤).

وذكر المفسرون في (ضحائها) ثلاثة أقوال: قال مجاهد: «ضَوْوُهَا»^(٥)، (وهو قول الكلبي^(٦))^(٧)، وقال قتادة: «هو النهار كله»^(٨)، وهو اختيار الفراء^(٩)، وابن قتيبة^(١٠).

-
- (١) في (أ): (الضحى).
 - (٢) كرب: كاد. انظر: مختار الصحاح (كرب) ٥٦٦.
 - (٣) تهذيب اللغة (ضحا) ٥/١٥٠ بنصه.
 - (٤) تهذيب اللغة (ضحا) ٥/١٥١، ١٥٢.
 - (٥) ورد في جامع البيان ٣٠/٢٠٨، والكشف والبيان ١٣/٩٩ب، ومعالم التنزيل ٤/٤٩١، والمحرر الوجيز ٥/٤٨٧ بمعناه، وزاد المسير ٨/٢٥٦، والتفسير الكبير ٣١/١٩٠، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٧٢، والبحر المحيط ٨/٤٧٨ بمعناه، وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٥٠، وفتح القدير ٥/٤٤٨.
 - (٦) معالم التنزيل ٤/٤٩١، والتفسير الكبير ٣١/١٩٠، وفتح القدير ٥/٤٢٨.
 - (٧) ما بين القوسين ساقط من (أ).
 - (٨) جامع البيان ٣٠/٢٠٧، والكشف والبيان ١٣/٩٩ب، والنكت والعيون ٦/٢٨١، ومعالم التنزيل ٤/٤٩١، والمحرر الوجيز ٥/٤٨٧، وزاد المسير ٨/٢٥٦، والتفسير الكبير ٣١/١٩٠، والبحر المحيط ٨/٤٧٨، وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٥٠.
 - (٩) معاني القرآن ٣/٢٦٦.
 - (١٠) تفسير غريب القرآن ٥٢٩.

وذكر أبو إسحاق القولين^(١)، والقول الثالث ما ذكره مقاتل قال: «أقسم الله بالشمس وحرها»^(٢)، وهو قول ابن عباس في رواية عطاء^(٣).

قال المبرد: «أصله في ما يقول النحويون من الضَّحَّ، هو نور الشمس، والألف مقلوبة عن الحاء الثانية، يقال^(٤): ضحو وضحوات، وضحي»^(٥)، فعلى ما ذكر، (الواو) في ضحوة مقلوبة عن الحاء الثانية، والألف مقلوبة عن (الواو).

وقال^(٦) أبو الهيثم: «الضَّحُّ^(٧) نقيض الظل، وهو نور الشمس على وجه الأرض، قال: وأصله الضُّحَى فاستثقلوا الياء مع سكون الحاء فثقلوها».

وقالوا: «ضَحَّ. ومثله العبد: القِنَّ أصله من القِنِيَّة»^(٨)، وهذا ضد ما ذكره المبرد، وكيف ما كان الأمر، سواء جعلت الضحي من الضح، أو الضح من الضحي، فالضحى في الأصل على ما ذكرنا: ضوء الشمس ونورها، ثم سُمِّي

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣٣١/٥.

(٢) تفسير مقاتل ٢٤١أ، والكشف والبيان ٩٩/١٣، ومعالم التنزيل ٤٩١/٤، والمحرم الوجيز ٤٨٧/٥، وزاد المسير ٢٥٦/٨، والتفسير الكبير ١٩٠/٣١، ولباب التأويل ٣٨١/٤، والبحر المحيط ٤٧٨/٨، وروح المعاني ١٤٠/٣٠، وكلها برواية: (حرها). وقد ضَعَفَ الفخر هذا القول (بحرها) التفسير الكبير ١٩٠/٣١.

(٣) ورد معنى قوله من ذكر طريق عطاء في الجامع لأحكام القرآن ٧٢/٢٠.

(٤) في (ع): (يقول).

(٥) لم أعر على نص المبرد في ما بين يدي من كتبه، وقد ورد قوله في الجامع لأحكام القرآن ٧٣/٢٠، والبحر المحيط ٤٧٨/٨، والدر المصون للسمين الحلبي ٥٢٨/٦، وقال أبو حيان معقباً على ما قاله المبرد ٤٧٨/٨: «لعله مختلف عليه؛ لأن المبرد أجلُّ من أن يذهب إلى هذا، وهاتان مادتان مختلفتان، لا تشتق إحداهما من الأخرى»، وانظر: الدر المصون ٥٢٨/٦.

(٦) في (ع): (قال).

(٧) في (أ): (الضح).

(٨) ورد قوله في تهذيب اللغة (ضح) ٣٩٨/٣، وانظر أيضاً: التفسير الكبير ١٩٠/٣١، والجامع لأحكام القرآن ٧٣/٢٠.

(به)^(١) الوقت الذي تشرق فيه الشمس ، فمن قال من المفسرين : وضحاها ضوءها ، فهو على الأصل .

وكذلك من قال : النهار كله ؛ لأن جميع النهار هو من نور الشمس وإشراقه ، ألا ترى أنه إذا فُقد نور الشمس [أسود النهار ؟]^(٢) .

ومن قال في الضحى : إنه حر الشمس ؛ فلأن نورها شيئان : ضياء ، وحرارة ، ولا ينفك أحدهما عن الآخر ، وهذا أضعف الأقوال ، وإن كان له وجه^(٣) .

والقرءاء مختلفون في فواصل هذه السورة ، وما أشبهها نحو ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾ [الليل : ١] ، ﴿وَالضُّحَى﴾^(٤) ، ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى﴾ [الضحى : ١-٢] ، فقرأوا^(٥) بالإمالة والتفخيم^(٦) ، وبعضها بالإمالة^(٧) ، وبعضها بالتفخيم^(٨) .

قال القرءاء : «تكسر ضحاها»^(٩) ، والآيات التي بعدها ، وإن كان أصل بعضها (الواو) .

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) يوجد سقط في الكلام . قلت : ولعل ما أثبتته هو المراد ، والله أعلم .

(٣) من قوله : (فمن قال من المفسرين . . .) إلى قوله : (وإن كان له وجه) نقله الفخر في التفسير الكبير ١٩٠ / ٣١ .

(٤) في (أ) : (فقرأوا) .

(٥) إن العلل التي توجب الإمالة ثلاث ، هي : الكسرة ، وما أميل ليدل على أصله ، والإمالة للإمالة . ولتفصيله ، انظر ذلك : المبسوط ١٠٣-١١٠ ، والكشف ١٧٠-١٧٩ ، ج ٢ / ٣٧٨ .

(٦) قرأ حمزة ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾ ، ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى﴾ بالكسر ، وفتح «تلاها» و«طحاها» . وفي سورة الضحى : (سجى) ، وفي النازعات : ﴿دَحْهَآ﴾ ، وكسر سائر ذلك ، وقرأ نافع ، وأبو عمرو ذلك كله بين الفتح والكسر . انظر : كتاب السبعة في القراءات ٦٨٨ ، والقراءات وعلل النحويين فيها ٧٧٩ / ٢ ، والحجة ٤١٨ / ٦ .

(٧) قرأ الكسائي بالكسر في ذلك كله . انظر : المراجع السابقة .

(٨) قرأ ابن كثير ، وعاصم ، وابن عامر بفتح أواخر آي هذه السورة ، والليل ، والضحى . انظر : المراجع السابقة .

(٩) (وضحها) في كلتا النسختين .

ونحو: ﴿نَلَّهَا﴾، و﴿صُحَّهَا﴾، و﴿دَحَّهَا﴾^(١) [النازعات: ٣٠]، لما ابتدئت
السورة بحرف الياء أتبعها ما هو من «الواو»، ولو كان الابتداء للواو، لجاز فتح
ذلك كله، قال: «وكان حمزة يفتح ما كان من الواو، ويكسر ما كان من الياء،
وذلك من قلة البصر بمجاري الكلام، فإذا انفرد جنس الواو فتحته، وإذا انفرد
جنس الياء فأنت فيه بالخيار: إن فتحت وإن كسرت فصواب»^(٢). انتهى كلامه.

وقال أبو إسحاق: «مَن كسر من هذه الحروف ما كان من ذوات الياء، أراد
الدلالة على أنه من ذوات الياء، ومَن فتح: (تلاها)، و(طحاها) فلأنه من ذوات
الواو، ومَن كسر، فلأن ذوات الواو، كلها إذا رُدَّ إلى ما لم يُسَمَّ فاعله^(٣) انتقل إلى
الياء نحو (تَلِي)، و(دُحِي)، و(طُحِي)»^(٤).

وقال أبو علي الفارسي: «وجه قول مَن ترك الإمالة في هذه الحروف أن كثيراً
من العرب لا يميلون هذه الألفات، ولا ينحون فيها نحو الياء، ويقوى ترك
الإمالة للألف أن الواو في مؤسَى منقلبة عن الياء، والياء في مِيقَات، ومِيزَان
منقلبة عن الواو، ولم يلزم شيئاً من ذلك ما يدل على ما انقلب عنه، فكذلك
الألف (ينبغي أن تترك غير ممالة، ولا متنحى بها نحو الياء، وكذلك الألف)^(٥)
في آدم وآخر منقلبة عن الهمزة، ولم يلزم ما يدل على أنه من الهمزة، وأما مَن أمال
فإنه نحا بها نحو الكسرة ليدل على ما انقلبت عنه، ويدلك على أنه لهذا المعنى
أميلت أن ما لم يكن منقلباً نحو الألفات في الحروف لم يمل، وأما فصل حمزة بين
هذه الحروف بالإمالة في بعضها، وتركها في بعضها فحسن، وذلك أن الألف إنما

(١) في (أ): (دحيا).

(٢) معاني القرآن ٣/ ٢٦٦ بيسير من التصرف.

(٣) أي المبني للمجهول.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣١ بتصرف.

(٥) ما بين القوسين ساقط من نسخة (أ).

(تمال نحو الياء لتدل على الياء إذا كان انقلابها [عن^(١)] الياء ولم يكن في (تلاها) ، و(طحاها) ، و(دحاها) ، ألف منقلبة عن الياء ؛ إنما^(٢) هي منقلبة عن (الواو) بدلالة (تلوت) ، و(دحوت) .

وأما مَنْ لم يفصل بينهم ؛ كأبي عمرو ، والكسائي فإنما لم يفصلا ؛ لأن الألف المنقلبة عن الواو قد توافقت المنقلبة عن الياء ، ألا ترى أن تلوت وطحوت ونحوها قد يجوز في أفعالها وهي على العدة التي هي عليها أن تنقلب إلى الياء نحو تلى إذا بُني الفعل للمفعول ، (فلما وافقت في هذا ما كان الياء استجازوا إمالة^(٣)) كما استجازوا إمالة ما كان من الياء ، ومع ذلك فإن الياء تنقلب عن^(٤) الواو^(٥) ألا ترى أنها إذا كانت رابعة في الفعل لزم البدل بالياء نحو اغزيت ، وكذلك إذا كان في اسم نحو المغزى ، والمدعى ، ثني^(٦) بالياء ، وكذلك في نحو مَسْنِي ، ومَعْدِي تنقلب إلى الياء ، ولا تجد الياء تنقلب إلى الواو في^(٧) هذا^(٨) النحو ، فلما كانت هذه في حكم الانقلاب عن الياء أَجْرُوا الألف مجرى الألف المنقلبة عن الياء ، ويدل على أنهم لهذا (المعنى)^(٩) استجازوا الإمالة في باب (دحا) ، و(طحا) ، و(تلا) ،

(١) في كلتا النسختين (على) ، وأثبت ما رأيته أنسب للمقال .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) في (ع) : (على) .

(٥) من قوله : (لا يميلون هذه الألفات . . .) إلى قوله : (بأن الياء تنقلب عن الواو) لم أجده في الحجة ، وقد ذكر في حاشية الحجة ٦ / ٤١٩ : «أن هناك سقطاً في الأصل الخطي وقع في تتابع الصفحات» . قلت : ولعله يكون ما نص هنا ما بين القوسين هو من الساقط في الكلام ، وذلك لأن الكلام الذي يسبق ما كان بين القوسين ، والذي يليه ذكر في الحجة ، والله أعلم .

(٦) في (أ) : (ثنا) .

(٧) في (أ) : (وفي) .

(٨) ورد في نسخة (أ) عبارة : (نحو المغزا والمدعا) ، وهو مكرر في الكلام ، وليس هنا موضعه .

(٩) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

و(سجاً) ، إن ما كان من الأسماء أَلْفُهُ منقلبة عن الواو ، ونحو^(١) العصا ، والقضاء^(٢) لم يجوزوا فيه الإمالة لما لم تكن تنقلب واوها إلى الياء كما انقلبت إليها في الفعل .

وَأَمَّا مَنْ فَتَح (تلا) وأمال غيرها ، كما رُوي عن نافع فقوله حسن ، لأخذه بشيئين كل واحد منهما مسموع مأخوذاً به ، فأخذ بأحدهما مرة ، وبالأخرى^(٣) أخرى^(٤) .

٢ . وقوله : ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا نَلَّهَا﴾ . قال المفسرون : (تبعها)^(٥) .

قال الليث : «تلا يَتْلُو»^(٦) إذا تبع شيئاً ، فهو تالٍ ، ولَمَتَالِي الأمهات ، إذا تلاهن أولادهن^(٧) ، الواحدة مُتْلِيَةٌ^(٨) .

ويقال في مصدره : التَّلُو بضم التاء واللام والتشديد ، والتَّلُو بفتح التاء وسكون اللام . ذكر ذلك الكسائي^(٩) .

(١) في (أ) : (نحو) بغير واو .

(٢) في (ع) : (العطا) .

(٣) في (ع) : (بالآخر) .

(٤) الحجة ٦/ ٤١٩ ، ٤٢٠ بتصرف .

(٥) قال بذلك ابن عباس ، ومجاهد ، وبمعناه : قتادة ، وابن زيد ، ومقاتل . انظر : تفسير مقاتل ٢٤١ أ ، وجامع البيان ٣٠/ ٢٠٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٥٠ ، وبه قال أيضاً الثعلبي في الكشف والبيان ١٣/ ٩٩ ب ، وانظر : معالم التنزيل ٤/ ٤٩١ ، والمحرم الوجيز ٥/ ٤٨٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٧٣ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٨١ ، وفتح القدير ٥/ ٤٤٨ .

(٦) (يتلوا) في كلتا النسختين .

(٧) في (ع) : (أولاد) .

(٨) ورد مختصراً في تهذيب اللغة (تلا) ١٤/ ٣١٦ ، وانظر : اللسان ١٤/ ١٠٣ .

(٩) ورد في تهذيب اللغة (تلا) ١٤/ ٣١٧ وكلامه : قال : (هي التلاوة أيضاً ، وقد تَلَّيْتُ حقي عنده ، أي تركت منه بقية ، وتَلَّيْتُ حقي تَتَبَعْتُهُ حتى يستوفيه) .

واختلفوا في معنى : تلو القمر الشمس ، فقال عطاء عن ابن عباس : «يريد إقبالها بعد مغيبها»^(١) .

قال المفسرون^(٢) : «وذلك في النصف الأول من الشهر ، إذا غربت الشمس تلاها القمر في الإضاءة وخلفها في النور» .

وقال قتادة^(٣) ، والكلبي^(٤) : «تلاها القمر ليلة الهلال ؛ لأن الشمس إذا غربت ظهر الهلال بعدها يتلوها في الغروب» .

وجعل الفرّاء معنى تلو القمر الشمس الأخذ من ضوئها ، كما تقول في الكلام : اتبعت قول فلان ، وأخذت بقول فلان ، فاتباعه والأخذ منه سواء^(٥) . ويقال : فلان يتبع فلاناً في كذا ؛ أي يأخذ منه . ونور القمر من نور الشمس على ما يقال : إنه يأخذ النور من الشمس ، وهو معروف عند الناس ، ومنه قول من قال :

كما تكسّب منها نورهُ القمر^(٦)

(١) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٢) قال بذلك ابن زيد ، وابن عباس . انظر : جامع البيان ٢٠٩/٣٠ ، والتفسير الكبير ١٩٠/٣١ ، وإليه ذهب الطبري في جامع البيان ٢٠٨/٣٠ ، والثعلبي في الكشف والبيان ٩٩/١٣ ب . ، وانظر أيضاً : معالم التنزيل ٤/٤٩١ ، والمححر الوجيز ٥/٤٨٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٧٣/٢٠ ، ولباب التأويل ٤/٣٨١ ، وفتح القدير ٥/٤٤٨ . وتوجد أقوال أخرى في اتباعه لها . انظر : النكت والعيون ٢٨٢/٦ .

(٣) تفسير عبدالرزاق ٢/٣٧٦ ، وجامع البيان ٢٠٨/٣٠ ، والرازي ١٩٠/٣١ .

(٤) التفسير الكبير ١٩٠/٣١ .

(٥) معاني القرآن ٣/٢٦٦ بتصرف .

(٦) لم أتوصل إلى معرفة القائل ، وقد ورد ضمن مادة (بهج) في تهذيب اللغة ٦/٦٤ ، ولسان العرب ٢/٢١٦ ، وتاج العروس ٢/١٠ ، وجميعها برواية (نواره) بدلاً من (نوارها) ، والبيت للمتنبي في ديوانه .

وقال الزَّجَّاج : «تلاها حين استدار كما يتلو الشمس في الضياء والنور»^(١) .
يعني إذا كمل ضوؤه فصار تابعا للشمس في الإنارة ، وذلك في الليالي البيض .

٣. قوله تعالى : ﴿وَالنَّهَارَ إِذَا جَلَّهَا﴾ . معنى التجلية : الإظهار والكشف ،
وذكرنا ذلك عند قوله : ﴿لَا يَجْلِيهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧] .

قال الكلبي : «(جلاها) جلى الظلمة»^(٢) .

قال الفراء : «وجازت»^(٣) الكناية عن الظلمة ، ولم تذكر ؛ لأن المعنى معروف ،
ألا ترى أنك تقول : أصبحت باردة ، وأمست باردة ، وهبت شالاً ، [فكنى]^(٤)
عن مؤنث لم يجز لها ذكر ؛ لأن المعنى معروف»^(٥) .

ونحو هذا قال الزَّجَّاج ، وزاد فيها وجهاً آخر فقال : «وقيل : والنهار إذا
[جلاها]^(٦) إذ بين الشمس ؛ لأنها تتبين إذا انبسط النهار»^(٧) .

وفاعل التجلية على القولين جميعاً النهار .

٤. وقوله تعالى : ﴿وَالَّيْلَ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ . قال الكلبي : «يعني الشمس فيذهب
بضوئها ، فتغيب وتظلم الآفاق»^(٨) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣٣٢ / ٥ .

(٢) ورد معنى قوله في بحر العلوم ٤٨٢ / ٣ .

(٣) في (أ) : (جازت) .

(٤) هكذا وردت في كلتا النسختين ، وأثبت ما جاء في أصل الكلام ، وهو معاني القرآن لانتظام الكلام ،
والله أعلم .

(٥) معاني القرآن ٢٦٦ / ٣ .

(٦) (جليها) في كلتا النسختين ، وأثبت ما جاء في مصدر أصل الكلام لانتظامه .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣٣٢ / ٥ .

(٨) ورد معنى قوله في معالم التنزيل ٤ / ٤٩١ ، وزاد المسير ٨ / ٢٥٧ .

وهذه الآية تقوّي الآية الثانية في الآية التي قبلها ، وذلك أنه لما جعل الليل يغشى الشمس فيذهب بضوئها حسن أن يقال : النهار ويجليها على ضد ما ذكر في الليل ، وأيضاً فإن الضمير في (يغشاها) للشمس بلا خلاف ، كذلك في (جلاها) يجب أن يكون للشمس ، فيكون الضمير في الفواصل من أول السورة إلى هنا للشمس^(١) .

٥ . قوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾ . قال أبو عبيدة : «ومن بناها»^(٢) ، وهو مذهب المفسرين ، قال عطاء : «يريد والذي بناها»^(٣) .

قال^(٤) الكلبي : «من بناها ؟ ! الله بناها»^(٥) ، ونحو هذا قال مقاتل : «والذي خلقها»^(٦) .

وذكر الفراء^(٧) ، والزجاج^(٨) وجهاً آخر ، وهو أن تكون (ما) بمعنى المصدر^(٩) بتقدير : وبناها ، ونحو هذا كثير^(١٠) .

٦ . قوله تعالى : ﴿وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَّهَا﴾ . في (ما) وجهان كما ذكرنا ، (وطحها) قال أبو عبيدة : «بسطها من كل جانب»^(١١) .

(١) التفسير الكبير ٣١ / ١٩١ .

(٢) ورد مختصراً في مجاز القرآن ٢ / ٣٠٠ .

(٣) معالم التنزيل ٤ / ٤٩٢ .

(٤) في (ع) : (وقال) .

(٥) المرجع السابق بمعناه .

(٦) ورد بمعناه في تفسيره ٢٤١ ، قال : «وبالذي بناها ، يعني الرب نفسه» .

(٧) معالم التنزيل ٤ / ٤٩٢ .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٣٣٢ .

(٩) في (أ) : (المصد) .

(١٠) نحو قوله تعالى : ﴿يَمَّا عَقَرَلِي رَبِّي﴾ [يس : ٢٧] . انظر : كتاب معاني الحروف للرماني ٨٦ ، وما بعدها معنى (ما) ، ومتى تكون اسماً ، ومتى تكون حرفاً ، وشروط ذلك ، فليراجع في موضعه .

(١١) ورد مختصراً في مجاز القرآن ٢ / ٣٠٠ .

قال الليث : «الطَّحُو كالدَّحُو ، وهو البَسْطُ ، وفيه لغتان : طحا يَطْحُو^(١) ، وطحا يَطْحَا^(٢) ، وقال شمر : «طحاها ، ودحأها ، واحد ، فأبدل الطاء من الدال ، والمعنى : وسَّعَهَا^(٣) .

قال عطاء^(٤) ، (والكلبي^(٥))^(٦) : «بسطها على الماء» .

٧-٨ . ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ . المفسرون يقولون : والذي سواها ؛ أي خلقها ، وسوى أعضائها^(٧) ، وأهل المعاني يقولون : وتسويتها ؛ أي خلقها^(٨) .
كما قال : ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ﴾ [الانفطار : ٧] .

قال عطاء عن ابن عباس (في رواية علي بن أبي طلحة) : «بَيَّنَّ لها الخير والشر»^(٩) . وهذا كقوله : ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد : ١٠] .

وقال في رواية عطية : «عَلَّمَهَا الطاعة والمعصية»^(١٠) .

-
- (١) (يطحوا) في كلتا النسختين .
(٢) ورد في التهذيب (طحا) ١٨٢/٥ بلفظ : (يطحي) .
(٣) ورد في تهذيب اللغة ١٨٢/٥ ، ولسان العرب (طحا) ٤/١٥ ونسبه إلى الأزهرى .
(٤) التفسير الكبير ٣١/١٩٢ .
(٥) المرجع السابق .
(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
(٧) إلى هذا القول ذهب الطبري في جامع البيان ٣٠/٢١٠ ، والسمرقندي في بحر العلوم ٣/٣١٠ ، والثعلبي في الكشف والبيان ١٣/١١٠٠ ، وانظر : الكشف ٤/٢١٥ .
(٨) ذكر الرَّجَّاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/٣٣٢ القولين في (ما) .
(٩) ورد من طريق الوالي في الكشف والبيان ١٣/١١٠٠ ، وصحيفة علي بن أبي طلحة ٥٣٤ ، ومن طريق عطية عند قوله : (فألهمها فجورها) في جامع البيان ٣٠/٢١٠ ، ووردت هذه الرواية عنه من غير ذكر طريق علي في النكت والعيون ٦/٨٣ ، ومعالم التنزيل ٤٠/٤٩٢ ، وزاد المسير ٨/٢٥٨ في حاشيته رقم ١ ، ولباب التأويل ٤/٣٨٢ ، والدر المنثور ٨/٥٢٨ .
(١٠) ورد في جامع البيان ٣٠/٢١٠ ، والكشف والبيان ١٣/١١٠٠ ، ومعالم التنزيل ٤/٤٩٢ ، وزاد المسير ٨/٢٥٨ في حاشيته رقم ١ ، ولباب التأويل ٤/٣٨٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٥١ ، والدر المنثور ٨/٥٢٨ .

- وقال في رواية أبي صالح : «عَلَّمَهَا وَعَرَّفَهَا مَا تَأْتِي ، وَمَا تَنْتَقِي»^(١) .
- وقال في رواية عطاء : «أَلْهَمَ الْمُؤْمِنَ الْمُتَّقِيَ تَقْوَاهُ ، وَأَلْهَمَ الْفَاجِرَ فَجْوَرَهُ»^(٢) .
- وقال سعيد بن جبير : «أَلْزَمَهَا فَجْوَرَهَا وَتَقْوَاهَا»^(٣) .
- وقال ابن زيد : «جَعَلَ فِيهَا ذَلِكَ بِتَوْفِيقِهِ إِيَّاهَا»^(٤) لِلتَّقْوَى ، وَخَذَلَانَهُ إِيَّاهَا لِلْفَجْوَرِ»^(٥) .
- واختار أبو إسحاق هذا الوجه ، وحمل الإلهام فيهما على التوفيق والخذلان^(٦) .
- وقال مقاتل : «عَرَّفَهَا الضَّلَالَةَ وَالْهُدَى»^(٧) .
- والاختيار قول ابن زيد ، وسعيد بن جبير ، وهو الموافق لمعنى الإلهام ، فإن التبيين ، والتعريف ، والتعليم^(٨) دون الإلهام ، والإلهام أن يوقع في قلبه ، ويجعل فيه ، كما ذكر ابن زيد : «إِذَا أَوْقَعَ اللَّهُ فِي قَلْبِ عَبْدِهِ شَيْئاً فَقَدْ أَلْزَمَهُ إِيَّاهُ ، وَأَصْلُ
-
- (١) ورد في معالم التنزيل ٤/ ٤٩٢ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٠٠ منسوباً إلى الكلبي .
- (٢) لم أعثر على مصدر لقوله .
- (٣) ورد في معالم التنزيل ٤/ ٤٩٢ ، وزاد المسير ٨/ ٢٥٨ ، والتفسير الكبير ٣١/ ١٩٣ ، وورد بمعناه في تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٥١ ، والدر المنثور ٨/ ٥٣٠ منسوباً إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وتفسير سعيد بن جبير ، ٣٧٦ .
- (٤) في (أ) : (إياهما) .
- (٥) معالم التنزيل ٤/ ٤٩٢ ، وزاد المسير ٨/ ٢٥٨ ، والتفسير الكبير ٣١/ ١٩٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٥١ ، وانظر أيضاً : فتح القدير ٥/ ٤٤٩ .
- (٦) معاني القرآن وإعراجه ٥/ ٣٣٢ .
- (٧) تفسير مقاتل ١٢٤١ أ .
- (٨) في (أ) : (التعليم والتعريف) .

معنى الإلهام من قولهم : لهم الشيء ، والتهمة إذا ابتلعه ، وألهمته ذلك الشيء إذا أبلغته . هذا هو الأصل^(١) .

ثم استعمل ذلك في ما يقذفه الله في قلب العبد ؛ لأنه كالإبلاغ ، والتفسير الموافق لهذا الأصل قول ابن زيد : « وهذا صريح في أن الله - تعالى - خلق في المؤمن تقواه ، وفي الكافر فجوره »^(٢) .

والذي يؤكد هذا ويبينه قوله :

٩ . ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ . قال ابن عباس (في رواية عطاء^(٣)) ، والكلبي^(٤) : « قد أفلحت نفس زكَّاهها الله وأصلحها » ، وهو قول : مجاهد^(٦) ، وعكرمة^(٧) ، (وسعيد بن جبير^(٨) ، ومقاتل^(٩)) قالوا : « سعدت وأفلحت نفس أصلحها وطهرها » .

-
- (١) انظر : تهذيب اللغة (لهم) ٦/ ٣٠٨ ، ومقاييس اللغة ٥/ ٢١٧ ، والصاح ٥/ ٢٠٣٦ ، ٢٠٣٧ .
- (٢) وهذا ما يؤيده الحديث الذي أخرجه مسلم في كتاب القدر ، باب (١) ج ٤/ ٢٠٤١ ، ٤٠٤٢ ح ١٠ ، عن أبي الأسود الدَّيْلِيِّ قال : « قال لي عمران بن حصين : أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه ، شيء قضى عليهم ، ومضى عليهم من قدر ما سبق ، أو في ما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبت الحجة عليهم . . . ؟ فقال : لا بل شيء قضى عليهم ، ومضى فيهم ، وتصديق ذلك في كتاب الله : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ » . وانظر : مسند الإمام أحمد ٤/ ٤٣٨ .
- (٣) ورد قوله من غير ذكر أحد الطريقتين إليه في زاد المسير ٨/ ٢٠٨ ، والدر المنثور ٨/ ٥٣١ منسوبا إلى حسين في الاستقامة ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . وورد بمعناه في جامع البيان ٣٠/ ٢١١ من طريق علي الوالبي .
- (٤) المراجع السابقة .
- (٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (٦) ورد في جامع البيان ٣٠/ ٢١١ بلفظ : (من أصلحها) .
- (٧) ورد في جامع البيان ٣٠/ ٢١١ بلفظ : (من أصلحها) .
- (٨) المرجع السابق ، وانظر : النكت والعيون ٦/ ٢٨٤ .
- (٩) تفسير مقاتل ٢٤١ أ ، وزاد المسير ٨/ ٢٠٨ . وما بين القوسين ساقط من (أ) .

والمعنى : وفَّقها للطاعة حتى عمل بها .

١٠ . ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾^(١) . قالوا^(٢) : «خابت ، وخسرت نفس أضلها الله ، وأغواها ، وأبطلها ، وأهلكها ، وأثمها ، وأفجرها» . هذه ألفاظهم في تفسير : (دَسَّها) ، والأصل : دَسَّها من التدسيس ، وهو إخفاء الشيء في الشيء ، فأبدلت من إحدى السينات^(٣) ياء ، كما قالوا : (لَبَّيت) ، والأصل : لَبَّيت ، و(ملبي) ، والأصل : ملبب ، وكذلك :

تَظَنَّتْ^(٤)

وَتَقَضَّى الْبَازِي^(٥) . . .

(١) في (أ) : (دسيسها) .

(٢) أي المفسرين ، وعن قتادة : «أي أثمها ، وأفجرها» . انظر : تفسير عبدالرزاق ٣٧٦ / ٢ ، وجامع البيان ٢١٣ / ٣٠ . وعن ابن عباس : «قد خاب مَنْ دس الله نفسه فأضله» ، وعنه أيضاً : «تكذيبها» ، وعنه أيضاً : «أبطلها وأهلكها» . انظر : جامع البيان ٢١٢ / ٣٠ ، والكشف والبيان ١٠٠ / ١٣ . وعن مجاهد : «أغواها» . وعن سعيد : «أضلها» . المرجعان السابقان . وقال ابن زيد : «قد خاب مَنْ دس الله نفسه» . انظر : جامع البيان ٢١٣ / ٣٠ . وعن عكرمة : «خسرها» . وعن ابن سلام : «أشقاها» . وعن الضحاك : «جنبها في الخير» . وعن ابن عيسى : «أخفاها وأخملها بالبخل» . انظر : النكت والعيون ٢٨٥ / ٦ .

(٣) في (أ) : (السينات) .

(٤) تظنيت ، وإنما هو : تظننت . وهذا اللفظ من جزء جاء فيه :

فإن شيطاني أمير الجن

يأخذني في الشعر كل فن

حتى يرد عني التظن

انظر : الإبدال لابن السكيت ١٣٣ .

(٥) أصله بيت شعر للعجاج ، وقد أورده أبو عبيدة في مجازة ٣٠٠ / ٢ ، وابن السكيت في كتاب الإبدال ١٣٣ ، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٣٣٢ / ٥ ، والطبري في جامع البيان ٢١٢ / ٣٠ ، وقد سبق تحريجه . الشاهد : تقضى يتقضى ، والأصل : تقضض . والعرب تقلب حروف المضاعف إلى ياء . الإبدال ١٣٣ .

ذكر ذلك الفراء^(١)، وأبو عبيدة^{(٢)(٣)}، وجميع أهل المعاني^(٤)، وذكر الفراء من نظائر هذا: الدينار^(٥)، والقيراط^(٦)، والديباح^(٧)، والديوان^{(٨)(٩)}.

قال أبو إسحاق: «معنى دسَّاهَا: جعلها قليلة خسيصة»^(١٠).

وذكرنا معنى الدس عند قوله: ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ [النحل: ٥٩]^(١١).

والتدسيس تفعيل منه، ومعنى (دسَّاهَا) هاهنا: أخملها^(١٢)، وخذلها، وأخفى محلها، ولم يشهر مكاناً بالطاعة والعمل الصالح.

وهو معنى قول المفسرين: أضلها، وأغواها، وأبطلها، كما ذكرنا.

وقد أقسم الله - تعالى - بهذه الأشياء التي ذكرها من خلقه؛ لأنها تدل على وحدانيته على فلاح من طهره، وخسارة من خذله، حتى لا يظن أحد أنه هو

(١) معاني القرآن ٣/ ٢٦٧، والنص له.

(٢) مجاز القرآن ٢/ ٣٠٠.

(٣) في (أ): (أبو عبيد).

(٤) لم أعثر على مصدر لقولهم، وقد ورد نحوه عن ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٣٤٤، وانظر: تهذيب اللغة (دس) ١٢/ ٢٨١.

(٥) الدينار: أصله من دَنَار، يدل على ذلك جمعهم إياه: دنانير. انظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٦٧.

(٦) جمعه قرايط، كأنه كان قَرَاطاً. انظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٦٧.

(٧) جمعه ديباييج. انظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٦٧.

(٨) ديوان كان أصله دَوَان لجمعهم إياه: دواوين. انظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٦٧.

(٩) معاني القرآن ٣/ ١٦٧.

(١٠) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٢.

(١١) مما جاء في تفسير معنى الدس، قوله: ﴿أَمْ يَدُسُّهُ﴾ [النحل: ٥٩]؛ أي يخفيه، والدس إخفاء الشيء، وهذا على ما كانوا يفعلونه من الوأد في الجاهلية.

(١٢) أخملها: الخامل الساقط الذي لا نباهة له، وقد خَلَّ يَخْمُلُ خولاً، وأخملته أنا. انظر: الصحاح (خمل) ٤/ ١٦٩٠.

الذي يتولى تطهير نفسه ، وإهلاكها بالمعصية من غير قدر ، وقضاء سابق ، ويدل على هذه الجملة ما روي عن (سعيد بن أبي هلال^(١) أن^(٢) النبي ﷺ كان إذا قرأ : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ وقف ، ثم قال : «اللهم ائت نفسي تقواها ، أنت وليها ، ومولاها ، وزكَّها ، أنت خير مَنْ زَكَّاهَا»^(٣) .

يدل على صحة هذا ما أخبرنا الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر (التميمي رحمه الله)^(٤) بقراءتي عليه ، قلت (له)^(٥) : «أخبركم أبو عمرو ؛ محمد بن جعفر بن مطر^(٦) ، أخبرنا^(٧) جعفر بن محمد المستفاض^(٨) ، حدَّثنا^(٩)

(١) سعيد بن أبي هلال الليثي ، أبو العلاء المصري ، مولى عروة بن شَيْم الليثي ، روى عن أنس بن مالك (يقال مرسل) ، وجابر بن عبد الله ، لم يرو عن النبي ﷺ ، ولد في مصر سنة ٧٠ هـ ، ونشأ في المدينة ، ثم رجع إلى مصر ، وتوفي سنة ١٣٥ هـ ، وحكي عن أحمد أنه اختلط ، وروى له الجماعة . انظر : المراسيل ٦٧ ت ١١٩ ، وتهذيب الكمال ١١ / ٩٤ ت ٢٣٧٢ ، وتقريب التهذيب ١ / ٣٠٧ ت ٢٧٤ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من نسخة (أ) .

(٣) وردت مثل هذه الرواية عن ابن عباس مرفوعة إلى النبي ﷺ ، وقد رواه الطبراني ، وإسناده حسن . قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ / ١٣٨ ، سورة الشمس .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٦) محمد بن جعفر بن محمد بن مطر النيسابوري ؛ أبو عمرو ، روى عن أبي عمرو ، وأحمد المبارك المُستملي ، ومحمد بن أيوب الرازي ، وطبقتهما ، كان متعففاً قانعاً ، توفي في جمادى الآخرة وله ٩٥ سنة . انظر : المنتظم ١٤ / ٢٠٨ ت ٢٦٩٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٦ / ١٦٢ ت ١١٧ ، والعبر في خبر مَنْ غُبر ٢ / ١٠٦ .

(٧) في (ع) : (اثنا) .

(٨) جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض ، أبو بكر الفريابي القاضي ، تقدَّمَت ترجمته .

(٩) في (ع) : (نا) .

سليمان بن عبد الرحمن^(١)، حَدَّثَنَا^(٢) رواد بن الجراح^(٣)، حَدَّثَنَا^(٤) نافع بن عمر^(٥)، عن عبد الله بن أبي مليكة، قال: قالت عائشة، رحمها الله^(٦): انتبهت ليلة، فوجدت رسوله الله ﷺ وهو يقول: «رب أعط نفسي تقواها، وزكَّها أنت خير من زكَّها، أنت وليها ومولاها»^(٧).

والضمير في قوله: ﴿زَكَّهَا﴾ و(مولاها) يعود إلى: ﴿مَنْ﴾، وهو بمعنى النفس.

(١) سليمان بن عبد الرحمن بن عيسى بن ميمون بن عبد الله التميمي الدمشقي، جدُّه شرحبيل بن مسلم الخولاني، حَدَّثَ عنه جعفر الفريابي، وقال عنه ابن حجر: «صدوق، يخطئ»، توفي سنة ٢٣٣ هـ. انظر: تهذيب الكمال ١٢/٢٦٦ ت ٢٥٤٤، وسير أعلام النبلاء ١١/١٣٦ ت ٥٠، وتقريب التهذيب ١/٣٢٧ ت ٤٦٧. وسلسلة الإسناد إلى سليمان بن عبد الرحمن متصلة، أمَّا تحديث سليمان بن عبد الرحمن عن رواد ففيه انقطاع؛ إذ إن رواداً ليس من شيوخه، ولا ابن بنت شرحبيل من تلاميذ رواد، والله أعلم.

(٢) في (ع): (نا).

(٣) رواد بن الجراح الشامي، أبو عصام العسقلاني، والد عصام بن رواد، كان من أهل خراسان، قال ابن حجر عنه: «اختلف بأخرة فترك، وفي حديثه عن الثوري ضعف شديد». انظر: تهذيب الكمال ٩/٢٢٧ ت ١٩٢٧، وتهذيب التهذيب ٣/٢٨٨، وتقريب التهذيب ١/٢٥٣ ت ١١٠، وتحديث رواد عن نافع فيه انقطاع؛ فنافع ليس من شيوخه، ورواد من التاسعة، ونافع من كبار السابعة.

(٤) في (ع): (نا).

(٥) نافع بن عمر بن عبد الله بن جميل بن عامر بن جمح القرشي، ثقة ثبت من كبار السابعة، توفي سنة ١٦٩ هـ، أمُّه أمُّ ولد. انظر: الطبقات الكبرى ٥/٤٩٤، وتهذيب الكمال ٢٩/٢٨٧ ت ٦٣٦٧، وتقريب التهذيب ٢/٢٩٦ ت ٢٤.

(٦) في (ع): (رضي الله عنها).

(٧) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٦/٢٠٩ من طريق سعيد بن عائشة، وقد وردت رواية عن طريق زيد بن أرقم في صحيح مسلم ٤/٢٠٨٨ ح ٧٣، باب (١٨)، والحديث كما هو عنده عن زيد بن أرقم، قال: «لا أقول إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول، كان يقول: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكَّها أنت خير من زكَّها، أنت وليها ومولاها...». وأخرجه النسائي ٨/٦٥٣ ح ٥٤٧٣، ٥٥٥٣، في كتاب الاستعاذة، باب (١٣)، (٦٥)، من طريق زيد بن أرقم. وطريق زيد أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/٣٧١.

قال الفرّاء^(١)، والزَّجَّاج^(٢) : يقول قد أفلحت نفس زكّاه الله ، وقد خابت نفس دسّاه الله .

وذكر في الآيتين قول آخر ، قال الحسن : «قد أفلح من زكّى^(٣) نفسه فأصلحها ، وحملها على طاعة الله ، وقد خاب من أهلكتها وحملها على معصية الله»^(٤) .

ونحو هذا القول يروى عن قتادة^(٥) ، وذكره^(٦) الفرّاء فقال : «ويقال^(٧) : قد^(٨) أفلح من زكّى نفسه^(٩) بالصدقة وبالطاعة ، وقد خاب من دسّى^(١٠) نفسه فأخلها بترك الصدقة والطاعة» .

(١) معاني القرآن ٣/ ٢٦٧ ، واللفظ له .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٣ .

(٣) في (أ) : (زكا) .

(٤) ورد في الكشف والبيان ١٣/ ١٠١ أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٩٣ ، والدر المنثور ٨/ ٥٣٠ منسوباً إلى عبد بن حميد ، وانظر : تفسير الحسن البصري ٢/ ٤٢٤ .

(٥) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٣٧٦ ، وجامع البيان ٣٠/ ٢١٣ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٠٠ ب ، والنكت والعيون ٦/ ٢٨٤ .

(٦) في (ع) : (ذكر) .

(٧) في (أ) : (يقال) .

(٨) في (أ) : (وقد) .

(٩) في (أ) : (زكا) .

(١٠) في (أ) : (دسا) .

وذكر وجهاً آخرَ على هذا القول في قوله : ﴿دَسَّهَا﴾ فقال : «إن البخيل يخفي منزله وماله ، وإن المعطي يُبرز منزله ، فينزل على الأشراف والروابي»^(١) ؛ [لثلاً]^(٢) يستتر عن الضيفان ، ومن أرادَه»^(٣) .

وشرحه ابن قتيبة فقال : «يريد قد أفلح من زكى»^(٤) نفسه ؛ أي أنهاها ، وأعلاها بالطاعة ، والبر ، والصدقة ، واصطناع المعروف ، وقد خاب من دسَّها ؛ أي نقصها وأخفاها بترك عمل البر ، وركوب المعاصي ، والفاجر أبداً خفي المكان زمراً^(٥) المروءة ، غامض الشخص ، ناكس الرأس ، وكأن النطف^(٦) بارتكاب الفواحش دسَّ نفسه وقمعها ، ومُصْطَنِعُ المعروف شهر نفسه ورفعها ، وكانت أجواد العرب تنزل الرُّبَى^(٧) ، وأيفاع^(٨) الأرض لشهر أماكنها للمُعْتَفِينَ ، وتُوقَدُ النيران في الليل للطارقين ، وكانت اللئام تنزل الأولاج^(٩) ، والأطراف

(١) الروابي : ما أشرف من الرَّمْل مثل الدكداكة ، غير أنها أشد منها إشراقاً . انظر : لسان العرب (ربا) ٣٠٦/١٤ .

(٢) في كلتا النسختين (لأن لا) ، وما أثبتته من المعاني .

(٣) معاني القرآن ٣/ ٢٦٧ .

(٤) في (أ) : (زكا) .

(٥) زمراً المروءة : قليل المروءة . انظر : لسان العرب ٤/ ٣٢٨ .

(٦) النطف : المتهم . انظر : لسان العرب (نطف) ٤٨/١١ .

(٧) الرُّبَى : مفرد الرَبْوَة ، وهي كل ما ارتفع عن الأرض ورباً . انظر : لسان العرب (ربا) ٣٠٦/١٤ .

(٨) ورد في لسان العرب (يفع) ٨/ ٤١٤ : (اليفاع : المُشْرِف من الأرض والجبل) ، وفي الصحاح (يفع) ٣/ ١٣١٠ : (ما ارتفع من الأرض) .

(٩) الأولاج : جمع الوَلَجَة بالتحريك ، وهو موضع أو كهف تستتر فيه المارة من مطر وغيره ، والجمع وَلَج وأولاج . انظر : الصحاح (ولج) ١/ ٣٤٧ .

والأهضام^(١) لتخفي أماكنها على الطالبين ، فأولئك أعلّوا أنفسهم وزكّوها ،
وهؤلاء أخفّوا أنفسهم ودسّوها ، وأنشد^(٢) :

وَبَوَّاتُ بَيْتِكَ فِي مَعْلَمٍ رَحِيبِ الْمَبَاءَةِ وَالْمُشْرِحِ
كَفَيْتِ الْعُقَاةَ طَلَابَ الْقِرَى وَنَبَّحَ الْكِلَابَ لِمُسْتَبِجِ^(٣)
وذكر وجهاً آخر في قوله : ﴿دَسَّهَا﴾ .

قال أبو العباس : «سألت ابن الأعرابي عن قوله : ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾ ،
فقال : معناه : مَنْ دَسَّ نفسه مع الصالحين ، وليس هو منهم^(٥) ، وهو منطوي على
غير ما ينطوي عليه الصالحون»^(٦) .

١١ . قوله تعالى : ﴿كَذَبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَنِهَا﴾ . قال الليث : «الطغيان
و[الطُّغْيَانُ]^(٧) لغة فيه ، والفعل طَغَيْتَ ، وَطَغَوْتَ^(٨) والاسم
الطغوى»^(٩)^(١٠) .

-
- (١) الأهضام : مفردة الهُضْم ، والهَضْم ، وهو المطمئن من الأرض ، والجمع أهضام وهُضوم . انظر :
لسان العرب (هضم) ٦١٥ / ١٢ .
- (٢) غير منسوب في المعاني الكبير ٤٠٩ / ١ ، وذكر البيت الأول .
- (٣) الحيوان ٣٨١ / ١ ، ١٣٤ / ٥ ، ١٣٥ .
- (٤) ورد مختصراً في تأويل مشكل القرآن ٣٤٤ ، ٣٤٥ .
- (٥) ورد قوله في تهذيب اللغة ٢٨١ / ١٢ بنصه ، وانظر : لسان العرب (دس) ٧٢ / ٦ .
- (٦) في (ع) : (الصالحين) .
- (٧) (الطغيان) هكذا وردت في كلتا النسختين ، وأثبت ما جاء في أصل الكلام .
- (٨) في (أ) : (طغوت وطغيت) .
- (٩) في (أ) : (للطغوى) .
- (١٠) تهذيب اللغة (طغو) ١٦٧ / ٨ ، ولسان العرب (طغى) ٦ / ١٥ .

قال الفراء : «أراد بطغيانها ، وهما مصدران إلا أن الطغوى أشكل برؤوس الآيات فاختر لذلك ، وهو كالدعوى من الدعاء»^{(١)(٢)} .

وقال أبو إسحاق : «أصل طغواها طغيانها ، وفعل إذا كانت من ذوات الياء أبدلت في الاسم واواً ، لتفصل بين الاسم والصفة ، تقول : هي التقوى ، وإنما هي من أيقنت ، وهي التقوى ، وإنما هي من يقنت»^(٣) ، والدعوى^(٤) ، وقالوا : امرأة خزي لأنه^(٥) صفة^(٦) .

قال المفسرون : «كذبت ثمود بنبيهم بطغيانهم ؛ أي الطغيان حملهم على التكذيب به»^(٧) .

- (١) أي كقوله تعالى : ﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [يونس : ١٠] ، ومعناه : آخر دعائهم . انظر : معاني القرآن للفراء ٢٦٧ / ٣ .
- (٢) ورد في معاني القرآن للفراء ٢٦٧ / ٣ بتصرف .
- (٣) ما بين القوسين ساقط من النسختين ، وأثبت ما جاء في أصل الكلام لاستقامته وانتظام الكلام به .
- (٤) لم ترد عند الزجاج .
- (٥) (امرأة خزيًا) هكذا روت عند أبي إسحاق في المعاني .
- (٦) معاني القرآن وإعرابه ٣٣٣ / ٥ .
- (٧) قال بذلك ابن زيد ، قال : «بطغيانهم وبمعصيتهم» ، وكذلك قال به مجاهد ، وقاتة . انظر : جامع البيان ٢١٣ / ٣٠ ، والنكت والعيون ٢٨٥ / ٦ . ونسبه إلى جمهور المتأولين ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٨٨ / ٥ . وعنه قال الفخر في التفسير الكبير ١٩٥ / ٣١ : «هذا هو القول المشهور» . وعنه قال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٥٥٢ / ٤ : «وهو الأولى» . وإلى هذا القول ذهب ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٥٣٠ ، والسجستاني في نزهة القلوب : ٣١٥ . انظر أيضاً : نفس الصباح ٧٨٤ ، وتحفة الأريب ٢١٤ ، وتفسير غريب القرآن لابن الملحق ٥٦٠ ، وقال به أيضاً السمرقندي في بحر العلوم ٤٨٣ / ٣ ، والشعلي في الكشف والبيان ١٠١ / ١٣ ، وانظر أيضاً : معالم التنزيل ٤٩٣ / ٤ ، وزاد المسير ٢٥٩ / ٨ ، ولباب التأويل ٣٨٢ / ٤ .

(هذا قول جماعتهم)^(١)، وقد روى عطاء (الخرساني)^(٢) عن ابن عباس أن الطغوى اسم لعذابهم الذي أهلكوا به^(٣).

والمعنى: كذبت بعذابها، أي لم يصدقوا رسولهم في ما أنذرهم به من العذاب، وهذا لا يبعد، لأن معنى الطغيان في اللغة مجاوزة [القدر]^{(٤)(٥)}.

فيجوز أن يسمى ذلك العذاب الذي جاءهم طغوى؛ لأنه كان صيحة مجاوزة القدر المعتاد، يؤكد هذا التأويل

١٢. وقوله: ﴿إِذْ أَتَبَعْتَ أَشْقَاهَا﴾؛ أي كذبوا بالعذاب^(٦) لما انبعث الأشقى للعقر^{(٧)(٨)}، والتكذيب بالعذاب حملة على ذلك. ويجوز أن يكون تكذيب صالح حملة على ذلك، وهذا القول الأول في الطغوى.

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٣) ورد في جامع البيان ٣٠/٢١٣، والكشف والبيان ١٣/١٠١ مختصراً، والنكت والعيون ٦/٢٨٥، والمحزر الوجيز ٥/٤٨٨، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٧٨. وقال آخرون: «بطغواها أي بأجمعها»، وقال مجاهد: «أي معصيتها». انظر: جامع البيان ٣٠/٢١٥.

(٤) انظر: تهذيب اللغة ٨/١٦٧، وهو قول الليث.

(٥) (القدرة) في كلتا النسختين.

(٦) في (ع): (بالعذاب) مكرر.

(٧) في (أ): (العقر).

(٨) العقر: شبيهه بالخز، عَقَرَ يَعْقِرُهُ عَقْرًا، وَعَقَّرَهُ، والعَقِير: المعقور، والجمع: عَقَرَى؛ الذكر والأنثى فيه سواء، وعَقَرُ الفرس والبعير بالسيف عَقْرًا: قطع قوائمه. انظر: لسان العرب (عقر) ٤/٥٩٢. وأصل العَقَر: ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف وهو قائم. انظر: تاج العروس (عقر) ٣/٤١٤. وقال الأزهري في تهذيب اللغة (عقر) ١/٢١٥: «والعَقَر عند العرب كَسَف عرقوب البعير، ثم جُعِلَ النَحْر عَقْرًا، لأنَّ العَقْر سبب لنحره، وناحر البعير يَعْقِرُهُ ثم ينحره».

وانبعث مطاوع ، يقال : بعثت فلاناً على الأمر فانبعث له ؛ أي انتدب وقام^(١) .

وأراد بالأشقي : عاقر الناقة ، وهو أشقى الأولين على لسان نبينا ﷺ^(٢) .

١٣ . ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ ؛ صالح .

﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ . قال أبو إسحاق : «ناقة الله منصوب على معنى ذروا ناقة الله ، كما قال : ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا﴾ [الأعراف: ٧٣]»^(٣) .

(١) قال الليث : «بعثت البعير فانبعث ، إذا حللت عقاله وأرسلته لو كان باركاً فأثرته ، قال : بعثته من نومه فانبعث» ، وقال الأزهرى في تهذيب اللغة ٣٣٤ / ٢ : «والبعث في كلام العرب على وجهين أحدهما : الإرسال والبعث : إثارة بارك أو قاعد» ، وقال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٥٣٠ : «إِذْ أُنْبِئَتْ أَشَقُّهَا» ؛ أي الشقي منها ، أي نهض لعقر الناقة .

(٢) عن عثمان بن صهيب ، عن أبيه ، عن النبي ﷺ أنه قال يوماً لعلي : «مَنْ أَشَقَى الْأُولَيْنِ ؟ قال : الذي عقر الناقة يا رسول الله ، قال : صدقت ، قال : فَمَنْ أَشَقَى الْآخَرِينَ ؟ قال : لا أعلم لي يا رسول الله ، قال : الذي يضربك على هذه ، وأشار النبي ﷺ إلى يافوخه» . رواه الطبراني ٤٥ / ٨ ح ٧٣١١ ، وأبو يعلى ، وفيه رشدين بن سعد وقد وثق ، وبقيّة رجاله ثقات . انظر : مجمع الزوائد في كتاب المناقب ، باب وفاة سيدنا علي رضي الله عنه ٣٦ / ٩ ، وكنز العمال ١٤ / ٢ ح ٢٩٤٥ . وجاءت رواية أخرى من طريق عمار بن ياسر ، قال : «كنت أنا وعلي رفيقين في غزوة ذات العشيرة . فيومئذ قال رسول الله ﷺ لعلي : يا أبا تراب ، لما يرى عليه من التراب ، قال : ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين ، قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : أحيمر ثمود الذي عقر الناقة ، والذي يضربك يا علي على هذه ، يعني قرنه ، حتى تبل منه هذه ، يعني لحيته» . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٣٦ / ٩ : «ورواه أحمد ، والطبراني ، والبارز باختصار ، ورجال الجميع موثقون إلا أن التابعي لم يسمع من عمار» . ورد في مسند الإمام أحمد ٢٦٣ / ٤ ، وحلية الأولياء ١٤١ / ١ ، والدر المنثور ٥٣١ / ٨ منسوباً إلى ابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبغوي ، وأبو نعيم في الدلائل . انظر : دلائل النبوة للبيهقي ١٣ / ١٢ ، وسيرة ابن هشام ٢ / ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣٣٣ / ٥ بنصه .

وقال الفرّاء : «حذّره إياها ، وكل تحذير^(١) فهو نصب»^(٢) .

وقوله : ﴿وَسُقَيْنَهَا﴾ . عطف على ناقة الله ، وهو اسم من السقي ، ﴿وَسُقَيْنَهَا﴾ شربها من الماء وما يسقها^(٣) .

قال الكلبي^(٤) ، ومقاتل^(٥) : «قال لهم صالح : ذروا ناقة الله ، فلا تعقروها ، وذروا أيضاً سقياها ، وهي شربها من النهر ، فلا تعرضوا للماء يوم شربها ، فإنكم معذبون ، فكذبوا صالحاً بالعذاب أنه غير كائن» ، وهو قوله :

١٤ . ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ ؛ أي بتحذيره إياهم العذاب بعقروها ، وذلك أن قوله : ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ يدل انتصابه على التحذير ، فعقروها ، وتفسير العقير قد تقدّم في هذه القصة .

﴿فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : «فدمّر عليهم ربهم»^{(٦)(٧)} ، ونحو هذا قال مقاتل^(٨) .

وقال المؤرج : «الدمدمة ، إهلاك باستئصال»^(٩) .

(١) في (أ) : (تحير) .

(٢) معاني القرآن ٣/٢٦٨ .

(٣) في (أ) : (وساقها) .

(٤) فتح القدير ٥/٤٥٠ .

(٥) ورد في تفسير مقاتل ٢٤١أ ، وفتح القدير ٥/٤٥٠ ، وانظر معنى هذا القول في : جامع البيان ٣٠/٢١٤ ، ومعالم التنزيل ٤/٤٩٣ ، ولباب التأويل ٤/٣٨٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٥٢ .

(٦) ساقط من (ع) .

(٧) ذكر في تفسير مقاتل ٢٤١ب ، وورد قوله من طريق الضحاك عنه في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/٧٩ ، وورد منسوباً إلى عطاء في معالم التنزيل ٤/٤٩٤ .

(٨) معالم التنزيل ٤/٤٩٤ .

(٩) ورد في الكشف والبيان ١٣/١٠١ ب ، ومعالم التنزيل ٤/٤٩٤ منسوباً إلى المؤرج ، ولعله خطأ ، وانظر : زاد المسير ٨/٢٥٩ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٧٩ ، وفتح القدير ٥/٤٥٠ .

وقال ابن الأعرابي : «دمدم : إذا عَذَّبَ عذاباً تاماً»^(١) .

وذكر الزَّجَّاج أصل هذا الحرف ، فقال : «معنى دمدم : أطبق عليهم العذاب ، يقال : دمدمته على الشيء إذا أطبقت عليه ، وكذلك دمدمت عليه القبر وما أشبهه ، ويقال : ناقة الله مَدْمُومَة ؛ أي قد ألْبَسَهَا الشحم ، فإذا كررت الأطباق قلت : دمدمت عليه»^(٢) ، هذا كلامه . ومعنى الدم في اللغة : اللطخ ، يقال للشيء السمين كأنه دَمٌّ بالشحم دَمًّا^(٣) ، فجعل أبو إسحاق (دمدم) من هذا الحرف على التضعيف نحو : ﴿فَكَبِكُوا﴾^(٤) فيجوز أن يكون معنى ﴿فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ﴾ سَوَّى عليهم الأرض^(٥) بأن أهلكهم ، فجعلهم تحت التراب ، يدل على هذا قوله : ﴿فَسَوَّيْنَاهَا﴾ .

قال عطاء عن ابن عباس : «يريد فسَوَّى عليهم الأرض»^(٦) .

ويجوز أن يكون المعنى : ﴿فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ﴾ أطبق عليهم العذاب ، وعمَّهم^(٧) به كالشيء الذي يلطخ ، فيعم ما يلطخ به ، ويكون على هذا معنى ﴿فَسَوَّيْنَاهَا﴾ فسَوَّى الدمدمة عليهم ، وعمَّهم بها ، وذلك أن هلاكهم كان بصيحة جبريل ، وتلك الصيحة أهلكتهم جميعاً فاستوت على صغيرهم وكبيرهم ، قاله مقاتل^(٨) (٩) .

(١) تهذيب اللغة (دمم) ٨٣ / ١٤ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣٣٣ / ٥ بنحوه .

(٣) تهذيب اللغة (دمم) ٨١ / ١٤ .

(٤) قوله تعالى : ﴿فَكَبِكُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ [الشعراء : ٩٤] .

(٥) قد يكون في نسخة (أ) ، وهو مكرر ، وفي غير موضعه .

(٦) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٧) في (ع) : (وعمَّهم) .

(٨) ورد بمعناه في تفسير مقاتل ٢٤١ ب ، وزاد المسير ٨ / ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(٩) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

وقال ابن الأباري : «دمدم : غضب ، قال : وتكون الدمدمة الكلام الذي يُزْعَج الرجل . وأكثر^(١)(٢) المفسرين قالوا في ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمُ﴾ : أرجف الأرض بهم^(٣) ، هذا كلامه .

ونحو ذلك روى ثعلب عن ابن الأعرابي في هذه الآية ، قال : «دمدم : أرجف»^(٤) ، (وهو قول الفراء : أرجف بهم^(٥)(٦)(٧) .

وقوله : ﴿فَسَوَّيْنَاهَا﴾ . قال الفراء : «سَوَّى الأمة ؛ أنزل العذاب بصغيرها وكبيرها ، بمعنى : سَوَّى بينهم»^(٨) ، وهذا قول ثالث سوى القولين ذكرناهما في قوله : ﴿فَسَوَّيْنَاهَا﴾ .

-
- (١) في (أ) : (أكثر) بغير واو .
 (٢) ممن قال بذلك السجستاني في نزهة القلوب ٢٣٠ ، والفراء في معاني القرآن ٢٦٩ / ٢ .
 (٣) لم أعر عليه في ما لدي من مصادر ، وقد ورد في تهذيب اللغة (حاشية النسخة م) ٨١ / ١٤ . أمّا الذي ورد عنه في متن التهذيب فهو : (أطبق عليهم العذاب) ، وانظر : لسان العرب (دمم) ٢٠٩ / ١٢ .
 (٤) التفسير الكبير ٣١ / ١٩٦ .
 (٥) معاني القرآن ٣ / ٢٦٩ .
 (٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
 (٧) من قوله : (ومعنى الدم في اللغة . . .) إلى قوله : (أرجف لهم) أوردته الفخر في التفسير الكبير ٣١ / ١٩٦ بنصه نقلاً عن الواحدي .
 (٨) معاني القرآن ٣ / ٢٦٩ .

١٥ . قوله تعالى : ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ . قال ابن عباس (في رواية الوالبي)^(١) : «لا يخاف الله من أحد تَبَعَهُ في إهلاكهم»^(٢) ، وهو قول الحسن ، قال : «ذلك الرب صنع بهم ، ولا يخاف تَبَعَهُ»^(٣) .
 (وعلى هذا الواو في ﴿وَلَا يَخَافُ﴾ في موضع حال .

المعنى : فسوّاها غير خائف عقباها ؛ أي غير خائف أن يتعقب عليه في شيء مما فعله ، وفاعل يخاف : الضمير العائد إلى قولهم : ﴿رَبُّهُمْ﴾^(٤) .

وقال مقاتل : «يعني لا يخاف عاقر الناقة العقوبة من الله في عقرها»^(٥) ، وهو قول الضحاك^(٦) ، والسُّدِّي^(٧) ، والكلبي^(٨) ^(٩) .

-
- (١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
 (٢) ورد قوله في جامع البيان ٣٠/ ٢١٥ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٠١ ب ، وورد بمعناه في النكت والعيون ٦/ ٢٨٥ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٩٤ ، والمحزر الوجيز ٥/ ٤٨٩ ، وزاد المسير ٨/ ٢٦٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٧٩ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٨٣ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٨٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٥٣ ، وصحيفة علي بن أبي طلحة ٥٣٤ .
 (٣) المراجع السابقة ، انظر : الدر المنثور ٥٣١ منسوباً إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وانظر : تفسير الحسن البصري ٢/ ٤٢٤ . قال ابن عطية : «وفي هذا المعنى احتقار للقوم وتعقبه لأثرهم» ، ورجَّح هذا القول ابن كثير ، والشوكاني في فتح القدير ٥/ ٤٥٠ .
 (٤) ما بين القوسين نقله الإمام الواحدي عن الحجة ٦/ ٤٢٠ .
 (٥) ورد بمعناه في تفسير مقاتل ٢٤١ ب ، والمحزر الوجيز ٥/ ٤٨٩ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٨٢ .
 (٦) ورد معنى قوله في المرجعين السابقين ، وفي جامع البيان ٣٠/ ٢١٥ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٠١ ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٩٤ ، وزاد المسير ٨/ ٢٦٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٨٠ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٨٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٥٣ ، والدر المنثور ٨/ ٥٣١ ، وفتح القدير ٥/ ٤٥٠ .
 (٧) ورد بمعناه في المراجع السابقة ، وانظر : تفسير السُّدِّي ٤٧٨ .
 (٨) ورد بمعناه في الكشف والبيان ١٣/ ١٠١ ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٩٤ ، وزاد المسير ٨/ ٢٦٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٨٠ ، وفتح القدير ٥/ ٤٥٠ .
 (٩) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(وعلى هذا القول ، الآية منتظمة بقوله : «إذا انبعث أشقاها * ولا يخاف عقباها» ؛ أي لا يخاف من إقدامه على ما أتاه مما نُهي عنه ، ففاعل يخاف : العاقر^(١) .

والمعنى : عقبى عقرها ، فحذف المضاف .

قال الفرّاء : «حتى عقرها ، ولم يخفْ عاقبة عقرها ، وفي مصاحف الشام والحجاز : (فلا يخاف) بالفاء»^(٢) .

قال الفرّاء : «وكلُّ صواب ، قال : والفاء أجود في القول الأول ، يعني أن يكون منتظماً بقوله : ﴿فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ﴾»^(٣) .

* * *

(١) ما بين القوسين منقول عن الحجة ٦/ ٤٢٠ بتصرف يسير ، وانظر : التعليل في القراءات وعلل النحويين فيها ٢/ ٧٨٠ .

(٢) قرأ أبو جعفر ، ونافع ، وابن عامر (فلا يخاف عُّقباها) بالفاء ، وكذلك في مصاحف أهل المدينة والشام ، وقرأ الباقر ﴿وَلَا يَخَافُ﴾ بالواو ، وكذلك في مصاحفهم ، وهذا منتظم مع قول مقاتل ، والضحاك ، والسُّدِّي ، والكلبي . انظر : كتاب السبعة في القراءات ٦٨٩ ، والقراءات وعلل النحويين فيها ٢/ ٧٨٠ ، والحجة ٦/ ٤٢٠ ، والمبسوط ٤١١ ، وحجة القراءات ٧٦٦ .

(٣) معاني القرآن ٣/ ٢٦٩ ، ٢٧٠ بتصرف .

تفسير

سورة الليل^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾ . قال ابن عباس^(٢) ، ومقاتل^(٣) : «أقسم الله بالليل إذا يغشى بظلمته^(٤) والنهار ، ولم يذكر مفعول يغشى للعلم به» .

وقال أبو إسحاق : «يغشى الليل الأفق ، وجميع ما بين السماء والأرض ، فيذهب ضوء النهار»^(٥) .

٢. قوله تعالى^(٦) : ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى﴾ ؛ (أي بان وظهر)^(٧) من بين الظلمة .

(١) مكية بقول جمهور المفسرين ، قال بذلك ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٩٠ / ٥ ، وحكى الإجماع ابن الجوزي في زاد المسير ٢٦١ / ٨ ، وقال السيوطي في الإتيقان ٣٥ / ١ : الأشهر أنها مكية ، وقيل : إنها مدنية . انظر : تفسير عبدالرزاق ٣٧٧ / ٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٨٠ / ٢٠ .

(٢) ورد معنى قوله في زاد المسير ٢٦١ / ٨ .

(٣) الوسيط ١٠٥ / ٤ .

(٤) في (أ) : (والنهار) .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣٣٥ / ٥ بتصرف .

(٦) قوله تعالى ساقط من (أ) .

(٧) ما بين القوسين نقلاً عن معاني القرآن وإعرابه ٣٣٥ / ٥ .

قال قتادة : «هما آيتان عظيمتان يكررهما الله على الخلائق»^(١) .

٣. (قوله)^(٢) : ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ . قال الكلبي : «والذي خلق»^(٣) ، وهو قول الحسن^(٤) . و(ما) على هذا بمعنى (مَنْ) .

وقال مقاتل : «يعني : وخلق الذكر والأنثى»^(٥) .

وعلى هذا ، (ما) للمصدر ، وقد فسرنا هذا في مواضع^(٦) . والذكر والأنثى يجوز أن يعني بهما الجنس من الذكر والأنثى^(٧) ، وهو الظاهر^(٨) .

وقال مقاتل^(٩) ، (والكلبي^(١٠))^(١١) : «يعني آدم وحواء» .

(١) ورد نحوه في جامع البيان ٣٠ / ٢١٧ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٣) فتح القدير ٥ / ٤٥٢ .

(٤) المرجع السابق ، وانظر : جامع البيان ٣٠ / ٢١٨ ، والكشف والبيان ١٣ / ١٠٢ ، والنكت والعيون ٦ / ٢٨٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٨١٨٠ ، والدر المنثور ٨ / ٥٣٤ منسوباً إلى ابن أبي حاتم ، وانظر أيضاً : تفسير الحسن البصري ٢ / ٤٢٥ .

(٥) فتح القدير ٥ / ٤٥٢ .

(٦) يراجع في ذلك قوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَيْنَهَا ۖ وَالْأَرْضَ وَمَا حَتَّىهَا ۚ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [الشمس : ٥-٧] ، وهو مذهب الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٣٣٢ ، وانظر : معاني الحروف للزجاجي ٥٥ .

(٧) في (ع) : (الذكور والإناث) .

(٨) القول بالعموم من كل ذكر وأنثى قال به الماوردي في النكت والعيون ٦ / ٢٨٧ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٨ / ٤٨٣ ، والشوكاني في فتح القدير ٥ / ٤٥٢ .

(٩) معالم التنزيل ٤ / ٤٩٤ ، وزاد المسير ٨ / ٢٦٢ ، وفتح القدير ٥ / ٤٥٢ .

(١٠) المرجع السابقة ، وانظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٨٢ ، والبحر المحيط ٨ / ٤٨٣ ، وفتح القدير ٥ / ٤٥٢ ، وبه قال الحسن ، والمحرم الوجيز ٥ / ٤٩٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٨٢ .

(١١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

وجواب القسم قوله تعالى :

٤ . ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ .

قال ابن عباس : «إن أعمالكم لمختلفة ، عمل للجنة ، وعمل للنار»^(١) .

وقال مقاتل : «يعني أن أهل مكة تقول : إن أعمالكم لمختلفة في الخير والشر»^(٢) .

وتفسير (شَتَّى) قد سبق في قوله : ﴿مِنْ نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ [طه : ٥٣]^(٣) .

قال المفسرون : «نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وفي أبي سفيان»^(٤) .

ثم فصل عملهما فيين^(٥) فقال :

٥ . (قوله)^(٦) : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْتَفَى﴾ .

(١) ورد في زاد المسير ٢٦٢ / ٨ ، وإلى هذا ذهب قتادة في جامع البيان ٢١٩ / ٣٠ .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٣) مما جاء في تفسير قوله : (شَتَّى) : مختلف متفرق ، ولا واحد له من لفظه مثل فوض .

(٤) قال بذلك ابن عباس كما في الدر المنثور ٥٣٦ / ٨ منسوباً إلى عبد بن حميد ، وابن مردويه ، وابن عساكر ، وقاله ابن مسعود كما في بحر العلوم ٤٨٤ / ٣ ، وزاد المسير ٢٦٢ / ٨ ، والدر المنثور ٥٣٤ / ٨ ، ٥٣٥ ، وعبدالله بن أبي أوفى ، وساقه ابن عطية عنه في المحرر الوجيز ٤٩١ / ٥ ، ونسبه القرطبي إلى المفسرين في الجامع لأحكام القرآن ٨٢ / ٢٠ ، والشوكاني في فتح القدير ٤٥٢ / ٥ . ووردت الرواية في أسباب النزول للواحدي ٣٨٥ ، وقال بها أيضاً الثعلبي في الكشف والبيان ١٠٣ / ١٣ ، والماوردي في النكت والعيون ٢٨٧ / ٦ ، وانظر : معالم التنزيل ٤٩٥ / ٤ . وقول آخر : إنها نزلت في أبي بكر وأممية بن خلف . انظر : معاني القرآن للقرءاء ٢٧٠ / ٣ ، ولباب التأويل ٣٨٤ / ٤ .

(٥) في (ع) : (وبين) .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

قال الكلبي : «تصدق من ماله ، واتقى معصية ربه»^(١) .

وقال مقاتل : «أعطى المال في حق الله ، واتقى الله (ومعصيته)^(٢)»^(٣) ، يعني الصديق رضي الله عنه .

٦ . ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ .

قال عكرمة عن ابن عباس : «بالخلف»^(٤) ، وهو قول الكلبي^(٥) ، ومقاتل^(٦) ، وقتادة^(٧) ، (قالوا : يعيده)^(٨) الله ، وهو أن يخلفه في الآخرة الجنة .

(فالحسنى) على هذا القول : الجنة ، يجعلها الله خلفاً لأبي بكر مما أعطى .

(١) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٤) ورد في تفسير الإمام مجاهد ٧٣٤ ، وجامع البيان ٢١٩ / ٣٠ ، ورجَّحه الطبري في معالم التنزيل ٤ / ٤٩٥ ، والمحجر الوجيز ٥ / ٤٩١ ، وزاد المسير ٨ / ٢٦٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٨٣ ، ولباب التأويل ٤ / ٣٨٣ ، والبحر المحيط ٨ / ٤٨٣ من غير ذكر طريق عكرمة ، وكذا في تفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٥٣ ، والدر المنثور ٨ / ٥٣٥ منسوباً إلى سعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في شعب الإيمان ٧ / ٤٢٢ ح ١٠٨٢٥ .

(٥) ورد معنى قوله في الكشف والبيان ١٣ / ١١٠٢ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٤٩٥ .

(٦) ورد معنى قوله في المرجعين السابقين ، وانظر : زاد المسير ٨ / ٢٦٣ .

(٧) ورد معنى قوله في المراجع السابقة ، وانظر : تفسير عبدالرزاق ٢ / ٣٧٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٨٣ ، وفتح القدير ٥ / ٤٥٢ .

(٨) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

وقال مجاهد^(١)، وأبو عبد الرحمن (السلمي)^(٢)، والضحاك^(٤)، قال : «لا إله إلا الله» .

وقال عطاء عن ابن عباس : «يريد الخلف من الله والثواب والجنة ، وصدق بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله»^(٥) .

٧. (قوله تعالى)^(٦) : ﴿فَسَيَسِّرُهُ لِلْيَسْرَى﴾ ؛ فسنيئه لعمل الخير ، وهو معنى قول ابن عباس : «يسر له أعمال الخير»^(٧) .

وقال الكلبي ، و(مقاتل)^(٨)، والفراء^(٩) : «يسره للعودة للعمل الصالح» .

-
- (١) لم أعثر على مصدر لقوله .
- (٢) ورد في جامع البيان ٢١٠ / ٣٠ ، والكشف والبيان ١٠٢ / ١٣ ب ، ومعالم التنزيل ٤٩٥ / ٤ ، والمحزر الوجيز ٥ / ٤٩١ ، وزاد المسير ٢٦٣ / ٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٨٣ / ٢٠ ، والبحر المحيط ٨ / ٤٨٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٥٣ ، والدر المنثور ٨ / ٥٣٥ منسوباً إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وانظر : فتح القدير ٥ / ٤٥٢ .
- (٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (٤) جامع البيان ٢١٠ / ٣٠ ، والكشف والبيان ١٠٢ / ١٣ ب ، والنكت والعيون ٦ / ٢٨٧ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٤٩٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٨٣ / ٢٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٥٣ ، وفتح القدير ٥ / ٤٥٢ .
- (٥) لم أعثر على مصدر لقوله .
- (٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (٧) ورد بمعناه في النكت والعيون ٦ / ٢٨٨ ، وزاد المسير ٨ / ٢٦٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٥٤ ، وشعب الإيمان ٧ / ٤٢٢ ح ١٠٨٢٥ .
- (٨) لم أعثر على مصدر لقولها .
- (٩) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (١٠) معاني القرآن ٣١ / ٢٧٠ بنصه .

ومعنى اليسرى : الخلة اليسرى^(١) ، (وهي الأمر السهل الذي لا يقدر عليه أحد إلا المؤمنون)^(٢) ، يسّر الله لهم العمل بمرضاته ، فتيسّر عليهم الإنفاق في سبيل الخير ، والعمل بالطاعة بتيسير الله ذلك لهم^(٣) .

قال المفسرون : «نزلت هذه الآيات في أبي بكر الصديق رضي الله عنه^(٤) ، اشترى منه ستة نفر من المؤمنين كانوا في أيدي أهل مكة يعذبونهم في الله»^(٥) .

٨. ﴿وَأَمَّا مَنْ يَخَلْ﴾ ؛ أي بالنفقة في الخير والصدقة^(٦) .

﴿وَأَسْتَغْنَى﴾ عن ثواب الله فلم يرغب فيه^(٧) .

قال مقاتل^(٨) ، والكلبي^(٩) : «يعني أبا سفيان ، ثم عمّت الكفار بعده» .

-
- (١) في (أ) : (الخل اليسرى) .
- (٢) ما بين القوسين من قول الزّجاج في معاني القرآن وإعرابه ٣٣٥ / ٥ .
- (٣) بمعنى هذا القول ذهب الطبري في جامع البيان ٢١١ / ٣٠ ، والثعلبي في الكشف والبيان ١٣ / ١٠٣ ، والماوردي في النكت والعيون ٢٨٨ / ٦ .
- (٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (٥) ورد معنى هذه الآية من طريق عامر بن عبدالله بن الزبير ، عن بعض أهله عند الطبري في جامع البيان ٢١١ / ٣٠ ، وكذلك في الدر المنثور ٥٣٥ / ٨ ، ٥٣٦ ، منسوباً إلى ابن عساكر . انظر : أسباب النزول ٣٩١ ، تحقيق أيمن صالح ، قال عنه : «صحيح صحّحه الحاكم» ، وقال عصام الحميدان : «وإسناده حسن بشواهد» . انظر : أسباب النزول ٤٥٦ . وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث عند الحاكم . انظر شواهد في : لباب النقول ٢٣٠ ، وفتح القدير ٤٥٤ / ٥ ، وأخرجه الحاكم في المستدرک في كتاب التفسير (سورة الليل) ٢ / ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، وقال : «صحيح» ، وسكت عنه الذهبي .
- (٦) بمعناه قال ابن عباس ، وقتادة . انظر : جامع البيان ٢٢١ / ٣٠ ، ٢٢٢ ، وبه قال السمرقندي في بحر العلوم ٣ / ٤٨٥ ، والثعلبي في الكشف والبيان ١٣ / ١٠٣ ، ونسبه ابن الجوزي إلى المفسرين في زاد المسير ٨ / ٢٦٤ .
- (٧) قال بنحوه الثعلبي في الكشف والبيان ١٣ / ١٠٣ .
- (٨) ورد بمعناه في المحرر الوجيز ٤٩١ / ٥ .
- (٩) لم أعثر على مصدر لقوله .

وقال عطاء : «يريد أمية بن خلف»^(١) .

٩ . ﴿وَكَذَّبَ بِالْحَسَنِيِّ﴾ يعني بما صدق (به)^(٢) أبو بكر ، وقد فسرنا^(٣) .

١٠ . ﴿فَسَيَسِّرُهُ لِّلْعُسْرَى﴾ . قال عطاء : «يريد سوف أحول بينه وبين أن يؤمن بالله ويصدق رسوله»^(٤) . وهذا على (قول)^(٥) مَنْ يقول : إنه أمية بن خلف .

وقال مقاتل : «يعسر عليه أن يعطي خيراً»^(٦) .

وقال عكرمة عن ابن عباس : «للعسرى^(٧) : للشر»^(٨) ، وهذا^(٩) هو القول ، وذلك أن الشر يؤدي إلى العذاب ، فهو الخلة العسرى ، والخير يؤدي إلى اليسرى والراحة في الجنة ، فهو الخلة اليسرى ، يقول : سنيهته للشر بأن يجريه على يديه .

قال الفرءاء : «والعرب تقول : قد يسرت غنم فلان ؛ إذا تهيأت للولادة»^(١٠) .

وكذلك إذا ولدت وكثر ألبانها ، كأنها يسرت الأمر على أصحابها .

(١) لم أعثر على مصدر لقوله ، غير أنني وجدت نحوه من طريق الضحاك عن ابن عباس في الجامع لأحكام القرآن ٨٤ / ٢٠ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) انظر : تفسير قوله تعالى : ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسَنِيِّ﴾ في هذه السورة .

(٤) لم أعثر على مصدر لقوله ، وقد ورد بمعنى قوله من طريق الضحاك عن ابن عباس في الجامع لأحكام القرآن ٨٤ / ٢٠ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) ورد نحوه في معالم التنزيل ٤ / ٤٩٥ ، وزاد المسير ٨ / ٢٦٤ ، وفتح القدير ٥ / ٤٥٢ .

(٧) في (أ) : (للعسرا) .

(٨) جامع البيان ٣٠ / ٢٢٤ .

(٩) في (أ) : (هذا بغير واو) .

(١٠) معاني القرآن ٣ / ٢٧١ .

ثم ذكر أن ما أمسك من^(١) ماله عن الإنفاق لا ينفعه ، فقال :

١١ . (قوله)^(٢) : ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ . أي الذي بخل به عن الخير .
﴿إِذَا تَرَدَّى﴾ ؛ إذا مات .

قال مجاهد^(٣) ، ومقاتل ، (وأبو صالح^(٤))^(٥) : «قال أبو عبيدة^(٦) : (تردَّى) وردى ، إذا مات» . قال المبرد : «هو تَقَعَّلَ من الردى ، وهو الهلاك»^(٧) .

وقال ابن عباس^(٨) ، وقتادة^(٩) : إذا تردَّى في جهنم ؛ أي سقط وهوى ، وذكرنا هذا الحرف عند قوله : ﴿وَالْمُتَرَدِّىُّ﴾ [المائدة: ٣]^(١٠) .

١٢ . قال الله تعالى : ﴿إِنْ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ .

-
- (١) في (أ) : (عن) .
(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
(٣) ورد بمعناه في تفسير مجاهد ٧٣٤ ، وجامع البيان ٣٠ / ٢٢٥ ، والكشف والبيان ١٣ / ١٠٣ ، والنكت والعيون ٦ / ٢٨٩ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٤٩٦ ، والمحزر الوجيز ٥ / ٤٩١ ، وزاد المسير ٨ / ٢٦٤ ، وتفسير ابن كثير ٤ / ٥٥٦ ، والدر المنثور ٨ / ٥٣٦ ٥٣٧ منسوباً إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .
(٤) لم أعثر على مصدر لقولهم .
(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
(٦) لم أعثر على مصدر لقوله .
(٧) ورد مختصراً في الكامل ١ / ١٢٠ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ .
(٨) الوسيط ٤ / ٥٠٤ .
(٩) ورد في الكشف والبيان ١٣ / ١٠٣ ب ، ومعالم التنزيل ٤ / ٤٩٦ ، والمحزر الوجيز ٥ / ٤٩١ ، وزاد المسير ٨ / ٢٦٤ ، والبحر المحيط ٨ / ٤٨٤ ، والدر المنثور ٨ / ٥٣٦ منسوباً إلى عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وانظر : فتح القدير ٥ / ٤٥٣ ٤٥٢ ، وروح المعاني ٣٠ / ١٥٠ .
(١٠) مما جاء في تفسيرها : المتردية من التردى في اللغة ، التهوى في مهواة ، وقيل في قوله : ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ ؛ أي سقط في النار ، وقال أبو زيد : «ردى فلان في القليب تردى ، وتردَّى من الجبل تردياً ، فالتردية هي التي يقع من جبل ، أو يطيح في بئر ، أو يسقط من مكان مشرف ، فيموت» . انظر : البسيط ٢ / ٤١ ، نسخة تشستريتي .

وفي تفسيره ثلاثة أقوال^(١) :

قال مقاتل : «يعني البيان»^(٢) .

قال أبو إسحاق : «أي إن علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلال»^(٣) .

وهو قول قتادة : «أي على الله البيان : بيان حلاله ، وحرامه ، وطاعته ، ومعصيته»^(٤) .

القول الثاني : إن المعنى يقول : مَنْ سَلَكَ الْهُدَى فَعَلَى اللَّهِ سَبِيلُهُ ، كقوله عز وجل : ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩] ، يقول : علينا^(٦) الهدى ؛ أي إن الهدى يوصل صاحبه إلى الله ، وإلى ثواب الله وجنته .

(١) هذه الأقوال لا تخرج عن مراتب الهدى الأربع ، وهي :

المرتبة الأولى : الهدى العام ، وهو هداية كل نفس إلى مصالح معاشها ، وما يقيها ، وهذا أعم مراتبه .
المرتبة الثانية : الهدى بمعنى البيان والدلالة والتعليم . . . ، وقد سبق بيانه في الآية ٣ من سورة الإنسان .

المرتبة الثالثة : هي التي قال بها قتادة .

المرتبة الرابعة : تضمنت قول أبي إسحاق .

(٢) لم أعر على مصدر لقوله ، وقد ورد نحوه غير منسوب في معالم التنزيل ٤/ ٤٩٦ ، والوسيط ٤/ ٥٠٥ .

(٣) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٦ بنصه .

(٤) ورد في جامع البيان ٣٠/ ٢٢٦ ، والنكت والعيون ٦/ ٢٨٩ مختصراً ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٩٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٨٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٥٦ مختصراً ، والدر المنثور ٨/ ٥٣٧ منسوباً إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وفتح القدير ٥/ ٤٥٣ ، ومعنى قوله أنه البيان الذي أرسل الله به رسله ، وأنزل به كتبه ، فتبين به حلاله وحرامه ، وطاعته ومعصيته . قاله ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٥/ ٢١٠ .

(٥) في (أ) : (فعل) .

(٦) علمنا .

ذكر^(١) ذلك الفرء^(٢)، وذكر قولاً آخر، فقال: «يقال: إن علينا للهدى والإضلال. فترك الإضلال كما قال: ﴿سَرَّيْلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، وهي تقي^(٣) الحر والبرد»^(٤).

وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء، قال: «يريد أرشد أوليائي إلى العمل بطاعتي، وأحول بين أعدائي أن يعملوا بطاعتي»^(٥). فذكر معنى الإضلال»^(٦).

(١) في (أ): (وذكر).

(٢) ورد في معاني القرآن ٣/ ٢٧١ بتصرف.

(٣) في (أ): (في).

(٤) هذا القول من الأقوال المحدثه المخالفة التي لم يعرفها السلف، ومعناه: بيدك الخير والشر، والنبى ﷺ يقول: «والخير بيدك، والشر ليس إليك». والله - تعالى - خالق كل شيء، لا يكون في ملكه إلا ما يشاء، والقدر حق، ولكن فهم القرآن، ووضع كل شيء موضعه، وبيان حكمة الرب، وعدله مع الإيمان بالقدر؛ هو طريق الصحابة والتابعين لهم بإحسان. انظر: مجموع الفتاوى ١٥/ ٢١١. فالله - سبحانه - إنما نسب إلى نفسه الخير دون الشر، فقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلُوكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلُوكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ يَبْدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران ٢٦]. وأخطأ من قال: «المعنى: بيدك الخير والشر»؛ لثلاثة أوجه: أحدها: أنه ليس في اللفظ ما يدل على إرادة هذا المحذوف، بل ترك ذكره قصداً أو بياناً أنه ليس بمراد.

الثاني: أن الذي بيد الله - تعالى - نوعان: فضل، وعدل.

الثالث: أن قول النبي ﷺ: «ليبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك» كالتفسير للآية، ففرق بين الخير والشر، وجعل أحدهما في يدي الرب سبحانه، وقطع إضافة الآخر إليه مع إثبات عموم خلقه لكل شيء. انظر: شفاء العليل ٤٤٧. وهذا القول في الخير والشر ينطبق على ما جاء بالقول علينا الهدى والضلال؛ وذلك لأن الضلال من الشر. فالشر لا يُضاف إلى الرب تعالى؛ لا وصفاً، ولا فعلاً، ولا يتسمى باسمه بوجه من الوجوه، وإنما يدخل في مفعولاته بطريق العموم. انظر: شفاء العليل ٤٤٧.

(٥) التفسير الكبير ٣١/ ٢٠٣.

(٦) قد اتفقت رسل الله من أولهم إلى آخرهم، وكتبه المنزلة عليهم، على أنه - سبحانه - يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، وأنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأن الهدى والإضلال =

١٣. قوله : ﴿وَأَن لَّآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ ؛ يعني الدارين : الدنيا ، والآخرة^(١) .

قال الكلبي : «أي ثواب الدنيا والآخرة»^(٢) ، (كقوله : ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النساء : ١٣٤])^(٣) .

وهو قول الفرّاء^(٤) .

والمعنى : لنا ملك الدارين ، نعطي منهما مَنْ نشاء ، فليطلبنا مَنْ .

ويجوز أن يكون معنى الإخبار عن كونها إيجاب التسليم^(٥) لأمره ، فإنهما^(٦) له ، يفعل فيهما ما يشاء ، فمَنْ شَاءَ أعطى من الدنيا ، وَمَنْ شَاءَ (حرمه ، وَمَنْ شَاءَ)^(٧) أدخل الجنة ، وَمَنْ شَاءَ أدخل النار ، لا راداً لمشيئته ، ولا ناقض لحكمه .

ولما ذكر هذا أخبر عن إبانته طريق الهدى بالإنذار على الكفر بالنار ، فقال :

١٤ . ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ﴾ . قال مقاتل : «يريد أهل مكة»^(٨) .

بيده لا بيد العبد ، وأن العبد هو الضال أو المهتدي ، فالهداية والإضلال فعله - سبحانه - وقدره ، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه . انظر : شفاء العليل ١١٧ .

(١) بهذا قال الطبري في جامع البيان ٢٢٦ / ٣٠ ، والسمرقندي في بحر العلوم ٤٨٥ / ٣ .

(٢) النكت والعيون ٢٨٩ / ٦ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من نسخة (أ) .

(٤) ورد في معاني القرآن ٢٧١ / ٣ بلفظ : (لثواب هذه ، وثواب هذه) .

(٥) في (أ) : (السليم) .

(٦) في (أ) : (أئهما) .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٨) لم أعثر على مصدر لقوله ، وورد نحوه في معالم التنزيل ٤٩٦ / ٤ .

﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ ؛ تتوقد وتتوهج وتتلهب ، يقال : تلظت النار تتلظى تلظياً . ومنه سُميت جهنم لظى^(١) ، وقد مرَّ^(٢) ، ثم بين أنها لمن هي بقوله :

١٥ . ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ ؛ يعني إلا من كان شقياً في علم الله ، قاله الفرَّاء^(٣) .

وقال ابن عباس : «يريد أمة بن خلف ، ونظراءه الذين كذبوا محمداً ﷺ والأنبياء قبله»^(٤) .

وقال الحسن : «يعني المشرك»^(٥) ، ويدل عليه قوله :

١٦ . ﴿الَّذِي كَذَّبَ﴾ ؛ أي كذب الرسول ، والقرآن^(٦) . ﴿وَتَوَلَّى﴾ أعرض عن الإيمان^(٧) .

فإن قيل : أليس غير المشرك يدخل النار ، وهذه الآية تدل على أنه لا يدخلها إلا (المكذب الكافر ؟ والجواب عنه من وجوه :

(١) انظر : تهذيب اللغة ١٤ / ٣٩٥ ، والتفسير الكبير ٣١ / ٢٠٣ ، وقال الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٣٣٦ / ٥ : «(تلظى) : تتوقد ، وتتوهج» .

(٢) في سورة المعارج ، الآية ١٥ .

(٣) معاني القرآن ٣ / ٢٧٢ بنصه .

(٤) التفسير الكبير ٣١ / ٢٠٣ .

(٥) جامع البيان ٣٠ / ٢٢٦ .

(٦) بمعناه قال قتادة : «كذب بكتاب الله ، وتولى عن طاعة الله» . انظر : النكت والعيون ٦ / ٢٩٠ .

(٧) به قال السمرقندي في بحر العلوم ٣ / ٤٨٥ ، وانظر : معالم التنزيل ٤ / ٤٩٦ .

أحدهما : أن هذا ورد في درك مخصوص من أدراك جهنم ؛ لا يحله إلا^(١) مَن كان بهذه الصفة ، وهي دركات ، ولأهل النار منها منازل ، (وهذا قول أبي إسحاق^(٢))^(٣) .

والثاني : أن هذا على الاختصار بحذف ذكر العصاة من غير المشركين ، بدليل الآي الآخر ، على أن معنى قوله : ﴿لَا يَصْلَوْنَهَا﴾ لا يلزمها في حقيقة اللغة ، يقال : صلى الكافر النار ، إذا لزمها مقاسياً شدتها وحرّها^(٤) ، لعل هذا الأصل مما سبق بيانه^(٥) ، ولا يلزم النار خالداً فيها إلا المشرك المكذب .

١٧ . وقوله : ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ ؛ أي سنبعدها ، ويجعل منها على جانب ، يقال : جنبته الشيء ؛ أي بعدته وتجنبه عنه^(٦) .

﴿الْأَنفَى﴾ ؛ يعني أبا بكر - رضي الله عنه - في قول الجميع^(٧) ، قالوا : يزحزح عن النار .

-
- (١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
 (٢) ورد معنى قوله في معاني القرآن وإعرابه ٣٣٦/٥ .
 (٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
 (٤) انظر : تهذيب اللغة (صلى) ٢٣٨/١٢ .
 (٥) نحو قوله تعالى : ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الَّذِينَ﴾ [الانفطار : ١٥] .
 (٦) انظر : النهاية لابن الأثير ٣٠٣/١ ، والمفردات في غريب القرآن ٩٩ .
 (٧) نقل الإجماع على ذلك ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٩٢/٥ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٢٦٥/٨ ، والفخر الرازي في التفسير الكبير ٢٠٥/٣١ ، والشوكاني في فتح القدير ٤٥٥/٥ ، نقل ذلك عن الواحددي ، وابن عاشور في التحرير والتنوير ٣٠/٣٩١ ، وقال ابن كثير : «وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه» . حتى إن بعضهم حكى الإجماع عن المفسرين على ذلك . انظر : تفسير القرآن العظيم ٥٥٦/٤ . قال الخضير في الإجماع في التفسير ٥٢٨ : «وجميع المفسرين على القول بهذا من غير خلاف بينهم» . انظر : جامع البيان ٢٢٦/٣٠ ، ومعاني القرآن للفراء ٢٧٣/٣ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣٣٥/٥ . وقد ورد قول شاذ قالت به الرافضة ، هو أنها نزلت في علي بن أبي طالب ، وقد ردّ قولهم بما هو شافٍ كافٍ . انظر : الرازي في التفسير الكبير ٢٠٥/٣١ =

قال مقاتل : «الأتقى المخلص بالتوحيد» .

ثم وصفه فقال :

١٨ . قوله : ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ . قال أبو إسحاق : «يطلب أن يكون عند الله زاكياً لا يطلب بذلك رياءً ولا سمعةً»^(١) يدل عليه قوله :

١٩ . ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ . قال المفسرون^(٢) : «لما اشترى أبو بكر - رضي الله عنه - بلالاً من صاحبه عبدالله بن جدعان ، وكان قد

قال الخضير في الإجماع في التفسير ٥٢٨ ، بعد أن ذكر قول الرافضة المخالف لإجماع المفسرين : «ولم أنقل رأيهم ليعترض به على إجماع المفسرين بل ليعرف ويطلع عليه» . وعليه ، فما ذهب إليه الإمام الواحدي من قول بالإجماع صحيح ، ويقرر منهجه في حكايته للإجماع ، فالشاذ نحو هذا لا عبرة له عنده ، والذي ينبغي التنبيه عليه هو أن الآية خاصة بنزولها ، عامة بلفظها . قال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٥٥٦/٤ : «ولا شك أنه داخل فيها يعني أبا بكر وأولى الأمة بعمومها ، فإن لفظها لفظ العموم ، ولكنه مقدم الأمة وسابقتهم في جميع هذه الأوصاف ، وسائر الأوصاف الحميدة» .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٥/٣٣٦ بنصه .

(٢) قال بذلك جمع من المفسرين ، ونسبه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٩٠/٢٠ إلى الأكثرية من المفسرين ، والروايات عنهم منها ما كان مطولاً ، ومنها ما كان مختصراً ، ولكن جميعها تدور على معنى واحد (على قصة إعتاق أبي بكر لبلال ، ومقولة المشركين فيه ، ونزول الآية في شأنه) . انظر في ذلك ما جاء عن عامر بن عبدالله بن الزبير عن أبيه مختصراً ، وجامع البيان ٢٢٨/٣٠ ، والدر المنثور ٥٣٨/٨ ، ونسبه السيوطي إلى البزار ، وابن جرير ، وابن المنذر ، والطبراني ، وابن عدي ، وابن مردويه ، وابن عساكر . انظر أيضاً : أسباب النزول ٣٩٢ ، تحقيق أيمن صالح ، ولباب النقول ٢٣٠ . قال الهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب التفسير (سورة الليل) ١٣٨/٧ : «رواه البزار ، وفيه مصعب بن ثابت ، وثقة ابن حبان ، وضعفه جماعة ، وشيخ البزار لم يسمه» . وورد بمعناه عن قتادة مختصراً في جامع البيان ٢٢٨/٣٠ ، وذكره عطاء عن ابن عباس مطولاً في الكشف والبيان ١١٠٤/١٣ ، وزاد المسير ٢٦٥/٨ ، وأسباب النزول ٣٩٢ ، تحقيق أيمن صالح ، وورد عن مقاتل مختصراً في بحر العلوم ٨٥/٣ ، وورد بمعناه عن عروة بن الزبير في الكشف والبيان ١١٠٤/١٣ ، وانظر : معالم التنزيل ٤٩٦/٤ ، ولباب النقول ٢٣٠ ، وورد بمعناه عن سعيد بن المسيب ، وابن مسعود . انظر : الجامع لأحكام القرآن ٨٩/٢٠ ، ولباب التأويل ٢٨٥/٤ ، والدر المنثور ٥٣٨/٨ . وورد الرواية في المحرر الوجيز ٤٩٢/٥ ، والتفسير الكبير ٢٠٦/٣١ .

سلح^(١) على الأصنام ، فأسلمه مولاه إلى المشركين ليعذبوه بما فعل ، فكانوا يعذبونه في الرمضاء^(٢) ، وقد وضعوا على صدره صخرة ، فاشتره أبو بكر وأعتقه ، فقال المشركون : ما فعل ذلك أبو بكر إلا ليد كانت عند بلال ، أراد أن يجزيه بها ، فقال الله تعالى : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴾ .

قال ابن عباس : « يريد ما لبلال عند أبي بكر نعمة يجزيه بها »^(٣) .

والمعنى : (لم يفعل ذلك مجازاة ليد أسديت إليه)^(٤) ، ولكنه ابتغى بذلك وجه الله ، وهو قوله تعالى :

٢٠ . ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ ﴾ ؛ (أي إلا طلب ثواب الله)^(٥) .

قال أبو عبيدة : ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ ﴾^(٦) استثناء من النعمة ، كما يُستثنى الشيء وليس منه^(٧) .

قال الفراء : « وهذا على اختلاف ما قبل (إلا) وما بعدها ، والعرب تقول : ما في الدار أحد إلا أكلباً وأحمره ، وهذا كقوله : ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ ﴾ [النساء : ١٥٧] .

(١) سلح (من السلاح بالضم) : النجو ، وقد سلح كمنع ، وأسلحه ، وناقة صالح : سلحت من البقل ، والنجو : ما يخرج من البطن . انظر : القاموس المحيط (سلح) ١/ ٢٢٩ ، ومختار الصحاح (نجو) ٦٤٨ .

(٢) الرمضاء : الأرض الشديدة الحرارة . انظر : القاموس المحيط (رمض) ٢/ ٣٣٢ .

(٣) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٤) ما بين القوسين من قول الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٦ .

(٥) ما بين القوسين من قول الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٧ .

(٦) في (أ) : (ابتغاء) ، وغير واضحة في (ع) ، وأثبت ما غلب على ظني صحته ، والله أعلم .

(٧) ورد نحوه في مجاز القرآن ٢/ ٣٠ .

كقول^(١) النابغة :

.... وما بالرَّبعِ من أحدٍ
إلاَّ الأواريَّ^(٢)

وهي لغة أهل الحجاز^(٣) .

وذكر الفراء وجهاً آخر، وهو : «أن يضمم الإنفاق على تقدير : ما ينفق إلاَّ ابتغاء وجه ربه الأعلى ، وهذا كقوله : ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢]^(٤) ، وقد مرَّ .

(١) في (ع) : (وكقول) .

(٢) لم يذكر الفراء قول النابغة ، وإنما استشهد بقول عامر بن ثابت جران العود :
وَبَلَدٌ لَيْسَ بِهَا أُنَيْسُ إِلَّا الْيَعْفِيرُ وَالْأَلْعِيسُ
واستشهد بيت النابغة عند تفسيره الآية ١٤ من سورة النساء ، والآية ٩٨ من سورة يونس . انظر :
معاني القرآن ١ / ٢٨٨ ، ٤٨٠ . والبيت من مطلع قصيدة يقول فيها :
يَا دَارَ مَيَّةَ بِالْعَلِيَاءِ فَالْسَّنْدِ أَقَوْتُ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبْدِ
ثم يقول :

وَقَفْتُ فِيهَا أَصِيلَانًا أَسْأَلُهَا عَيَّتْ جَوَابًا وَمَا بِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدٍ
إِلَّا الْأَوَارِيَّ لَا يَأْمَا أُبَيِّنُهَا وَالنُّوْيُ كَالْخَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الْجَلْدِ
انظر : ديوانه ٣٠ ، طبعة المؤسسة العربية ، وانظر أيضاً : الأصول في النحو لابن السراج ١ / ٢٩٢ .
والشاهد : (الأواري) استثناء من (الناس) على البديل ، وأصله من الاستثناء المنقطع ، فأوجب نصبه
على لغة الحجاز ، وقد جمع فيها ثلاثة أحرف للنفي : إن ، ولا ، وما . ومعنى البيت : وصف أنه مرَّ
بالدار عشياً قصيراً ، فوقف فيها وسألها عن أهلها . أصيلان : تصغير أصيل ، وهو بالعشي . وعيت
جواباً : أعيت بالجواب ، فلم تجبني . والربع : منزل القوم . والأواري : محابس الخيل . والنوي :
حاجز من تراب يوضع فوق الخباء لئلا يدخل السيل . والمظلومة : الأرض التي لم تمطر فجاءها
السيل فملاها . والجلد : الأرض الصلبة . واللاي : البطء . انظر : شرح أبيات معاني القرآن ١١٧
ش ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

(٣) معاني القرآن ٣ / ٢٧٣ بتصرف .

(٤) معاني القرآن ٣ / ٢٧٣ بتصرف .

ومعنى ﴿الْأَعْلَى﴾ : الأجل بصفاته التي لا يوارى فيها ، فهو الأقدر الأغلب الأظهر بالحجة والقوة ^(١) .

(١) هذا قصر من الواحدى للآية على بعض معانيها ، وما ذكره حق ، ولكنه أغفل - بناءً على مذهبه الأشعري - ما دلت عليه الآية من إثبات العلو لله تعالى ؛ أي علو الذات ، مثلما دلت النصوص المتواترة على ذلك ، فهو - تعالى - فوق خلقه على العرش استوى . والذي يريد الإيذان بأسماء الله وصفاته لتسلم عقيدته يلزمه أمران : أحدهما إثبات تلك الصفات ؛ لأنها وردت في الكتاب والسنة ، فقد صار مصدرهما الوحي ؛ لأن هذا الإثبات لها هو لازم الإيمان . والثاني هو الاعتقاد الجازم بأن الله - تعالى - ليس له شبيه ولا مثيل في ما يتصف به من تلك الصفات ، وهذا أيضاً تحقيق لقول الله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى : ١١] ، وإن الانطلاق من هاتين القاعدتين في باب الأسماء والصفات هو المسلك الصحيح ، والمنهج السليم ، وبه يتحقق الاتباع الكامل ، والانتقاد الحق ، والاستجابة الواعية لما قاله الله تعالى ، أو نطق به النبي ﷺ ، وإن أيّ مساس بهاتين القاعدتين يوصل إلى انحراف خطير في فهم أخطر قضية من قضايا الاعتقاد في باب أسماء الله وصفاته . انظر : علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين لرضا نعتان ١١ . وعليه ، فتفسير الأعلى من هذه السورة على ضوء الكتاب والسنة هو على النحو الآتي :

قال تعالى : ﴿وَلَا يُوَدُّهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، وقال سبحانه : ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى : ١] ، وقال عز وجل : ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى﴾ [الرعد : ٩] ، وذلك دال على أن معاني العلو جميعها ثابتة لله من كل وجه ، فله علو الذات ، فإنه فوق المخلوقات ، وعلى العرش استوى ؛ أي علا وارتفع ، وله علو القدر ، وهو علو صفاته وعظمتها ، فلا يائثله صفة مخلوق ؛ بل لا يقدر الخلاق كلهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته ، قال تعالى : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ ، وبذلك يعلم أنه ليس كمثله شيء في نعوته كلها ، وله علو القهر فإنه الواحد القهار الذي قهر بعزته وعلوه الخلق كلهم ؛ وذلك لكمال اقتداره ، ونفوذ مشيئته ، وشدة افتقار المخلوقات كلها له من كل وجه . انظر : شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة ٧٨-٨٠ ، وانظر أيضاً : الحق الواضح ٢٦ ، وشرح القصيدة النونية للهراس ٦٨/٢ .

وتأسيساً على ما سبق شرحه ، وبالمقابلة مع قول الإمام الواحدي ، يتبين أن الواحدى أثبت علو القدر فقط ، والذي ينبغي له إثبات العلو بأنواعه الثلاثة ، والله أعلم .

ثم وعد أبا بكر أن يرضيه في الآخرة بثوابه ، فقال :

٢١ . قوله تعالى : ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ . قال ابن عباس : «يعطيه الله في الجنة حتى يرضى»^(١) . وقال مقاتل : «يرضى بثواب الله في الآخرة»^(٢) . وقال أبو إسحاق : «أي سيدخل الجنة كما قال : ﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً﴾ [الفجر: ٢٨]»^(٣) .

* * *

(١) لم أعتثر على مصدر لقوله ، وقد ورد نحوه غير منسوب في معالم التنزيل ٤ / ٤٩٧ ، ولباب التأويل

٣٨٥ / ٤ .

(٢) لم أعتثر على مصدر لقوله .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٣٣٧ .

تفسير

سورة الضحى^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿وَالضُّحَى﴾ .

قد تقدّم تفسيره عند قوله : ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس: ١] ، وقوله : ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٢٩] ، والوجه هاهنا أنه النهار كله^(٢) ، لقوله (في المقابلة)^(٣) :

٢. ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى﴾ .

(١) مكية بلا خلاف في ذلك . انظر : جامع البيان ٣٠ / ٢٢٩ ، وبحر العلوم ٣ / ٤٨٦ ، والكشف والبيان ١٣ / ١٠٥ ب .

وانظر أيضاً : البرهان في علوم القرآن للزركشي ١ / ١٩٣ ، والإتقان للسيوطي ١ / ٢٥ - ٢٨ .
(٢) قال بذلك الفراء في معاني القرآن ٣ / ٢٧٣ ، وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٥٢٩ ، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٣٣٩ ، وما ذكره الإمام الواحدي هو من قول الثعلبي في الكشف والبيان ١٣ / ١٠٦ ب .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

قال أبو عبيدة^(١)، والمُبرّد^(٢)، و(الزَّجَّاج^(٣))^(٤): «إِذَا سَكَنَ يُقَالُ: لَيْلَةٌ سَاجِيَةٌ، وَلَيْلَةٌ سَاكِنَةٌ، وَأُنْشِدُوا جَمِيعاً:

يَا حَبْدَا الْقَمَرَاءُ وَاللَّيْلُ السَّاجِي
وَطُرُقٌ مِثْلُ مَلَأِ النَّسَاجِي»^(٥)(٦).

ونحو هذا قال الفرّاء: «سجا: أظلم وركد في طوله»^(٧).

(وروى ثعلب عن)^(٨) ابن الأعرابي: «سجا: سكن، وسجا امتد ظلامه، وسجا أظلم»^(٩).

وقال الأصمعي: «سُجُو الليل تغطيته النهار، مثل^(١٠) ما يُسَجِّي الرجل بالثوب»^(١١).

(١) ورد في مجاز القرآن ٢/٣٠٢ بنصه.

(٢) الكامل ١/٣٧١.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٥/٣٣٩.

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٥) في (أ): (الساجي).

(٦) انتهى الشطر الأول ب: (السَّاج)، والثاني ب: (السَّاج) في الرواية (ب). هكذا وردت عند أبي عبيدة، والمُبرّد، والزَّجَّاج.

وورد البيت منسوباً إلى الحارث في لسان العرب (سجا) ١٤/٣٧١، والمححر الوجيز ٥/٤٩٣،

وورد غير منسوب في تهذيب اللغة (سجا) ١١/١٤٠، وجامع البيان ٣٠/٢٣٠، والكشف والبيان

١٣/١٠٦ ب، والنكت والعيون ٦/٢٩٢، وزاد المسير ٨/٢٦٨، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٩١،

والبحر المحيط ٨/٤٨٥، وأضواء البيان ٩/٢٧٤.

(٧) ورد في معاني القرآن ٣/٢٧٣ بنصه.

(٨) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٩) ورد في تهذيب اللغة (سجا) ١١/١٤٠ بنصه.

(١٠) في (ع): (ومثل).

(١١) المرجع السابق، وانظر: لسان العرب (سجا) ١٤/٣٧١ بنصه.

قال ابن الأعرابي : «يقال سَجَا يَسْجُو»^(١) ، وَسَجَّى يُسَجِّى ، وَأَسْجَى يُسْجَى كله إذا غطى شيئاً»^(٢) .

وقال الليث : «السجو : السكون ، ويقال : ليلة سَاجِيَّةٌ ، وعين سَاجِيَّةٌ ، وسجا البحر سَكَنْتْ أمواجه»^(٣) .

هذا كلام أهل اللغة في تفسير (سجا) ، وقد حصل له ثلاثة معان : سكن ، وأظلم ، وغطى .

وأقوال المفسرين غير خارجة من هذه المعاني .

قال عطاء عن ابن عباس : «إذا غطى بالظلمة»^(٤) ، وهو قول الحسن : «إذا ألبس الناس ظلامه»^(٥) ، وهو قول سعيد بن جبير : «إذا أقبل فغطى كل

(١) يسجوا) هكذا وردت في كلتا النسختين .

(٢) العبارة كما في تهذيب اللغة ١١ / ١٤٠ : «إذا غطى شيئاً ما» . انظر : لسان العرب (سجا) ١٤ / ٣٧١ .

(٣) تهذيب اللغة ١١ / ١٤٠ .

(٤) ورد معنى قوله في النكت والعيون ٦ / ٢٩١ ، وورد من غير ذكر طريق عطاء في تفسير الرازي ٣١ / ٢٠٨ ، وتفسير القرطبي ٢٠ / ٩٢ ، ولباب التأويل ٤ / ٣٨٦ .

(٥) ورد نحوه في تفسير عبد الرزاق ٢ / ٣٧٩ ، وجامع البيان ٣٠ / ٢٢٩ ، وورد معنى قوله في الكشف والبيان ١٣ / ١٠٦ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٤٩٨ ، والتفسير الكبير ٣١ / ٢٠٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٩٢ ، والدر المنثور ٨ / ٥٤١ ، وفتح القدير ٥ / ٤٥٧ ، وتفسير الحسن البصري ٢ / ٤٢٥ .

شيء»^(١)، ونحو هذا قال مقاتل^(٢)، (والضحاك^(٣))، وهو رواية عطية عن ابن عباس^(٤)^(٥).

وقال قتادة: «إذا سكن بالنائمين»^(٦)، وهذا قول السُّدِّي^(٧)، وابن زيد^(٨) (ومجاهد^(٩))^(١٠).

ولسكونه معنيان :

أحدهما : سكن الناس ، فنسب إليه ، كما كان فيه ، كما يقال : ليل نائم ، ونهار صائم^(١١) ، ومثله كثير^(١٢).

(١) ورد مختصراً في النكت والعيون ٢٩١/٦ ، والتفسير الكبير ٢٠٨/٣١ ، وزاد المسير ٢٦٧/٨ مختصراً ، والجامع لأحكام القرآن ٩٢/٢٠ بمعناه ، والدر المشور ٥٤١/٨ منسوباً إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وفتح القدير ٤٥٧/٥ بمعناه ، وتفسير سعيد بن جبير ٣٧٧ .

(٢) تفسير مقاتل ١٢٤٣ أ.

(٣) الكشف والبيان ١٠٦/١٣ ب ، ومعالم التنزيل ٤٩٨/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٩٢/٢٠ .

(٤) الكشف والبيان ١٠٦/١٣ ب ، ومعالم التنزيل ٤٩٨/٤ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) ورد معنى قوله في تفسير عبدالرزاق ٣٧٩/٢ ، وجامع البيان ٢٣٠/٣٠ ، ومعالم التنزيل ٤٩٨/٤ ، والتفسير الكبير ٢٠٨/٣١ ، وفتح القدير ٤٥٧/٥ .

(٧) التفسير الكبير ٢٠٨/٣١ .

(٨) المرجع السابق ، وانظر أيضاً : جامع البيان ٢٣٠/٣٠ ، والكشف والبيان ١٠٦/١٣ ب ، والنكت والعيون ٢٩٢/٦ ، ومعالم التنزيل ٤٩٨/٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٥٥٨/٤ ، وفتح القدير ٤٥٧/١٥ .

(٩) الكشف والبيان ١٠٦/١٣ ب ، والتفسير الكبير ٢٠٨/٣١ ، وورد بمعناه في تفسير القرآن العظيم ٥٥٨/٤ ، وفتح القدير ٤٥٧/٥ .

(١٠) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(١١) في (أ) : (هائم) .

(١٢) نحو : بحر ساج ، وسر كاتم ، وليله قائم ، وكما في قوله تعالى : ﴿ نَاصِيَهُ كُذِّبَ خَاطِئًا ﴾ .

والثاني : سكونه : استقرار ظلامه ، واستواؤه ، فلا يزداد بعد ذلك^{(١)(٢)} .

يدل على هذا أن ابن زيد قال : «استقر ظلامه»^(٣) ، وأن مجاهداً قال : «استوى»^(٤) .

وقال الكلبي : ﴿إِذَا سَجَى﴾ : «اسودَّ ، وأظلم»^(٥) .

فهذه ثلاثة أقوال عند المفسرين على وفق^(٦) ما حكينا عن أهل اللغة ، وهذا القسم جوابه قوله :

-
- (١) هذا المعنى هو الذي رجَّحه الطبري في جامع البيان ٣٠ / ٢٣٠ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥ / ٤٩٣ . قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٩٢ : «وهذا الأشهر في اللغة» ، وقال الشوكاني في فتح القدير ٥ / ٤٥٧ : «وهو الذي عليه جمهور المفسرين وأهل اللغة» .
- (٢) ورد في التفسير الكبير ٣١ / ٢٠٨ نقلاً عن الواحدي بنصه .
- (٣) الكشف والبيان ١٣ / ١٠٦ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٤٩٨ .
- (٤) ورد في تفسير الإمام مجاهد ٧٣٥ ، وجامع البيان ٣٠ / ٢٢٩ ، والنكت والعيون ٦ / ٢٩٧ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٤٩٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٩٢ ، والدر المنثور ٨ / ٥٤١ منسوباً إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وانظر : فتح القدير ٥ / ٤٥٧ .
- (٥) لم أعثر على مصدر لقوله .
- (٦) بياض في (ع) .

٣. ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ . قال المفسرون ^(١) : «أبطأ جبريل عن النبي ﷺ فقال المشركون : قد قلاه ^(٢) الله وودعه» ^(٣) ، فأُنزل الله هذا الآية .

وقال السُّدِّي : «أبطأ عليه أربعين ليلة ، فشكا ذلك إلى خديجة ، فقالت : لعل ربك نسيتك أو قلاك ، فأُنزل الله هذه الآية» ^(٤) .

(١) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٢٦٦/٨ : «اتفق المفسرون على أن هذه السورة نزلت بعد انقطاع الوحي مدة» . وقال بذلك سفيان البجلي ، ومعمّر ، وسفيان بن عيينة ، وجندب بن عبد الله البجلي ، وقتادة ، والضحاك ، وابن عباس ، ومقاتل . انظر : تفسير مقاتل ٢٤٣ ، وتفسير عبدالرزاق ٣٧٩/٢ ، وجامع البيان ٣٠/٢٣٠ ، ٢٣١ ، والدر المنثور ٨/٥٤٠ ، وتفسير سفيان بن عيينة ٣٤٦ ، تحقيق المحاييري . والرواية الصحيحة السند هي ما أخرجه البخاري عن جندب : قال الأسود بن قيس ، قال : سمعت جندب بن سفيان - رضي الله عنه - قال : اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً ، فجاءت امرأة فقالت : يا محمد ، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ، لم أراه قربك منذ ليلتين أو ثلاثاً ! فأُنزل الله عز وجل : ﴿وَالضُّحَى ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ۝﴾ . انظر : صحيح البخاري في كتاب التفسير ، باب (١-٢) ٣/٣٢٦ ح ٤٩٥٠-٤٩٥١ ، ٣/٣٣٧ ح ٤٩٨٣ ، وكتاب فضائل القرآن ، باب (١) ١/٣٥٠-٣٥١ ح ١١٢٤-١١٢٥ ، وكتاب التهجد ، باب (٤) . وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير ، باب (٣٩) ٣/١٤٢١ ح ١١٤ ، والحميدي ٢/٣٤٢ ح ٧٧٧ ، والطيالسي ٤/١٢٦ ، والإمام أحمد ٤/٣١٢ ، ٣/٣١٣ ، والطبراني ٢/١٧٣ ، رقم ١٧٠٩-١٧١٢ ، والبيهقي في الدلائل ٧/٥٨ . وانظر : أسباب النزول ٣٩٣ ، تحقيق أيمن صالح ، ولباب النقول ٢٣٠ ، والصحيح المسند ٢٣٣ .

(٢) قلاه قَلَى : أبغض . قال ابن السكيت في إصلاح المنطق ١٣٩ : «ولا يكون في البغض إلا قليت» ، وانظر : تاج العروس (قلا) ١٠/٣٠٢ .

(٣) ودع وَدَّعْتُهُ ، أَدَّعُهُ ودَعَا : تركته . قال ابن فارس في مقاييس اللغة (ودع) ٩٦/٦ : «وَدَعَ : أصل واحد يدل على الترك والتخليّة ، وَدَّعَهُ تركه ، ومنه دَع» ، وانظر : الصحاح (ودع) ٣/١٢٩٥ .

(٤) ورد في بحر العلوم ٣/٤٨٦ ، والتفسير الكبير ٣١/٢١٠ ، وورد بمعنى هذه الرواية من طريقين : طريق عبد بن شداد ، وطريق هشام بن عروة عن أبيه . انظر : جامع البيان ٣٠/٢٣١ . قال ابن حجر في فتح الباري ٨/٧١١ : «وهذان طريقان مرسلان ، وروايتهما ثقات» ، وقال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٤٤/٥٥٨ : «إنه حديث مرسل من هذين الوجهين ، ولعل ذكر خديجة ليس محفوظاً ، أو قالته على وجه التأسف والتحزن ، والله أعلم» ، وانظر : لباب النقول ٢٣١ .

واختلفوا في قدر مدة انقطاع الوحي ، وهي أربعون ليلة على ما قال الشَّدِّي ، وهو قول مقاتل^(١) : «لم ينزل جبريل على النبي ﷺ بمكة أربعين يوماً»^(٢) .

وقال الكلبي : «أبطأ جبريل خمس عشرة ليلة»^(٣) .

وقال ابن جريج : «اثني عشر يوماً»^(٤) .

واختلفوا أيضاً في سبب احتباس^(٥) جبريل ، فذكر أكثر المفسرين^(٦) : أن اليهود سألت رسول الله ﷺ عن الروح وذي القرنين ، وأصحاب الكهف ، فقال : سأخبركم ، ولم يقل إن شاء الله ، فاحتبس عنه الوحي . وهذه القصة ذكرناها قديماً^(٧) .

-
- (١) في (أ) : (فإن) ، وهو حرف زائد في الكلام لا يستقيم المعنى بإثباته .
- (٢) تفسير مقاتل ٢٤٣ ، والكشف والبيان ١٣ / ١٠٦ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٤٩٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٩٢ / ٢٠ .
- (٣) التفسير الكبير ٣١ / ٢١١ .
- (٤) النكت والعيون ٦ / ٢٩٢ ، والتفسير الكبير ٣١ / ٢١١ ، والجامع لأحكام القرآن ٩٢ / ٢٠ . قال محقق النكت والعيون : «وهذا من مراسيل ابن جريج» .
- (٥) في (أ) : (احتباس) .
- (٦) حكاة عن أكثر المفسرين البغوي في معالم التنزيل ٤ / ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، والفخر الرازي في التفسير الكبير ٣١ / ٢١١ ، وانظر : بحر العلوم ٣ / ٤٨٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٩٣ / ٢٠ .
- (٧) في الآية ٨٥ من سورة الإسراء . قال ابن حجر في فتح الباري ٨ / ٧١٠ معلقاً على ما ذكر من سورة الضحى : «كانت سبب نزول في إبطاء نزول الوحي على رسول الله ﷺ قال : ووقع في سيرة ابن إسحاق في سبب نزول (والضحى) شيء آخر ، فإنه ذكر أن المشركين سألوا النبي ﷺ عن ذي القرنين والروح وغير ذلك ووعدهم بالجواب ولم يستثن ، فأبطأ عليه جبريل اثنتي عشرة ليلة أو أكثر ، فضاق صدره ، وتكلم المشركون ، فنزل جبريل بسورة (والضحى) ، وبجواب ما سألوا ، وبقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَاً﴾ ١٠٠ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۖ ۝ . انتهى ، وذكر سورة الضحى هنا بعيد ، لكن يجوز أن يكون الزمان في القصتين متقارباً ، فضم بعض الرواة إحدى القصتين إلى الأخرى ، وكل منهما لم يكن في ابتداء البعث ، وإنما كان بعد ذلك بمدة ، والله أعلم» .

وقال ابن زيد : «كان سبب ذلك كون جرو في بيته ، فلما نزل جبريل عاتبه رسول الله ﷺ : أما علمت أننا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة»^(١) .

وقال جُنْدُب بن سفيان : «رمي النبي ﷺ بحجر في أصبعه ، فقال :

هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِبْصَعُ دَمِيتِ وفي سبيلِ اللهِ مَا لَقِيتِ
فأبطأ^(٢) عنه الوحي حتى قالت له امرأة^(٣) : ما أرى شيطانك إلا وقد تركك ،
فأنزل الله هذه السورة»^(٤) .

(١) ورد قوله في المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٣ ، والتفسير الكبير ٣١/ ٢١١ ، وورد نحوه عن خولة خادم رسول الله ﷺ ٢٠/ ٩٣ ، والدر المنثور ٨/ ٥٤١ منسوباً إلى ابن أبي شيبه في مسنده ، والطبراني ، وابن مردويه . انظر : أسباب النزول ٣٩٣ عن خولة ، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢٤/ ٢٤٩ ، ٦٣٦ . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٣٨ : «رواه الطبراني ، وأم حفص لم أعرفها» ، وقال السيوطي في لباب النقول ٣٣٠ : «وأخرج الطبراني ، وابن أبي شيبه في مسنده والواحي ، وغيرهم بسنده في باب لا يعرف ، عن حفص ، عن ميسرة ، عن أمه ، عن أمها خولة» ، وقال ابن عبد البر في الاستيعاب ٤/ ١٨٣٤ ، رقم ٣٣٢٨ : «وليس إسناد حديثها في ذلك مما يحتج به» ، وانظر : حاشية المعجم الكبير ٢٤/ ٢٤٩ ، وقال ابن حجر في فتح الباري ٨/ ٧١٠ في كتاب التفسير ، باب (١٠) : «وقصة إبطاء جبريل بسبب كون الكلب تحت سريره مشهورة ، لكن كونها سبب نزول هذه الآية غريب ، بل شاذ ، ومردود بما في الصحيح ، والله أعلم» .

(٢) في (أ) : (فأبطى) .

(٣) المرأة على قول ابن حجر في فتح الباري ٨/ ٧١٠ ، ٧١١ هي أم جميل بنت حرب ، امرأة أبي لهب ، ثم قال : «والذي يظهر أن كلاً من أم جميل ، وخديجة قالت ذلك ، لكن أم جميل عبّرت لكونها كافرة بلفظ شيطانك ، وخديجة عبّرت لكونها مؤمنة بلفظ ربك ، أو صاحبك ، وقالت أم جميل شئانةً ، وخديجة توجعاً» .

(٤) سبق تخريجه ، وورد في الكشف والبيان ١٣/ ١٠٦ ، والنكت والعيون ٦/ ٢٩٢ ، والتفسير الكبير ٣١/ ٢١١ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٩٢١ . قال ابن كثير ٤/ ٥٥٨ : «وقوله هذا الكلام الذي اتفق أنه موزون ثابت في الصحيحين ، ولكن الغريب هاهنا جعله سبباً لتركه القيام ، ونزول هذه السورة» .

ومعنى : ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ ؛ ما تركك ربك ، وما مقتك ، وما أبغضك .
قاله عطاء^(١) ، ومقاتل^(٢) .

قال أبو عبيدة^(٣) ، والمُبرِّد^(٤) : «ودعك من التوديع كما ودع المفارق» .

وقال الزَّجَّاج : «أي لم يقطع الوحي ، ولا أبغضك»^(٥) .

قال الفرَّاء : يريد وما قلاك^(٦) ، فَأُلْقِيَتِ الكاف اكتفاء بالكاف الأولى^(٧)
في (ودعك) ، ولأن^(٨) رؤوس الآيات بالياء ، فأوجب اتفاق الفواصل حذف
الكاف^(٩) .

والقلَى : البغض ، يقال : قلاه يقليه قِلاً ، ومقلياً ، إذا أبغضه^(١٠) .

وقال ابن الأعرابي : «الْقَلَى والقِلَى ، والقَلَاءة»^(١١) : المقلية^(١٢) .

(١) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٢) تفسير مقاتل ٢٤٣ ب .

(٣) ورد في مجاز القرآن ٣/٣٠٢ ، وكلامه : (قال : ما ودعك من التوديع ، وما ودعك مخففة من ودعت تدعه) .

(٤) التفسير الكبير ٣١/٢١٠ .

(٥) ورد نحوه في معاني القرآن وإعرابه ٥/٣٣٩ .

(٦) في (أ) : (قلَى) .

(٧) في (أ) : (الأول) .

(٨) في (أ) : (لأن) بغير واو .

(٩) ورد في معاني القرآن ٣/٢٧٣ ، ٢٧٤ بتصرف .

(١٠) نقلاً من تهذيب اللغة (قلا) ٩/٢٩٥ .

(١١) القَلَاءُ : هكذا وردت في تهذيب اللغة (قلا) ٩/٢٩٥ ، وانظر : لسان العرب (قلا) ١٥/١٩٨ .

(١٢) تهذيب اللغة (قلا) ٩/٢٩٥ ، وهذا القول هو رواية ثعلب عن ابن الأعرابي .

٤. قوله (تعالى)^(١): ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ .

قال عطاء^(٢)، ومقاتل^(٣): «يريد والجنة»^(٤) خير لك من الدنيا .

وقال علي بن عبدالله بن عباس: «أري رسول الله ﷺ ما يفتح على أمته من بعده، فسرّه ذلك، فأنزل الله: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾»^(٥).

٥. ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ . قال^(٦): «ألف قصر من لؤلؤ أبيض، ترابه المسك، وفيهن ما يصلح لهن»^(٧).

(١) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٢) الوسيط ٥٠٩/٤ .

(٣) تفسير مقاتل ٢٤٣ ب، والوسيط ٥٠٩/٤ .

(٤) في (أ): (الجنة) بغير واو .

(٥) رواه الطبري عن طريقه إلى ابن عباس في جامع البيان ٢٣٢/٣٠، وفي الكشف والبيان ١٠٧/١٣ من طريق علي بن عبدالله بن عباس عن النبي ﷺ، ونسبه الماوردي في النكت والعيون ٩٣/٦ إلى ابن عباس، ورواه الطبراني في المعجم الكبير ٣٣٧/١٠ ح ١٠٦٥٠ عن علي بن عبدالله، عن ابن عباس . قال محقق الكبير حمدي السلفي نقلاً عن مجمع الزوائد ١٣٨/٩، ١٣٩، عن إحدى الروايتين الواردة في الأوسط: «وفيه معاوية بن أبي العباس، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات، وإسناد الكبير حسن» . قلت (أي حمدي): «وأحد إسنادي الأوسط هو نفس إسناد الكبير»، ورواه الحاكم من طريقه إلى ابن عباس في المستدرک في كتاب التفسير (سورة الضحى) ٥٢٦/٢، وقال: «حديث صحيح الإسناد»، وقال الذهبي: «تفرّد به عصام بن رواد عن أبيه وقد ضعف»، وأورده القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٩٥/٢٠ من طريقه إلى ابن عباس، وقال ابن كثير: «ورواه ابن جرير، وابن أبي حاتم من طريقه، وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس، ومثل هذا ما يقال إلا عن توقيف»، ورواه السيوطي في الدر المنثور ٥٤٢/٨ عن ابن عباس، ونسبه إلى البيهقي في الدلائل ٦١/٧ .

(٦) أي علي بن عبدالله بن عباس .

(٧) ورد في جامع البيان ٢٣٢/٣٠، والكشف والبيان ١٠٧/١٣، والمحرم الوجيز ٤٩٤/٥ بمعناه، والكشاف ٢١٩/٤، وتفسير القرطبي ٩٥/٢٠، والبحر المحيط ٤٨٦/٨، وتفسير ابن كثير ٥٥٨/٤ عن علي بن عبدالله عن أبيه، والدر المنثور ٥٤٢/٨ عن ابن عباس منسوباً إلى ابن أبي حاتم، وعبد بن حميد، وابن جرير، والطبراني، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه، والبيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل . انظر: المستدرک للحاكم ٥٢٦/٢، قال: «صحيح»، وضعّفه الذهبي .

وقال مقاتل : «يعطيك ربك في الآخرة من الخير ، فترضى بما يُعطى»^(١) .

وذكر آخرون أن هذا في الشفاعة ، وهو قول علي رضي الله عنه^(٢) ،
والحسن^(٣) ، وعطاء ، عن ابن عباس^(٤) ، قالوا : «هو الشفاعة في أمته حتى
يرضى» .

فيروى أنه ﷺ قال لما نزلت هذه الآية : «إِذَا لَا أَرْضِي وَوَاحِدٌ مِنْ أُمَّتِي فِي
النار»^(٥) .

ثم ذكر مَنته عليه وأخبره عما كان عليه قبل الوحي ، فقال :

٦ . ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴾ . روى سعيد بن جبير عن ابن عباس
أن النبي ﷺ قال : «سألت الله مسألة ووددت^(٦) أني لم أكن سألته ،
ذكرت رسل ربي فقلت : سخرت لسليمان الريح ، وكلمت بعضهم .
فقال تبارك وتعالى : ألم أجدك يتيمًا فأويتك ، وضالًا فهديتك ، وعائلاً

(١) تفسير مقاتل ٢٤٣، والوسيط ٥٠٩/٤ .

(٢) ورد في الكشف والبيان ١٠٧/١٣ مرفوعاً ، ومعالم التنزيل ٤/٤٩٨ ، والتفسير الكبير ٣١/٢١٣ ،
والجامع لأحكام القرآن ٩٥/٢٠ مرفوعاً .

(٣) ورد في معالم التنزيل ٤/٤٩٨ ، وزاد المسير ٨/٢٦٨ ، وتفسير ابن كثير ٤/٥٥٩ ، والدر المنثور
٨/٥٤٣ منسوباً إلى ابن أبي حاتم ، وانظر : تفسير الحسن البصري ٢/٤٢٦ .

(٤) معالم التنزيل ٤/٤٩٨ ، والتفسير الكبير ٣١/٢١٣ ، ولباب التأويل ٤/٣٨٦ .

(٥) ورد في جامع البيان ٣٠/٢٣٢ من طريق السُّدِّي عن ابن عباس ، وذكرت مرفوعة في الكشف والبيان
١٣/١٠٧ ب ، ١٠٨ أ ، وانظر : التفسير الكبير ٣١/٢١٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٩٦ ،
والبحر المحيط ٨/٤٨٦ . وورد نحوه في الدر المنثور ٨/٥٤٢ عن ابن عباس منسوباً إلى الخطيب في
تلخيص المتشابه من وجه آخر عن ابن عباس .

(٦) في (ع) : (ووجدت) .

فأعنيك . فقلت : نعم ، فقال : ألم نشرح لك صدرك ، ووضعت عنك وزرك ، ورفعت لك ذكرك ، قال : قلت نعم^(١) .

قال عطاء عن ابن عباس : «يريد فضمك إلى عمك أبي طالب حتى صرت رجلاً»^(٢) .

وقال مقاتل : «ضمك إلى عمك ، وكفاك المؤنة»^(٣) .

فقال^(٤)^(٥) : «والمعنى ألم نجدك يتيماً صغيراً حين مات أبواك ، ولم يخلفك لك مالا ، ولا مأوى ، فضمك إلى عمك حتى أحسن تربيتك»^(٦) .

ثم ذكر نعمة أخرى ، فقال :

٧ . ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ . قال ابن عباس (في رواية عطاء)^(٧) : «وجدك ضالاً عن النبوة فهداك بالنبوة إلى أرشد الأديان وأحبها إليه»^(٨) .

(١) ورد في الكشف والبيان ١٠٨/١٣ أ بمعناه ، ومعالم التنزيل ٤/٤٩٩ ، والدر المنثور ٨/٥٤٤ منسوباً إلى ابن أبي حاتم ، والطبراني ، والحاكم وصححه ، وأبو نعيم ، والبيهقي كلاهما في الدلائل ، وابن مردويه ، وابن عساكر بمعناه ، وفتح القدير ٥/٤٦٠ ، وانظر : المستدرک في کتاب التفسير (سورة الضحى) ٢/٥٢٦ ، ووافقه الذهبي ، ورواه الطبراني في الكبير ١١/٤٥٥ ح ١٢٢٨٩ ، والأوسط ، وفيه عطاء بن السائب ، وقد اختلط . قاله الهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب علامات النبوة ، باب عظم قدره ﷺ ٨/٢٥٤ . انظر : فردوس الأخبار للدليمي ٢/٤٣٨ ح ٣٢١٨ .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٣) تفسير مقاتل ٢/٢٤٣ ، والنكت والعيون ٦/٢٩٣ ، وزاد المسير ٨/٢٦٩ .

(٤) في (ع) : (وقال) .

(٥) أي الثعلبي .

(٦) انظر : الكشف والبيان ١٠٨/١٣ أ باختصار يسير .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٨) ورد معنى قوله في التفسير الكبير ٣١/٢١٦ .

وقال الحسن^(١)، والضحاك^(٢)، (وشهر بن حوشب)^{(٣)(٤)}: «ووجدك ضالاً عن معالم النبوة وأحكام الشريعة، غافلاً عنها فهداك إليها. دليله قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَفِيلِينَ﴾ [يوسف: ٣]، وقوله: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢]».

وهذا مذهب أرباب الأصول، وعلماء أصحابنا^(٥) على أن رسول الله ﷺ كان كافراً قط^(٦).

(١) ورد في الكشف والبيان ١٣/١٠٩، ومعالم التنزيل ٤/٤٩٩، وبمعناه في المحرر الوجيز ٥/٤٩٤، وزاد المسير ٨/٢٦٩ منسوباً إلى الجمهور، والتفسير الكبير ٣١/٢١٦، وتفسير الحسن البصري ٢/٢٤٦.

(٢) ورد في المراجع السابقة عدا تفسير الحسن، وانظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٠/٩٦.

(٣) الكشف والبيان ١٣/١٠٩، والتفسير الكبير ٣١/٢١٦، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٩٦.

(٤) ما بين القوسين ساقط من نسخة (أ).

(٥) يعني بهم جهازة متكلمي عصره من الأشاعرة، مثل شيخه أبي إسحاق الأسفراييني. انظر: الواحدي ومنهجه في التفسير لجودت المهدي ١٤٣.

(٦) من أصحابه الذين قالوا بعصمتهم - صلوات الله عليهم - من الوقوع في الكفر: الباقلاني؛ إذ استدل على ذلك بأنه لم يذكر أهل التواريخ أنه كان مشركاً حين بعثه الله، وإنما بعث من كان تقياً نقيّاً زاكياً أميناً مشهور النسب حسن التربية. انظر: المسامرة في شرح المسامرة ١/٨١، وتفسير القرطبي ٨/١٦، ٦٠.

وأبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي، وهو من علماء الأشاعرة، قال: «أجمع أصحابنا على وجوب كون الأنبياء معصومين بعد النبوة عن الذنوب كلها، وأما السهو والخطأ فليس من الذنوب، فلذلك ساغ عليهم... وأجازوا عليهم الذنوب قبل النبوة، وتأولوا على ذلك كل ما حكي في القرآن من ذنوبهم...». انظر: أصول الدين ١٦٧، ١٦٨.

وقال السفاريني: «لم يكن النبي ﷺ على دين سوى الإسلام، ولا كان على دين قومه قط، بل وُلد النبي ﷺ مؤمناً صالحاً على ما كتبه الله وعلمه في حاله». انظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدررة المضية ٣٠٥.

وقال القاضي عياض: «والصواب أنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته، والتشكك في شيء من ذلك، وقد تعاضدت الأخبار والآثار عن الأنبياء بتزويهم عن هذه النقيصة منذ وُلدوا، ونشأتهم على التوحيد والإيمان...». انظر: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ٢/٧١٩ =

واختار أبو إسحاق (أيضاً)^(١) هذا القول ، فقال : «معناه أنه لم يكن يدري القرآن ، ولا الشرائع ، فهداه الله إلى القرآن وشرائع الإسلام»^(٢) .

وذكرنا جملة من الكلام في هذا المعنى عند قوله : ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكْتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ﴾ [الشورى : ٥٢]^(٣) .

وجرى بعض المفسرين على ظاهر الآية ، فقال الكلبي : ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ ؛ يعني كافراً في قوم ضلال فهداك للتوحيد»^(٤) .

وقال الحافظ بن رجب : «بل يستدل بحديث العرباص بن سارية على أنه ﷺ ولد نبياً ، فإن نبوته وجبت له من حين أخذ الميثاق حيث استخرج من صُلب آدم حينئذ ، لكن كانت مدة خروجه إلى الدنيا متأخرة عن ذلك ، وذلك لا يمنع كونه نبياً قبل خروجه ، كَمَنْ يُولَدُ ولاية ، ويؤمر بالتصرف فيها زمن مستقبل ، فحكم الولاية ثابت له من حين ولايته ، وإن كان تصرفه متأخراً إلى حين مجيء الوقت» . انظر : لطائف المعارف ٨٣ ، ولوامع الأنوار ٣٠٦ .

وذهب إلى القول بالعصمة الألوسي في روح المعاني ١٩٩ / ٧ ، والإمام الشنقيطي في أضواء البيان ٢ / ٢٠١ . وللسترادة في هذه المسألة ، انظر : منهج السفاريني في أصول الدين ٢ / ٣٥٧ وما بعدها ، إعداد رجاء بنت عبدالقادر الجويسر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، إشراف محمد السمهوري .

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٣٣٩ ، ٣٤٠ بنصه .

(٣) قال الإمام الواحدي في تفسيرها : «قوله تعالى : ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكْتُبُ﴾ قبل الوحي ، ﴿وَلَا الْإِيمَنُ﴾ اختلفوا في هذا مع إجماع أرباب الأصول على أنه لا يجوز على الرسل قبل الوحي أن لا يكونوا مؤمنين ، فذهب أكثر أهل العلم إلى أن المراد بالإيمان هاهنا شرائعه ومعامله . وهي كلمة يجوز أن تسمى إيماناً ، واختار الإمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة هذا القول ، وخصه بالصلاة محتجاً من باب حذف المضاف ، فجعل التقدير : ولا دعوة الإيمان ؛ لأنه كان قبل الوحي ما كان يقدر ما الكتاب ، ولا أفعال الإيمان ، يعني مَنْ الذي يؤمن وَمَنْ الذي لا يؤمن . وجعل أبو العالية التقدير : ولا دعوة الإيمان ؛ لأنه كان قبل الوحي ما كان يقدر أن يدعو إلى الإيمان بالله ، وذهب بعض أهل المعاني إلى التخصيص بالوقت فقالوا : «المعنى : ولا ما الإيمان قبل البلوغ» .

(٤) ورد في الكشف والبيان ١٣ / ١٠٨ ب ، وفي المحرر الوجيز ٥ / ٤٩٤ بمعناه ، وزاد المسير ٨ / ٢٦٩ ، والتفسير الكبير ٣١ / ٢١٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٩٧ بمعناه ، وفتح القدير ٥ / ٤٥٨ .

وقال السُّدِّي: «كان على أمر قومه أربعين سنة»^(١).

وقال مجاهد: «ووجدك ضالاً؛ يعني عن الهدى، فهذاك لدينه»^(٢).

قال أصحابنا^(٣): «وهذا مما يستدرك بالسمع، فأما العقل فجائز في المعقول أن يكون الشخص كافراً فيرزقه الله الإيمان، ويكرمه بالنبوة، وجائز في العقل الخلع عن النبوة».

(١) ورد بمعناه في المراجع السابقة، وانظر: جامع البيان ٣٠/٢٣٢، والنكت والعيون ٦/٢٩٤، وتفسير السُّدِّي ٤٧٨.

(٢) ورد نحوه في التفسير الكبير ٣١/٢١٦. قلت: وهذه الأقوال من المفسرين ممن أجروا معناها على ظاهر الآية من الفريق الذين يجوزون الكفر على الأنبياء في وقت من الأوقات قبل البعثة، وقد أشار إلى مثل ذلك الإمام الطبري في جامع البيان ٥/٧، ٢٥٠، ٢٥١ عند تفسيره قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ إلى آخر قوله: ﴿قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [الأنعام ٧٦، ٧٧]، وأشار إلى ذلك أيضاً ابن تيمية - رحمه الله - في مجموع الفتاوى ١٠/٣١٠ بقوله: «والتائب من الكفر والذنوب قد يكون أفضل ممن لم يقع بالكفر والذنوب، وإذا كان فالأفضل أحق بالنبوة ممن ليس مثله في الفضيلة». انظر: منهج السفاريني في أصول الدين ٢/٣٥٩.

(٣) وهو ما ذهب إليه القاضي أبو بكر الباقلاني، وبيّنه الكمال بن الهمام في شرحه للمسامرة. ومما جاء في هذه المسألة في المسامرة: قال ابن الهمام: «أما موجب العقل، فهو التجويز والتوبة، فالعقل لا يمنع وقوعه ثم محو أثره بالتوبة قبل النبوة، فإن قيل: تجويز وقوعه منهم ينافي ما يقتضيه شريف منصبهم من وجوب تصديقهم، وتوقيدهم، وعدم اتصافهم بما ينفر منهم، وأي منفر أشد من الكفر؟ وكيف يوثق بطهارة الباطن من أثره؟ قلنا: قد أجاب القاضي عن ذلك بقوله: ثم إظهار المعجزة؛ أي بعد وقوع التوبة عنه يدل على صدقهم، وعلى طهارة سريرتهم، أي نقاء قلوبهم من أدناس المعاصي، فيجب لذلك توقيدهم، ويندفع التفور عنهم». انظر: المسامرة في شرح المسامرة في علم الكلام للكمال بن أبي شريف بن الهمام ١/٨١، ٨٢.

٨. قوله : ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ . العائل الفقير ذو العيلة ذكرنا ذلك عند قوله : ﴿لَا تَعُولُوا﴾^(١) [النساء: ٣] . ويدل على أن المراد بالعائل الفقير ما روي أن في مصحف عبدالله : (ووجدك عدياً)^(٢) .

قال مقاتل : «يعني فقيراً فأغناك الله»^(٣) .

وقال عطاء : «كنت عيال أبي طالب ، فأغناك بخديجة»^(٤) .

وقال الكلبي : «رضاك بما أعطاك من الرزق»^(٥) .

وقد حصل في (أغناك) ثلاثة أقوال :

أحدهما : أغناك بالمال بعد الفقر ، وكذا كان حال رسول الله ﷺ كان فقيراً لا مال له حتى فتح الله عليه الفتوح ، وأعطاه المغنم .

والثاني : أغناك بخديجة عن مال أبي طالب ومسكنه .

(١) في (أ) : (تعولوا) هكذا وردت في كلتا النسختين ، وهو تصحيف .

(٢) ورد في جامع البيان ٢٢٣/٣٠ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٢٧٤/٣ ، والدر المنثور ٥٤٥/٨ منسوباً إلى ابن الأنباري في المصاحف عن الأعمش ، وفي مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ١٧٥ ، وفيه (ووجدك غريباً) بدلاً من (عدياً) ، قلت : وهذه القراءة من باب التفسير ، وليست من القراءة القرآنية ؛ وذلك لشذوذها وضعفها ، والله أعلم .

(٣) تفسير مقاتل ٢٤٣أ ، وقد ورد عنه في البحر المحيط ٤٨٦/٨ : «(فأغنى) رضاك بما أعطاك من الرزق» .

(٤) ورد في زاد المسير ٢٠٧/٨ منسوباً إلى جمهور المفسرين ، وورد من غير نسبة في الكشف والبيان ١١١/١٣ ، ومعالم التنزيل ٤٩٩/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٩٩/٢٠ ، وفتح القدير ٥٨/٥ .

(٥) ورد في زاد المسير ٢٧٠/٨ ، وفتح القدير ٥٨/٥ ، وورد نحوه عن مقاتل . انظر : الكشف والبيان ١١١/١٣ ، ومعالم التنزيل ٤٩٩/٤ ، والمحرق الوجيز ٤٩٤/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٩٩/٢٠ ، والبحر المحيط ٤٨٦/٨ .

والثالث : أرضاك وقنعك .

قال الفرّاء : «لم يكن غنى^(١) عن كثرة ، ولكن الله رضاه بها أناه^(٢) ، وذلك حقيقة الغنى^(٣) .

ثم أوصاه باليتامى ، والفقراء فقال :

٩ . ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ . قال ابن عباس : «هذا أدب من الله لنبیه وللمؤمنين»^(٤) .

وقال مجاهد^(٥) ، ومقاتل^(٦) : «لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيمًا» .

وقال الفرّاء^(٧) ، والزّجاج^(٨) : «لا تقهره على ماله ، فتذهب بحقه لضعفه ، وكذا كانت العرب تفعل في أمر اليتامى تأخذ أموالهم ، ويظلمونهم حقهم ، فغلظ الله - تعالى - الخطاب لنبیه ﷺ في اليتيم ، وكذلك^(٩) مَنْ لا ناصر له يغلظ في أمره ، وهو نهى لجميع المكلفين» .

(١) في (أ) : (غناء) .

(٢) ورد في معاني القرآن ٣/ ٢٧٤ بنصه .

(٣) في (أ) : (المعنى) .

(٤) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٥) ورد بمعناه في جامع البيان ٣٠/ ٢٣٣ ، والنكت والعيون ٦/ ٢٩٥ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٠٠ ، وزاد المسير ٨/ ٢٧٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٠٠ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٨٦ ، وفتح القدير ٥/ ٤٥٨ .

(٦) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٧) معاني القرآن ٣/ ٢٧٤ .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٤٠ .

(٩) في (أ) : (فكذلك) .

١٠. (وقوله)^(١): ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا نَنْهَرْ﴾^(٢). قال المفسرون: «(يريد)^(٣) والسائل على الباب . يقول : لا تنهره إذا سألَكَ ، فقد كنت فقيراً ، فإمّا أن تطعمه ، وإمّا أن ترده ردّاً ليناً» ، وهذا قول الكلبي^(٤) ، ومقاتل^(٥) ، (والفرء)^(٦)^(٧) ، والزَّجَّاج^(٨) ، ونحو هذا قال قتادة في هذه الآية : «لرد السائل برحمة ولين»^(٩).

يقال : نهره وانتهره ، إذا استقبله بكلامه تزجره به^(١٠).

قال أهل المعاني : «وهو إيساع الأغلاط بالصياح في الوجه»^(١١).

وقد ذكرنا أن أصل تصير^(١٢) هذه^(١٣) الكلمة للسعة^(١٤).

-
- (١) ما بين القوسين ساقط من (ع) .
 (٢) في (أ) : (تقهر) .
 (٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
 (٤) ورد في معالم التنزيل ٤ / ٥٠٠ منسوباً إلى المفسرين .
 (٥) ورد بمعناه في تفسير مقاتل ٢٤٣ ب .
 (٦) معاني القرآن ٣ / ٢٧٥ .
 (٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
 (٨) معاني القرآن وإعراجه ٥ / ٣٤٠ .
 (٩) ورد في النكت والعيون ٦ / ٢٩٥ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٥٠٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٥٩ ، والدر المنثور ٨ / ٥٤٥ منسوباً إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وفتح القدير ٥ / ٤٥٩ .
 (١٠) انظر : تهذيب اللغة (نهر) ٦ / ٢٧٨ ، ولسان العرب (نهر) ٥ / ٢٣٩ .
 (١١) لم أعثر على مصدر لقولهم .
 (١٢) (تصد) في كلتا النسختين .
 (١٣) في (أ) : (هذا) .
 (١٤) نهر نهر : واسع . انظر : تهذيب اللغة (نهر) ٦ / ٢٧٧ ، وجاء في مقاييس اللغة (نهر) ٥ / ٣٦٢ : «أصل صحيح يدل على تفتح شيء ، أو فتحه» .

وروي عن الحسن في هذه الآية^(١) فقال : «أما إنه ليس بالسائل الذي يأتيك ؛ لكن طالب العلم»^(٢) . (وهو قول يحيى بن آدم^(٣) ، قال : «إذا جاءك طالب العلم»^(٤) فلا تنهره»^(٥) .

وعلى هذا ، السائل هاهنا الذي يسأل عن علم ليتعلمه .

١١ . قوله : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ . قال مجاهد : «بالقرآن»^(٦) .

وقال الكلبي : «يعني فأظهرها ، وكان القرآن أعظم ما أنعم الله به عليه ، فأمره أن يقريه»^(٧) .

قال الفرّاء : «كان [يقرؤه و]^(٨) يحدث به ، وبغيره من نعم الله»^(٩) . فعلى هذه ، النعمة هي القرآن ، والتحديث^(١٠) به أن يقرأه ، ويقرئ غيره .

(١) بياض في (ع) .

(٢) ورد في الكشف والبيان ١١٢/١٣ ، ومعالم التنزيل ٥٠٠/٤ ، والمحزر الوجيز ٤٩٥/٥ ، والتفسير الكبير ٣١/٢٢٠ بمعناه ، والبحر المحيط ٨/٤٨٧ بمعناه .

(٣) تقدّمت ترجمته في سورة التوبة .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) الكشف والبيان ١١٢/١٣ ب ، وزاد المسير ٨/٢٧٠ .

(٦) المرجعان السابقان ، وانظر : معالم التنزيل ٥٠٠/٤ ، والمحزر الوجيز ٤٩٥/٥ ، والتفسير الكبير ٣١/٢٢١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠٢/٢٠ ، وفتح القدير ٥٤٩/٥ ، وورد في الدر المنثور ٨/٥٤٥ منسوباً إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٧) ورد معنى قوله في الكشف والبيان ١١٢/١٣ ب ، ومعالم التنزيل ٥٠٠/٤ ، وفتح القدير ٥٥٩/٥ .

(٨) (يقريه) هكذا وردت في كلتا النسختين ، وكذلك بغير واو عاطفة ، وأثبت ما جاء في مصدر القول لاستقامة الكلام به وصحته .

(٩) معاني القرآن ٣/٢٧٥ .

(١٠) في (أ) : (التحدث) .

وروى (أبو بشر)^(١) عن مجاهد، قال: «بالنبوة التي أعطاك ربك، وهي أصل النعم»^(٢).

واختار الزَّجَّاج فقال: «أي بلغ ما أرسلت به، وحدث بالنبوة التي أتاك، وهي (أجل)^(٣) النعم»^(٤).

وقال مقاتل: «يعني اشكر لما ذكر من النعمة عليك في هذه السورة: من الهدى بعد الضلال، وجبر اليتيم، والإغناء بعد العيلة، فاشكر هذه النعم»^(٥).

يدل على صحة هذا ما روي في الحديث أن النبي ﷺ قال: «والتحدث بنعم الله شكر»^(٦).

-
- (١) ما بين القوسين ساقط من (أ).
- (٢) ورد في جامع البيان ٣٠/٣٣٣، والكشف والبيان ١٣/١١٢ ب، ومعالم التنزيل ٤/٥٠٠، وزاد المسير ٨/٢٧٠، والتفسير الكبير ٣١/٢٢١، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٠٢، وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٦٠، وفتح القدير ٥/٤٥٩، والدر المنثور ٨/٥٤٥ منسوباً إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر.
- (٣) (أصل): في كلتا النسختين، وأثبت ما جاء في مصدر القول.
- (٤) معاني القرآن وإعرابه ٥/٣٤٠.
- (٥) ورد معنى قوله في تفسير مقاتل ٢٤٣ ب، ومعالم التنزيل ٤/٥٠٠، وزاد المسير ٨/٢٧٠، وفتح القدير ٥/٤٥٩.
- (٦) وردت الرواية عن النعمان بن بشير، قال: قال النبي ﷺ على المنبر: «مَنْ لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، وَمَنْ لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر، والجماعة رحمة، والفرقة عذاب»، وقد رواه الإمام أحمد في المسند ٤/٢٧٨، ٣٧٥، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، باب لزوم الجماعة، وطاعة الأئمة، والنهي عن قتالهم ٥/٢١٧، ٢١٨: «ورواه عبدالله بن أحمد، والبزار، والطبراني، ورجلهم ثقات»، وقال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٤/٥٥٩: «وإسناده ضعيف...»، وقال السيوطي في الدر المنثور ٨/٥٤٥: «أخرج عبدالله بن أحمد في زوائد المسند، والبيهقي في شعب الإيمان ٦/٥١٦ ح ٩١١٩ بسند ضعيف عن أنس بن بشير»، وورد في الكشف والبيان ١٣/١١٢ ب، والمحزر الوجيز ٥/٤٩٥، ولباب التأويل ٤/٣٨٨، وورد في الكشف والبيان ١٣/١١٢ ب، والمحزر الوجيز ٥/٤٩٥، ولباب التأويل ٤/٣٨٨.

وروي عن الحسن^(١) بن علي في هذه الآية قال : «إذا أصبت خيراً فحدّث
إخوان ثقتك»^(٢) .

* * *

(١) في (ع) : (الحسين) .

(٢) ورد معنى قوله في النكت والعيون ٦ / ٢٩٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١٠٢ ، والدر المنثور ٨ / ٥٤٥ منسوباً إلى ابن أبي حاتم ، وجميعها عن الحسن بن علي .

تفسير

سورة ألم نشرح^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ . ذكرنا معنى الشرح عند قوله تعالى : ﴿يَشْرَحْ صَدْرُهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]^(٢) ، وقوله : ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الزمر: ٢٢] .

ومعناه في اللغة : الفتح^(٣) بإذهاب ما يصد عن الإدراك ، والله - عز وجل - قد فتح صدر نبيه ﷺ بإذهاب الشواغل التي تصد عن إدراك الحق .

(١) مكية بالإجماع لا خلاف بينهم في ذلك . انظر : جامع البيان ٢٣٤ / ٣٠ ، وبحر العلوم ٤٨٦ / ٣ ، والكشف والبيان ١١٣ / ١٣ ، والنكت والعيون ٢٩٦ / ٦ ، ومعالم التنزيل ٤٠١ / ٤ ، والمحرو الوجيز ٤٩٦ / ٥ .

(٢) قال الليث في تفسيرها : «شرح الله صدره فانشرح ؛ أي وسَّع الله صدره لقبول الخير فتوسَّع» ، وقال غيره : «شرح فلان أمره إذا أوضحه وأظهره ، وشرح مسألة إذا كانت مشككة فيَّينها» ، وقال ابن الأعرابي : «الشرح الفتح ، والشرح البيان . . .» .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (شرح) ١٧٩ / ٤ ، ومقاييس اللغة (شرح) ٢٦٩ / ٣ ، ولسان العرب (شرح) ٤٩٧ / ٢ .

قال ابن عباس في هذه الآية : « قالوا يا رسول الله ، أين شرح الصدر ؟ قال : «نعم» . قالوا يا رسول الله ، فلذلك علامة يعرف بها ؟ قال : «نعم : التجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والإعداد للموت قبل نزوله»^(١) .

فأشار ﷺ إلى ذهاب الشواغل التي تصد عن حقيقة الإيمان ، وذلك أن صدق الإيمان بالله ووعده ووعيده يوجب للإنسان الزهد في الدنيا ، والرغبة في الآخرة ، والاستعداد للموت ، فإنه باب الآخرة ، وهذا معنى قول الحسن في هذه الآية : «ملئ حكماً وعلماً»^(٢) ؛ يعني أن معنى : مَنْ شرح صدره ؛ أي ملأه الله علماً وحكماً حتى علم حقيقة الأشياء ، وحكم لها^(٣) بحكمها على حقيقة الدنيا ، وأنها فانية فتركها ، وأن الآخرة باقية فرغب فيها ، وكذلك كل شيء .

(١) الحديث أخرجه الطبري في جامع البيان : م ٢٧ / ٨ ٥ بمعناه من طريق ابن مسعود ، ومن طريق عبدالله بن المسور ، وأخرجه الدارقطني في العلل ١٨٨ / ٥ ، ١٨٩ ، رقم ٨١٢ بطرق مختلفة عن ابن مسعود ، وقال : «الصواب عن عمرو بن مرة ، عن أبي جعفر عبدالله بن المسور مرسلاً عن النبي ﷺ كذلك قال الثوري ، ثم قال : وعبدالله بن المسور بن عون بن جعفر بن أبي طالب هذا متروك» ، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ٢٥٧ / ١ من طريق خالد بن أبي كريمة ، عن عبدالله بن المسور ، وقال عنه البيهقي : «وهذا منقطع» ، وأخرجه أيضاً من طريق عمرو بن مرة عن أبي جعفر المدائني ، وأورده ابن كثير في تفسيره ١٨١ / ٢ عند تفسير سورة الأنعام ، الآية ١٢٥ بطرق مختلفة ، ثم قال : «فهذه طرق لهذا الحديث مرسلة ومتصلة يشد بعضها بعضاً ، والله أعلم» ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣ / ٣٥٥ عند تفسير سورة الأنعام ، الآية ١٢٥ من طريق ابن مسعود ، ونسبه إلى ابن شيبه ، وابن أبي الدنيا ، وابن جرير ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه ، والحاكم ، والبيهقي في الشعب في طريق عن ابن مسعود ، وأورده الحاكم في المستدرک في كتاب الرقاق ٣١١ / ٤ .

(٢) ورد في النكت والعيون ٢٩٦ / ٦ ، والكشاف ٢٢١ / ٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠٤ / ٢٠ ، وتفسير الحسن البصري ٤٢٦ / ٢ ، والدر المنثور ٥٤٧ / ٨ منسوباً إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٣) في (أ) : (بها) .

وقال الكلبي : «يقول : ألم يلين قلبك للإسلام ؟ ثم ذكر أن جبريل غسل قلبه بباء زمزم ، وأنقاه مما كان فيه من المعاصي ، وملاؤه علماً وإيماناً»^(١) .

وعلى هذا ، معنى شرح صدره : أنقاه مما كان فيه من حظ الشيطان ، وتخليصه للإيمان ، والإسلام ، والحق ، والتوحيد ، حتى لا يكون فيه للشيطان نصيب . وذكرنا في سورة الضحى سبب نزول هذه السورة .

وقوله : ﴿الَمْ دَشَّرَحْ﴾ استفهام معناه التقرير ؛ أي قد فعلنا ذلك^(٢) ، يدل على هذا قوله في النسق عليه :

٢ . ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ . قال المبرد : «هذا محمول على معنى (ألم نشرح) لا على لفظه ؛ لأنك لا تقول : ألم وضعنا ، ولكن معنى : (ألم نشرح) قد شرحنا ، فحمل الثاني على معنى الأول ، لا على ظاهر اللفظ ؛ لأنه لو كان معطوفاً على ظاهره لوجب أن يقال : ونضع عنك وزرك»^(٣) ، و(نحو)^(٤) هذا قال^(٥) صاحب النظم .

(١) ورد معنى قوله في بحر العلوم ٣/ ٤٨٩ ، وقد ورد حديث صحيح في معنى قوله . انظر : صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب (٦) ٣/ ٦٣ ح ٣٨٨٧ ، وكتاب مناقب الأنصار ، باب (٤٢) ٢/ ٤٢٢-٤٢٤ ح ٣٢٠٧ ، وصحيح مسلم في كتاب الإيمان ، باب (٧٤) وغيرهما ١/ ١٤٩ ، ١٥٠ ح ٢٦٤ .

(٢) قال السمين الحلبي في الدر المصون ٦/ ٥٤٠ : «الاستفهام إذا دخل على النفي قرّره ، فصار المعنى : قد شرحنا ، ولذلك عطف عليه الماضي» .

(٣) ورد في التفسير الكبير ٣٢/ ٤ ، وذكر نحوه في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٠٥ ، وفتح القدير ٥/ ٤٦١ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) في (أ) : (ذكر) .

ومعنى الوزر: ثقل الذنب^(١)، وقد مرَّ تفسيره عند قوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١]^(٢).

قال ابن عباس^(٣) في رواية الكلبي، (والحسن^(٤))^(٥)، و قتادة^(٦)، (والضحاك^(٧))، ومقاتل^(٨))^(٩): «حططنا^(١٠)» عنك إثمك الذي سلف منك في الجاهلية، وهذا كقوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، وقد مرَّ الكلام فيه^(١١).

- (١) قال بذلك قتادة، وابن زيد، والحسن، وجهور المفسرين. انظر: المحرر الوجيز ٤٩٦/٥.
- (٢) مما جاء في تفسيرها: الأوزار: الأثقال، من الإثم، قال ابن عباس: «يريد آثامهم وخطاياهم»، وقال أهل اللغة: «الوزر: الثقل وأصله من الحمل، يقال: وزرت الشيء؛ أي حملته، أزره وزراً، ثم قيل للذنوب: أوزار، لأنها تنقل ظهر من يحملها»، وقال أبو عبيد: «يقال للرجل إذا بسط ثوبه فجعل فيه المتاع: سألح وزرك، وأوزار الحرب: أثقالها من السلاح، ووزير السلطان الذي يزر عنه أثقال ما يسند إليه من تدبير الولاية أي يحمل...».
- (٣) ورد في زاد المسير ٢٧١/٨ من غير ذكر طريق الكلبي.
- (٤) الكشف والبيان ١١٣/١٣، ومعالم التنزيل ٥٠١/٤، وزاد المسير ٢٧١/٨، وفتح القدير ٤٦١/٥، وتفسير الحسن البصري ٤٢٧/٢.
- (٥) ما بين القوسين ساقط من (أ).
- (٦) الكشف والبيان ١١٣/١٣، ومعالم التنزيل ٥٠١/٤، وزاد المسير ٢٧١/٨، والتفسير الكبير ٤/٣٢، وفتح القدير ٤٦١/٥.
- (٧) ورد في المراجع السابقة عدا التفسير الكبير، وتفسير الحسن.
- (٨) فتح القدير ٤٦١/٥.
- (٩) ما بين القوسين ساقط من (أ).
- (١٠) في (أ): (حططت).
- (١١) مما جاء في تفسير قوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾: قال أبو العباس: «وقوله: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ قال مقاتل: «يعني ما كان في الجاهلية، وما تأخر بعد النبوة». وروي عن ابن عباس: «أي ما كان عليك من إثم الجاهلية، وما تأخر مما يكون»، وقال عطاء الخراساني: «(ما تقدم من ذنبك)؛ أي ذنب أبويك آدم، وحواء، وبركتك، (وما تأخر)؛ يعني من ذنوب أمتك بدعوتك»، وقال سفيان الثوري: «﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾: ما عملت في الجاهلية، ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾: يعني ما لم تعمله».

ثم وصف ذلك الوزر ، فقال :

٣. ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ . قال المفسرون : أثقل ظهره ، وهو قول ابن عباس^(١) ، ومجاهد^(٢) ، وقتادة^(٣) ، ومقاتل^(٤) ^(٥) .

قال علماء اللغة : الأصل فيه أن الظهر إذا أثقله الحمل سُمع له نقيض ؛ أي صوت خفي ، كما ينقض الرجل بحماره إذا ساقه ، فأخبر الله (أنه غفر لنبيه ﷺ) أوزاره التي كانت تراكمت على ظهره حتى أثقلته ، وأنها لو كانت أحمالاً حملت على ظهره لسمع لها نقيض^(٦) .

قال أبو إسحاق : «﴿أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ ؛ أثقله حتى سمع له نقيض ؛ أي صوت»^(٧) .

وهذا مثل ، يعني أنه مثل بما يثقل حتى يسمع نقيض الظهر .

ويقال أيضاً : أنقض الظهر ؛ أي صار إلى هذه الحالة ، قال الشاعر :

وَحُزْنٌ تُنْقِضُ الْأَضْلُعُ مِنْهُ مُقِيمٌ فِي الْجَوَانِحِ لَنْ يَزُولَا^(٨)

(١) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٢) تفسير مجاهد ٧٣٦ .

(٣) ورد معنى قوله في تفسير عبدالرزاق ٣٨٠ / ٢ ، وجامع البيان ٢٣٤ / ٣٠ .

(٤) تفسير مقاتل ٢٢٤٤ أ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) نقله عن تهذيب اللغة (نقض) ٣٤٤ / ٨ بتصرف يسير ، وانظر : لسان العرب (نقض) ٢٤٤ / ٧ ، وتاج

العروس (نقض) ٩٤ / ٥ .

(٧) لم أجد قوله في المعاني ، وقد ورد في الوسيط ٥١٦ / ٤ .

(٨) ورد البيت غير منسوب في تهذيب اللغة (نقض) ٣٤٥ / ٨ ، ولسان العرب (نقض) ٢٤٤ / ٧ ، وتاج

العروس (نقض) ٩٤ / ٥ .

ويقال^(١) : أنقضت المِحْجَمَة^(٢) ، إذا سُمع لها صوت ، وأنقاض الفرخ من ذلك .

يقال^(٣) : أنقض إنقاضاً ، ومنه قول ذي الرمة :

... أنقاضُ الفَرَارِيجِ^(٤)

قال قتادة في هذه الآية : « كانت للنبي ﷺ ذنوب قد أثقلته فغفرها^(٥) له^(٦) » .

هذا الذي ذكرنا في الآيتين على قول من يقول : كانت له ذنوب سلفت منه في الجاهلية قبل النبوة^(٧) .

(١) هذا القول قاله الليث كما في تهذيب اللغة (نقض) ٣٤٥ / ٨ ، وقد نقله عنه ، وانظر : لسان العرب (نقض) ٢٤٤ / ٧ ، وتاج العروس (نقض) ٩٤ / ٥ .

(٢) المحجمة : ما يحجم به ، وهي القارورة . انظر : لسان العرب (حجم) ١١٧ / ٢ .

(٣) قال به أبو زيد ، وقد نقله عن تهذيب اللغة (نقض) ٣٤٥ / ٨ .

(٤) البيت كاملاً :

كَأَنَّ أَصْوَاتَ مَنْ إِيغَالِهِنَّ بَنَّا
أَوَاخِرَ الْمَيْسِ أَنْقَاضُ الْفَرَارِيجِ

وقد ورد في ديوانه ٩٩٦ / ٢ ، انظر : مراجع اللغة السابقة .

الإيغال : المضي والإبعاد . والميس : الرّحل . والمعنى : يريد أن رحلهم جديدة ، وقد طال سيرهم ، فبعض الرّحل يحك بعضاً ، فيحصل مثل أصوات الفَرَارِيجِ من اضطراب الرّحال ، ولشدة السير . انظر : ديوانه ٩٩٦ / ٣ .

(٥) في (أ) : (يغفرها) .

(٦) تفسير عبدالرزاق ٣٨٠ / ٢ ، وجامع البيان ٢٣٤ / ٣ ، والنكت والعيون ٢٩٧ / ٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠٥ / ٢٠ .

(٧) سبق القول في مثل هذه المسألة عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴾ [الضحى : ٧] .

وذهب قوم إلى أن المراد بهذا: الصغائر، والخطأ، والسهو، وإنما وصف ذلك بإنقاض الظهر مع كونها مغفورة لشدة اغتمام^(١) النبي ﷺ بوقوعه منه، وتحسره مع ندمه عليه^(٢).

وقوم يذهبون إلى أن هذا تخفيف أعباء النبوة التي تثقل الظهر من القيام بأمرها، وحفظ موجباتها، والمحافظة على حقوقها، سهّل الله ذلك عليه، (وخط عليه)^(٣) ثقلها بأن يسرها عليه حتى تيسرت، وذكر متّنه عليه بذلك، (وهذا معنى قول الكسائي^(٤)، وجويبر عن الضحاك^{(٥)(٦)(٧)}).

(١) في (أ): (اهتمام).

(٢) من القائلين بذلك الحسين بن الفضل، انظر قوله في الكشف والبيان ١٣/١١٣ ب، والجامع لأحكام القرآن ١٠٦/٢٠، وهو ضمن القائلين بعصمة الأنبياء بعد البعثة من الكفر والكبائر، وفي كل ما يتعلق بالتبليغ. أمّا صغائر الذنوب والسهو والنسيان فتصدر عنهم كما دل على ذلك ظاهر القرآن والسنة، بيد أنهم لا يُقرُّون على الخطأ، وإذا وقع منهم ذنوب فإنهم يتوبون، ويكونون أحسن حالاً بعد التوبة، وهذا هو قول جمهور أهل السنة والجماعة. انظر: منهاج السنة لابن تيمية ١/٤٧٠-٤٧٢، ومجموع الفتاوى ١٠/٣٠٩-٣١٣، وانظر أيضاً: منهج السفاريني في أصول الدين ٢/٣٦٤. قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٤/٣١٩: «فإن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر، هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر أبو الحسن الآمدي أن هذا قول أكثر الأشعرية، وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء؛ بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول». انظر: منهج السفاريني ٢/٣٦٤.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٤) لم أعثر على مصادر لقوله.

(٥) لم أعثر على مصادر لقوله.

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٧) ممن قال بذلك أيضاً عبدالعزيز بن يحيى، وأبو عبيدة، ومحمد بن المكرم. انظر: الكشف والبيان ١٣/١١٣ ب، ومعالم التنزيل ٤/٥٠٢، ولسان العرب (نقض) ٧/٢٤٤.

٤. قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾. قال جماعة المفسرين: «لَا ذُكِرْتُ إِلَّا ذُكِرْتَ مَعِيَ»^(١).

وشرح ذلك ابن عباس في ما روى (عنه)^(٢) عطاء، فقال: «يريد الأذان، والإقامة، والتشهد، ويوم^(٣) الجمعة، وعلى المنابر، ويوم الفطر، ويوم النحر، ويوم عرفة، وأيام التشريق، وعند الجمار، وعلى الصفا والمروة، وخطبة النكاح، وحول الكعبة، وفي كل موطن، وعلى الدنانير والدراهم، وكلمة الشهادة، ولو أن رجلاً عبد الله وصدقته في كل شيء، ولم يشهد أن محمداً رسول الله لم ينتفع بشيء، وكان كافراً»^(٤)، وإلى هذا أشار حسان بن ثابت في قوله:

وَضَمَّ إِلَهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَذِّنُ أَشْهَدُ^(٥)

ثم وعده اليسر، والرخاء بعد الشدة، وذلك أنه كان بمكة في شدة، وهو قوله:

٥. ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾. قال الكلبي: «مَعَ الْفَقْرِ سَعَةٌ»^(٦).

(١) حكاه عن جمهور المفسرين ابن الجوزي في زاد المسير ٢٧٢/٨، ومن قال به ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، وأبو سعيد الخدري، والضحاك، ومحمد بن كعب، والحسن، وأنس مرفوعاً، وعدي بن حاتم مرفوعاً. انظر: جامع البيان ٢٣٥/٣٠، والكشف والبيان ١١٣/١٣ ب، والنكت والعيون ٢٩٧/٦، وتفسير القرآن العظيم ٥٦١/٤، والدر المنثور ٥٤٨/٨، ٥٤٩.

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٣) في (أ): (يوم) بغير واو.

(٤) ورد قوله برواية الضحاك عن ابن عباس في الجامع لأحكام القرآن ١٠٦/٢٠، ١٠٧.

(٥) ورد البيت في ديوانه ٤٧، طبعة دار صادر، وورد في معالم التنزيل ٥٠٢/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٠٦/٢٠، وللباب التأويل ٣٨٩/٤، والبحر المحيط ٤٨٨/٨، وتفسير القرآن العظيم ٥٦١/٤، وفتح القدير ٤٦٢/٥، وروح المعاني ١٦٩/٣٠.

(٦) الوسيط ٥١٧/٤.

وقال مقاتل : «يعني تتبع الشدة الرخاء»^(١) .

٦ . ثم ذكر (بعد)^(٢) ذلك فقال : ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ .

قال ابن عباس في رواية عطاء : «يقول الله تعالى : (خلقت عسراً واحداً ، وخلقت يسرين ، فلن يغلب عسر يسرين)»^(٤) ، (ونحو هذا قال الكلبي)^(٥) ،^(٦) .

وقال مقاتل : قال النبي ﷺ : «عند ذلك لن يغلب ؛ إن شاء الله ، عسر واحد يسرين»^(٧) . ونحو هذا قال الحسن ، وذكر^(٨) أن النبي ﷺ قال : «لن يغلب عسر يسرين» ، وقرأ الآيتين^(٩) .

(١) المراجع السابقة .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٣) في (ع) : (فأين) .

(٤) ورد قوله مختصراً ، ومن غير ذكر عطاء في بحر العلوم ٣ / ٤٩٠ ، والتفسير الكبير ٣٢ / ٦ ، وزاد المسير ٨ / ٢٧٢ .

(٥) لم أعثر على مصدر لقوله ، وقد ورد نحوه من طريقه عن أبي صالح عن ابن عباس في معاني القرآن ٣ / ٣٧٥ .

(٦) ما بين القوسين ساقط من نسخة (أ) .

(٧) تفسير مقاتل ٢٤٤ ، والتفسير الكبير ٣٢ / ٦ .

(٨) في (أ) : (ذكروا) .

(٩) رواه الحاكم في المستدرک في کتاب التفسیر ، باب سورة ألم نشرح ٢ / ٥٢٨ ، وقال عنه : «إسناده مرسل» ، ووافقه الذهبي ، وقال ابن حجر : «أخرجه عبدالرزاق ، عن معمر ، عن أيوب ، عن الحسن به مرسلًا ، ومن طريقه أخرجه الحاكم ، والبيهقي في الشعب ، ورواه الطبري من طريق أبي ثور ، عن معمر . وله طريق أخرى أخرجه ابن مردويه من رواية عطية عن جابر موصولاً ، وإسناده ضعيف» . انظر : الكافي الشاف ٤ / ١٨٦ ، وشعب الإیمان ٧ / ٢٠٦ ح ١٣ / ١٠٠ ، وورد في تفسير عبدالرزاق ٢ / ٣٨٠ ، وجامع البيان ٣٠ / ٢٣٦ ، وبحر العلوم ٣ / ٤٩٠ ، والكشف والبيان ١٣ / ١١٤ ب ، وفتح الباري ٨ / ٧١٢ ، وأحكام القرآن للجصاص ٣ / ٤٧٣ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٥٠٢ ، والكشاف ٤ / ٢٢٣ ، وتفسير القرطبي ٢٠ / ١٠٧ ، ولباب التأويل ٤ / ٣٨٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٦١ ، والدر المنثور ٨ / ٥٥١ .

ويروى^(١) عن ابن مسعود مثل هذا^(٢).

وكتب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى أبي عبيدة ، وهو محصور أنه مهما تنزل بامرئ شدة^(٣) يجعل الله بعدها فرجاً ، فإنه لن يغلب عسر يسرين^(٤).

(١) في (أ) : (روى).

(٢) ورد معنى قوله في تفسير عبدالرزاق ٣٨١/٢ ، وجامع البيان ٢٣٦/٣٠ ، وبحر العلوم ٤٩٠/٣ ، والكشف والبيان ١١٤/١٣ ب ، ومعالم التنزيل ٥٠٢/٤ ، وزاد المسير ٢٧٢/٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠٧/٢٠ ، والنكت والعيون ٢٩٨/٦ ، ولباب التأويل ٣٨٩/٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٥٦١/٤ . وقال السيوطي في الدر المنثور ٨/٥٥٠ ، ٥٥١ : «ورواه الطبراني ، وابن مردويه بسند ضعيف عن ابن مسعود» ، وقد نسبته إلى سعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن أبي الدنيا في الصبر ، والبيهقي في شعب الإيمان . وقال ابن حجر في فتح الباري ٧١٣/٨ : «وأخرج سعيد بن منصور ، وعبدالرزاق من حديث ابن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ ، وذكر الحديث ، ثم قال : إسناده ضعيف . وقال أيضاً : وأخرجه عبد بن حميد عن ابن مسعود بإسناد جيد من طريق قتادة ، قال : ذكر لنا أن رسول الله ﷺ بشر أصحابه بهذه الآية فقال : «لن يغلب عسر يسرين إن شاء الله» . ورواه الطبراني في مجمع الزوائد في كتاب التفسير (تفسير ألم نشرح) ١٣٩/٧ ، ١٠/٨٥ ح ٩٩٧٧ ، وفيه إبراهيم النخعي ، وهو ضعيف .

(٣) في (ع) : (شديد).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الجهاد ، باب (١) ٣٥٧/١ موقوفاً على عمر ، والحاكم في المستدرک في كتاب التفسير (سورة ألم نشرح) ٥٢٨/٢ ، وقال : «وقد صحت الرواية عن عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب : لن يغلب عسر يسرين» ، ووافقه الذهبي . وقال ابن حجر في الكافي ، في الباب عن عمر ١٨٦/٤ : «ذكره مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم عن أبيه ، وذكر الأثر ، ثم قال : ومن طريقه رواه الحاكم ، وهذا أصح طرقه» ، وقال في فتح الباري ٧١٣/٨ : «وأما الموقوف فأخرجه مالك عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر أنه كتب إلى أبي عبيدة الأثر ، ثم قال : وقال الحاكم : صح ذلك عن عمر ، وعلي ، وهو في الموطأ عن عمر ؛ لكن من طريق منقطع ، وأخرجه عبد بن حميد ، عن ابن مسعود بإسناد جيد ، وأخرجه الفراء بإسناد ضعيف عن ابن عباس . وورد الأثر في المحرر الوجيز ٤٩٧/٥ بمعناه ، والجامع لأحكام القرآن ١٠٧/٢٠ ، والدر المنثور ٨/٥٥٠ منسوباً إلى ابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال : «بعثنا رسول الله ﷺ ونحن ثلاثمائة أو يزيدون ، علينا أبو عبيدة بن الجراح . . . ونزلت : ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ فأرسل نبي الله إلى بعضنا فدعاه ، فقال : «أبشروا فإن الله قد أوحى إلي : ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ولن يغلب عسر يسرين» .

فهذا قول^(١) النبي ﷺ والصحابة ، والمفسرين . على أن العسر واحد ، واليسر اثنان ، وفي ظاهر التلاوة عسران ، ويسران ، إلا أن المراد عسر واحد ؛ لأنه مذكور بلفظ التعريف ، واليسر مذكور بلفظ التنكير مرتين ، فكان كل واحد منهما غير الآخر .

أخبرنا ابن الفارسي عن حمد بن محمد البُستي ، قال : « ذكر لنا أبو عمر ، عن ثعلب ، عن سلمة ، عن الفراء قال : العرب إذا ذكرت نكرة ، ثم أعادتها بنكرة مثلها صارتا اثنتين ، كقولك : إذا كسبت درهماً فأنفق درهماً ، والثاني غير الأول ، وإذا أعادتها معرفة فهي كقولك : إذا كسبت درهماً فأنفق الدرهم ، فالثاني هو الأول »^(٢) .

ونحو هذا قال الزَّجَّاج : « ذكر العسر مع اليسر مع الألف واللام ، ثم ثنى [ذكره]^(٣) ، فصار المعنى : إن مع العسر يسرين »^(٤) .

وتكلم صاحب النظم في هذه السورة ، وأنكر هذا التعليل الذي ذكره الفراء ، والزَّجَّاج ، وقال : (هذا قول مدخول ، [لا]^(٥) يجب على هذا التدريج ، إذا قال الرجل : إن مع الفارس سيفاً ، إن مع الفارس سيفاً ، أن يكون فارس واحد معه سيفان ، ولا يجوز هذا في شيء من العربية ، والصحيح في ذلك أن الله - تعالى - بعث نبيه ﷺ ، وهو مقل ، فكانت قريش تعيَّره بذلك حتى قالوا له : إن كان بك

(١) في (أ) : (يقول) .

(٢) لم أجد قوله في المعاني ، وإنما ورد معنى قوله في التفسير الكبير ٦/٣٢ ، وزاد المسير ٨/٢٧٢ ، وورد من غير نسبة في معالم التنزيل ٤/٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ونسبه إلى المفسرين الثعلبي في الكشف والبيان ١٣/١١٤ ب ، والخازن في لباب التأويل ٤/٣٨٩ .

(٣) (ذكر) في كلتا النسختين ، وأثبت ما جاء في الأصل لصحته .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٥/٣٤١ .

(٥) (لأنه) في كلتا النسختين ، وأثبت ما جاء في الكشف والبيان ١٣/١١٤ ب لصحته .

من هذا القول الذي تدعيه طلب الغنى^(١) جمعنا لك ما لا حتى تكون كأيسر أهل مكة ، فكرث^(٢) النبي ﷺ ذلك ، فظن أن قومه إنما يكذبونه لفقره ، فعدد الله عليه منته في هذه السورة ، ووعد الغنى ، وأنزل : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ^(٣) صَدْرَكَ ۖ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ۖ ﴾ .

أي ما كنت فيه من أمر الجاهلية ؛ لأنه ﷺ كان في كثير من مذاهبه على مذاهب قومه ، وإن لم يكن عبد صنماً ولا وثناً^(٤) ، ثم ابتداء في ما وعده من الغنى في الدنيا ليسليه عما خامره من قول (مَنْ)^(٥) عَيْرَهُ بالفقر فقال : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ ﴾ ، والدليل على ذلك دخول الفاء في قوله : ﴿ فَإِنَّ ۖ ﴾^(٦) ، ودل ذلك على أن التأويل : لا يحزنك ما يقولون ، وما أنت فيه من الإقلال ، فإن مع ذلك يسراً في الدنيا عاجلاً ، ثم أنجز ما وعده ، فلم يمت حتى فتح عليه الحجاز ، وما والاها من القرى العربية ، وعامة بلاد اليمن ، وحي أهل البوادي ، وكان يعطي المئين من الإبل ، ويهب الهبات [السنية]^(٧) ، ويعد لأهله قوت سنة .

ثم ابتداء فصل آخر ، فقال : ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ ﴾ ، والدليل على ابتدائه^(٨) : تعريه^(٩) من فاء ، أو واو ، أو غيرهما من حروف النسق ، وهو وعد عام لجميع المؤمنين ؛ لأنه يعني بذلك أن مع العسر في الدنيا للمؤمنين يسراً في الآخرة لا

(١) في (أ) : (الغناء) .

(٢) كرت : كثره النعم ، يكرثه ، وأكرثه : اشتد عليه ، وبلغ منه المشقة . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ٤ / ١٦١ .

(٣) في (أ) : (لك) ، وهو ضمير زائد على بنية الكلام .

(٤) ما بين شرطتي الاعتراض من قول الإمام الواحدي .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) وذلك لأن الفاء لا تدخل أبداً إلا في عطف أو جواب . انظر : الكشف والبيان ١٣ / ١١٥ .

(٧) غير مقروءة في كلتا النسختين .

(٨) في (أ) : (ابتلاؤه) .

(٩) في (أ) : (تعريه بواو) .

محالة ، وربما اجتمع له اليسران : يسر الدنيا ، وهو ما ذكر في الآية الأولى ، ويسر (في) ^(١) الآخرة ، وهو ما ذكر في الآية الثانية ^(٢) .

وقوله ﷺ : «لن يغلب عسر يسرين» ؛ أي يسر الدنيا والآخرة ^(٣) ، والمعنى : لن يجمعهما في الغلبة ، إنما يغلب أحدهما إن غلب ، وهو يسر الدنيا ، فأما يسر الآخرة للمؤمنين فلا محالة كائن ، ولا يغلبه شيء ، والعسرة بين يسرين : إمّا ^(٤) فرح في الدنيا ، وإمّا ثواب الآخرة ^(٥) . وهذا هو الصحيح في معنى الآية .

وهو أن اليسرين : أحدهما في الدنيا ، والثاني في الآخرة ، إمّا هذا ، وإمّا ذاك ، وربما اجتمعتا ، ويدل على صحة هذا ما ذكر محمد بن إسماعيل البخاري ^(٦) فقال : «قال ابن عيينة : إن مع كل عسر يسراً ، كقوله : ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ [التوبة : ٥٢] ، ولن يغلب عسر يسرين» ^(٧) يعني أن أحد اليسرين يدرك

(١) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٢) ما بين القوسين من قول الجرجاني ، انظر : الكشف والبيان ١٣ / ١١٤ ب ، ١١٥ ، نقله الإمام الواحدي عن الكشف بتصرف ، وانظر أيضاً : نحوه في زاد المسير ٨ / ٢٧٢ ، والتفسير الكبير ٦ / ٣٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١٠٨ ، ولباب التأويل ٤ / ٣٨٩ .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) في (أ) : (أنها) .

(٥) وهذا المعنى ورد عن الثعلبي في الكشف والبيان ١٣ / ١١٥ أ ، وانظر : معالم التنزيل ٤ / ٥٠٣ ، وزاد المسير ٨ / ٢٧٣ .

(٦) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري ؛ صاحب الصحيح ، رحل في طلب الحديث إلى سائر محدثي الأمصار ، توفي ليلة السبت (ليلة الفطر) سنة ٢٥٦ هـ ، ودفن في خرتك . انظر : طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ / ٢٧١ ت ٣٨٧ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢ / ٢ ، وتهذيب الكمال ٢٤ / ٤٣٠ ت ٥٠٥٩ .

(٧) ورد في الجامع الصحيح في كتاب التفسير ، باب (٩٤) ٣ / ٣٢٦ ييسير من التصرف ، وتفسير سفيان بن عيينة ٣٤٧ .

صاحب اليسر لا محالة ؛ إمّا يسر الدنيا ، وإمّا يسر الآخرة ، كما أن المجاهد في سبيل الله لن^(١) يفوته أحد الحسنين .

وذهب بعضهم^(٢) في الآية إلى أنه من مظاهر^(٣) القول الذي يراد به التأكيد ، كقوله : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾^(٤) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿ [التكاثر: ٣-٤] ، ونحوه مما تكرر في القرآن^(٥) ، وهو في الشعر والكلام أيضاً كثير ، كقول الشاعر^(٥) :

هَلَّا سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْدَةَ يَوْمَ وَلَوْ أَيْنَ أَيْنَا^(٦)

ولمّا وعده اليسر في الدنيا والآخرة ، أمره بالجهد في العبادة ، فقال :

٧. ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴾ ؛ أي فاتعب ، يقال^(٧) : نَصَبَ يَنْصَبُ^(٨) .

(١) في (أ) : (أن) .

(٢) كابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٢٣٦ .

(٣) في (أ) : (ظاهر) .

(٤) نحو قوله تعالى : ﴿ أَوَلَيْكَ فَالُوكَ ﴾^(٥) ثُمَّ أَوَلَيْكَ فَالُوكَ ﴿ [القيامة: ٣٤-٣٥] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾^(٦) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿ [الانفطار: ١٧-١٨] . مستفاد من تأويل مشكل القرآن ٢٣٦ .

(٥) البيت لعبيد بن الأبرص .

(٦) ورد البيت في ديوانه ١٤٢ ، طبعة دار صادر ، وتأويل مشكل القرآن ٢٣٦ .

(٧) في (أ) : (فقال) .

(٨) انظر : تهذيب اللغة (نصب) ١٢ / ٢١٠ ، ولسان العرب (نصب) ١ / ٧٥٨ .

قال قتادة^(١)، والضحاك^(٢)، ومقاتل^(٣)، (والكلبي^(٤))^(٥): «إذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب إلى ربك في الدعاء، وارغب إليه في المسألة^(٦) يعطيك»، ونحو هذا روى عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه قال: «إذا صليت فاجتهد في الدعاء والمسألة»^(٧).

وقال الشعبي: إذا فرغت من التشهد فادعُ لدينك وآخرتك^(٨).

ونحو هذا قال الزهري: «إذا قضيت التشهد فادعُ بعد التشهد بكل حاجتك»^(٩).

-
- (١) ورد معنى قوله في تفسير عبدالرزاق ٢/٣٨١، وجامع البيان ٣٠/٢٣٧، وأحكام القرآن للجصاص ٤٧٣/٣، والكشف والبيان ١٣/١١٦ ب، ومعالم التنزيل ٤/٥٠٣، والمحرم الوجيز ٥/٤٩٧، والتفسير الكبير ٣٢/٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٠٨، والبحر المحيط ٨/٤٨٨، وفتح القدير ٥/٤٦٢، والدر المنثور ٨/٥٥٢ منسوباً إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
- (٢) ورد في جامع البيان ٣٠/٢٣٦، والكشف والبيان ١٣/١١٦ ب، والنكت والعيون ٤/٥٠٣، وزاد المسير ٨/٢٧٣ مختصراً، والتفسير الكبير ٣٢/٧، وفتح القدير ٥/٤٦٢، والدر المنثور ٨/٥٥٢ منسوباً إلى عبد بن حميد، وابن نصر.
- (٣) تفسير مقاتل ٢٤٤أ، ومعالم التنزيل ٤/٥٠٣، وزاد المسير ٨/٢٧٣، والتفسير الكبير ٣٢/٧، وفتح القدير ٥/٤٦٢.
- (٤) معالم التنزيل ٤/٥٠٣، وفتح القدير ٥/٤٦٢، وإلى مثل هذا ذهب ابن عباس في جامع البيان ٣٠/٢٣٧.
- (٥) ما بين القوسين ساقط من (أ).
- (٦) في (أ): (المسألة).
- (٧) ورد في معالم التنزيل ٤/٥٠٣، والدر المنثور ٨/٥٥١ منسوباً إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم.
- (٨) معالم التنزيل ٤/٥٠٣، وزاد المسير ٨/٢٧٣، والتفسير الكبير ٣٢/٧.
- (٩) ورد معنى قوله في زاد المسير ٨/٢٧٣، وفتح القدير ٥/٤٦٢.

وروى منصور ، عن مجاهد : إذا فرغت بعد أمر دنياك (فانصب) فصل^(١) .

٨ . (قوله تعالى)^(٢) : ﴿وَالِى رَيْكَ فَارْغَبْ﴾ ؛ اجعل رغبتك إلى ربك ونيتك له^(٣) .

وقال عبدالله : «إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل»^(٤) .

وسئل علي بن أبي طلحة عن هذه الآية ، فقال : «القول فيه كبير ، وقد سمعنا أنه يقال : إذا صححت فانصب ، يعني : اجعل صحتك ، وفراغك نصباً في العبادة»^(٥) . وهو قول أبي عبيد ، يدل على هذا ما روي أن شريحاً مَرَّ برجلين يصطرعان ، فقال : «ليس هذا أمر الفارغ ، إنما قال الله : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾»^(٦) .

(١) ورد في جامع البيان ٢٣٧/٣٠ ، والكشف والبيان ١١٦/١٣ ب ، والنكت والعيون ٢٩٩/٦ ، ومعالم التنزيل ٥٠٣/٤ ، والمحرم الوجيز ٤٩٧/٥ بمعناه ، وزاد المسير ٢٧٣/٨ ، والتفسير الكبير ٣٢/٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠٩/٢ ، والبحر المحيط ٤٨٨/٨ ، وفتح القدير ٤٦٢/٥ ، وإليه ذهب ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٥٦٢/٤ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) ورد معنى هذا القول عن مجاهد . انظر : جامع البيان ٢٣٧/٣٠ ، والنكت والعيون ٢٩٩/٦ ، وورد أيضاً عن الثوري . انظر : تفسير القرآن العظيم ٥٦٢/٤ .

(٤) ورد في النكت والعيون ٢٩٨/٦ ، ومعالم التنزيل ٥٠٣/٤ ، وزاد المسير ٢٧٣/٨ ، والتفسير الكبير ٣٢/٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠٨/٢٠ ، ولباب التأويل ٣٩٠/٤ ، وفتح القدير ٤٦٣/٥ ، والدر المنثور ٥٥١/٨ منسوباً إلى ابن المنذر ، وإلى ابن أبي حاتم .

(٥) زاد المسير ٢٧٣/٨ ، والتفسير الكبير ٣٢/٧ .

(٦) ورد قوله في معاني القرآن ٢٧٦/٣ ، والكشف والبيان ١١٦/١٣ ب ، والتفسير الكبير ٣٢/٧ . قال ابن الأعرابي في أحكام القرآن ١٩٥٠/٤ بعد ذكره قول شريح : «وفيه نظر ، فإن الحبش كانوا يلعبون بالدرِّق والحرا ب في المسجد يوم العيد ، والنبي ينظر» ، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة العيدين ، باب (٤) : . . . وليس يلزم الدؤوب على العمل ، بل هو مكروه للخلق ٦٠٩/٢ ح ١٨ .

وقال الحسن^(١)، وزيد بن أسلم^(٢): «إذا فرغت من جهاد العدو فانصب في عبادة ربك، وإلى ربك فارغب».

قال عطاء عن ابن عباس: «يريد تضرع إليه راهباً من النار، وراغباً في الجنة»^(٣).

وقال أبو إسحاق: «أي اجعل رغبتك إلى الله وحده»^(٤).

* * *

(١) ورد قوله في جامع البيان ٢٣٧/٣٠، وأحكام القرآن للجصاص ٤٧٣/٣، والكشف والبيان ١١٦/١٣ ب، والنكت والعيون ٢٩٩/٦، ومعالم التنزيل ٥٠٣/٤، والمحزر الوجيز ٤٩٧/٥، والكشاف ٢٢٢/٤، وزاد المسير ٢٧٣/٨، والجامع لأحكام القرآن ١٠٩/٢٠، والبحر المحيط ٤٨٨/٨، والدر المنثور ٥٥٢/٨، وفتح القدير ٤٦٢/٥، وتفسير الحسن البصري ٤٢٨/٢.

(٢) ورد قوله في جامع البيان ٢٣٧/٣٠، والكشف والبيان ١١٦/١٣ ب، ومعالم التنزيل ٥٠٣/٤، وتفسير القرآن العظيم ٥٦٢/٤، والدر المنثور ٥٥٢/٨ منسوباً إلى ابن حاتم.

(٣) لم أعثر على مصدر لقوله، وقد ورد نحوه عن عطاء في فتح القدير ٤٦٢/٥.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣٤١/٥. قال الجصاص في أحكام القرآن ٤٧٣/٣: «وهذه المعاني كلها محتملة، والوجه حمل اللفظ عليها كلها، فيكون جميعها مراداً، وإن كان الخطاب للنبي فإن المراد به جميع المكلفين».

تفسير



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) مكية في قول الأكثرين ، ومدنية في قول ابن عباس ، وقتادة . انظر : النكت والعيون ٦ / ٣٠٠ ، وزاد المسير ٨ / ٢٧٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١١٠ .

١. ﴿وَالَّذِينَ وَالزَّيْتُونَ﴾ . قال ابن عباس^(١) (في رواية الكلبي)^(٢) : «يعني تينكم وزيتونكم» ، وهو قول الحسن^(٣) ، ومجاهد^(٤) ، وعكرمة^(٥) ، وإبراهيم^(٦)^(٧) ، ومقاتل^(٨) ، قالوا : «هو تينكم الذي تأكلون ، وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت» .

وعلى هذا ، إنما ذكر الله - تعالى - هذا القسم بالتين ؛ لأنه فاكهة مخرصة من [شوائب]^(٩) التنغيص^(١٠) ، وفيه أعظم العبرة لدلالته على^(١١) مَنْ هياها على

(١) ورد قوله في معاني القرآن للفرّاء ٣/ ٢٧٦ ، والكشف والبيان ١٣/ ١١٧ ب من غير ذكر طريق الكلبي ، وبحر العلوم ٣/ ٤٩١ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٠٤ منسوباً إلى ابن عباس ، والكلبي ، والمحمر الوجيز ٥/ ٤٩٩ ، وزاد المسير ٨/ ٢٧٤ ولم يذكر طريق الكلبي ، والتفسير الكبير ٨/ ٣٢ من غير ذكر الكلبي ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١١٠ منسوباً إلى ابن عباس ، والكلبي ، ولباب التأويل ٤/ ٣٩٠ من غير ذكر الكلبي .

(٢) ما بين القوسين ساقط من نسخة (أ) .

(٣) ورد نحوه في جامع البيان ٣٠/ ٢٣٨ ، والكشف والبيان ١٣/ ١١٧ ب ، والنكت والعيون ٦/ ٣٠٠ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٠٤ ، والمحمر الوجيز ٥/ ٤٩٩ ، وزاد المسير ٨/ ٢٧٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١١٠ ، والدر المنثور ٨/ ٥٥٧ منسوباً إلى عبد بن حميد ، والتحرير والتنوير ٣٠/ ٤٢٠ ، وتفسير الحسن البصري ٢/ ٤٢٩ .

(٤) ورد في المراجع السابقة عدا جامع البيان ، والنكت والعيون ، وتفسير الحسن البصري ، وانظر : تفسير مجاهد ٧٣٧ .

(٥) ورد معنى قوله في جامع البيان ٣٠/ ٢٣٨ ، والكشف والبيان ١٣/ ١١٧ ب ، والنكت والعيون ٦/ ٣٠٠ ، وزاد المسير ٨/ ٢٧٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١١٠ ، والتحرير والتنوير ٣٠/ ٤٢٠ .

(٦) ورد في المراجع السابقة ، وانظر : المحمر الوجيز ٥/ ٤٩٩ .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٨) تفسير مقاتل ٢٤٤ ، والكشف والبيان ١٣/ ١١٧ ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٠٤ والمحمر الوجيز ٥/ ٤٩٩ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١١٠ .

(٩) (شايب) هكذا وردت في كلتا النسختين ، وأثبت ما جاء في الوسيط ٤/ ٥٢٣ لسلامة السياق به .

(١٠) التنغيص : أي كدّره . انظر : مختار الصحاح (نقص) ٦٧٠ .

(١١) في (ع) : (عن) .

تلك الصفة ، وخلصها لتكامل اللذة على مقدار اللقمة ، فالله - عز وجل - المنعم به على عباده ، والمنة على ما فيه ليعتبروا ويشكروا .

وقد روى أبو ذر - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال في التين : «لو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة ، قلت هذه ، لأن فاكهة الجنة بلا عجم»^(١) ، فكلوها ، فإنها تقطع البواسير^(٢) ، وتنفع من النقرس^(٣) .

وأما الزيتون فإنه يُعتصر منه الزيت الذي يدور في أكثر الأطعمة مع [الاصطباغ]^(٤) به ، والادّهان ، واتخاذ الصابون ، ثم ما في شجره من أنه مال ييقى على مرور الزمان ، ثم ما فيه من الطيب ، وإصلاح الغذاء ؛ إذا تُنَوَّلَ على الحالة الأولى قبل العصر .

(١) العَجَمُ : النوى ، نوى التمر والنبق . انظر : لسان العرب (عجم) ٣٩١ / ١٢ .

(٢) البواسير : مفردا الباسور ، وهي علةٌ تحدث في المقعدة ، وفي داخل الأنف أيضاً . انظر : الصحاح (بسر) ٥٨٩ / ٢ ، ولسان العرب (بسر) ٥٩ / ٤ .

(٣) النقرس : مرض مزمن يؤدي إلى أورام شديدة في المفاصل ، ويأتي نتيجة فشل الجسم في أداء مهمته الطبيعية لتحليل أنواع معينة من البروتين ، وهذا ينتج عنه زيادة كبيرة في حمض اليوريك تتجمع في الدم ، وداء المفاصل ، ويعدُّ الاستعداد للإصابة بالنقرس وراثياً ، وليس للنقرس علاج حتى الآن ، بيد أن السيطرة عليه ممكنة باتباع التعليمات بصورة دائمة مستمرة . انظر : الموسوعة العربية العالمية ٣٥٦ / ٢٥ . وردت الرواية في الكشف والبيان ١١٨ / ١٣ ، والمحضر الوجيز ٤٩٩ / ٥ ، والكشاف ٢٢٢ / ٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١٠ / ٢٠ . قال ابن حجر في الكافي ١٨٦ / ٤ : «الحديث أخرجه أبو نعيم في الطب ، والثعلبي من حديث أبي ذر ، وفي إسناده من لا يعرف» .

(٤) في (أ) ، و(ع) : (الاصطباح) هكذا وردت في كلتا النسختين ، ولم أتوصل إلى معرفة معناه ، فأثبت ما جاء في النسخة المطبوعة للوسيط ٥٢٣ / ٤ .

وقال قتادة : «التين الجبل الذي عليه دمشق»^(١) ، والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس»^{(٢)(٣)} .

ونحو هذا قال ابن زيد ، إلا أنه خص المسجدين فقال : «التين مسجد دمشق ، والزيتون (مسجد)»^(٤) بيت المقدس»^(٥) .

(١) دمشق : عاصمة الجمهورية العربية السورية ، وأكبر مدينة في البلاد السورية على الإطلاق ، وهي أكثر المدن السورية سكاناً بسبب الهجرة الكثيفة إليها من المناطق المجاورة ، والمدن الأخرى ، يخترقها نهر بردى ، وتحيط بها بساتين الغوطة ، وتشتهر دمشق القديمة بأسواقها المسقوفة ، وأهمها : سوق الحميدية ، وسوق مدحت باشا ، وسوق الحرير ، وأشهر مساجدها : الجامع الأموي ، ومسجد السنانية ، ومن المساجد الحديثة : الجامع الأكرمي في حي المزة ، وتعدُّ الغوطة برمتها مُتَنَزَّهاً لأهالي دمشق بالإضافة إلى حدائق وادي بردى . وقد قيل : سُمِّيَتْ دمشق لأنهم دَمَشَقُوا في بنائها ؛ أي أسرعوا . انظر : الموسوعة العربية العالمية ١٠/٣٦٨-٣٧٢ ، وانظر : معجم البلدان ٢/٤٦٣ .

(٢) بيت المقدس : مدينة مرتفعة على جبال يُصعد إليها من كل مكان يقصدها القاصد من فلسطين ، وفيها المسجد الأقصى ، وليس في بيت المقدس ماء جارٍ سوى عيون لا يتتفع المزروع بها ، وهي من أخصب بلاد فلسطين على مر الأوقات ، وفي سورها موضع يعرف بمحراب داود النبي عليه السلام ، وهو بنية مرتفعة ارتفاعها نحو خمسين ذراعاً من الحجارة ، وفي الأعلى بناء كالحجرة ، هو المحراب . انظر : المسالك والممالك لللاصطخري ٥٦ ، وصورة الأرض لابن حوقل ١٥٨ .

(٣) ورد في تفسير عبدالرزاق ٢/٣٨٢ ، وجامع البيان ٣٠/٢٣٩ ، وبحر العلوم ٣/٤٩١ ، والكشف والبيان ١٣/١١٨ ، ومعالم التنزيل ٤/٥٠٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/١١١ ، والبحر المحيط ٨/٤٨٩ وفتح القدير ٥/٦٤٤ ، والدر المنثور ٨/٥٤٥ ونسبه إلى عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، وابن عساكر .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) جامع البيان ٣٠/٢٣٩ ، والنكت والعيون ٦/٣٠٠ ، ومعالم التنزيل ٤/٥٠٤ ، والمحرر الوجيز ٥/٤٩٩ ، وزاد المسير ٨/٢٧٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/١١١ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٦٣ ، وفتح القدير ٥/٥٦٤ .

وروى (أبو مكين^(١))^(٢) عن عكرمة قال : «هما جبلان»^(٣) .

وحكى الفراء قال : «سمعت رجلاً^(٤) كان صاحب تفسير قال : «التين جبال ما بين [حلوان^(٥)] إلى همدان^(٦)»^(٧) ،
والزيتون جبال الشام»^(٨)^(٩) .

- (١) أبو مكين : نوح بن ربيعة الأنصاري ، مولاهم ، روى عن عكرمة مولى ابن عباس ، وروى عنه الحكم بن أبان ، صدوق . انظر : التاريخ الكبير ٨ / ١١١ ت ٢٣٨٣ ، وتهذيب الكمال ٣ / ٥٠ ت ٦٤٩٢ ، وتقريب التهذيب ٢ / ٣٠٨ ت ١٦٦ .
- (٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (٣) ورد في جامع البيان ٣٠ / ٢٣٩ من طريق أبي بكر عن عكرمة ، والكشف والبيان ١٣ / ١١٨ ، وزاد المسير ٨ / ٢٧٥ .
- (٤) (رجل من أهل الشام) هكذا جاء في المعاني .
- (٥) لعله يراد بها حلوان العراق ، وهي بلدة تاريخية ، تقع شمال الجزيرة ، وقيل : كانت كبرى مدن العراق بعد بغداد ، والكوفة ، والبصرة ، واسط ، وسامراء ، استولى عليها جرير بن عبدالله عام ١٩ هـ ، فهرب منها يزدجرد إلى أصبهان ، أكثر ثارها التين ، وهي قرب الجبل ، وليس للعراق مدينة قرب الجبل غيرها . انظر : القاموس الإسلامي لأحمد عطية ٢ / ١١٤ ، وانظر أيضاً : معجم البلدان ٢ / ٢٩٠ .
- (٦) ما بين المعقوفين غير مقروء في (ع) ، وفي (أ) : (حوالي) ، والمثبت من مصدر القول من معاني الفراء .
- (٧) من مدن فارس ، تعدُّ أكبر المدن الجبلية فيها ، عذب ماؤها ، طيب هواؤها ، فتحها المغيرة بن شعبة سنة ٢٤ هـ . انظر : معجم البلدان ٥ / ٤١٠ وما بعدها ، ومراصد الاطلاع للبغدادي ٣ / ١٤٦٤ .
- (٨) ورد في معاني القرآن ٣ / ٢٧٦ بتصرف يسير .
- (٩) الشام : بفتح أوله ، وسكون همزته أو فتحها ، ولغة ثالثة بغير همز ، وفي تسميتها بالشام أوجه منها : أنها مأخوذة من اليد الشؤمي ، وهي اليسرى ؛ لأنها عن يسار الكعبة ، وقيل : الشام جمع شامة ؛ سُميت بذلك لكثرة قراها ، وتداني بعضها من بعض ، فشَبَّهت بالشامات ، وقيل غير ذلك ، وبها من أمهات المدن : منبج ، وحلب ، وحماة ، وحمص ، ودمشق ، وبيت المقدس . ومن سواحلها : عكا ، وصور ، وعسقلان ، وغيرها ، وكانت تتكون في ما سبق من سوريا ، ولبنان ، وفلسطين ، والأردن ، ولكن منذ الحرب العالمية الأولى انقسم هذا الإقليم إلى وحدات سياسية هي : سوريا ، ولبنان ، وفلسطين ، وشرق الأردن . انظر : معجم البلدان ٣ / ٣١١ ، ومراصد الاطلاع ٣ / ٧٧٥ ، وصورة الأرض لابن حوقل ١٥٣ ، ومسالك الممالك للاصطخري ٥٥ ، والقاموس الإسلامي ٤ / ٢٢ .

وعلى هذا سُمِّيت هذه الأمكنة بالزيتون والتين ؛ لأنها تنبتهما ، وهي منابت لها^(١) .

فيجوز أن يكون على حذف المضاف ، بتقدير : ومنابت التين والزيتون^(٢) .

ويموز أن يكون قد أطلق عليها اسم ما تُنبتة .

٢. قوله تعالى : ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ . قال المفسرون : «أراد الجبل الذي كُلَّم عليه موسى»^(٣) .

فاختلفوا في (سينين) فقال عكرمة هو : «الحسن بلغه الحبشة»^(٤) .

(١) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٥٣٢ .

(٢) قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١١١ / ٢٠ : «وأصح هذه الأقوال : الأول ، ويعني به مَنْ قال : تينكم وزيتونكم ، ثم قال : لأنها الحقيقة ، ولا يُغدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا بدليل ، ثم يَبَيَّن أن مَنْ قال بخلاف ظاهر القرآن أنه قول لا دليل عليه» . وإلى هذا ذهب أيضاً الشوكاني في فتح القدير ٤٦٥ / ٥ .

(٣) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٩٩ / ٥ : «لم يُختلف أنه جبل بالشام كُلَّم الله عليه موسى ، ومنه نودي ، وفيه مسجد موسى ، فهو الطور» ، ونسبه إلى كعب الأحبار ، والأكثرية كل من الخازن في لباب التأويل ٣٩١ / ٤ ، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٥٦٣ / ٤ . وقال به أيضاً الحسن ، وعكرمة . انظر : جامع البيان ٢٤٠ / ٣٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١٢ / ٢٠ . وبه قال الثعلبي في الكشف والبيان ١١٨ / ١٣ ب . وقال آخرون : «إن الطور هو الجبل من غير تخصيص بأنه الذي كُلَّم عليه موسى» . من هؤلاء عكرمة ، وعمر ، ومجاهد ، والكلبي ، وقتادة ، ومقاتل ، وابن عباس . انظر : جامع البيان ٢٤٠ / ٣٠ ، ٢٤١ ، والكشف والبيان ١١٨ / ١٣ ب . وقال به اليزيدي في غريب القرآن ٤٣٤ ، والسجستاني في نزهة القلوب ٣١٥ .

(٤) جامع البيان ٢٤٠ / ٣٠ ، والكشف والبيان ١١٨ / ١٣ ب ، والنكت والعيون ٣٠١ / ٦ ، والمحرر الوجيز ٤٩٩ / ٥ .

ورواه (عن)^(١) ابن عباس قال : «الطور الجبل ، وسنين الحسن»^(٢) . (ونحو ذلك روى عطاء عنه)^(٣) (٤) .

وقال مجاهد : «سينين المبارك»^(٥) .

وقال قتادة : «طور سينين : جبل بالشام ، مبارك ، حسن»^(٦) .

وقال الكلبي : «هو الجبل المشجر ذو الشجر»^(٧) ، وهو قول مقاتل ، قال : «كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين»^(٨) .

وسيناء بلغة النبط^(٩) .

-
- (١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (٢) ورد في التفسير الكبير ١٠/٣٢ برواية عكرمة عن ابن عباس ، وكذلك في الجامع لأحكام القرآن ١١٢/٢٠ ، والدر المنثور ٨/٥٥٥ منسوباً إلى ابن أبي حاتم ، والمستدرک للحاكم : كتاب التفسير (في تفسير سورة التين) ٢/٥٢٨ ، وقال : «صحيح» ، ووافقه الذهبي .
- (٣) لم أعثر على مصدر لقوله .
- (٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (٥) تفسير مجاهد ٧٣٧ ، وجامع البيان ٣٠/٢٤١ ، والكشف والبيان ١٣/١١٨ ب ، والمححر الوجيز ٥/٤٩٩ ، والتفسير الكبير ١٠/٣٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١٢/٢٠ ، وفتح القدير ٥/٤٦٥ .
- (٦) ورد في تفسير عبدالرزاق ٢/٣٨٢ ، والكشف والبيان ١٣/١١٨ ب ، والنكت والعيون ٦/٣٠١ مختصراً ، والجامع لأحكام القرآن ١١٢/٢٠ مختصراً ، وفتح القدير ٥/٤٦٥ .
- (٧) ورد في جامع البيان ٣٠/٢٤١ ، والكشف والبيان ١٣/١١٨ ب ، والتفسير الكبير ١٠/٣٢ ، وورد بمعناه في الجامع لأحكام القرآن ١١٢/٢٠ ، وفتح القدير ٥/٤٦٥ .
- (٨) ورد في الكشف والبيان ١٣/١١٨ ب ، وزاد المسير ٨/٢٧٥ ، والتفسير الكبير ١٠/٣٢ ، وورد بمعناه في الجامع لأحكام القرآن ١١٢/٢٠ ، وفتح القدير ٥/٤٦٥ .
- (٩) النَّبِطُ ، والنَّبِيطُ : قوم ينزلون بالبطائح بين العراقيين ، والجمع أنباط . انظر : الصحاح (نبط) ٣/١٩٣ ، ولسان العرب (نبط) ٧/٤١١ .

(هذا قول المفسرين)^(١)، وسينين مثل سيناء، وقد مضى الكلام فيه^(٢).

والأولى عند النحويين^(٣) أن يكون سينين وسيناء اسماً للمكان الذي به الجبل، أضيف إلى ذلك المكان، سُمِّي: سينين وسيناء، على ما ذكره المفسرون لحسنه، أو لبركته، أو لنباته.

ولا يجوز أن يكون (سينين) نعتاً للطور لإضافته إليه.

قال أبو علي الفارسي: «(سينين) فَعْلِيل، كُرِّرَت السَّلام التي هي نون في زحلِيل^(٤)، وكردِيد^(٥)، وخنْذِيد^(٦)، وإنما لم ينصرف سينين كما لم ينصرف سيناء؛ لأنه جُعِلَ اسماً للبقعة، أو أرضاً كما جُعِلَ سيناء كذلك، ولو جُعِلَ اسماً للمكان أو المنزل ونحو ذلك من الأسماء المذكورة لانصرف؛ لأنك كنت سَمَّيتَ مذكراً بمذكر»^(٨).

-
- (١) ما بين القوسين ساقط من (أ).
- (٢) عند تفسير الآية: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَيْبُ اللَّأْلَافِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، وقد فسَّرت بنحو مما جاء هنا. انظر: البسيط ٢٥/٤ ب.
- (٣) انظر: تهذيب اللغة (سان) ٧٩/١٣.
- (٤) الزَّحْلِيل: السريع، وأيضاً المكان الضيق الزَّلِق من الصفاء وغيره. انظر: لسان العرب (زحل) ٣٠٣/١١.
- (٥) كردِيد: الكَرْدِيدَة: القطعة العظيمة من التمر، وهي أيضاً جُلَّة التمر. انظر: لسان العرب (كرد) ٣٧٩/٣، وورد في الصحاح (كرد) ٥٣١/٢: (ما يبقى في أسفل الجُلَّة من جانبيها من التمر).
- (٦) الخنْذِيد: الشاعر المجيد المُنْتَحِ المَفْلِق، وأيضاً: الشجاع البُهْمَة، وأيضاً: السخي التام السخاء، وأيضاً: الخطيب المصقع، وأيضاً: السيد الحليم. انظر: لسان العرب (خنذ) ٢٨٩/٣، وتاج العروس (خنذ) ٥٦١/٢٠.
- (٧) في (أ): (نزيد).
- (٨) نقلاً عن الحجة ٢٩٠/٥ باختصار شديد.

٣-٤. قوله: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾. قال المفسرون: يعني البلد الحرام مكة^(١). يأمن فيه الخائف في الجاهلية والإسلام.

قال الفرّاء: «الأمين: الآمن، تقول: للآمن الأمين، وأنشد^(٢):

أَلَمْ تَعْلَمِي يَا أَسْمَ وَيَحْكُ أَنْي حَلَفْتُ يَمِينًا لَا أَخُونُ أَمِينِي^(٣)
قال: يريد آمني^(٤).

وقال أبو علي: «وصفه بالأمين فجرى الوصف على البلد في اللفظ والمعنى على مَنْ فيه من طارئ، وقاطن^(٥)، وهذا أَمِن في حكم الشرع لا يهاج فيه، ولا يفعل به ما يكون غير آمِن، وهذه كلها أقسام^(٦)».

(١) حكى الإجماع على ذلك ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/٤٩٩، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٤/٤٦٣. ومن قال بذلك ابن عباس، وكعب، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، وإبراهيم، وابن زيد، بيد أنه خصّصه بالمسجد الحرام. انظر: جامع البيان ٣/٢٤٢، وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٦٣، والدر المنثور ٨/٥٥٤-٥٥٦. وإلى هذا القول ذهب ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٥٣٢، والزّجاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/٣٤٣، والسمرقندي في بحر العلوم ٣/٤٩١، والثعلبي في الكشف والبيان ١٣/١١٨ ب، والماوردي في النكت والعيون ٦/٣٠١. انظر: معالم التنزيل ٤/٥٠٤، والكشاف ٤/٢٢٢، وزاد المسير ٨/٢٧٦، والتفسير الكبير ٣٢/١٠، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/١١٣، ولباب التأويل ٤/٣٩١، والبحر المحيط ٨/٤٩٠، وفتح القدير ٥/٤٦٥.

(٢) غير منسوب إلى أحد.

(٣) ورد البيت أيضاً في جامع البيان ٣٠/٢٤١، والكشف والبيان ١٣/١١٨ ب، وزاد المسير ٨/٢٧٦، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/١١٣، ولسان العرب (آمن) ١٣/٢١، والأضداد للأصمعي ٥١، والأضداد لابن السكيت ٢٠٤. والشاهد: (أمني)، والعرب تقول للآمن: الأمين، والمعنى: كأنه أرا لا أخوان آمني. انظر: شرح أبيات معاني القرآن للفرّاء ٣٧١.

(٤) معاني القرآن ٣/٢٧٦.

(٥) قاطن: قطن بالمكان أقام به وتوطنه، فهو قاطن. انظر: مختار الصحاح (قطن) ٤٤٤، والمصباح المنير ٢/٦١٥.

(٦) لم أعثر على مصدر لقوله.

ثم ذكر المقسم عليه فقال : قوله : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ يعني آدم ، وذريته .

﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ . معنى التقويم : تصوير الشيء على ما ينبغي أن يكون في التأليف ، والتعديل ، يقال : قَوَّمْتَهُ تقويماً فاستقام وتقَوَّمَ^(١) .

ولهذا قال المفسرون (في قوله : ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ : في أحسن صورة^(٢) ، والمعنى : في أحسن تصوير ، والتصوير : تقويم الصورة على ما ينبغي أن تكون في التأليف^(٣) .

(قال المفسرون)^(٤) : «إن الله (تعالى)^(٥) خلق كل ذي روح مُكَبَّأً على وجهه إِلَّا الْإِنْسَانَ خلقه مديد القامة ؛ يتناول ما يأكله بيده»^(٦) .

(١) جاء عن ابن فارس في مقاييس اللغة (قوم) ٥ / ٤٣ : «قوم : أصلان صحيحان يدل أحدهما على جماعة ناس ، وربما استعير في غيرهم ، والآخر : على انتصاب أو عزم . فقوهم : قام قياماً ، والقومة المرة الواحدة ، إذا انتصب ، ويكون قام بمعنى العزيمة ، كما يقال : قام بهذا الأمر ، إذا اعتنقه . ومن الباب : قَوَّمْتُ الشيء تقويماً ، وأصل القيمة : الواو ، وأصله أنك تُقيم هذا مكان ذاك ، قال : بلغنا أن أهل مكة يقولون : استقمت المتاع ؛ أي قَوَّمْتَهُ . انظر : لسان العرب (قوم) ١٢ / ٤٩٨ .

(٢) قال بذلك قتادة ، والكلبي ، وابن عباس بمعناه ، وإبراهيم ، وأبو العالية ، ومجاهد . انظر : جامع البيان ٣٠ / ٢٤٣ ، والدر المنثور ٨ / ٥٥٧ ، ورَجَّحه أيضاً الطبري ، وقال به الرَّجَّاجُ في معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٣٤٣ ، والسمرقندي في بحر العلوم ٣ / ٤٩١ ، وانظر : لباب التأويل ٤ / ٣٩١ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٦٣ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) قال بذلك ابن عباس في جامع البيان ٣٠ / ٢٤٤ ، والدر المنثور ٨ / ٥٥٧ ، وبه قال السمرقندي في بحر العلوم ٣ / ٤٩١ ، والثعلبي في الكشف والبيان ١٣ / ١١٩ ، وانظر : معالم التنزيل ٤ / ٥٠٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١١٤ ، ولباب التأويل ٤ / ٣٩١ .

وقال الكلبي: «أقسم الله بما ذكر، لقد أنعم على الإنسان بتقويم الخلق»^(١).
 وقال الفرّاء: «يقول: إنّنا لنبلغ بالآدمي أحسن تقويمه، وهو اعتداله،
 واستواء شبابه، وهو أحسن ما يكون، ثم رده إلى أرذل العمر»^(٢)، (وذلك
 ٥. قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾^(٣)).

قال ابن عباس في رواية عطاء، والكلبي: «يريد أرذل العمر»^(٤)^(٥)، وهو
 قول: إبراهيم^(٦)، وعكرمة^(٧)، (ومقاتل^(٨)^(٩)، وقتادة^(١٠)، قالوا: إلى الهرم.
 قال ابن قتيبة: «السّافلون هم الضعفاء، والزّمنى^(١١)^(١٢)، والأطفال،
 ومن لا يستطيع حيلة، ولا يجد سبيلاً، يقال: سفل يسفل فهو سافل، وهم

-
- (١) الوسيط ٥٢٤/٤.
 (٢) معاني القرآن ٢٧٦/٣.
 (٣) ما بين القوسين ساقط من (أ).
 (٤) ورد قوله من غير ذكر طريق عطاء، أو الكلبي في الكشف والبيان ١١٩/١٣، والتفسير الكبير ١١/٣٢، والدر المنثور ٥٥٤/٨ منسوباً إلى ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وسعيد بن منصور،
 وعبد بن حميد، وابن المنذر، وورد قوله أيضاً في تفسير مجاهد ٧٣٧ من طريق أبي رزين عنه، وزاد
 المسير ٢٧٦/٨ برواية العوفي عنه، وورد بمثل بروايته ولكن عن الكلبي في تفسير عبدالرزاق
 ٣٨٣/٢، والنكت والعيون ٣٠٢/٦.
 (٥) ما بين القوسين ساقط من (أ).
 (٦) ورد بمعناه في جامع البيان ٢٤٤/٣٠، وزاد المسير ٢٧٦/٨.
 (٧) ورد بمعناه في المصدرين السابقين، وفي الكشف والبيان ١١٩/١٣، والمحور الوجيز ٥٠٠/٥،
 والدر المنثور ٥٥٨/٨ منسوباً إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم.
 (٨) ورد بمعناه في تفسير مقاتل ٢٤٤أ.
 (٩) ما بين القوسين ساقط من (أ).
 (١٠) تفسير عبدالرزاق ٣٨٣/٢، وجامع البيان ٢٤٤/٣٠، والمحور الوجيز ٥٠٠/٥، وزاد المسير
 ٢٧٦/٨.
 (١١) (الزمن) في كلتا النسختين.
 (١٢) الزّمنى: الواحد زمانة وهي العاهة، ورجل زَمَن؛ أي مُبْتَلًى بَيْنَ الزَّمانَةِ. انظر: لسان العرب (زمن)
 ١٩٩/١٣، والصحاح (زمن) ٢١٣١/٥.

سَافِلُونَ ، كما يقول : عَلَا يَغْلُو ، فهو عَلٍ ، وهم عَالُونَ ، وهو مثل قوله : ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَى أَزْدِلِ الْعُمُرِ﴾^(١) [النحل : ٧٠] ، [الحج : ٥] ، وأراد أن (الخرف)^(٢) الهرم يَحْرَفُ ويُهْتَرُ وينقص خلقه ، ويضعف بصره وسمعه ، وتقل حيلته ، ويعجز عن عمل الصالحات ، فيكون أسفل هؤلاء جميعاً^(٣) .

وقال الفرّاء : «ولو كانت أسفل سافل لكان صواباً ؛ لأن لفظ الإنسان واحد فقيل : سَافِلِينَ على الجمع ؛ لأن الإنسان في معنى الجمع ، وأنت تقول : هذا (أفضل)^(٤) قائم ، ولا تقول : هذا (أفضل)^(٥) قائمين ؛ لأنك تضمّر لواحد ، فإذا كان الواحد غير (مقصود)^(٦) له رجع اسمه بالتوحيد ، وبالجمع . كقوله سبحانه : ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر : ٣٣] ، وقال : ﴿وإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَّحْنَا بِهَا وَلَئِنْ نَصَبْنَاهُمْ سَبِيلَهُ يَمَّاقِدَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [الشورى : ٤٨] ، [فردّ الإنسان على جمع ، وردّ نصبهم على الإنسان]^(٧) للذي أنبأتك به^{(٨)(٩)} .

- (١) ثم رددناه إلى أرذل العمر) هكذا ورد في كلتا النسختين ، وهو تصحيف .
- (٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (٣) ورد في تأويل مشكل القرآن ٣٤٢ بنصه .
- (٤) (فضل) هكذا ورد في كلتا النسختين ، وأثبت ما جاء في المعاني .
- (٥) (فضل) هكذا ورد في كلتا النسختين ، وأثبت ما جاء في المعاني .
- (٦) جاء في النسختين (مصمود) ، وأثبت ما جاء في المعاني لاستقامة المعنى به . وقد ذكر محقق معاني القرآن في الحاشية أنه في الأصل مكتوب : (مصمود) ، وذكر أنه خطأ ، وأثبت على ذلك ما جاء عند الطبري .
- انظر : جامع البيان ٢٤٦/٣٠ .
- (٧) ما بين المعقوفين ساقط من كلتا النسختين ، وأثبت من معاني القرآن ؛ لانتظام الكلام به .
- (٨) بياض في (ع) .
- (٩) معاني القرآن ٢٧٧/٣ .

وفي الآية قول آخر ، قال مجاهد : «ثم رددناه إلى النار»^(١) ، وهو قول الحسن^(٢) ، وأبي العالية^(٣) .

قال علي رضي الله عنه : «أبواب جهنم بعضها أسفل بعض ، فيبتدأ بالأسفل فيملاً ، وهي أسفل سافلين»^(٤) .

وعلى هذا ، يكون التقدير : ثم رددناه إلى أسفل ؛ أي في أسفل سافلين ، ويدل على هذا القول استثناؤه المؤمنين بقوله :

٦ . ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ؛ أي إلّا هؤلاء ، فإنهم لا يردون إلى النار^(٥) .

ومن قال بالقول الأول قال : «إن المؤمن لا يُردُّ إلى أرذل العمر ، وإن عُمر وامتد^(٦) وطال عمره»^(٧) لا يصير من الخرف إلى أرذل العمر»^(٨) . وقد ذكرنا هذا في ابتداء سورة الحج^(٩) .

(١) ورد في جامع البيان ٣٠ / ٢٤٥ ، والكشف والبيان ١٣ / ١١٩ ب ، والنكت والعيون ٦ / ٣٠٢ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٥٠٤ ، والمحرم الوجيز ٥ / ٥٠٠ ، وزاد المسير ٨ / ٢٧٧ ، والتفسير الكبير ٣٢ / ١١ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١١٥ ، والبحر المحيط ٨ / ٤٩٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٦٣ ، والدر المنثور ٨ / ٥٥٥ منسوباً إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٢) ورد في المراجع السابقة عدا النكت ، وانظر : تفسير عبدالرزاق ٢ / ٣٨٣ ، وتفسير الحسن البصري ٢ / ٤٣٠ .

(٣) ورد في المراجع السابقة عدا التفسير الكبير ، وتفسير عبدالرزاق ، والحسن ، وانظر : تفسير أبي العالية ٢ / ٦٥٧ ، تحقيق نورة الورثان .

(٤) التفسير الكبير ٣١ / ١١ .

(٥) قال بذلك الإمام الطبري في جامع البيان ٣٠ / ٢٤٦ .

(٦) غير مقروءة في (ع) .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٨) قال بذلك الإمام الطبري في جامع البيان ٣٠ / ٢٤٦ .

(٩) عند قوله تعالى : ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ [الحج : ٥] ، ومما جاء في تفسيرها : أي أخسه وأدونه ، وهو الخرف ، يخرف حتى لا يعقل ، ويُن ذلك بقوله : ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عَلِيمٍ شَيْئًا﴾ ، =

قال إبراهيم : « المؤمنون إذا بلغوا ذلك كتب لهم من الأجر ما كانوا يعملون في الصحة »^(١).

ونحو هذا قال قتادة^(٢)، والكلبي^(٣) : « مَنْ أدركه الهرم وكان يعمل عملاً صالحاً كان له مثل أجره [إذا]^(٤) كان يعمل » .

قال عكرمة : « مَنْ قرأ القرآن لم يُردَّ إلى أرذل العمر ، فقوله : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ يريد إلا الذي قرأ القرآن »^(٥).

وقال ابن عباس : « يقول : العبد إذا كان في شبابه كثير الطاعة ، ثم كبر وضعف عما كان يعمل أجرى^(٦) الله له مثل ما كان يعمل في شبابه »^(٧).

قال ابن عباس : « يريد يبلغ من السن ما يتغير عقله حتى لا يعقل شيئاً ، قال : وليس ذلك إلا في أهل الشرك » . وقال عكرمة : « مَنْ قرأ القرآن لم يصير في هذه الحالة ، واحتج بقوله : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » . قال : إلا الذين قرؤوا القرآن » .

(١) ورد بنحو قوله في جامع البيان ٢٤٧/٣٠ ، وزاد المسير ٢٧٧/٨ ، والدر المنثور ٥٥٧/٨ منسوباً إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وهو الذي رجَّحه الطبري .

(٢) جامع البيان ٢٤٧/٣٠ .

(٣) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٤) (إذ) في كلتا النسختين ، وأثبت ما جاء عن قتادة في جامع البيان ٢٤٧/٣٠ .

(٥) ورد معنى قوله في الجامع لأحكام القرآن ١٦/٢٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٥٦٣/٤ ، والدر المنثور ٥٥٨/٨ منسوباً إلى عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، وورد مثل قوله عن عكرمة ، عن ابن عباس في معالم التنزيل ٥٠٥/٤ ، ولباب التأويل ٣٣٩/٤ .

(٦) في (أ) : (اجرا) .

(٧) ورد في جامع البيان ٢٤٦/٣٠ ، والدر المنثور ٥٥٨/٨ منسوباً إلى ابن أبي حاتم .

قوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾. ذكر المفسرون فيه قولين، أحدهما: غير منقوص ولا مقطوع^(١). والآخر غير ممنون؛ أي لا يمن به عليهم^(٢)، وهو قول عكرمة^(٣)، ومقاتل^(٤)، قال: يجري الله لعبده محاسنه التي كان يعلمها في شبابه وصحته لا يمن به عليه.

قال الضحاك: «وهو أجر بغير عمل»^(٥)، وذكرنا هذا في أوائل سورة حم السجدة^(٦).

واختار ابن قتيبة القول الأول، وقال: «إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات في وقت القُوَّة والقُدرة، فإنهم في حال الكِبَر غير منقوصين، لأننا نعلم لو لم نسلبهم القوة لم يكونوا ينقطعون عن عمل الصالحات، فنحن نجري لهم أجر ذلك ولا نَمْنُهُ؛ أي ولا نقطعه، ولا ننقصه»^(٧).

(١) قال بذلك ابن عباس في جامع البيان ٢٤٨/٣٠، وبه قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٥٣٣، والسجستاني في نزهة القلوب ٤١٤، وانظر: معالم التنزيل ٥٠٥/٤، ونسبه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥٠٠/٥ إلى كثير من المفسرين.

(٢) قال بذلك أيضاً الحسن كما في النكت والعيون ٣٠٢/٦، وبه قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٣٠٣/٢، واليزيدي في غريب القرآن وتفسيره ٣٣٤.

(٣) لم أعثر على مصدر لقوله.

(٤) ورد في تفسير مقاتل ٢٤٤ ب بمعناه.

(٥) الكشف والبيان ١١٩/١٣، والنكت والعيون ٣٠٣/٦، ومعالم التنزيل ٥٠٥/٤، والجامع لأحكام القرآن ١١٦/٢٠، ولباب التأويل ٣٩١/٤.

(٦) سورة فصلت، الآية ٨، وتسمى أيضاً السجدة، والمصابيح. انظر: الإتيان للسيوطي ١٥٧/١، ومما جاء في تفسيرها: قال ابن عباس: «غير مقطوع»، وقال مقاتل: «غير منقوص»، وقال مجاهد: «غير محسوب»، وقال المبرد: «فيه قولان: أحدهما: غير مقطوع، من قولك: مننت الحبل؛ أي قطعته، ومنه قولهم: قد منه السفر؛ أي قطعه، ويكون غير ممنون؛ أي لا يمن به عليهم، وهذا معنى قول مجاهد». انظر: البسيط ٢٣٨/٤ ب.

(٧) تأويل مشكل القرآن ٣٤٢.

٧. ثم قال: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ أيها الإنسان، ﴿بَعْدَ اللَّيْنِ﴾؛ أي مجازاتي إياك بعملك، وأنا أحكم الحاكمين^(١).

قال مقاتل: «يقول: فما يكذبك أيها الإنسان، بعد بيان^(٢) الصورة الحسنة، والشباب، ثم الهرم بعد ذلك بالحساب؟»^{(٣)(٤)}.

والمعنى: ألا يتفكر في صورته، وشبابه، وهرمه، فيعتبر، ويقول: إن الذي فعل ذلك قادر على أن يبعثني ويحاسبني؟^(٥).

ومعنى ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ ما يجعلك تكذب بالمجازاة بعد هذه الحجج؟

قال الكسائي: «يقول ما صدقك بكذا، أو ما كذبك بكذا؛ أي ما حملك على تكذيبه وتصديقه؟»^{(٦)(٧)}.

وعامة المفسرين على أن هذا خطاب للإنسان المكذِّب^(٨) بالدين^(٩).

(١) بياض في (ع).

(٢) بياض في (ع).

(٣) قوله: (الهرم بعد ذلك بالحساب) بياض في (ع).

(٤) ورد قوله في تفسير مقاتل ٢٤٤ ب، والوسيط ٤/٥٢٦.

(٥) بياض في (ع).

(٦) بياض في (ع).

(٧) لم أعثر على مصدر لقوله.

(٨) بياض في (ع).

(٩) قال بذلك الكلبي. انظر: تفسير عبدالرزاق ٢/٣٨٣، وتفسير مقاتل ٢٤٤ ب، وعكرمة، وغيره قاله ابن كثير في تفسيره ٤/٥٦٣، والطبري في تفسيره ٣٠/٢٤٩، والسمرقندي في تفسيره ٣/٤٩٢، والشعلبي في تفسيره ١٣/١١٩ ب، وانظر: معالم التنزيل ٤/٥٠٥، ونسبه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/٥٠٠ إلى جمهور المفسرين، وبه قال أيضاً الأخفش في معاني القرآن ٢/٧٤٠. وذهب آخرون إلى إنما عني بذلك رسول الله ﷺ، قاله قتادة، ورجَّحه الطبري في جامع البيان ٣٠/٢٤٩، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/٥٠٠، والشوكاني في فتح القدير ٥/٤٦٦.

قال منصور : « قلت لمجاهد : ﴿ فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ الْدِّينِ ﴾ عني به محمد ؟ فقال : معاذ الله ! إنما عني به الإنسان »^{(١)(٢)} .

وقال قتادة : « فَمَنْ يَكْذِبُكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ بَعْدَهَا بِالْدِّينِ ؟ »^{(٣)(٤)} . واختاره الفراء ، وقال : « كأنه يقول : فَمَنْ يَقْدِرُ عَلَى تَكْذِيبِكَ »^(٥) بالثواب والعقاب بعدما تبين له من خلقنا الإنسان على ما وصفناه ؟ »^(٦) . والخطاب على هذا القول للنبي ﷺ .

٨ . قوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴾ . قال ابن عباس : « بأعدل العادلين »^{(٧)(٨)} .

وقال الكلبي : « بأفضل الحاكمين »^{(٩)(١٠)} .

(١) (إنما عني به الإنسان) بياض في (ع) .

(٢) جامع البيان ٢٤٩/٣٠ ، والمحرر الوجيز ٥٠٠/٥ ، وتفسير ابن كثير ٥٦٣/٤ .

(٣) بياض في (ع) .

(٤) قلت : « ولعل العبارة عن قتادة : « فَمَنْ يَكْذِبُكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ بِالْدِّينِ ؟ » ، فقد جاء عنه ذلك في الجامع لأحكام القرآن ١١٦/٢٠ ، والبحر المحيط ٤٩٠/٨ ، ويؤيد ذلك اختيار الفراء بأن الخطاب للرسول ﷺ ؛ وذلك أن الإمام الواحدي ذكر قول قتادة ، ثم أعقبه بقوله : « واختاره الفراء » ، والفراء اختار أنه خطاب للرسول كما دل عليه كلامه ، والله أعلم ، ولم أعثر على مصدر لقول قتادة الوارد في المتن .

(٥) بياض في (ع) .

(٦) معاني القرآن ٢٧٧/٣ .

(٧) بياض في (ع) .

(٨) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٩) في (ع) : « بأفضل القاضين » .

(١٠) لم أعثر على مصدر لقوله .

وقال مقاتل : «بأقضى القاضيين»^(١) ، وهذا يحتمل تأويلين :

أحدهما : أن هذا تحقيق لما ذكر من خلق الإنسان ؛ ثم رددناه^(٢) إلى أرذل العمر .

يقول : «أليس الله بأحكم الحاكمين الذي فعل ذلك صنعاً وتدبيراً؟»^(٣) .

وهذا معنى قول ابن عباس (في رواية عطاء)^(٤) .

الثاني : أن هذا تنبيه على حكمه بين نبيه ﷺ ، ومَنْ كَذَبَهُ^(٥) ، وهو قول مقاتل ، قال : «يحكم بينك وبين أهل التكذيب يا محمد»^(٦) ، (والله أعلم)^(٧) .

* * *

(١) ورد بمعناه في تفسير مقاتل ٢٤٤ ب : (بأفضل الفاصلين) ، وقد ورد بمثله من غير عزو في معالم التنزيل ٥٠٥ / ٤ ، وزاد المسير ٢٧٧ / ٨ .

(٢) في (ع) : (رده) .

(٣) قال بمعنى ذلك ابن عيسى كما في النكت والعيون ٣٠٣ / ٦ ، وورد في التفسير الكبير ١٢ / ٣٢ غير منسوب .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) انظر : التفسير الكبير ١٢ / ٣٢ .

(٦) معالم التنزيل ٥٠٥ / ٤ ، وزاد المسير ٢٧٧ / ٨ .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

تفسير

سورة العلق^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ . أكثر المفسرين وأهل التأويل على أن هذه السورة أول ما نزل من القرآن ، (وهي أول شيء نزل^(٢)) ؛

(١) مكية بالإجماع ، حكى ذلك ابن عطية في المحرر الوجيز ٥ / ٥٠١ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨ / ٢٧٨ ، وانظر : الكشف والبيان ١٣ / ١٢٠ ، والكشاف ٤ / ٢٢٣ .

(٢) هذا القول مروي عن عائشة ، وعبدالله بن عمر ، وأبي رجاء العطاردي . قال الهيثمي عن هذه الرواية في مجمع الزوائد ٧ / ١٣٩ : «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح» ، ومجاهد ، وأبي موسى الأشعري . انظر : جامع البيان ٣٠ / ٢٥٢ ، ٣ / ٢٥٣ ، وفصائل القرآن لأبي عبيد ٢ / ١٩٨ ، ١٩٩ ، والدر المنثور ٨ / ٥٦٠ . ونسبه الثعلبي في الكشف والبيان ١٣ / ١٢٠ إلى أكثر المفسرين ، وكذلك صاحب معالم التنزيل ٤ / ٥٠٦ ، ولباب التأويل ٤ / ٣٩٢ ، وابن حجر في فتح الباري ٨ / ٧١٤ . وقال الزمخشري ، والنسفي ، وأكثر المفسرين بأن الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم . انظر : الكشف ٤ / ٢٢٣ ، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ٣ / ٧٠٨ ، وقد قال بهذا القول ابن عباس ، ونسبه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١١٧ إلى أبي موسى ، وعائشة رضي الله عنهما ، وغيرهما . انظر : الدر المنثور ٨ / ٥٦٠ ، والمستدرک للحاكم ٢ / ٥٢٩ وصححه ، ونفى ابن حجر في فتح الباري ٨ / ٧١٤ أن يكون قال به الأكثر ، بل قرر أن عدداً أقل من القليل بالنسبة إلى القول الأول القائل : «إن (اقرأ) أول ما نزل» . ويوجد قول ثالث : مروي عن جابر أن أول ما نزل من القرآن : يا أيها المدثر ، وتوجد أقوال أخرى أشهرها ما ذكره الواحدي عن أكثر المفسرين . قال القاضي أبو بكر في الانتصار : «وأثبت =

أول^(١) يوم نزل جبريل على رسول الله ﷺ ، وهو قائم في حراء^(٢) فعلمه خمس آيات من هذه السورة^(٣) .

الأقاويل : ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ ﴾ ، ويليهِ في القوة : ﴿ يَتْلُوهَا الْمَدْيَنُ ﴾ وطرق الجمع بين الأقاويل أن أول ما نزل من الآيات : ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ ﴾ ، وأول ما نزل من أوامر التبليغ : ﴿ يَتْلُوهَا الْمَدْيَنُ ﴾ ، وأول ما نزل من السور سورة الفاتحة . انظر : البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢/ ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٦ / ٢٥٤ ، ٢٥٥ : «فسورة ﴿ أَقْرَأْ ﴾ هي أول ما نزل من القرآن ، ولهذا افتتحت بالأمر بالقراءة ، وختمت بالأمر بالسجود ، ووُسِّطت بالصلاة التي أفضلها أقوالها ، وأدناها بعد التحريم هو القراءة » . ثم عزا القول : «إنها من أول ما نزل» إلى جماهير العلماء .

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) حراء : جبل صخري كثير الشعاب ، صعب المرتقى ، يقع في الشمال الشرقي لمكة ، ويجاوره جبل ثبير ، واشتهر جبل حراء بالغار الذي يُعرف باسمه ، ويطلق عليه اسم جبل النور ؛ لأنه مهبط الوحي الأول على الرسول ﷺ . انظر : القاموس الإسلامي ٢ / ٥٩ ، ومعجم ما استعجم ٢ / ٤٣٢ ، ومعجم البلدان ٢ / ٢٣٣ .

(٣) وردت أحاديث عدة من طرق مختلفة بهذا المعنى ؛ منها ما هو موقوف ، ومنها ما هو مرفوع ، وأصحها ما جاء عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : «كان أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبِبَ إليه الخلاء ، فكان يلحق بغار حراء ، فيتحنَّث فيه » . قال : «والتحنُّث : التعبد الليلي ذوات العدد ، قبل أن يرجع إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة ، فيتزود بمثلها ، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ ، فقال رسول الله ﷺ : ما أنا بقارئ ، قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ الْآيَاتِ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤ ﴾ » الحديث .

أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب التفسير ، باب (٩٦) ٣ / ٣٢٧ ح ٤٩٥٣ ، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان ، باب : بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ٢ / ٥٥٦ ح ٢٥٢ ، وأحمد في المسند ٦ / ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ مجازه : اسم ربك^(١) ، أن الباء زائدة^(٢) معناه : اقرأ اسم ربك ، كما قال (الأخطل)^(٣) :

هَنْ^(٤) الحرائِرُ لا رَبَّاتُ أَحْمَرِ سُودُ المحاجرِ لا يَقْرَأَنَّ بالسُّورِ^(٥)
يعني : لا يقرآن السور ، والباء زائدة .

ومعنى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ اذكر اسمه ، كأنه أمر أن يبدأ^(٦) القراءة باسم (ربك ، فالجالب)^(٧) للباء معنى الابتداء ، وفي هذا دلالة على أنه تجب قراءة التسمية في ابتداء كل سورة ، كما^(٨) أنزل الله تعالى ، وأمر به في هذه الآية ردّاً على مَنْ لا يرى ذلك ولا يبتدئ بها^(٩) .

(١) ما بين القوسين من قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٣٠٤ / ٢ .

(٢) من أوجه مواضع زيادة الباء ما ذكره الزمخشري في الكشاف ٣٢٣ / ٤ : «أن تكون للحال ؛ أي اقرأ مُفْتَحاً باسم ربك ؛ قل : بسم الله ، ثم اقرأ» ، وأن تكون للاستعانة ، والمفعول محذوف ، تقديره : اقرأ ما يوحي إليك مستعيناً باسم ربك ، وأن تكون بمعنى (على) ؛ أي اقرأ على اسم ربك . انظر : الدر المصون ٥٤٥ / ٦ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) في (أ) : (من) .

(٥) ورد البيت منسوباً إلى الراعي النميري ، وهو في ديوانه ١٠١ ، والدر المصون ٥٤٥ / ٦ ، وحاشية المقتضب ٤٤ / ٣ ، وذكر محقق المقتضب أن للقتال الكلابي مثله .

معنى الحرائر : جمع حرة ، وهي الكريمة الأصيلة . والربات : جمع ربة ، وهي صاحبة . والأحمر : جمع حمار ، وخص الحمير ؛ لأنها رذال المال وشره . وسود المحاجر : أراد بها الإماء السود . ولا يقرآن بالسور : جاهلات لا يقرآن القرآن . انظر : ديوان الراعي ١٠١ .

(٦) في (ع) : (يبتدئ) .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٨) في (ع) : (عما) .

(٩) هذه المسألة فيها خلاف : هل البسملة آية من سورة الفاتحة وحدها ، أو من كل سورة ، أو ليست آية من أم الكتاب ، ولا من أي سورة ؟ . فمنهم من رأى أنها آية من أم الكتاب ، فأوجب قراءتها بوجوب قراءة أم الكتاب عنده في الصلاة . ومن رأى أنها آية من كل سورة وجب عنده أن يقرأها مع السورة . فالخفية ترى أن البسملة ليست آية من الفاتحة ، ولا من غيرها من السور إلا جزءاً من آية =

وقوله^(١) ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ . قال الكلبي : «يعني الخلائق»^(٢) . ثم فسّر ذلك فقال :

٢ . ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ ؛ يعني ابن آدم .

﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ جمع علقه ، وإنما ذكر العلق بلفظ الجمع ، لأنه أراد بالإنسان الجمع ، فذهب بالعلق إلى الجمع لمشكلة رؤوس الآيات ، قاله^(٣) الفراء^(٤) .

٣ . قوله : ﴿أَقْرَأْ﴾ تقرير للتأكد . ثم استأنف فقال : (قوله تعالى)^(٥) ﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ . قال الكلبي : يعني (الحكيم)^(٦) الحليم عن جهل العباد ، لا يعجل عليهم بالعقوبة^(٧) .

سورة النمل ، وهو مروي عن أحمد ، وهي المنصورة عند أصحابه ، ومالك ، والأوزاعي ، وعبدالله بن معبد الرماني . ورواية عن أحمد أنها آية من الفاتحة ، ومن كل سورة ذكرت في فاتحتها ، وهو أيضاً قول عطاء ، والزهري ، وعبدالله بن المبارك ، وكذلك قال الشافعي هي آية من الفاتحة ، ومن كل سورة غير براءة . انظر تفصيل المسألة بأدلتها في : حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء للشاشي القفال ١٠٢/٢ ، وبداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد القرطبي ١٢٥/١ ، والمغني لابن قدامة ٤٨٠/١ ، والمجموع شرح المذهب للنووي ٣٣٣/٣ ، ونيل الأوطار للشوكاني ٢١٨/٢ ، وحاشية الروض الربع شرح زاد المستقنع لعبدالرحمن بن محمد النجدي ٢٤/٢ ، ٢٥ ، والفقہ الإسلامي وأدلتة لوهبة الزحيلي ١/٦٤٦ ، ٦٥٠-٦٥٤ .

(١) في (أ) : (قوله) .

(٢) معالم التنزيل ٤/٥٠٧ ، وفتح القدير ٥/٤٦٨ .

(٣) في (أ) : (قال) .

(٤) ورد في معاني القرآن ٣/٢٧٨ بتصرف .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٧) ورد قوله في الكشف والبيان ١٣/١٢١ أ-ب ، ومعالم التنزيل ٤/٥٠٧ ، وزاد المسير ٨/٢٧٩ .

والقول : إن معنى الآية أي الكريم هو الأشبه بالمعنى ، لأنه لما ذكر ما تقدّم من نعمه دل به على كرمه .

انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٠/١١٩ ، ١٢٠ ، وفتح القدير ٥/٤٦٨ . وقال ابن تيمية في مجموع

الفتاوى ١٦/٢٩٣ : «سمى ووصف نفسه بالكرم ، وبأنه الإكرام بعد إخباره أنه خلق ليتبين أنه ينعم =

٤. قوله: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾. قال الكلبي^(١)، ومقاتل^(٢): «عَلَّمَ الكتاب بالقلم».

(قال أبو إسحاق: «أي عَلَّمَ الإنسان الكتابة بالقلم»^(٣)).^(٤)

وقال أهل المعاني: «قد نَوَّه الله - تعالى - بالقلم»^(٥) إذ ذكره في كتابه معتدلاً به في نعمه على خلقه، وإنه لعظيم الشأن بما فيه من الانتفاع»^(٦).

٥. وقال صاحب النظم: «مفعول قوله: ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ محذوف، فلماً ذكر قوله: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ انتظم بقوله: ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ على تقدير الذي عَلَّمَ الإنسان بالقلم ما لم يعلم؛ إلا أنه كرّر ذكر ﴿عَلَّمَ﴾ تأكيداً»^(٧). وهذا معنى قول الكلبي؛ (لأنه قال)^(٨): «﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ من الكتاب بالقلم».

على المخلوقين، ويوصلهم إلى الغايات المحمودة. ولفظ الكرم لفظ جامع للمحاسن والمحامد لا يراد به مجرد الإعطاء؛ بل الإعطاء من تمام معناه، فإن الإحسان إلى الغير تمام المحاسن، والكرم كثرة الخير ويسرته»، وانظر: شرح أسماء الله الحسنی للقحطاني ١٥٢.

- (١) لم أعثر على مصدر لقوله.
- (٢) لم أعثر على مصدر لقوله.
- (٣) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٤٥ بتصرف.
- (٤) ما بين القوسين ساقط من (أ).
- (٥) في (ع): (القلم).
- (٦) لم أعثر على مصدر لقولهم، وبمعناه قال قتادة: «القلم نعمة من الله عظيمة، لولا القلم لم يقيم دين، ولم يصلح عيش». انظر: الكشف والبيان ١٣/ ١٢١ ب، وزاد المسير ٨/ ٢٧٩.
- (٧) لم أعثر على مصدر لقوله.
- (٨) ما بين القوسين ساقط من (أ).

ومن المفسرين مَنْ يجعل هذه الآية منقطعة عن الأولى فيقول : «معنى ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا»^(١) .

ومنهم مَنْ يقول : «عَلَّمَ مُحَمَّدًا مَا لَمْ يَعْلَمْ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالشَّرِيعَةِ ، وقصص النبيين كما قال : ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣]»^(٢) ، وهذا قول ابن عباس^(٣) ، وهو ضعيف ؛ لأن هذا من أول ما نزل ، ولم يكن قد علم النبي ﷺ إذ ذاك كثير شيء .

٦ . قوله (تعالى)^(٤) : ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ .

قالوا : «نزلت هذه الآية وما بعدها إلى آخر السورة في أبي جهل»^(٥) .

ومعنى : (كَلَّا) قال عطاء : «لا يصدق أبو جهل أن الله - تعالى - عَلَّمَ مُحَمَّدًا هذا الذي جاء به من النبوة»^(٦) .

وقال مقاتل : «كَلَّا لا يعلم الإنسان إن الله عَلَّمَهُ مَا لَمْ (يَكُنْ) يَعْلَمُ»^(٧) .

-
- (١) قال بذلك كعب الأحبار كما في النكت والعيون ٦/ ٣٠٥ ، وبه قال السمرقندي في بحر العلوم ٣/ ٤٩٤ ، والثعلبي في الكشف والبيان ١٣/ ١٢١ ب . انظر : معالم التنزيل ٤/ ٥٠٧ ، وزاد المسير ٨/ ٢٧٩ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١١٢ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٩٣ .
- (٢) في (أ) : (من الأحكام الشرعية) ، وهو مكرر ليس في موضعه ، ولذلك أسقطته .
- (٣) لم أعثر على مصدر لقوله ، وانظر : معالم التنزيل ٤/ ٥٠٧ .
- (٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (٥) نسبته الفخر في التفسير الكبير ٣٢/ ١٧ إلى أكثر المفسرين ، ورواه القرطبي عن ابن عباس في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٢٣ ، وانظر : المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٢ ، وزاد المسير ٨/ ٢٧٩ .
- (٦) لم أعثر على مصدر لقوله .
- (٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (٨) تفسير مقاتل ٢٤٥/ ١ ، وزاد المسير ٨/ ٢٧٩ ، والتفسير الكبير ٣٢/ ١٨ .

وقال صاحب النظم : «زعم بعضهم أن (كَلَّا) هاهنا بمعنى حقًّا ؛ لأنه ليس قبله ولا بعده شيء تكون (كَلَّا) ردًّا له ، وهذا كما قالوه في قوله : ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾ [المدر: ٣٢] ؛ فإنهم زعموا أنه بمعنى : إي والقمر ، كما يقال : إي والله»^(١) .

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ يعني أبا جهل . ﴿لَظْفَى﴾ . قال مقاتل : «كلا ، إذا أصاب مالا زاد في ثيابه ، ومركبه ، وطعامه ، وشرابه ، فذلك طغيانه»^(٢) ، ونحو هذا قال الكلبي : «يرتفع عن منزلة إلى منزلة في اللباس والطعام»^(٣) .

٧ . قوله : ﴿أَن رَّأَاهُ اسْتَغْنَى﴾ . قال الأخفش : «معناه لأن رآه ، فحذف اللام ، كما يقال : إنكم لتطغون إن رأيتمكم استغنيتم»^(٤) ، ومثله كثير^(٥) .

قال الفرءاء : «ولم يقل رأى الإنسان ، فقال قتل نفسه ؛ لأن (رأى) من الأفعال التي تريد اسماً وخبراً ؛ نحو الظن ، والحسبان ، وبأبهما ، ولا يقتصر في هذا الباب على مفعول واحد ، والعرب تطرح النفس من هذا الجنس فتقول : رأيته وظننتني ، وحسبته ، ومتى تراك خارجاً ، ومتى تظنك خارجاً ، وقوله : ﴿أَن رَّأَاهُ اسْتَغْنَى﴾^(٦) من ذلك»^(٧) .

قال مقاتل : «إن رأى نفسه غنياً ، وكان موسراً فطغى فخوَّفه الله بالرجعة»^(٨) .

(١) التفسير الكبير ١٨/٣٢ ، وفتح القدير ٤٦٨/٥ .

(٢) ورد في تفسير مقاتل ٢٤٥أ ، ومعالم التنزيل ٥٠٧/٤ ، وورد غير منسوب في زاد المسير ٢٧٩/٨ .

(٣) ورد في الكشف والبيان ١٣/١٢١ ب ، وبمعناه في النكت العيون ٦/٣٠٦ ، وبمثل قوله قال السُّدِّي في النكت .

(٤) التفسير الكبير ١٩/٣٢ ، وانظر : التحرير والتنوير ٤٤٤/٣ .

(٥) نحو ما جاء في قوله تعالى : ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ [الإسراء: ٦٢] ، وقوله : ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠] .

(٦) ورد في معاني القرآن ٣/٢٧٨ بتصرف .

(٧) وقوله مكرر في (أ) ، وليس هذا موضعه .

(٨) الوسيط ٥٢٩/٤ .

٨. فقال : ﴿إِنَّ إِلَكَ رَبِّكَ الرَّجْعَى﴾ . قال أبو عبيدة : «المرجع»^(١) .

وقال الأخفش : «الرجوع»^(٢) .

وكلاهما^(٣) مصادر ، يقال : رجع إليه يرجع رجوعاً ومرجعاً . ورُجِعَ : مصدر على فُعْلٍ^(٤) .

٩-١٠ . (قوله تعالى)^(٥) : ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿١﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ ؛ يعني : أبا جهل^(٦) ، قال أبو هريرة : «قال أبو جهل : لأن رأيت محمداً ﷺ يصلي لأطأن على رقبتك ، فأنزل الله هذه الآيات»^(٧) .

(١) ورد في مجاز القرآن ٢/ ٢٠٤ ، وإليه ذهب ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٥٣٣ .

(٢) لم أعثر أعثر على مصدر لقوله .

(٣) في (ع) : (ثلاثيها) .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (رجع) ٨/ ٣٦٥ ، ولسان العرب (رجع) ٨/ ١١٤ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٢ : «ولم يختلف أحد من المفسرين في أن الناهي أبو جهل ، وأن العبد المصلي محمد ﷺ» ، وقال ابن حجر في فتح الباري ٨/ ٧٢٤ : «وإنما شدد الأمر في حق أبي جهل دون غيره مما بلغ أذاه ما بلغه أبو جهل ، وذلك لأن أبا جهل زاد في التهديد وبدعوى أهل طاعته ، وبارادة وطء العنق الشريف ، وفي ذلك من المبالغة ما اقتضى تعجيل العقوبة لو فعل ذلك» .

(٧) أخرجه مسلم عن أبي هريرة في صحيحه في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب (٦) ٤/ ٢١٥٤ ح ٣٨ ، قال : «قال أبو جهل : هل يُعَفِّرُ محمد وجهه بين أظهركم ؟ قال : فقيل : نعم ، فقال : واللات والعزى ، لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبتك ، ولأعفرن وجهه في التراب ، قال : فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ، زعم ليطأ على رقبتك ، قال : فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ، ويتقي بيديه ، قال : فقيل له : ما لك ؟ فقال : إن بيني وبينه لخندقاً من نار ، وهولاً ، وأجنحة بيديه ، فقال رسول الله ﷺ : «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عُضُوءاً عُضُوءاً» . قال : فأنزل الله - عز وجل - لا تسدري في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه : ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿١﴾ أَن رَّاهُ اسْتَفْتَى ﴿٢﴾ إِنَّ إِلَكَ رَبِّكَ الرَّجْعَى ﴿٣﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٤﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿٥﴾﴾ ، وذكر تمام السورة . وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٣٧٠ ، والنسائي في تفسيره في كتاب الملائكة ، باب سورة اقرأ باسم ربك ٢/ ٥٣٤ ، ح ٥٣٥ ، ٧٠٣ ، ونسبه المزني في تحفة الأشراف إلى النسائي الكبرى ١٠/ ٩٢ ح ١٣٤٣٦ ، وكلاهما بهذا الإسناد =

ومعنى : أرأيت هاهنا تعجيب للمخاطب ، وكرّر هذه اللفظة للتأكيد في التعجيب .

١١ . وهو قوله تعالى : ﴿إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾ ؛ يعني : العبد المسمى ، وهو محمد ﷺ (١) .

١٢ . ﴿أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَى﴾ . قال عطاء : «مخافة الله ، والتناهي عن معاصي الله» (٢) .

وقال مقاتل : «يعني بالإخلاص والتوحيد» (٣) . ويكون المعنى على هذا باتقاء الشرك .

١٣ . ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ﴾ أبو جهل (٤) ، ﴿وَتَوَلَّى﴾ عن الإسلام .

انظر : جامع البيان ٢٥٣/٣٠ ، والنكت والعيون ٣٠٦/٦ ، ومعالم التنزيل ٥٠٨/٤ ، وزاد المسير ٢٧٩/٨ ، والتفسير الكبير ٢٠/٣٢ ، ولباب التأويل ٢٩٤/٤ ، والصحيح المسند ٢٣٥ ، ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ٢٣٢ ، والكشف والبيان ١٣/١٢٢ ، والدر المنثور ٥٦٥/٨ منسوباً إلى ابن المنذر ، وابن مردويه ، وأبو نعيم ، والبيهقي ، ودلائل النبوة ١٨٩/١ . ومن قال إنها نزلت في أبي جهل : مجاهد ، وقتادة ، وابن عباس . ورد في جامع البيان ٢٥٤/٣٠ ، ونسبه الوادي صاحب الصحيح المسند : ٢٣٦ إلى ابن عباس بسند صحيح بنحوه ، وفيه أنزل الله تعالى : ﴿أَرَأَيْتَ أَلَّذِي يَتَّبِعُ﴾ إلى قوله : ﴿كَذِبَ حَاطًى﴾ . قال ابن عاشور في التحرير والتنوير ٤٤٦/٥ ، ٤٤٧ بعدما ذكر رواية أبي هريرة في نزول ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ طَافٍ﴾ : «ورواه ابن عباس في نزول ﴿أَرَأَيْتَ أَلَّذِي يَتَّبِعُ﴾ لأن كليهما في أبي جهل» . ووجه الجمع بين الروایتين أن النازل في أبي جهل بعضه مقصود ، وهو ما أوله : ﴿أَرَأَيْتَ أَلَّذِي يَتَّبِعُ﴾ . . . وبعضه تمهيد وتوطئة ، وهو ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ طَافٍ﴾ إلى (الرجعى) .

(١) قال بذلك الطبري في جامع البيان ٢٥٤/٣٠ ، والماوردي في النكت والعيون ٣٠٧/٦ .

(٢) لم أعر على مصدر لقوله .

(٣) ورد في تفسير مقاتل ٢٤٥ ب ، وورد نحوه من غير نسبة في معالم التنزيل ٥٠٨/٤ ، ولباب التأويل ٣٩٤/٤ .

(٤) قاله قتادة في جامع البيان ٢٥٥/٣٠ .

ونظم هذه الآية على تقدير : أريت الذي ينهى عبداً إذا صلى ، وهو على الهدى ، أمر بالتقوى ، والناهي مكذب متولٍّ عن الإيمان ، أي فما أعجب من ذا ، ولكن لما كرّر (أريت) بنى على ما بعده على الاتصال به ، وهذا معنى قول الفرّاء^(١) ، والأخفش^(٢) .

١٤ . ﴿لَمْ يَعْلَمْ﴾ الناهي : أبا جهل . ﴿يَأْنِ اللَّهُ يَرَى﴾ ؛ أي إنه يرى ذلك فيجازيه^(٣) .

١٥ . ثم قال : ﴿كَلَّا﴾ . قال مقاتل : «كي لا يعلم ذلك»^(٤) . ثم خوّفه بقوله : ﴿لَنْ لَمْ يَنْتَه﴾ ؛ (أي)^(٥) عن تكذيب محمد وشتمه وإيذائه .

﴿لَسَفْعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ . قال أبو عبيدة : «لنأخذن بالناصية ، يقال : سفعت بيده ؛ أي أخذت»^(٦) بيده ، والرجل يُسْفَعُ برجل طروقته^(٧) .

وقال المبرّد : «السفع الجذب بالإعنات ، يقال : سفعه إذا اقتلعه من موضعه بجذب بعضه»^(٨) .

(١) معاني القرآن ٢٧٨ / ٣ .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٣) هذا جواب لجميع ما تقدّم من قوله : ﴿أَرَأَيْتَ﴾ ، قاله السمرقندي في بحر العلوم ٤٩٤ / ٣ .

(٤) تفسير مقاتل ٢٤٥ ب ، والتفسير الكبير ٢٣ / ٣٢ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) في (أ) : (وأخذت بدلاً) ؛ أي أخذت .

(٧) مجاز القرآن ٣٠٤ / ٢ .

(٨) معالم التنزيل ٥٠٨ / ٤ .

وقال الفراء: «لَنَهْصِرْتَهَا»^(١) [٢]، ولناخذن بها»^(٣).

وقال الزَّجَّاج: «يقال سفعت بالشيء إذا أخذت عليه، وجذبتة جذباً شديداً».

والمعنى: لنجرن بناصيته^(٤) إلى النار^(٥).

وأنشد الأزهري^(٦):

قَوْمٌ إِذَا أَفْزَعُوا الصَّرِيخَ رَأَيْتَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُلْجَمٍ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعٍ^(٧)
أَرَادُوا أَخْذَ بِنَاصِيَتِهِ^(٨).

- (١) في (أ): (لمعصرها)، وفي (ع): (لنعصرها)، وأثبت ما جاء في مصدر القول.
- (٢) معنى المَهْصَر: الكسر، وقد هَصَرَ واهْتَصَرَ بمعنى، وَهَصَرْتُ الغصن وبالغصن إذا أخذت برأسه فأَمْلَأْتَهُ إليك. انظر: الصحاح (هصر) ٨٥٥/٢. قال الفيروزآبادي في القاموس المحيط (هصر) ١٦١/٢: «الْمَهْصَر: الجذب بالإمالة، والكسر، والدفع، والإدناء، وعطف شيء صُلب كالغصن ونحوه، وكسره من غير بينونة».
- (٣) ورد مختصراً في معاني القرآن ٢٧٩/٣.
- (٤) الناصية: شعر مقدم الرأس. انظر: نزهة القلوب للسجستاني ٤٥٥. قال الماوردي في النكت والعيون ٣٠٨/٦: «وقد يعبر بها من جملة الإنسان كما يقال: هذه ناصية مباركة إشارة إلى جميع الإنسان».
- (٥) معاني القرآن وإعرابه ٣٤٥/٥.
- (٦) للشاعر حميد بن ثور الهلالي.
- (٧) ورد البيت في ديوانه ١١١، طبعة الدار القومية برواية: (إذا سمعوا)، وتهذيب اللغة (سفع) ١٠٨/٢ برواية: (فزعوا)، ونسبه محققه إلى حميد بن ثور، وورد غير منسوب في تاج العروس ٣٨١/٥، وفيه (إذا سمعوا) بدلاً من (فزع)، والمحذر الوجيز ٥٠٣/٥ برواية: (إذا سمعوا الصياح) منسوباً إلى عمرو بن معدي كرب، وروح المعاني ١٨٦/٣٠ برواية: (إذا أكثر الصياح)، وتفسير ابن عباس للحميدي ٩٨٣/٢.
- معنى الصريخ: المستغيث، وهو الناصر أيضاً. وملجم: اسم فاعل من ألجمت الفرس. وسافع: أخذ بناصية مهرة ليلجمها. يقول: رأيتهم عند الصريخ هذه حالهم. انظر: حاشية ديوانه ١١١.
- (٨) تهذيب اللغة (سفع) ١٠٨/٢.

قال ابن عباس : «لنقبضن بناصيته»^(١) .

وقال^(٢) مقاتل : «لنأخذن بالناصية أخذاً شديداً»^(٣) .

وقال الحسن : «السفع الأخذ»^(٤) . وهذا كقوله : ﴿فِيؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن : ٤١] . قال مقاتل : (ثم أخبر عنه أنه فاجر خاطئ ، فقال :

١٦ . ﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾)^(٥) .

قال الكلبي : «كاذبة على الله مشركة»^(٦) .

وقال أبو إسحاق : «ناصية بدل من الناصية ، المعنى : لنسفعاً بناصية»^(٧) كاذبة ، وتأويله : صاحبها كاذب خاطئ ، كما يقال : فلان نهاره صائم ، وليله قائم ، المعنى : هو صائم في نهاره ، قائم في ليله»^(٨) .

قال ابن عباس : لما نهى أبو جهل رسول الله ﷺ (عن)^(٩) الصلاة انتهره رسول الله ﷺ^(١٠) ، فقال أبو جهل : أتنتهرني يا محمد ، فوالله لقد علمت ما بها رجل أكثر نادياً^(١١) مني ، فأنزل الله قوله :

(١) ورد بمعناه في الدر المنثور ٥٦٦/٨ منسوباً إلى ابن المنذر ، برواية : (لنأخذن) .

(٢) في (أ) : (قال) .

(٣) تفسير مقاتل ٢٤٥ ب .

(٤) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٥) ما بين القوسين من قول مقاتل . انظر : فتح القدير ٤٧٠ / ٥ .

(٦) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٧) في (أ) : (بناصيته) .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٣٤٥ / ٥ .

(٩) في (ع) : (من) .

(١٠) ساقط من (ع) .

(١١) في (أ) : (أدباً) .

١٧. ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾^(١)؛ أي أهل مجلسه ، قاله^(٢) أبو عبيدة^(٣) وذكرنا تفسير النادي عند قوله : ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ﴾ [العنكبوت: ٢٩]^(٥) ،

(١) الرواية عن ابن عباس وردت في سنن الترمذي ٥/ ٤٤٤ ح ٢٣٤٩ ، وقال : «هذا حديث حسن غريب صحيح» ، والرواية كما هي عند الترمذي : عن ابن عباس قال : «كان النبي ﷺ يصلي ، فجاء أبو جهل فقال : ألم أنك عن هذا ؟ ألم أنك عن هذا ؟ فانصرف النبي ﷺ فزبره ، فقال أبو جهل : إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني ، فأنزل الله : ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ ٥ سَدَّ الزَّيَانَةَ ﴿ ، فقال ابن عباس : فوالله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله» . وقد أخرجه أيضاً الإمام أحمد في المسند ١/ ٢٥٦ ، ٣٢٩ . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب التفسير ، باب سورة اقرأ ٧/ ١٣٩ : «في الصحيح بعضه ، ورجال أحمد رجال الصحيح» . وأخرجه النسائي في تفسيره ٢/ ٥٣٥ ح ٧٠٤ ، وقال محققه : «إسناده حسن» ، والطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ١٣٧ ح ١٢٦٩٣ ، وقال محققه : «وهو صحيح ، ولكن من غير الطريق الذي ذكره عن ابن عباس» ، وورد في أسباب النزول للواحدي ٣٩٦ ، تحقيق أيمن صالح ، وقال محققه : «حسن صحيح» ، ونسبه إلى الترمذي . وقال محقق أسباب النزول عصام الحميدان ٤٦٠ : «وصححه الهيثمي ، وهو كما قال» ، ولباب النقول ٢٣٢ ، والصحيح المسند ٢٣٦ ، وورد بمعناه في جامع البيان ٣٠/ ٢٥٩ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٠٨ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٩٤ ، والدر المنثور ٨/ ٥٦٤ منسوباً إلى ابن أبي شيبه ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقي ، وأبي نعيم . ونسبه الحافظ في الشافي ٤/ ١٨٦ إلى الحاكم ، والبخاري ، وقال : «أصله في صحيح البخاري» . انظر دراسة إسناد هذه الرواية في : تفسير ابن عباس للحميدي ٢/ ٩٧٩ .

(٢) في (أ) : (قال) .

(٣) ورد في مجاز القرآن ٢/ ٣٠٤ بنصه .

(٤) في (ع) : (ونجوماً) ، وهي زيادة في الكلام ، ووضعت في غير موضعها .

(٥) جاء في تفسيرها : المجلس ، ثم أحيل إلى قوله تعالى : ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم : ٧٣] ، وقد جاء في تفسيرها : وأحسن ندياً : الندي فعيل معنى الفاعل ، وهو المجلس ، وكذلك النادي ، يقال : ندوت القوم أندوهم ندوا إذا جمعتهم ، ويقال للموضع الذي يجتمعون فيه : النادي ، والندي لا يسمى نادياً حتى يكون فيه أهله ، وإذا تفرقوا لا يكون نادياً ، ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ﴾ ؛ لذلك سُميت دار الندوة بمكة ، كانوا إذا حز بهم أمر ندوا إليها ، فاجتمعوا للتشاور ، وأناديك وأجالسك من النادي . انظر : البسيط ٣/ ٢١١ أ .

ونحو ما^(١) قال أبو عبيدة^(٢) قال المبرد^(٣)، (والزَّجَّاج^(٤))^(٥) : «فليدع أهل مجلسه ، وكانوا عشيرته ؛ أي فليستنصر بهم»^(٦) .

١٨ . قوله تعالى : ﴿سَدَّغُ الزَّانِيَةَ﴾ . قال أبو عبيدة^(٧) ، (والمُبرِّد^(٨))^(٩) : «واحد الزبانية : زبينة ، وهو الشديد الأخذ ، وأصله من زبنته ، إذا دفعته^(١٠) ، وهو كل متمرّد من إنس أو جن ، ومثله في المعنى والتقدير : عفرية ، يقال (فلان)^(١١) زبّنية ، وعفرية ، وجمعه عفاريرة» .

وقال الأخفش : «قال بعضهم : واحدها الزباني ، وقال بعضهم : الزابن ، وقال بعضهم : الزابنية ، والعرب لا تكاد تعرف هذا ، وتجعله من الجمع الذي لا واحد له مثل : أبابيل ، وعباديد»^(١٢)(١٣) .

-
- (١) في (أ) : (هذا) .
 (٢) مجاز القرآن ١٠ / ٢ ، وقوله ورد عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم : ٧٣] ؛ أي مجلساً ، والنَّدْيُ والنادي ، والجميع منها أندية ، واستشهد بأبيات من الشعر على ذلك .
 (٣) لم أعثر على مصدر لقوله .
 (٤) معاني القرآن وإعرابه ٣٤٦ / ٥ .
 (٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
 (٦) في (أ) : (فليستنصرهم) .
 (٧) مجاز القرآن ٣٠٤ / ٢ .
 (٨) ورد قوله في التفسير الكبير ٢٥ / ٣٢ .
 (٩) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
 (١٠) في (ع) : (رفعته) .
 (١١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
 (١٢) في (أ) : (عبأيد) .
 (١٣) ورد في معاني القرآن ٢٤١ / ٢ باختصار يسير .

قال ابن عباس : «يريد الأعوان زبانية جهنم»^(١) . ووالله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله^(٢) .

وقال مقاتل : «خزنة جهنم أرجلهم في الأرض ، ورؤوسهم في السماء»^(٣) .

وقال قتادة : «الزبانية الشرط»^(٤) في كلام العرب»^(٦) .

وقال الزجاج : «هم الملائكة الغلاظ الشداد»^(٧) .

(١) ورد قوله في معالم التنزيل ٥٠٨/٤ ، ولباب التأويل ٣٩٤/٤ .

(٢) قال الواضعي : «وأخرج ابن جرير في جامع البيان ٢٥٦/٣٠ بسند صحيح عن ابن عباس نحوه ، وفيه : فأنزل الله : ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ① عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ إلى قوله : ﴿كَذِبَ حَاطِقٌ﴾ ، فقال : لقد علم أني أكثر هذا الوادي نادياً ، فغضب النبي ﷺ فتكلم بشيء ، قال داود - يعني أحد رجال السند - ولم أحفظه» .

فأنزل الله : ﴿فَلْيَعْنُ نَادِيَهُ ② سَنَدُ الزَّانِيَةِ﴾ ، فقال ابن عباس : «فوالله لو فعل لأخذته الملائكة من مكانه» . وورد قوله أيضاً في تفسير عبدالرزاق ٣٨٤/٢ ، وبحر العلوم ٤٩٥/٣ ، ومعالم التنزيل ٥٠٨/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٢٧/٢٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٥٦٥/٤ ، وجامع الأصول ٤٣١/٢ . قال الأرنؤوط : «وإسناده حسن» . وأخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب (٨٥) ٤٤٣/٤ ح ٣٣٤٨ ، وقال : «هذا حديث حسن صحيح غريب» . ووردت هذه العبارة عن النبي ﷺ من رواية ابن عباس في الجامع الصحيح للبخاري في كتاب التفسير ، باب (٤) ٣٢٨/٣ ح ٤٩٥٨ عن ابن عباس ، قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن عنقه ، فبلغ النبي ﷺ فقال : «لو فعل لأخذته الملائكة» . انظر : مرجع رواية ابن عباس في ٨٨٩ ، الحاشية ٢ .

(٣) ورد في التفسير الكبير ٢٥/٣٢ ، وزاد المسير ٢٨١/٨ مختصراً .

(٤) في (أ) : (القرط) .

(٥) الشرط : سموا بذلك لأن شرطه كل شيء خياره ، وهم نخبة السلطان من جنده . انظر : تهذيب اللغة (شرط) ٣٠٩/١١ .

(٦) ورد في تفسير عبدالرزاق ٣٨٤/٢ ، وزاد المسير ٢٨١/٨ ، والتفسير الكبير ٢٥/٣٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٢٦/٢٠ ، والدر المنثور ٥٦٥/٨ منسوباً إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن جرير ، ولم أجده عند ابن جرير .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣٤٦/٥ .

١٩. ثم قال : ﴿كَلَّا﴾^(١) ؛ أي ليس الأمر على ما عليه أبو جهل . ﴿لَا تُطْعَمُ﴾^(٢) في ترك الصلاة .

﴿وَأَسْجُدْ﴾ . قال مقاتل : «وصلَّ الله ، واقترب إليه بالطاعة»^(٣) .

وقال عطاء : «اقترب إليَّ ، فإن العبد أقرب ما يكون من الله إذا هو سجد»^(٣) . ونحو هذا قال مجاهد^(٤) .

وقال أبو إسحاق : «أي تقرب إلى ربك بطاعته»^(٥) .

* * *

(١) في (أ) : (تطعيه) .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله ، وقد ورد منسوباً إلى الجمهور في زاد المسير ٢٨١ / ٨ .

(٣) لم أعثر على مصدر لقوله ، وقد ورد بمعناه من طريقه إلى أبي هريرة في صحيح مسلم في كتاب الصلاة ، باب (٤٢) / ١ / ٣٥٠ ح ٢١٥ ، والحدِيث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثرُوا الدعاء» .

(٤) ورد في تفسير عبد الرزاق ٣٨٥ / ٢ ، وبحر العلوم ٤٩٥ / ٣ ، والمححر الوجيز ٥٠٣ / ٥ ، وتفسير سفيان بن عيينة المحاذري ٣٤٧ ، والدر المنثور ٥٦٦ / ٨ منسوباً إلى سعيد بن منصور ، وابن المنذر .

(٥) ورد في معاني القرآن وإعراجه ٣٤٦ / ٥ بنصه .

تفسير

سورة القدر^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ .

قالوا جميعاً يعني القرآن في ليلة القدر^(٢) .

- (١) فيها قولان : أحدهما أنها مكية ، والآخر أنها مدنية . انظر : الكشف والبيان ١٣ / ١٢٢ أ ، والنكت والعيون ٦ / ٣١١ ، وزاد المسير ٨ / ٢٨٢ ، والإتقان ١ / ٣٦ ، والبرهان ١ / ١٩٣ .
- (٢) حكى الإجماع الفخر في التفسير الكبير ٣٢ / ٢٧ ، ونسبه الألوسي في روح المعاني ٣٠ / ١٨٩ إلى الجمهور . ومن قال به من المفسرين ابن عباس برواية عكرمة ، وسعيد بن جبير ، وحكيم بن جبر ، والشعبي . انظر : جامع البيان ٣٠ / ٢٥٨ ، وبحر العلوم ٣ / ٤٩٦ ، والكشف والبيان ١٣ / ١٢٢ ب .
- وذهب إليه ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٢٢٦ . وانظر أيضاً : معالم التنزيل ٤ / ٥٠٩ ، والمحرر الوجيز ٥ / ٥٠٤ ، وزاد المسير ٨ / ٢٨٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١٢٩ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢ / ٥٢٤ ، ولباب التأويل ٤ / ٣٩٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٦٦ ، وفتح الباري ٨ / ٧٢٥ . ويوجد وجه آخر في عود الضمير ، قال بعضهم : يعني جبريل . انظر : النكت والعيون ٦ / ٣١١ ، وضعف الألوسي والشنقيطي هذا القول . انظر : أضواء البيان ٩ / ٣٧٩ ، وروح المعاني ٣ / ١٨٩ . وبهذا يتضح لنا - كما سبق بيانه - منهج الإمام الواحدي من أن القول الضعيف أو الشاذ مما خالف الجمهور لا يعتد به ، ولا يقيم له وزناً ، وحكاية الإجماع ما كان مجمعاً عليه حقيقةً ، أو ما كان من قول الجمهور ، والله أعلم .

قال ابن عباس (في رواية سعيد بن جبير)^(١) : «أنزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملة واحدة ، ثم فُرّق في السنين ، وتلا هذه الآية : ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْجِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة : ٧٥]^(٢) . قال : نزل متفرقاً»^(٣) .

وقد ذكرنا هذا عند قوله : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة : ١٨٥]^(٤) ، (وهذا قول عامة المفسرين)^(٥) (٦) .

- (١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (٢) عني باستشهاده في الآية أنه نزل على مثل مساقط النجوم ؛ أي أنزل مفرقاً يتلو بعضه بعضاً ، وهذا ما وضّحه قوله : نزل متفرقاً . انظر : الإتيان ١١٨ / ١ .
- (٣) ورد قوله في جامع البيان ٢٥٨ / ٣٠ برواية حكيم بن جبر ، عن ابن عباس بمثله ، وكذا برواية سعيد بن جبير عنه بمعناه . انظر : جامع البيان ٢٥٩ / ٣٠ ، والتفسير الكبير ٢٧ / ٣٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٣٠ / ٢٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٥٦٦ / ٤ ، والدر المنثور ٥٦٧ / ٨ منسوباً إلى ابن الضريس ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، ودلائل النبوة للبيهقي ، باب : ما جاء في نزول القرآن ١٣١ / ٧ ، والمستدرک للحاكم في كتاب التفسير (سورة أنزلناه برواية حكيم عنه) ٥٣٠ / ٢ ، وقال : «هذا حديث صحيح» ، ووافقه الذهبي . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب التفسير (سورة أنزلناه) ١٤٠ / ٧ : «رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، وفيه عمران القطان وثقه ابن حبان وغيره ، وفيه ضعف ، وبقيّة رجاله ثقات» . انظر : الإتيان ١١٦ / ١ بمعناه .
- (٤) مما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ :
- قال ابن عباس : «أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان ، فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا ، ثم نزل به جبريل على محمد نجوماً عشرين سنة» .
- وقال بعضهم : «أنزل فيه القرآن : معناه : أنزل في فضله القرآن . نحو أن يقال : أنزل في الصديق كذا آية تريد في فضله» . وقال آخرون : «أنزل في فرضه وإيجاب صومه على الخلق القرآن ، كما يقال : أنزل الله في الزكاة كذا وكذا آية ، تريد في فضله ، وأنزل في الخمر كذا يراد به في تحريمها» .
- (٥) أي نزول القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا ، ثم مفرقاً في السنين ، وهو قول ابن عباس ، والشعبي في رواية ، وابن جبير . انظر : جامع البيان ٢٥٨ / ٣٠ ، وحكى القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢ / ١٢ ، الإجماع على ذلك ، وقال السيوطي : «وهذا القول هو الأصح والأشهر ، وإليه ذهب الأكثرون» ، وقال ابن حجر : «هو الصحيح المعتمد» . انظر : الإتيان ١١٦ / ١ ، والبرهان للزركشي ٢٢٨ / ١ .
- (٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

وقال مقاتل^(١) : «أنزله الله من اللوح المحفوظ إلى السفرة ، وهم الكتبة^(٢) من الملائكة في السماء الدنيا ، وكان ينزل ليلة القدر من الوحي على قدر ما ينزل به جبريل على النبي ﷺ في السَّنة كلها إلى مثلها من القابل ، حتى نزل القرآن كله في ليلة القدر ، ونزل به جبريل على محمد ﷺ^(٣)(٤) (في) عشرين سنة»^(٥) .

فعلى قول ابن عباس ، أنزل القرآن جملة واحد في ليلة من ليالي القدر إلى السماء الدنيا .

وعلى قول مقاتل ، كان ينزل كل ليلة قدر ما كان ينزل السَّنة إلى مثلها من القابل .

وأما ليلة القدر :

فالقدر في اللغة : بمعنى التقدير ، وهو جعل الشيء على مساواة غيره من غير زيادة ولا نقصان^(٦) .

(في ليلة القدر) : ليلة تقدير الأمور والأحكام^(٧) .

(١) ذكر السيوطي في الإتقان ١/ ١١٨ أن هذا القول لمقاتل بن حيان ، وقد وجدت النص عند مقاتل بن سليمان في تفسيره .

(٢) في (أ) : (الكرام) .

(٣) ساقط من (أ) .

(٤) في (ع) : (عليه السلام) .

(٥) تفسير مقاتل ٢٤٦ أ ، والجامع لأحكام القرآن ١٢/ ٢٩٧٢ ، والبرهان ١/ ٢٢٨ ، والإتقان ١/ ١١٨ . وقول مقاتل هذا خلاف ما نقل من الإجماع أن القرآن أنزل جملة واحدة ، قاله القرطبي في الجامع لأحكام القرآن .

(٦) جاء في التهذيب (قدر) ٩/ ١٨ : «القدر : القضاء الموفق ، يقال : قدر الله هذا تقديراً ، قال : وإذا وافق الشيء الشيء قلت : جاء قدره» . قال ابن فارس في مقاييس اللغة (قدر) ٥/ ٦٢ : «والقدر : قضاء الله - تعالى - الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها ، وهو القدر» .

(٧) هذا القول وما يليه أيضاً في سبب تسميتها بليلة القدر .

قال عطاء عن ابن عباس : «إن الله (تعالى) ^(١) قَدَّرَ ما يكون فيها إلى مثلها من قابل» ^(٢).

وقال مقاتل : «قَدَّرَ الله في ليلة القدر أمر السَّنة في عباده وبلاده إلى السَّنة المقبلة» ^(٣).

وهذا معنى قول ^(٤) مجاهد : «هي ليلة الحكم» ^(٥).

وقال عبدالرحمن السلمي : «فقدَّرَ أمر السَّنة كلها في ليلة القدر» ^(٦).

وذكرنا بيان هذا عند قوله : ﴿فِيهَا يُقَرَّرُ كُلُّ أَمْرِ حَكِيمٍ﴾ [الدخان : ٤] ^(٧).

ومعنى القدر في تلك الليلة بيان ما يكون في السَّنة للملائكة ، لا ابتداء التقدير ؛ لأن الله - تعالى - قَدَّرَ المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض ^(٨).

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) ورد في التفسير الكبير ٨٢ / ٣٢ بتفصيل أكبر .

(٣) ورد في تفسير مقاتل ٢٤٦ ، وورد نحوه غير منسوب في معالم التنزيل ٥٠٩ / ٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٣٠ / ٢٠ ، وفتح القدير ٤٧١ / ٥ ، وإلى هذا المعنى ذهب ابن عباس وقتادة . انظر : المراجع السابقة .

(٤) في (أ) : (من : قا) غير واضحة ، وغير موجودة في (ع) ، والكلام يستقيم من دونها .

(٥) ورد في تفسير عبدالرزاق ٣٨٦ / ٢ ، وجامع البيان ٢٥٩ / ٣٠ ، والكشف والبيان ١١٢٢ / ١٣ ، ونُسب إلى أكثرهم في الجامع لأحكام القرآن ١٣٠ / ٢٠ ، والدر المنثور ٥٦٧ - ٥٦٩ منسوباً إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، ومحمد بن نصر ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في شعب الإيمان ، باب في الصيام ، فصل في ليلة القدر ٣ / ٣٢١ ، وابن أبي شيبة في المصنف : فتح القدير ٤٧١ / ٥ .

(٦) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٧) ورد تفسيرها مختصراً في البسيط ١٣ / ٥ : «فيها ؛ أي في تلك الليلة المباركة ، (يفرق) ؛ أي يفصل ويبين ، و(الأمر) ؛ الحكم المحكم ، يعني أمر السَّنة إلى مثلها من العام المقبل يقضي الله في تلك الليلة ما هو كائن في السَّنة من الخير والشدة والرخاء والأرزاق ، والآجال ويمحو ويثبت ما يشاء» .

(٨) عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، قال : وعرضه على الماء» . انظر : صحيح مسلم في كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ٤ / ٢٠٤٤ ح ١٦ .

هذا الذي ذكرنا في معنى ليلة القدر قول عامة العلماء (والمفسرين)^(١)^(٢).

وذكر عن الزهري قال : «ليلة القدر ليلة العظمة والشرف ، من قولهم : لفلان قدر عند فلان ؛ أي منزلة وشرف»^(٣) ، والقول هو الأول .

ثم أخبر عن تعظيم هذه الليلة ، فقال :

٢. (قوله تعالى)^(٤) : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ ، ثم ذكر فضلها ، فقال :

٣. (قوله تعالى)^(٥) : ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ .

(١) وردت أقوال أخرى . انظر : المحرر الوجيز ٥ / ٥٠٥ ، وزاد المسير ٨ / ٢٨٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١٣٠ ، ١٣١ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) ورد نحوه في الكشف والبيان ١٣ / ١٢٣ ، والمحرر الوجيز ٥ / ٥٠٥ بمعناه ، وزاد المسير ٨ / ٢٨٣ ، وفتح القدير ٥ / ٤٧٢ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

قال مجاهد: «قيامها والعمل فيها خير من صيام ألف شهر، وقيامه ليس فيه ليلة القدر»^(١). (وهذا قول مقاتل^(٢)، وسفيان^(٣)، وقتادة^(٤)، واختاره الفرّاء^(٥)، والزّجاج^(٦)^(٧)).

وقال عطاء عن ابن عباس: «ذكر لرسول الله ﷺ رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر، فعجب لذلك رسول الله ﷺ عجباً شديداً، وتمنى أن يكون ذلك في أمته، فقال: يا رب، جعلت أمّتي أقصر الأمم أعماراً، وأقلها أعمالاً، فأعطاه الله ليلة القدر، فقال: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ (شَهْرٍ)﴾^(٨) الذي حمل الإسرائيلي السلاح في سبيل الله لك، ولأمتك من بعدك إلى يوم القيامة في كل رمضان»^(٩).

(١) ورد في تفسير عبدالرزاق ٣٨٦/٢، وجامع البيان ٢٥٩/٣٠، والنكت والعيون ٣١٣/٦، وزاد المسير ٢٨٦/٨، ونسبه إلى أكثر المفسرين كل من الكشف والبيان ١٣/١٣٠، والجامع لأحكام القرآن ١٣١/٢٠، والبحر المحيط ٤٩٦/٨، وتفسير القرآن العظيم ٥٦٧/٤.

(٢) تفسير مقاتل ٢٤٦/٢، والوسيط ٥٣٦/٤.

(٣) هي رواية سفيان الثوري عن مجاهد. انظر: جامع البيان ٢٥٩/٣٠، وتفسير القرآن العظيم ٥٦٧/٤.

(٤) ورد في تفسير عبدالرزاق ٣٨٦/٢، والنكت والعيون ٣١٣/٦، وزاد المسير ٢٨٦/٨، وتفسير ابن كثير ٥٦٧/٤، قال: «وهو اختيار ابن جرير، وهو الصواب لا ما عدها»، والدر المنثور ٥٨٦/٨ منسوباً إلى عبد بن حميد، ومحمد بن نصر، وابن المنذر.

(٥) معاني القرآن ٢٨٠/٣.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣٤٧/٥.

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٨) ما بين القوسين ساقط من (ع).

(٩) وردت الرواية عن ابن عباس في معالم التنزيل ٥١٢/٤، وزاد المسير ٢٨٦/٨، ولباب التأويل ٣٩٧/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٣٢/٢٠، وجاءت أيضاً عن طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في تفسير مجاهد ٧٤٠، وأسباب النزول ٣٩٧، تحقيق أيمن صالح، ولباب النقول ٢٣٣ منسوبة إلى ابن أبي حاتم، والواحدي، وجامع البيان ٢٥٩/٣٠، ٢٦٠، والنكت والعيون ٣١٣/٦، والتفسير الكبير ٣٢/٣٠، وتفسير القرآن العظيم ٥٦٧/٤، والسنن الكبرى للبيهقي ٥٠٥/٤ عن أبي نجيح =

وقال مالك بن أنس : «إن رسول الله ﷺ (أُري [أعمار] الناس)»^(١) فاستقصر أعمار أُمته ، وخاف أن لا يبلغوا من الأعمال مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر ، فأعطاه الله ليلة القدر ، خير من ألف شهر»^(٢) .

وقال أهل المعاني : «إنما يفضل بعض الأوقات على بعض بما يكون فيه من الخير الجزيل ، والنفع الكثير ، فلما جعل الله - تعالى - الخير الكثير يقسم في ليلة القدر كانت خيراً من ألف شهر»^(٣) ؛ لا يكون فيه من الخير والبركة ما في هذه الليلة»^(٤) . وهذا تحقيق القول الأول .

ثم أخبر بما يكون في تلك الليلة ، فقال :

٤ . (قوله)^(٥) : ﴿ نَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا ﴾ .

عن مجاهد مختصراً ، وقال : «وهذا مرسل» ، وقال ابن حجر في الكافي الشاف ١٨٦ / ٤ : «ورواه ابن أبي حاتم وغيره عن طريق ابن خالد ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد به مرسلًا» ، وجامع النقول لابن خليفة ٣٣٤ . وذكرت الرواية من غير بيان طريقها في بحر العلوم ٤٩٦ / ٣ ، والبحر المحيط ٤٩٧ / ٨ .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من كلتا النسختين ، وأثبت ما جاء في الموطأ ٣٦٣ / ١ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) الحديث أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الاعتكاف ، باب (٦) ٢٦٣ / ١ ح ٥ ، والرواية عن مالك أنه سمع من يثق به من أهل العلم يقول : «إن رسول الله ﷺ أري أعمار الناس قبله ، أو ما شاء الله من ذلك ، فكانه تقاصر أعمار أُمته أن لا يبلغوا من العمل الذي بلغ غيرهم من طول العمر ، فأعطاه الله ليلة القدر ، خير من ألف شهر» . انظر : بحر العلوم ٢٩٦ / ٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٣٢ / ٢٠ ، ١٣٣ ، والدر المنثور ٥٦٨ / ٨ ، ونسبه إلى مالك في الموطأ ، والبيهقي في شعب الإيمان ٢٧٣ / ٣ ح ٣٦٦٧ .

(٤) في (أ) و(ع) : (شهرًا) .

(٥) وتفضيلها بالخير على ألف شهر إنما هو بتضعيف فضل ما يحصل فيها من الأعمال الصالحة ، واستجابة الدعاء ، ووفرة ثواب الصدقات ، والبركة للأمة فيها . قاله ابن عاشور في التحرير والتنوير ٤٥٩ / ٣ .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

يعني جبريل في قول ابن عباس^(١)، (ومقاتل^(٢))^(٣)، والجمهور^(٤) .

وذكرنا ما قيل في تفسير الروح عند قوله : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ [النبا: ٣٨] .

وقوله : ﴿فِيهَا﴾ ؛ أي في ليلة القدر .

قال المفسرون^(٥) : «تنزل الملائكة ، ومعهم جبريل في ليلة القدر بالرحمة من الله ، والسلام على أوليائه ، فيصلون ويسلمون على كل عبد قائم ، (أو قاعد)^(٦)»

(١) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) حكاه عن أكثر المفسرين الثعلبي في الكشف والبيان ١٣/ ١٣٠ أ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٢٨٧ ، والخازن في لباب التأويل ٤/ ٣٩٧ ، والشوكاني في فتح القدير ٥/ ٤٧٢ ، وقال به أيضاً سعيد بن جبير في النكت والعيون ٦/ ٣١٣ ، وإليه ذهب الطبري في جامع البيان ٣٠/ ٢٦٠ ، والسمرقندي في بحر العلوم ٣/ ٤٩٦ ، وانظر : معالم التنزيل ٤/ ٥١٢ ، والمحزر الوجيز ٥/ ٥٠٥ ، والكشاف ٥/ ٢٢٥ .

(٥) ممن قال بمعنى ذلك ابن عباس ، وعلي ، وعكرمة . انظر : جامع البيان ٣٠/ ٢٦٠ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٣٠ ب ، حمل هذا المعنى القراءة عنهم : (من كل امرئ) فتأولها الكلبي على أن جبريل ينزل فيها مع الملائكة ، فيسلمون على كل امرئ مسلم . انظر : النكت والعيون ٦/ ٣١٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٣٤ ، ومجاز القرآن ٢/ ٣٠٥ .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

يذكر الله تعالى ، (وهذا المعنى روي أيضاً مرفوعاً^(١)) «^(٢) ، وقال آخرون : «إنهم ينزلون إلى السماء الدنيا بكل ما قضاه الله وقدره في السَّنة»^(٣) . يدل عليه قوله :

﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ .

قال مقاتل : «يعني بكل أمر قدره الله ، وقضاه في ما يكون في تلك السَّنة»^(٤) .

وهذا كقوله تعالى : ﴿يَحْفَظُونَهُ (مَنْ أَمَرَ) اللَّهُ﴾ [الرعد : ١١] ؛ أي بأمره ، وقد مرَّ^(٦) .

(١) وهذا مروى عن أنس قال : قال النبي ﷺ : «إذا كان ليلة القدر ، نزل جبريل في كعبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله تعالى» . ذكر ذلك الثعلبي عن أنس في الكشف والبيان ١٣٠ / ١٣ - ب ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٣٤ / ٢٠ ، وانظر : زاد المسير ١٨٧ / ٨ عن أنس ، والدر المنثور ٥٨٣ / ٨ مفصلاً ، ونسب السيوطي تخريجه إلى البيهقي عن أنس . قال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٥٦٨ / ٤ : «وروى البيهقي في كتاب فضائل الأوقات عن علي أشرأغرياً في نزول الملائكة ومروهم على المصلين ليلة القدر ، وحصول البركة للمصلين» . تفسير القرآن العظيم ٥٦٨ / ٤ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) ذكر نحوه الثعلبي في الكشف والبيان ١٣٠ / ١٣ ب .

(٤) انظر : الحاشية ٨٩٤ / ٩ ، وهذا القول حكاه عن أكثر المفسرين كل من الطبري في جامع البيان ٢٦٠ / ٣٠ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٢٨٧ / ٨ ، والفخر في التفسير الكبير ٣٦ / ٣٢ ، والقرطبي إلى ابن عباس في الجامع لأحكام القرآن ١٣٣ / ٢٠ ، وورد في لباب التأويل ٣٩٨ / ٤ غير منسوب .

(٥) (مر) بياض في (أ) .

(٦) مما جاء في تفسير آية الرعد : «... لها قولان :

أحدهما : أنه على التقديم والتأخير ، تقديره : له معقبات من أمر الله يحفظونه ، وهو معنى ابن عباس قال : هم الملائكة ، وهم من أمر الله .

والثاني : أن هذا على إضمار ؛ أي ذلك الحفظ من أمر الله ؛ أي مما أمر الله به .

وهناك قول ثالث ، هو أن معنى الآية يحفظون بأمر الله .

وهذا القول اختيار الزَّجَّاج^(١) ، ويدخل في هذا الرحمة والبركة والخير ؛ لأن كل ذلك من أمر الله ، فهم ينزلون إلى السماء بكل قدر قضي في تلك السَّنة إلى الأرض بالخير والرحمة للمؤمنين .

يدل على ذلك قوله (تعالى)^(٢) : ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۖ سَلَامٌ﴾^(٣) .

قال ابن عباس (في رواية عطاء : سلام)^(٤) : «على أولياء الله ، وأهل طاعته»^(٥) .

وقال الكلبي^(٦) : «كلما لقي الملائكة مؤمناً أو مؤمنة في ليلة القدر سَلَّموا عليه من ربه»^(٧) ، وهذا قول منصور بن زاذان^{(٨)(٩)} (واختيار الفرَّاء^(١٠))^(١١) . ويكون التقدير على هذا : ذات^(١٢) سلام هي ، ثم حذف المضاف ، ومعنى ذات سلام ؛ أي فيها سلام الملائكة على المؤمنين .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣٤٧/٥ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) لم أعثر على مصدر لقوله ، وقد وردت رواية عن عطاء بمثله في معالم التنزيل ٥١٢/٤ ، وفتح القدير ٤٧٢/٥ .

(٦) في (أ) : (قال) .

(٧) ورد قوله في جامع البيان ٢٦٠/٣٠ ، والنكت والعيون ٣١٤/٦ ، ومعالم التنزيل ٥١٢/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٣٤/٢٠ ، وفتح القدير ٤٧٢/٥ .

(٨) في (أ) : (زيادان) .

(٩) ورد قوله في الكشف والبيان ١٣١/١٣ ، والمحزر الوجيز ٥٠٦/٥ ، والبحر المحيط ٤٩٧/٨ .

(١٠) معاني القرآن ٢٨٠/٣ .

(١١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(١٢) في (أ) : (آت) .

٥. وفي قوله : ﴿سَلَّمَ﴾ قول آخر ، قال مجاهد : «هي سالمة من أن يحدث فيها داء أو غائلة»^{(١)(٢)} .

ثم بيّن أن تلك الليلة بهذه الصفة إلى الصباح ، فقال :

﴿هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ .

قال ابن عباس^(٣) ، والمفسرون^{(٤)(٥)} : إلى مطلع الفجر .

والمطلع : الطلوع يقول : طلع الفجر طُلُوعاً وَمَطْلَعاً^(٦) ، وَمَنْ قرأ بكسر اللام^(٧) فهو اسم لوقت الطلوع ، وكذلك مكان الطلوع مطلع ، قاله الزّجاج^(٨) .

(١) غائلة : أي الداهية ، يقال أتى غُولاً غائلة ؛ أي أمراً منكراً داهياً ، والغوائل : الدواهي ، وقالوا أيضاً : الغائلة : الشر . انظر : لسان العرب (غول) ، (غيل) ٥٠٧/١١ ، ٥١٢ .

(٢) ورد في حاشية تفسير مجاهد ٧٤٠ منسوباً إلى سعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، ومحمد بن نصر ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في شعب الإيمان ، وورد بمعناه في بحر العلوم ٤٩٧/٣ ، والكشف والبيان ١٣/١٣١ أ ، والنكت والعيون ٦/٣١٤ ، ومعالم التنزيل ٤/٥١٢ ، والمحرو الجيز ٥/٥٥٥ ، وزاد المسير ٨/٢٨٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٣٤ ، والبحر المحيط ٨/٤٩٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٦٨ ، وفتح القدير ٥/٤٧٢ .

(٣) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٤) في (أ) : (وغيره) بدلاً من (المفسرين) .

(٥) قال بذلك قتادة ، والكلبي ، وابن زيد . انظر : جامع البيان ٣٠/٢٦١ ، والنكت والعيون ٦/٣١٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٦٨ ، وبه قال الطبري في جامع البيان ٣٠/٢٦١ ، والثعلبي في الكشف والبيان ١٣/١٣١ أ ، وانظر أيضاً : معالم التنزيل ٤/٥١٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٣٤ ، ولباب التأويل ٤/٣٩٨ .

(٦) هذا معنى قراءه الفتح ، وقد قرأ بها ابن كثير ، ونافع ، وعاصم ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحمة ، ويعقوب . انظر : السبعة في القراءات ٦٩٣ ، والقراءات وعلل النحويين فيها ٢/٧٨٧ ، والمبسوط ١٢/٤١٢ ، والحجة ٦/٤٢٧ ، وحجة القراءات ٧٦٨ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع ٢/٣٨٥ ، وتحرير التيسير ٢٠١ ، وإتحاف فضلاء البشر ٤٤٢ .

(٧) ممن قرأ بذلك الكسائي ، وروى عبيد عن أبي عمرو ، وخلف . انظر : المصادر السابقة .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٥/٣٤٨ .

وأَمَّا^(١) أبو عبيدة^(٢)، والفرَّاء^(٣)، وغيرهما^(٤)، فإنهم اختاروا فتح اللام؛ لأنه بمعنى المصدر، وقالوا: «الكسر: اسم نحو المشرق، ولا معنى لاسم موضع الطلوع هاهنا، وإن حمل على ما ذكره الزَّجاج من اسم وقت الطلوع صح».

وقال أبو علي: «أَمَّا الكسر فإن المصادر التي ينبغي أن يكون على المفعَل ما قد كسر منها كقولهم: قد علاه المكبر، والمعجز، وقوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ^(٥) عَنِ الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فكذلك كَسَرَ المَطْلَعُ جاء شاذاً عما عليه^(٦) بابه^(٧)».

* * *

-
- (١) في (أ): (أمام).
 (٢) التفسير الكبير ٣٢/٣٧.
 (٣) ذكره صاحب معاني القرآن ٣/٢٨٠، ٢٨١، وقد بين أنه أقوى في العربية؛ لأن المطلع بالفتح هو الطلوع، والمطلع المشرق والموضع الذي تطلع منه، بيد أن العرب يقولون: طلعت الشمس مطلِعاً فيكسرون، وهم يريدون المصدر كما تقول: أكرمتك، فتجتزئ بالاسم من المصدر.
 (٤) كأبي علي في الحجة ٦/٤٢٧، وابن جرير الطبري في جامع البيان ٣٠/٢٦١.
 (٥) يسلونك) في كلتا النسختين.
 (٦) في (أ): (عليه).
 (٧) الحجة ٦/٤٢٨.

تفسير



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١-٢. ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ ؛ يعني اليهود والنصارى .

﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾ ؛ يعني مشركي العرب ، وذلك أن الكفار كانوا جنسين :

أحدهما : أهل الكتاب [الفرق^(٣)] اليهود ، والنصارى^(٤) كانوا كفاراً^(٥) بإحداثهم في دينهم ما كفروا به كقولهم : ﴿عَزَّيْرُ ابْنِ اللَّهِ﴾ [التوبة : ٣٠] ، و﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة : ٣٠] .

(١) تسمى بسورة أهل الكتاب ، وُسِّمَتْ أيضاً : سورة البَيْتَةِ ، وسورة القيامة ، وسورة البرية ، وسورة الانفكاك . انظر : الإتيان ١/ ١٥٩ .

(٢) فيها قولان : أحدهما أنها مدنية ، والآخر أنها مكية . انظر : المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٧ ، وزاد المسير ٨/ ٢٨٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٣٨ ، ولباب التأويل ٤/ ٤٩٨ ، وروح المعاني ٣٠/ ٢٠٠ .

(٣) [الفرق] في كلتا النسختين ، وأثبت ما جاء في التفسير الكبير ٣٢/ ٣٩ لاستقامة الكلام به .

(٤) بياض في (ع) .

(٥) بياض في (ع) .

(٦) في (أ) : (هو) .

والثاني : المشركون ، وأهل الأوثان الذين كانوا لا ينتسبون إلى كتاب ، فذكر الله - تعالى - الجنسَيْن ^(١) بقوله : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ مُنْفَكِينَ ﴾ . قال أبو عبيدة ^(٣) ، والأخفش ^(٤) ، والمبرد ^(٥) : « زائلين » .

وأنشد أبو عبيدة ^(٦) لذي الرمة :

حَرَّاجِيْجٌ لَا تَنْفُكُ إِلَّا مُنَاخَةً

عَلَى الْحَسْفِ أَوْ نَرْمِي بِهَا بَلَدًا قَفْرًا ^{(٧)(٨)}

(١) غير مقروء في (ع) .

(٢) ما جاء في تفسير ﴿ وَالْمُشْرِكِينَ ﴾ قد نقله الفخر بنصه في التفسير الكبير ٣٢ / ٣٩ ، ٤٠ .

(٣) مجاز القرآن ٢ / ٣٠٦ .

(٤) تهذيب اللغة (فك) ٩ / ٤٥٨ .

(٥) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٦) لم أجدّه في مجاز القرآن ، وهو من شواهد القرّاء في معانيه ٣ / ٢٨١ .

(٧) (أو نرمي به بلداً قفراً) : غير مقروء في (ع) .

(٨) ورد البيت في ديوانه ٣ / ١٤١٩ ، وتهذيب اللغة (فك) ٩ / ٤٥٩ ، ولسان العرب (فك) ١٠ / ٤٧٧ ،

وكلاهما برواية : (فلائص) بدلاً من (حراجيج) ، والصحاح (فكك) ٤ / ١٦٠٣ ، وفيه (ما تنفك)

بدلاً من (لا تنفك) ، وتاج العروس ٧ / ١٦٩ ، وفيه (فلائص) بدلاً من (حراجيج) ، ومعاني القرآن

للفرّاء ٣ / ٢٨١ ، وكتاب سيبويه ٣ / ٤٨ ، ومغني اللبيب ١ / ١٣١ ش ١٠٧ ، وشرح المفصل

٧ / ١٠٦ ، وفيه (ما تنفك) بدلاً من (لا تنفك) ، والهمع ١ / ١٢٠ ، طبعة دار المعرفة ، وإعراب القرآن

للنحاس ٥ / ٢٧٢ . الحراجيج : الطوال ، جمع حرجوج ، يقول : لا تفارق هذه الإبل السير إلا في حال

إناختها ، والخسف : الإذلال ، وهو أيضاً المبيت على غير علف . انظر : حاشية كتاب سيبويه ٣ / ٤٨ ،

يقول : « ما ينفصل عن جهد ومشقة إلا في حال إناختها على الخسف ، ورُمي البلد القفر بها ؛ أي تنتقل

من شدة إلى شدة » . انظر : شرح أبيات معاني القرآن ١٣٠ .

وَأُنْشِدْ أَيْضاً لِلْكَمِيتِ^(١) :

وَلَمْ تَنْفَكْ مِمَّا عَلَى مَنْ يَكِيدُهُ غِبَارُ^(٢) أَثَارَتِهِ السَّنَابِكُ أَصْهَبُ^(٣)
ومعنى انفك : (انفصل ، يقال : فككت الشيء فانفك)^(٤) ، ويستعمل
بمعنيين ، الأصل واحد :

أحدهما : الانفكاك الذي هو الانفصال والبيئونة من الشيء بعد الملايسة
والاجتماع ، تقول : قد انفككت منك ، وانفك الشيء من الشيء^(٥) .

(والثاني بمعنى : ما زال^(٦) ، ولا يزال ، يقول : ما انفك يفعل كذا ، ولا ينفك
يفعل كذا ، وإذا استعمل بهذا المعنى فلا بُدَّ من أن يكون معه جحد^(٧) ، يقول : ما
انفككت^(٨) أذكرك^(٩) . تريد : ما زلت أذكرك ، وأصله هذا أيضاً من الانفصال
من ذكرك^(١٠) .

(١) بياض في (ع) .

(٢) في (أ) : غباراً .

(٣) لم أعثر عليه في ديوانه .

(٤) ما بين القوسين من قول الليث ، نقله عن الواحدي من تهذيب اللغة (فكك) ٩/٤٥٧ ، ٤٥٨ ،
وانظر : الصحاح (فكك) ٤/١٦٥٣ ، ولسان العرب (فكك) ١٠/٤٧٥ .

(٥) بياض في (ع) .

(٦) في (أ) : (وَأَزَالَ) .

(٧) أي (نقي) .

(٨) في (أ) : (انفككت) .

(٩) في (أ) : (أذكر) .

(١٠) ما بين القوسين من قول الفراء نقله عنه بتصريف من معاني القرآن ٣/٢٨١ ، وانظر : تهذيب اللغة
٩/٤٥٨ ، ٤٥٩ .

ومن هذا قول طرفة :

فَأَلَيْتُ^(١) لَا يَنْفَكَ كَشْحِي بِطَانَةً لِعَضْبٍ رَقِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ مُهَنْدٍ^(٢)
أي لا يزال .

وكذلك قول الكميت الذي أنشدناه ، فأما قول ذي الرمة : « لا ينفك إلا مناخة » فجعله الفرّاء من الانفكاك الذي هو الانفصال ، قال : « لأنك لا تقول : ما زلت إلا قائماً ، ودخول (إلا) في قوله : (إلا مناخة) يدل على قوله أنه لم يرد لا ينفك : لا يزال » .

وجعله غيره^(٣) بمعنى : لا تزال^(٤) ، وتكون (لا) صلة^(٥) للضرورة ، أو تحقيقاً لحالتها من الإناخة على الخسف ، أو السير عليها .

وأما الذي في الآية فهو من الانفصال ، وليس بمعنى : لم يزالوا^(٦) .

(١) في (أ) : (ماليت) .

(٢) ورد البيت في ديوانه ٣٧ ، طبعة المؤسسة العربية ، والكشف والبيان ١٣/ ١٣٢ أ برواية : (الرقيق) ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٤٠ . معنى البيت : لا ينفك : لا يزال . وما انفك : ما زال ، والبطانة : نقبض الظهارة . والعضب : السيف القاطع . وشفرتا السيف : حداه ، والجمع : الشفرات والشفار . يقول : ولقد حلفت أن لا يزال كشحي لسيف قاطع رقيق الحدين طبعته الهند منزلة البطانة للظهارة . انظر : ديوانه ٣٧ .

(٣) كالمازني ، وأبي جعفر . انظر : إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٧٢ ، وشرح المفصل ٧/ ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٤) في (ع) : (ما زال) .

(٥) أي (زائدة) .

(٦) بياض في (ع) .

قال عطاء^(١)، والكلبي^(٢) عن ابن عباس: «لم يكونوا منتهين عن كفرهم بالله وعبادتهم غير الله»، (وهو قول قتادة^(٣)، ومقاتل^(٤))^(٥).

قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾. قال ابن عرفة: «أي حتى أتتهم»^(٦)، لفظه لفظ المضارع، ومعناه الماضي»^(٧).

وهذا كقوله: ﴿مَا تَنَلُّوا الشَّيْطَانُ﴾ [البقرة: ١٠٢]؛ أي ما تلت، وقد مرَّ بيانه.

وقوله: ﴿الْبَيِّنَةُ﴾. قال ابن عباس: «يريد محمداً ﷺ»^(٨)، وهو قول مقاتل، قال: «يعني محمداً مبيناً لهم ضلالتهم وشركهم»^(٩).

ومعنى ﴿الْبَيِّنَةُ﴾: الحجة الظاهرة التي يتميز بها الحق من الباطل، فالنبي ﷺ بيّنة^(١٠)، وإقامة الشهادة العادلة بيّنة، وكل برهان بيّنة.

ويقول زيد: «بيّني على هذا الأمر، إذا كان شهد لك في دعواك»^(١١).

(١) الوسيط ٥٣٩/٤.

(٢) المرجع السابق.

(٣) ورد في تفسير عبدالرزاق ٣٨٧/٢، وجامع البيان ٢٦٢/٣٠، وتفسير ابن كثير ٥٧٤/٤، والدر المنثور ٥٨٨/٨ منسوباً إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٤) تفسير مقاتل ٢٤٦ أ.

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٦) غير واضحة في (ع).

(٧) تهذيب اللغة (فك) ٤٥٨/٩، ولسان العرب (فكك) ٤٧٧/١٠.

(٨) الوسيط ٥٣٩/٤، ومجموع الفتاوى ٨٩/٥، وقال بمثله قتادة في بحر العلوم ٤٩٨/٣.

(٩) الوسيط ٥٣٩/٤، وانظر: مجموع الفتاوى ٨٩/١٥، وعبارته: (وإنها البيان).

(١٠) ورد بمعناه عن الثعلبي في الكشف والبيان ١٣/١٣٢ أ.

(١١) لم أعثر على مصدر لقوله.

ومعنى الآية : إخبار الله - تعالى - عن الكفار أنهم لم^(١) ينتهوا عن كفرهم وشركهم بالله حتى أتاهم محمد ﷺ (بالقرآن)^(٢) ، فبين لهم ضلالتهم^(٣) ، وجهالتهم ، ودعاهم إلى الإيمان ، فآمنوا ، ولم يكونوا مؤمنين منفصلين عن كفرهم^(٤) قبل بعثته^(٥) .

وهذا بيان عن النعمة بمحمد ﷺ والإنقاذ^(٦) به من الجهل والضلالة .

والآية في مَنْ آمن من الفريقين ، وهذه الآية من أصعب^(٧) ما في القرآن نظماً وتفسيراً ، وقد تخبّط فيها الكبار من العلماء ، وسلخوا في تفسيرها طرقاً لا تفضي بهم إلى الصواب .

والوجه في تفسيرها : ما أخبرناك به ، فاحمد الله إذ أتاك بيانها من غير لبس ولا إشكال^(٨) ويدل على هذا المراد بالبيّنة محمد ﷺ أنه أبدل منها فقال : ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ﴾ .

(١) في (أ) : (لن) .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) بياض في (ع) .

(٤) بياض في (ع) .

(٥) رجّح الإمام الطبري هذا المعنى للآية الكريمة في جامع البيان ٢٦٢/٣٠ ، والثعلبي في الكشف والبيان ١٣/١٣٢ أ ، وذهب إلى ترجيحه أيضاً البغوي في معالم التنزيل ٤/٥١٣ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/٢٨٩ ، وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٦/٤٨٩ عن هذا القول : «إنه الأشهر عند المفسرين» ، على أنه رجّح قولاً آخره هو : «المراد أنهم لم يكونوا متروكين حتى يرسل إليهم رسول» . انظر : مجموع الفتاوى ١٦/٤٩٤ . وتوجد أقوال أخرى ذكرت في ما ذكرت من مصادر بهذا الشأن ، وقد فنّدها ابن تيمية في مجموعه ١٦/٤٨٠ وما بعدها ، إضافة إلى ذكرها في معاني القرآن للفرّاء ٣/٢٨١ ، والنكت والعيون ٦/٣١٥ ، والمححر الوجيز ٥/٥٠٧ .

(٦) في (أ) : (الاعاد) .

(٧) في (أ) : (أضعف) .

(٨) قال الفخر في التفسير الكبير ٣٢/٣٨ تعليقا على ما قاله الإمام الواحدي ، وبعد ما ذكر قوله في معنى الآية : «ثم إنه - رحمه الله - لم يلخص كيفية الإشكال فيها» . ثم قال : «وأنا أقول : وجه الإشكال أن تقدير الآية : لم يكن الذين كفروا منفيين حتى تأتيتهم البيّنة ، التي هي الرسول ، ثم إنه - تعالى - لم يذكر =

قال أبو إسحاق : «رسول : رُفِعَ على البذل من البينة ، والتفسير لها»^(١) .

وقال الفرّاء : «رسول نكرة استؤنف على البينة ، وهي معرفة كما قال : ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج : ١٥]^(٢) فقال : قوله^(٣) (تعالى)^(٤) : ﴿يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾^(٥)» .
هذا من نعت الرسول ، والصحف جمع صحيفة ، وهي ظرف للمكتوب .

والمعنى يتلو^(٦) ما يتضمن الصحف من المكتوب فيها ، يدل ذلك على أنه كان يتلو^(٧) على ظهر قلبه ، لا عن كتاب ، لأنه كان أُمِّيًّا لا يكتب^(٨) .

أنهم منفكون عن ماذا ؛ لكنه معلوم إذ المراد هو الكفر الذي كانوا عليه ، فصار التقدير : لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة التي هي الرسول ، ثم إن كلمة (حتى) لانتهاء الغاية ، فهذه الآية تقتضي أنهم صاروا منفكين عن كفرهم عند إتيان الرسول ، ثم قال بعد ذلك : ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ ، وهذا يقتضي أن كفرهم قد ازداد عند مجيء الرسول ، فحينئذ يحصل بين الآية الأولى والآية الثانية مناقضة في الظاهر . هذا منتهى الإشكال في ما أظن .
والجواب عنه من وجوه : أولها وأهمها الوجه الذي لخصه صاحب الكشاف ، وهو «أن الكفار من الفريقين : أهل الكتاب ، وعبداء الأوثان كانوا يقولون قبل مبعث محمد ﷺ : لا ننفك عما نحن عليه من ديننا ، ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والإنجيل ، وهو محمد ﷺ ، فحكى الله - تعالى - ما كانوا يقولونه ، ثم قال : ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ ؛ يعني أنهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق إذا جاءهم الرسول ، ثم ما فرّقهم عن الحق ، ولا أفرهم على الكفر إلا بمجيء الرسول» . انظر : التفسير الكبير ٣٢ / ٣٨ ، ٣٩ ، والكشاف ٤ / ٢٢٦ .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٣٤٩ .

(٢) ورد في معاني القرآن ٣ / ٢٨٢ بنصه .

(٣) في (ع) : (وقوله) .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٦) (يتلوا) هكذا في كلتا النسختين .

(٧) في (أ) و(ع) : (يتلوا) .

(٨) نقله الفخر عن الواحدي في التفسير الكبير ٣٢ / ٤٢ ، والشوكاني في فتح القدير ٥ / ٤٧٥ ، ونسبه إلى الواحدي .

وقوله : ﴿مُطَهَّرَةً﴾ . قال ابن عباس : «يريد من الكذب ، والزور ، والشك ، والنفاق ، والضلال ، والشبهات»^(١) . (وقال مقاتل : «من الكفر ، والشرك»^(٢))^(٣) . وقال أبو إسحاق : «أي هي مطهرة من الباطل»^(٤) . يدل على هذا قوله : ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت : ٤٢] ، وهذا كقوله : ﴿مَرْفُوعَةً مُطَهَّرَةً﴾ [عبس : ١٤] ، وهذا قول قتادة : «مطهرة من الباطل ، وهو القرآن يذكر بأحسن الذكر ، ويشنى عليه أحسن الثناء»^(٥) . و(المطهرة) : جرت نعتاً للصحف في الظاهر ، وهي نعت لما في الصحف من القرآن ، ولكن لما كانت الصحف مذكورة دون ما فيها أُجري النعت عليها ، وهو لما فيها ؛ كما أن المراد بالصحف ما فيها . ويبيّن ما ذكرنا :

٣ . قوله تعالى : ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ . قال عطاء : «يريد مستقيمة»^(٦) . وقال الكلبي : «صادقة»^(٧) .

وقال^(٨) (مقاتل : «كتب مستقيمة ليس فيها عوج ولا اختلاف» ، قال :)^(٩) «وإنها سُميت كتباً ؛ لأن فيها أموراً شتى كثيرة مما ذكر الله في القرآن»^(١٠) .

(١) ورد في الجامع لأحكام القرآن ١٤٢/٢٠ من غير ذكر الكذب والشبهات .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣٤٩/٥ .

(٥) ورد في جامع البيان ٢٦٣/٣٠ ، والنكت والعيون ٣١٦/٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٤٢/٢٠ مختصراً جداً ، وتفسير القرآن العظيم ٥٤٧/٤ ، وفتح القدير ٤٧٥/٥ مختصراً جداً ، والدر المنثور ٥٨٨/٨ منسوباً إلى عبد الرزاق قلت : ولم أجده عند عبد الرزاق . وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٦) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٧) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٨) في (أ) : (قال) بغير واو .

(٩) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(١٠) ورد في تفسير مقاتل ٢٤٦ ب ، وورد غير منسوب في زاد المسير ٢٨٩/٨ .

(وقال أبو إسحاق : «كتب مستقيمة غير ذات عوج ؛ تبين الحق من الباطل على الاستواء»^(١))^(٢) .

وقال أبو عبيدة : «القيامة القائمة العادلة»^(٣) .

وذكرنا تفسير القيم عند قوله : ﴿دِينَاقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٦١]^(٤) ، وهو من قام يقوم كالسيد والميت^(٥) .

قال صاحب النظم : «(قيمة) مستوية محكمة ؛ من (قام يقوم) إذا استوى ، وصحَّ من قولهم : قام الدليل على كذا ، إذا أظهر^(٦) واستقام ، ويجوز أن تكون (القيمة) بمعنى القائمة ، ما^(٧) يراد منها من الحجة^(٨) من قولهم : قام فلان بالأمر يقوم به ، إذا أجراه على وجهه ، ومنه يقال : للقائم بأمر القوم : القيم» .

وفي الحديث : «ما أفلح قوم قيمتهم امرأة»^(٩) ، فيكون المعنى : كتب قيمة بالأحكام والحجج .

(١) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٣٥٠ / ٥ بتصرف يسير .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) ورد في مجاز القرآن ٣٠٦ / ٢ بنصه .

(٤) مما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿وَقِيمًا﴾ : «قال ابن عباس : يريد مستقيماً» ، ويجوز ذلك ، قال الأخفش ، والزجاج في القيم : «وهو من باب الميت والصيب ونحوه» .

(٥) بياض في (ع) .

(٦) في (ع) : (قام) .

(٧) في (ع) : (مما) .

(٨) بياض في (ع) .

(٩) أخرجه أحمد في المسند ٥٠ / ٥ بلفظ : «ما أفلح قوم يلي أمرهم امرأة» من طريق عبدالرحمن بن أبي بكر .

والقول الأول أظهر ، وهو قول المفسرين^(١) ؛ لأن هذا الثاني لا يحتاج إلى تقدير محذوف .

ومعنى الكتب في قوله : ﴿ كُتِبَ قِيمَةٌ ﴾ الآيات المكتوبة في الصحف .

قال صاحب النظم : « وتكون كتب بمعنى حَكَم ، كقوله تعالى : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ ﴾ [المجادلة: ٢١] ؛ أي حَكَمَ الله » .

ومنه حديث العسيف^(٢) : « لأقضين بينكما بكتاب الله »^(٣) ؛ أي بحكم

(١) قال به الطبري في جامع البيان ٢٦٣/٣٠ ، والسمرقندي في بحر العلوم ٤٩٩/٣ ، والثعلبي في

الكشف والبيان ١٣/١٣٢ أ ، وانظر : معالم التنزيل ٥١٢/٤ .

(٢) عسيفاً : أي أجيراً ، وجمعه عسفاء . انظر : شرح صحيح مسلم ٢١٨/١١ .

(٣) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب الصلح ، باب (٥) ٢٦٦/٢ ، ح ٢٩٦٥ ، ٢٩٦٦ من طريق أبي هريرة ، وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما ، قالوا : « جاء أعرابي فقال : يا رسول الله ، أقض بيننا بكتاب الله ، فقام خصمه فقال : صدق ، أقض بيننا بكتاب الله ، فقال الأعرابي : إن ابني كان عسيفاً على هذا ، فزني بامرأته ، فقالوا لي : على ابنك الرجم ، ففديت ابني منه ببائة من الغنم ووليدة ، ثم سألت أهل العلم فقالوا : إنما على ابنك جلد مائة وتغريب عام . فقال النبي ﷺ : « لأقضين بينكم بكتاب الله ، أمّا الوليدة والغنم فرد عليك ، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام . وأمّا أنت يا أنيس لرجل ، فاغد على امرأة هذا فارجمها » ، فغدا عليها أنيس فرجمها » .

وفي البخاري أيضاً في كتاب الشروط ، باب (٩) ٢٧٦/٢ ح ٢٧٢٤ ، ٢٧٢٥ ، وكتاب الحدود ، باب (٣٠) ٤/٢٥٦ ح ٦٨٢٧ ، ٦٨٢٨ ، وكتاب الحدود ، باب (٣٤) ٤/٢٥٩ ح ٦٨٣٥ ، ٦٨٣٦ ، وكتاب الحدود ، باب (٣٨) ٤/٢٦١ ح ٦٨٤٢ ، ٦٨٤٣ ، وكتاب الحدود ، باب (٤٦) ٤/٢٦٤ ح ٦٨٥٩ ، ٦٨٦٠ ، وكتاب الأحكام ، باب (٣٩) ٤/٣٤١ ح ٧١٩٣ ، ٧١٩٤ ، وكتاب الآحاد ، باب (١) ٤/٣٥٥ ح ٧٢٦٠ في كتاب الاعتصام ، باب (٢) ٤/٣٥٥ ح ٧٢٦٠ ، وكتاب الاعتصام ، باب (٢) ٤/٣٥٩ ح ٧٢٧٩ ، ٧٢٧٩ ، ومسلم في صحيحه في كتاب الحدود ، باب (٤) ٣/١٣٢٤ ح ٢٥ ، وأبو داود في السنن في كتاب الحدود ، باب : في المرأة التي أمر النبي ﷺ برجمها من جهينة ٢/٥٠٥ ، ومالك في الموطأ في كتاب الحدود ٢/٦٢٧ ح ٦ ، وأحمد في المسند ٤/١١٥ ، ١١٦ ، والدرايم في كتاب الحدود ، باب (١٢) ٢/٦١٩ ح ٢٢٣١ ، وابن ماجه في سننه في كتاب الحدود ، باب (٧) ٢/٨٥ ح ٢٥٧٧ ، =

الله^(١). فيحتمل على هذا أن يكون ﴿كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ أحكاماً قيمةً. ثم ذكر من لم يؤمن من أهل الكتاب.

٤. قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾.

قال المفسرون: «لم يزل أهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد ﷺ، لأن نعتهم معهم، فلما بعثه الله تفرقوا في أمره، واختلفوا، فأمن به بعضهم، وكفر آخرون»^(٢).

وهذا المعنى مذكور في مواضع من التنزيل كثير^(٣).

والمراد بالبينّة النبي ﷺ^(٤) كما ذكرنا آنفاً^(٥). وذكر الله - تعالى - فريقين^(٦) من الكفار في أول السورة أسلموا لما أتاهم النبي ﷺ، وذكر هاهنا فرقة واحدة ثبتوا على الكفر، وهم من أهل الكتاب؛ ذلك لأن المشركين لم يقرؤوا على دينهم،

= والترمذي في سننه في كتاب الحدود، باب (٨) ٣٩، ح ١٤٣٣، والنسائي في سننه في كتاب آداب القضاء، باب (٢٢) ٨/٢٣٢، ٦٣٣ ح ٥٤٢٥، ٥٤٢٦.

(١) ورد قول صاحب النظم في فتح القدير ٥/٤٧٥، وورد غير منسوب في الجامع لأحكام القرآن ١٤٣/٢٠.

(٢) حكاه عن الأكثرين البغوي في معالم التنزيل ٤/٥١٣، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/٢٨٩، والشوكاني في فتح القدير ٥/٤٧٥، وقال به الطبري في جامع البيان ٣٠/٢٦٣، وانظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٤٣، ولباب التأويل ٤/٣٩٩.

(٣) نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ بَعْدَ بَيِّنَتِهِمْ﴾ [الشورى: ١٤].

(٤) قال بذلك أيضاً عكرمة، وابن جريج، وذكره صاحب الدر المنثور ٨/٥٨٨ منسوباً إلى ابن المنذر.

(٥) الآية ١ من هذه السورة.

(٦) من أول السورة إلى قوله: ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ حكمها في من آمن من أهل الكتاب والمشركين. ومن قوله: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ حكمه في من لم يؤمن من أهل الكتاب والمشركين بعد قيام الحجج. انظر: الكشف والبيان ١٣/١٣٢ ب.

فَمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ صَارَ مُؤْمِنًا ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ قُوتِلَ وَأَرِيقَ دَمُهُ ، بخلاف أهل الكتاب الذين تَفَرَّقُوا عَلَى دِينِهِمْ بِأَخْذِ الْجُزْئِ^(١) .

ثم ذكر بما إذا كانوا أمروا في كتبهم ، فقال :

٥ . (قوله)^(٢) : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ .

قال ابن عباس : «يريد وما أمروا في التوراة والإنجيل»^(٣) .

وقال مقاتل : «يقول : وما أمرهم محمد إلا ليعبدوا الله ؛ يعني أنه لم يأمرهم إلا بإخلاص العبادة له ، فكان من حقهم أن يطيعوه»^(٤) .

وقال الفرّاء في قوله : ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ : «العرب تجعل (اللام) في موضع (أن) في الأمر والإرادة كثيراً»^(٥) ، من ذلك قوله : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [النساء : ٢٦] ، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا﴾ [الصف : ٨] قال في الأمر : ﴿وَأْمُرْنَا لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام : ٧١] ، وهي^(٦) من قراءة عبدالله : (وما أمروا إلا أن يعبدوا الله)^{(٧)(٨)} .

(١) المراد بالجزية : الخراج المضروب على رؤوس الكفار إذلالاً وصغاراً ، واسمها مشتق من الجزاء ؛ إمّا جزاء على كفرهم لأخذها منهم صغاراً ، وإمّا جزاء على أماناتهم لأخذها منهم رفقا . انظر : أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية ٢٢ / ١ ، والأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي ١٨١ . وقد أجمع الفقهاء على أن الجزية تؤخذ من أهل الكتاب ومن المجوس . انظر : أحكام أهل الذمة ١ / ١ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٣) ورد في معالم التنزيل ٥١٤ / ٤ ، ولباب التأويل ٣٩٩ / ٤ ، وورد نحوه غير منسوب في التفسير الكبير ٤٣ / ٣٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٤٤ / ٢٠ .

(٤) ورد في تفسير مقاتل ٢٤٦ ب بمعناه .

(٥) في (أ) : (كثير) .

(٦) في (أ) : (وفي) .

(٧) قراءة عبدالله شاذة السند لعدم ورودها في كتب التواتر ، وهي من باب البيان ، وليست القراءة القرآنية .

(٨) معاني القرآن ٢٨٢ / ٣ .

وقوله : ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ . قال أبو إسحاق : «أي يعبدونه موحدين له ، لا يعبدون معه غيره»^(١) ، ويدل على هذا قوله : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [التوبة : ٣١] .

وقوله : ﴿حُفَاءَ﴾ . قال ابن عباس : «على دين إبراهيم»^(٢) .

وذكرنا معنى الحنيف والحنفاء في ما تقدم^(٣) .

قوله تعالى : ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ ؛ يعني المكتوبات في أوقاتها .

﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ عند محلها .

(١) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٣٥٠ / ٥ بنصه .

(٢) ورد في الجامع لأحكام القرآن ١٤٤ / ٢٠ ، وورد نحوه عن مجاهد في التفسير الكبير ٤٦ / ٣٢ ، وورد غير منسوب في زاد المسير ٢٩٠ / ٨ ، ولباب التأويل ٣٩٩ / ٤ .

(٣) جاء ذلك في مواضع عدة ، منها : سورة البقرة ، الآية ١٥٣ ، وسورة النساء ، الآية ١٣٥ ، وسورة الأنعام ، الآية ٧٩ . ومما جاء في تفسير الآية ١٣٥ من سورة البقرة : ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ : أمّا معنى الحنيف فقال ابن دريد : «الحنيف العادل عن دين إلى دين ، وبه سُمي الإسلام الحنيفية ؛ لأنها مالت عن اليهودية ، والنصرانية» . قال أبو حاتم : «قلت للأصمعي : من أين عرف في الجاهلية الحنيف ؟ قال : لأن من عدل عن دين اليهود والنصارى فهو حنيف عندهم ، وكان من حج البيت سُمي حنيفاً ، وكانوا في الجاهلية إذا أرادوا الحج قالوا : هلموا نتحنف ، فالحنيف : المسلم ؛ لأنه مال عن دين اليهود والنصارى إلى دين الإسلام ، ومنه قيل للميل في القدم : حنف» . وعن أبي زيد أنه قال : «الحنيف : المستقيم» . وهذا القول اختيار ابن قتيبة ، والرياشي قالوا : «الحنيفية : الاستقامة على دين إبراهيم» .

وأما التفسير فروي عن ابن عباس أنه قال : «الحنيف المائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام» . وقال مجاهد : «الحنيفية : اتباع الحق» ، وروي عنه أيضاً : «الحنيفية اتباع إبراهيم في ما أتى به من الشريعة التي صار بها إماماً للناس بعده من الحج» . وقيل : «الحنيفية : إخلاص الدين لله وحده» . نقلاً عن البسيط ١ / ٩ باختصار .

قال أبو إسحاق : « المعنى أنهم أمروا مع التوحيد بالإيمان مع النبي ﷺ ، وإقامة شرائعه »^(١) .

ثم ذكر أن ذلك هو الإخلاص ، فقال^(٢) : ﴿ وَذَلِكَ ﴾ ؛ أي ذلك الذي أمروا .

﴿ دِينَ الْقِيَمَةِ ﴾ . قال ابن عباس : « يريد الدين المستقيم »^(٣) .

قال المبرّد^(٤) ، (وأبو العباس^(٥))^(٦) ، وأبو إسحاق : « وذلك دين الملة القيمة . والقيمة^(٧) نعت موصوف محذوف^(٨) » .

قال أبو إسحاق : « يجوز أن يكون المعنى : ذلك دين الأمة القيمة بالحق »^(٩) .

وفي القيمة هاهنا قولان ذكرناهما في قوله : ﴿ كُنْتُ قِيَمَةً ﴾ :

أحدهما : دين الملة القيمة ؛ أي المستقيمة ، والآخر ما ذكره أبو إسحاق .

وقال الفرّاء في قوله : ﴿ دِينَ الْقِيَمَةِ ﴾ : « هو مما^(١٠) يضاف إلى نفسه لاختلاف لفظيه »^(١١) (١٢) .

(١) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٣٥٠ / ٥ بتصرف .

(٢) في (أ) : (يقال) .

(٣) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٤) التفسير الكبير ٤٧ / ٣٢ .

(٥) يراد به أحمد بن يحيى ثعلب ، وقد ورد قوله في مجالس ثعلب ٥٩ / ١ ، وعبارته : (الأمة القيمة) .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) في (ع) : (فالقيمة) .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٣٥٠ / ٥ .

(٩) المصدر السابق .

(١٠) في (أ) : (ما) .

(١١) في (أ) : (لفظه) .

(١٢) معاني القرآن ٢٨٢ / ٣ .

وهذا لا يجوز عند البصريين^(١) على أنه لو كان على ما قال لقيط : دين القيم كما قال : ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [التوبة : ٣٦] ، [يوسف : ٤٠] ، [الروم : ٣٠] .

ثم ذكر مآل الفريقين ، فقال :

٦ . ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى قوله : ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ .

قال ابن عباس : «يريد شر الخلائق»^(٢) .

وقال مقاتل : «يعني شر الخليقة من أهل الأرض»^(٣) .

(وقراءة البرية ، بغير همز^(٤) ، وهو من برأ الله الخلق ، والقياس فيها الهمز إلا أنه مما ترك همزه : كالنبي ، والذرية ، والحابية ، والهمز فيه كالرد إلى الأصل المتروك في الاستعمال ، كما أن من همز صار النبيء كان كذلك ، وترك الهمز فيه أجود ، وإن كان الهمز الأصل ؛ لأنه لما ترك همزه صار همزه كرده إلى الأصول المرفوضة مثل هَتَّنُوا وما أشبهه^(٥) من الأصول التي لا تستعمل ، وهمزٌ من هَمَزَ (البرية) يدل على فساد قول مَنْ قال : إنه من البر الذي هو التراب ، ألا ترى أنه لو كان كذلك^(٦) لم

(١) واحتجوا بأن قالوا : «إنما قلنا بأنه لا يجوز ؛ لأن الإضافة إنما يراد بها التعريف ، والتخصيص ، والشيء لا يتعرف بنفسه ، لأنه لو كان فيه تعريف كان مستغنياً عن الإضافة ، وإن لم يكن له تعريف كان بإضافته إلى اسمه أبعد من التعريف ؛ إذ يستحيل أن يصير شيئاً آخر بإضافة اسمه إلى اسمه ، فوجب أن لا يجوز ؛ كما لو كان لفظها مُتَّفَقاً» . انظر : الإنصاف ٢/ ٤٣٧ ، ٤٣٨ .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله ، وورد نحوه غير منسوب في لباب التأويل ٤/ ٤٠٠ .

(٣) ورد في تفسير مقاتل ٢٤٦ ب ، وورد نحوه غير منسوب في فتح القدير ٥/ ٤٧٦ .

(٤) قرأ نافع ، وابن عامر (خير البرية) ، و(شر البرية) ، مهموزتين ، وقرأ هشام بن عمار عن ابن عامر بغير همز ، وقرأ الباقون (شر البرية) ، و(خير البرية) بلا همز مع تشديد الياءين . انظر : السبعة في القراءات ٦٩٣ ، والقراءات وعلل النحويين فيها ٢/ ٧٨٩ ، والحجة ٦/ ٤٢٨ ، والمبسوط ٤١٣ ، وحجة القراءات ٧٦٩ ، والمهذب ٢/ ٣٢٩ .

(٥) في (أ) : (ما اسمه) .

(٦) في (أ) : (ذلك) .

يجز قول من همزه على حالٍ إلّا على وجه الغلط ، كما حكوا استلأمت^(١) الحجر ، ونحو ذلك من الغلط الذي لا وجه له في الهمزة^(٢) ^(٣) .

ثم ذكر ما مستقر من صدق بالنبي ﷺ ، فقال :

٧ . ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ . وهو ظاهر التفسير إلى قوله : ﴿ذَلِكَ لِمَنْ حَشَى رَبَّهُ﴾

في الدنيا وتناهى^(٤) عن معاصيه .

* * *

(١) في (أ) : (السلامة) .

(٢) في (أ) : (بالهمزة) .

(٣) ما بين القوسين نقله بيسير من التصريف عن الحجة ٦ / ٤٢٨ .

(٤) في (أ) : (تناها) .

تفسير

سورة إذا زلزلت^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ ؛ أي إذا حركت حركة شديدة ، وذكرنا^(٢) تفسير الزلزال عند قوله : ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١١]^(٣) ، وأضيف المصدر هاهنا إلى المفعول ، لموافقة رؤوس الآيات التي جاءت بعدها .

قال المفسرون : «وذلك عند قيام الساعة تحرك الأرض فتضطرب حتى يكسر كل شيء عليها ، ويخرج كل شيء أدخل فيها»^(٤) .

(١) فيها قولان : أحدهما أنها مدنية ، والآخر أنها مكية . انظر : زاد المسير ٢٩١ / ٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٤٦ / ٢٠ ، والبحر المحيط ٥٠٠ / ٨ .

(٢) في (أ) : (ذكرنا) بغير واو .

(٣) مما جاء في تفسيرها : «قوله ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ ؛ أي أزعجوا وحركوا ، يقال : زل فلان عن مكانه وزلزله غيره ، وقال مقاتل : جهدوا جهداً شديداً ، وقال عبدالله بن مسلم : أي شدد عليهم وهول . والزلزال : الشدة ، والزلزال : الشدائد وأصلها من التحريك» .

(٤) قال بذلك مقاتل في تفسيره ٢٤٦ ب ، والطبري في جامع البيان ٢٦٧ / ٣٠ ، والسمرقندي في بحر العلوم ٥٠٠ / ٣ ، والثعلبي في الكشف والبيان ١٣ / ١٣٤ أ ، والماوردي في النكت والعيون ٣١٨ / ٦ =

٢. وهو (قوله)^(١): ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾. قال (ابن عباس)^(٢)^(٣)، والمفسرون^(٤): «أخرجت ما فيها من الموتى».
- وقال الفرّاء^(٥)، (والزَّجَّاج^(٦)^(٧)): «لَفِظَتْ^(٨) ما فيها من كنوزها وموتاهها».

بمعناه . انظر : معالم التنزيل ٥١٥ / ٤ ، وزاد المسير ٢٩١ / ٨ ، وهذا بمعنى قول مقاتل . وقال ابن عطية في المحرر الوجيز ٥١٠ / ٥ قولاً آخر ، فقال : «ولست القيامة موطناً لإخراج الكنوز ، وإنما تخرج كنوزها وقت الدجال» ، ويعني بقوله أنها من أشراط الساعة ، وأنها تكون في الدنيا ، ونسبه ابن الجوزي أيضاً إلى الأكثرية ، وقال عن خارجة : إنها زلزلة يوم القيامة ، وعن آخرين . انظر : زاد المسير ٢٩١ / ٨ ، ٢٩٢ .

- (١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (٢) ورد في جامع البيان ٢٦٦ / ٣٠ ، وزاد المسير ٢٩٢ / ٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٤٧ / ٢٠ ، والبحر المحيط ٥٠٠ / ٨ ، وفتح القدير ٤٨٠ / ٥ ، والدر المنثور ٥٩٢ / ٨ منسوباً إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه .
- (٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (٤) قال بمعناه مجاهد ، وعطية ، ومقاتل . انظر : تفسير مقاتل ٢٤٧ ب ، وجامع البيان ٢٦٦ / ٣٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٤٧ / ٢٠ ، وفتح القدير ٤٧٩ / ٥ ، والدر المنثور ٥٩٢ / ٨ منسوباً إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . وقال به أيضاً السمرقندي في بحر العلوم ٥٠٠ / ٣ ، والثعلبي في الكشف والبيان ١٣٤ / ١٣ ب . وانظر : معالم التنزيل ٥١٥ / ٤ ، ونسبه ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٥٧٦ / ٤ إلى غير واحد من السلف .
- (٥) ورد في معاني القرآن ٢٨٣ / ٣ بمعناه .
- (٦) ورد نحوه في معاني القرآن وإعراجه ٣٥١ / ٥ .
- (٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (٨) في (أ) : (ألفظت) .

وقال أبو عبيدة^(١)، وغيره^(٢): «الأنثقال جمع الثقل، والناس ثقل على الأرض إذا كانوا على ظهرها، فإذا ماتوا وكانوا في بطنها كانوا ثقلًا لها. فذلك قوله: ﴿أَثْقَلَهَا﴾؛ وهي الأبدان إذا نشرت»، ومنه قول الخنساء^(٣) ترثي أخاها:

أَبْعَدَ ابْنِ عَمْرٍو مِنْ آلِ الشَّرِيدِ حَلَّتْ بِهِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا^(٤)
تقول: لما دُفن صار حمّله^(٥) لاثقال الأرض، يعني^(٦) موتاها. وذكرنا عند قوله: ﴿أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾.

ثم ذكر أن الكافر ينكر^(٧) تلك الحالة، فقال:

٣. قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾؛ وهو الكافر^(٨) الذي لم يؤمن بالبعث، يقول: لأي شيء زلزالها؟

(١) مجاز القرآن ٢/ ٣٠٦.

(٢) هو الأخفش، وقد ورد قوله في التفسير الكبير ٣٢/ ٥٨، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٤٧، وفتح القدير ٥/ ٤٧٩.

(٣) تقدّمت ترجمتها في سورة التوبة.

(٤) ورد البيت في ديوانها ١٢٠، طبعة دار بيروت، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٤٧. حَلَّتْ: زَيَّنَتْ بها الأرض موتاها. وقيل: حَلَّتْ من حللت الشيء. والمعنى: ألقت مراسيها، كأنه كان ثقلًا عليها.

(٥) في (ع): (حيلة).

(٦) في (أ): (بعد).

(٧) في (أ): (منكر).

(٨) قال بذلك ابن عباس في جامع البيان ٣٠/ ٢٦٦، وفتح القدير ٥/ ٤٨٠. قال الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣١٩: «ومن قال: إنهم الكفار خاصة، وهذا قول من جعلها زلزلة القيامة؛ لأن المؤمن يعترف بها، فهو لا يسأل عنها، والكافر جاحد لها، فلذلك يسأل عنها».

٤. قول الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾؛ أي تخبر بها عمل عليها .
قال رسول الله ﷺ: «إن الأرض لتخبر يوم القيامة بكل عمل عمل على ظهرها ، وتلا هذه الآية»^(١) .

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٢٧٤ من طريق أبي هريرة رضي الله عنه ، والترمذي في سننه في كتاب صفة القيامة ، باب (٧) ٤/ ٦١٩ ، ٦٢٠ ح ٢٤٢٩ ، والرواية عنده عن أبي هريرة ، قال : قرأ رسول الله ﷺ : ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ، قال : «أندرون ما أخبارها ؟» ، قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : «فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها ، أن تقول : عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا ، قال : فهذه أخبارها» . قال أبو عيسى : «هذا حديث حسن غريب» ، وأخرجه عنه في موضع آخر . انظر : المصدر السابق في كتاب التفسير ، باب (٨٨) ٥/ ٤٤٦ ، ٤٤٧ ح ٣٣٥٣ ، وقال أبو عيسى : «هذا حديث حسن صحيح» ، وأخرجه النسائي في كتاب التفسير (سورة الزلزلة) ٢/ ٥٣٢ ، وقال : «هذا حديث صحيح» ، وقال الذهبي : «قلت : يحى هذا منكر الحديث» ، قاله البخاري ، والحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي ٢٧٥ ح ٤٢٨ ، ٢٥٥٩ ، ٦٤٦ ، ٣٥٩١ ، وضعفه أيضاً محقق تفسير النسائي في الحاشية ٢ ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، لوجود يحى بن سليمان ، قال : «قال عنه البخاري : منكر الحديث» . انظر : ميزان الاعتدال ٤/ ٣٨٣ ، وقال أبو حاتم : «مضطرب الحديث ؛ ليس بالقوي ، يكتب حديثه» . انظر : الجرح والتعديل ٩/ ١٥٤ ١٥٥ ت ٦٤٠ ، وذكره ابن حبان في الثقات في كتاب الثقات ٧/ ٦٠٤ . وقال الحافظ في تخريج الكشاف : «وسعيد يحى بن أبي أيوب ثقة ، وخالفه رشيد بن سعد ، وهو ضعيف ، فقال عن يحى بن أبي سليمان بن أبي حازم بالسندين المذكورين عن أنس ابن مالك ، وأخرجه ابن مردويه» . انظر : الكافي الشاف ٤/ ١٨٦ ، ١٨٧ ح ٣٥٠ . ثم قال : «وله شاهد أخرجه الطبراني في الكبير ٥/ ٦٥ ، رقم ٤٥٩٦ من حديث ابن لهيعة عن الحارث ابن يزيد سمع ربيعة الحرشي يقول ، وذكر الحديث مرفوعاً» ، قال : «وربيعة الحرشي هذا مختلف في صحبته كما في التقريب ١/ ٢٤٧ ت ٦٤ . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب الطهارة ، باب المحافظة على الوضوء ١/ ٢٤١ : «وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف» . وأخرجه ابن حبان كما في موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان في كتاب البعث ، باب (١١) ٦٤١ ح ٢٥٨٦ . وورد مرفوعاً عن طريق أبي هريرة كما في كنز العمال ٢/ ١٤ ح ٢٩٤٩ ، والنكت والعيون ٦/ ٣١٩ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٣٥ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥١٦ ، وزاد المسير ٨/ ٢٩٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٤٨ ، ولباب التأويل ٤/ ٤٠١ ، والبحر المحيط ٨/ ٥٠٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٧٦ ، والدر المنثور ٨/ ٥٩٢ منسوبة إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٤٦٤ ح ٧٢٩٨ ، وجامع الأصول ٢/ ٤٣٣ ح ٨٨٢ . وقال الأرنؤوط في تخريج جامع الأصول ، نقول : «وفي سنده يحى بن أبي سليمان المدني ليثته الحافظ في التقريب ٢/ ٣٤٨ ت ٤٨ وباقي رجاله ثقات» .

٥. قوله : ﴿بَآنَ رَبِّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ . قال الفرّاء : «يقول تحدّث أخبارها بوحي الله وإذنه لها»^(١) .

قال ابن عباس : «يريد أذن لها لتخبر بما عمّل عليها»^(٢) .

وقال أبو عبيدة^(٣) : «﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ ؛ أي أوحى إليها» . وأنشد للعجاج :

أَوْحَىٰ لَهَا الْقَرَارُ فَاسْتَقَرَّتِ^(٤)

٦. قوله تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ . قال المفسرون^(٥) : «يرجع الناس عن موقف الحساب بعد العرض متفرقين ، أهل الإيثار

(١) ورد في معاني القرآن ٢٨٣/٣ بنصه .

(٢) ورد في زاد المسير ٢٩٣/٨ ، وورد نحوه غير منسوب في معالم التنزيل ٥١٥/٤ ، ولباب التأويل ٤٠١/٤ .

(٣) ورد قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٣٠٦/٢ بتصرف .

(٤) قال في أرجوزته :

الحمْدُ لله الذي استَقَلَّتْ	بإِذْنِهِ السَّمَاءُ واطْمَأْنَنْتْ
بإِذْنِهِ الْأَرْضُ وَمَاتَعَتَتْ	وَحَىٰ لَهَا الْقَرَارَ اسْتَقَرَّتْ
وَشَدَّهَا بِالرَّاسِيَاتِ الثُّبْتُ	رَبُّ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ الْقُنْتُ

وقد وردت في ديوانه ٢٦٦ ، تحقيق عزة حسن ، ولسان العرب ، والنكت والعيون ٣٢٠/٦ ، والكشف والبيان ١٣/١٣٥ أ ، وزاد المسير ٢٩٣/٨ برواية : (سدها) بدلاً من (شدها) ، والتفسير الكبير ٣٢/٦٠ ، والمححر الوجيز ٥/٥١١ ، والبحر المحيط ٨/٥٠١ ، وفتح الباري ٨/٧٢٧ ، والدر المصون ٦/٥٥٥ .

ومعنى بيت الأرجوزة المذكور : أن أوحى إليها أن استقري فاستقرت . انظر : ديوانه ٢٦٦ .

(٥) ومن قال بمعنى ذلك يحيى بن سلام ، وابن عباس ، والسُّدِّي . انظر : النكت والعيون ٣٢٠/٦ ، والبحر المحيط ٨/٥٠١ ، والدر المنثور ٨/٥٩٣ ، وبه قال الطبري في جامع البيان ٣٠/٢٦٧ ، والسمرقندي في بحر العلوم ٣/٥٠٠ ، والثعلبي في الكشف والبيان ١٣/١٣٥ ب ، وانظر : معالم التنزيل ٤/٥١٦ ، والمححر الوجيز ٥/٥١١ ، وزاد المسير ٨/٢٩٣ .

على حدة ، وأهل كل دين على حدة ، كقوله : ﴿يَوْمَئِذٍ يَنْفِرُ قَوْمٌ﴾ [الروم : ١٤] ^(١) ، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ﴾ ^(٢) [الروم : ٤٣] ^(٣) .

قوله : ﴿لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ﴾ . قال ابن عباس : «ليروا جزاء أعمالهم» ^(٤) ^(٥) .

والمعنى أنهم يرجعون عن الموقف فرقاً ليروا منازلهم في الجنة أو النار ^(٦) .

وقال الكلبي ^(٧) ، ومقاتل ^(٨) : «هذا على التقديم بتقدير : تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها ليروا أعمالهم ، أي إنما أذن لها في الإخبار عن أعمال بني آدم ^(٩) ليروا إياها» .

قال الفراء : «واعترض بينهما : ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ ^(١٠) أَشْنَانًا» ^(١١)

٧ . قوله : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ .

(١) قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَنْفِرُ قَوْمٌ﴾ [الروم : ١٤] .

(٢) بياض في (ع) .

(٣) قال تعالى : ﴿فَأَقْصِرْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْفَاسِقِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ﴾ [الروم : ٤٣] .

(٤) (ليروا جزاء أعمالهم) بياض في (ع) .

(٥) معالم التنزيل ٥١٦ / ٤ ، وزاد المسير ٢٩٣ / ٨ ، ولباب التأويل ٤٠١ / ٤ .

(٦) بياض في (ع) .

(٧) لم أعثر على مصدر لقوله ، وقد ورد بمعناه غير منسوب في جامع البيان ٢٦٧ / ٣٠ ، والكشف والبيان ١٣ / ١٣٥ ب ، وزاد المسير ٢٩٣ / ٨ .

(٨) تفسير مقاتل ٢٤٧ أ .

(٩) بياض في (ع) .

(١٠) بياض في (ع) .

(١١) معاني القرآن ٢٨٣ / ٣ ، قال : «يقول : ﴿تَحَدَّثُ أَخْبَارَهَا﴾ بوحى الله - تبارك وتعالى - وإذنه لها ، ثم قال : ﴿لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ﴾ فهي في ما جاء به التفسير متأخرة ، وهذا موضعها اعترض بينهما : ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْنَانًا﴾ مقدم معناه التأخير» .

قال أبو عبيدة : «زنة^(١) ذرة»^(٢) .

وقال الكلبي : «وزن نملة أصغر ما يكون من^(٣) النمل»^(٤) .

وروى يزيد بن الأصم عن ابن عباس قال : «إذا وضعت راحتك على الأرض ثم رفعتها فكل واحد مما لزق به من التراب مثقال ذرة»^(٥) ، وقال في معنى الآية : «ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيراً أو شراً في الدنيا إلا أراه الله إياه ، فأما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته ، وأما الكافر فتزد حسناته ، ويعذبه بسيئاته»^(٦) .

قال مقاتل : «يعني : فَمَنْ يعمل مثقال ذرة خيراً يره في القيامة في كتابه ، فيفرح^(٧) به ، وكذلك من الشر في كتابه فيسوؤه ذلك»^(٨) . قال : «وكان أحدهم يستقل أن يعطي اليسير ، ويقول : إنما نؤجر على ما يعطى ، ونحن نحبه ، وليس اليسير مما نحبه ، ويتهاون بالذنوب اليسير ، ويقول : إنما وعد الله النار على الكبائر ، فأنزل الله هذه الآية يرغبهم^(٩) في القليل من الخير ، ويحذرهم اليسير من الشر»^(١٠) .

-
- (١) (أبو عبيدة زنة) بياض في (ع) .
 - (٢) ورد في مجاز القرآن ٣٠٦/٢ بنصه .
 - (٣) (أصغر ما يكون من) بياض في (ع) .
 - (٤) ورد في التفسير الكبير ٦١/٣٢ ، وورد نحوه غير منسوب في معالم التنزيل ٥١٦/٤ .
 - (٥) التفسير الكبير ٦١/٣٢ .
 - (٦) ورد في جامع البيان ٢٦٨/٣٠ ، والكشف والبيان ١٣٥/١٣ ب ، ومعالم التنزيل ٥١٦/٤ ، والتفسير الكبير ٦١/٣٢ ، ولباب التأويل ٤٠١/٤ ، والدر المنثور ٥٩٥/٨ منسوباً إلى ابن المنذر ، والبيهقي في البعث .
 - (٧) في (أ) : (مفرح) .
 - (٨) تفسير مقاتل ٢٤٧أ-ب ، وفتح القدير ٤٧٩/٥ .
 - (٩) في (أ) : (ترغيبهم) .
 - (١٠) ورد معنى قوله في تفسير مقاتل ٢٤٧ب ، والكشف والبيان ١٣٦/١٣ ، والنكت والعيون ٣٢١/٦ ، ومعالم التنزيل ٥١٦/٤ ، وزاد المسير ٢٩٣/٨ ، وفتح القدير ٤٨٠/٥ ، وأسباب النزول ٣٩٨ ، تحقيق أيمن صالح ، ووردت رواية بمثله عن سعيد بن جبير في تفسير القرآن العظيم ٥٧٨/٤ ، ووردت أيضاً من غير نسبة في لباب التأويل ٤٠١/٤ .

وقال محمد بن كعب : «مَنْ يعمل مثقال ذرة خيراً يره في الدنيا ، وهو الكافر يرى ثواب ذلك في الدنيا في نفسه وأهله وماله حتى يلقي الآخرة وليس له فيها خير ، وَمَنْ يعمل مثقال ذرة من شريره ، وهو المؤمن يرى عقوبة ذلك في الدنيا في نفسه وأهله وماله حتى يلقي الآخرة وليس له فيها شر»^(١) . (ونحو هذا قال ابن عباس في رواية عطاء^(٢))^(٣) . ويدل على صحة هذا التأويل ما روي أن النبي ﷺ قال لأبي بكر - رضي الله عنه - في هذه الآية : «يا أبا بكر ما رأيت في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذرة الشر ، ويدخر الله لك مثاقيل الخير حتى توفاه يوم القيامة»^(٤) .

وقال أهل المعاني : «يُرى جزاؤه ، ألا ترى أن ما^(٥) عمله قد سلف لا يجوز له أن يراه ؟ وهذا في حذف المضاف ، كقوله : ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ [الشورى : ٢٢] .

فالمعنى على أن جزاءه واقع بهم ، لا ما كسبوا من أفعالهم التي قد مضت^(٦)^(٧) .

(١) ورد في تفسير عبدالرزاق ٢/٢٨٨ ، وجامع البيان ٣٠/٢٦٨ ، وبحر العلوم ٣/٥٠١ ، ومعالم التنزيل ٤/٥١٦ ، والتفسير الكبير ٣٢/٦١ مختصراً ، ولباب التأويل ٤/٤٠١ ، وفتح القدير ٥/٤٨٠ ، والدر المنثور ٨/٥٩٥ منسوباً إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٢) التفسير الكبير ٣٢/٦١ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) وردت هذه الرواية في جامع البيان ٣٠/٢٦٨ ، والكشف والبيان ١٣/١٣٦ ، والتفسير الكبير ٣٢/٦١ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٧٧ بطرق مختلفة ، والدر المنثور ٨/٥٩٤ بطرق مختلفة ، ونسبه السيوطي إلى ابن أبي حاتم ، والطبراني في الأوسط ، والحاكم في تاريخه ، وابن مردويه ، والبيهقي في شعب الإيمان ، وفتح القدير ٥/٤٨٠ بالطرق التي وردت في الدر ، وأقربها لفظاً رواية أبي قلابة عن أنس .

(٥) في (أ) : (مما) .

(٦) بياض في (ع) .

(٧) قول أهل المعاني لم أعثر على مصدره .

تفسير

سورة العاديات^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿وَالْعَادِيَتِ ضَبْحًا﴾ .

(١) فيها قولان : أحدهما أنها مكية في قول ابن مسعود، وجابر، والحسن، وعكرمة، وعطاء . والآخر أنها مدنية في قول ابن عباس، وأنس بن مالك، وقتادة . انظر : النكت والعيون ٦/ ٣٢٣، والمحزر الوجيز ٥/ ٥١٣، والبحر المحيط ٨/ ٥٠٣، وفتح القدير ٥/ ٤٨ .

قال ابن عباس : «هي الخيل في الغزو»^(١) ، وهو قول عطاء^(٢) ، ومجاهد^(٣) ، وعكرمة^(٤)^(٥) ، والحسن^(٦) ، وأبي العالية^(٧) ، والربيع^(٨) ،

-
- (١) تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٩٠ ، ومعاني القرآن للقرّاء ٣/ ٢٨٤ ، وجامع البيان ٣٠/ ٢٧١ ، وبحر العلوم ٣/ ٥٠٢ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٣٧ ب ، والنكت والعيون ٦/ ٣٢٣ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥١٧ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١٣ ، وزاد المسير ٨/ ٢٩٥ ، والتفسير الكبير ٣٢/ ٦٤ ، ولباب التأويل ٤/ ٤٠٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٧٩ ، والدر المنثور ٨/ ٦٠٠ ، ونسبه السيوطي إلى عبد بن حميد ، وفتح الباري ٨/ ٧٢٨ ، والمستدرک ٢/ ٥٣٣ ، وصحّحه الحاكم ، ووافقه الذهبي .
- (٢) جامع البيان ٣٠/ ٢٧١ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٣٧ ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥١٧ ، وزاد المسير ٨/ ٢٩٥ ، والتفسير الكبير ٣٢/ ٦٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٧٩ .
- (٣) ورد في المراجع السابقة ، بالإضافة إلى تفسير الإمام مجاهد ٧٤٣ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١٣ ، والدر المنثور ٨/ ٦٠٢ منسوباً إلى الفريابي ، وعبد بن حميد .
- (٤) جامع البيان ٣٠/ ٢٧١ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٣٧ ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥١٧ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١٣ ، وزاد المسير ٨/ ٢٩٥ ، والتفسير الكبير ٣٢/ ٦٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٧٩ .
- (٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (٦) الكشف والبيان ١٣/ ١٣٧ ب ، والنكت والعيون ٦/ ٣٢٣ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥١٧ ، وزاد المسير ٨/ ٢٩٥ ، وتفسير الحسن البصري ٢/ ٤٣٣ .
- (٧) ورد في المراجع السابقة عدا النكت والعيون ، وتفسير الحسن ، وانظر أيضاً : تفسير أبي العالية ٢/ ٢٦٢ ، تحقيق الورثان .
- (٨) الكشف والبيان ١٣/ ١٣٧ ب ، وزاد المسير ٨/ ٢٩٥ .

وعُبَيْد بن عمير^(١)^(٢) قالوا: «أقسم الله بالخيّل العادية لغزو الكفار، وهي تَضْبِح»، (واختاره الفراء^(٤)، والزَّجَّاج^(٥))^(٦).

قال ابن عباس: «والضْبِح: أصوات أنفاس الخيل إذا عدون»^(٧).

وقال أبو إسحاق: «معناه: والعاديات تَضْبِح ضَبْحاً، وهو صوت (أجوافها إذا عدت)»^(٨)^(٩).

(وقال الليث: «الخيّل العاديات تَضْبِح في عدوها ضَبْحاً، وهو صوت»^(١٠))
يسمعه من أفواهها؛ ليس بَصْهِيل ولا مَحْمَمة، ولكنه صوت (نفس)^(١١) يسمعه من أفواهها»^(١٢).

(١) تقدّمت ترجمته في سورة البقرة.

(٢) لم أعر على مصدر لقوله، والذي وجدته عنه الرواية أنها في الإبل، وانظر: تفسير عبدالرزاق ٣/ ٣٩٠، والكشف والبيان ١٣/ ١٣٨ ب، وزاد المسير ٨/ ٢٩٤، والبحر المحيط ٨/ ٥٠٣.

(٣) ورد في (أ) بلفظ: (غيرهم) بدلاً عما بين القوسين. ومن ذكر مثل قولهم (أي إنها الخيل العادية لغزو الكفار): قتادة، ومسلم، والضحاك، والكلبي، والمقاتلان، وعطية بن كيسان، وأنس. انظر: جامع البيان ٣٠/ ٢٧٢، والكشف والبيان ١٣/ ١٣٧ ب، ومعالم التنزيل ٤/ ٥١٧، وزاد المسير ٨/ ٢٩٥، والتفسير الكبير ٣٢/ ٦٤.

(٤) معاني القرآن ٣/ ٢٨٤.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٥٣.

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٧) ورد معنى قوله في جامع البيان ٣٠/ ٢٧٣، والكشف والبيان ١٣/ ١٣٨ أ، والدر المنثور ٨/ ٦٠٠، ٦٠١.

(٨) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٩) ورد قوله في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٥٣.

(١٠) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(١١) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(١٢) ورد قوله في تهذيب اللغة (ضبح) ٤/ ٢١٩، والقول عن الليث عن بعضهم، وقد زاد الإمام الواحدي قوله: «ولكنه صوت يسمعه من أفواهها».

وعلى هذا القول ، القسم عام بالخيال العادية في سبيل الله وهي تصبح .

وقال الكلبي : «بعث رسول الله (ﷺ) ^(١) سرية إلى أناس من كنانة ^(٢) ، فمكث ما شاء الله أن يمكث لا يأتيه لها خبر ، فتخوف عليها ، فنزل جبريل يخبر بمسيرها وأثرها» ^(٣) .

ونحو هذا قال مقاتل ^(٤) : وقال ^(٥) في قوله : ﴿ضَبْحًا﴾ : «هو أنفاسها إذا علت» .

وعلى قولهما هذه الآيات خاصة في خيل تلك السرية .

-
- (١) ما بين القوسين ساقط من (ع) .
- (٢) كنانة : بطن من مضر من القحطانية . قال أبو عبيد : «وهم في اليمن» ، قال في العبر : «وديارهم بجهات مكة المشرفة» . انظر : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي ٣٦٦ .
- (٣) التفسير الكبير ٦٤ / ٣٢ .
- (٤) تفسير مقاتل ٢٤٨ أ ، وبحر العلوم ٢٠٥ / ٣ ، والكشف والبيان ١٣ / ١٣٧ ب ، وزاد المسير ٢٩٥ / ٨ .
- (٥) أي مقاتل والكلبي ، وورد قول مقاتل في تفسيره ٢٤٨ ب ، ولم أعثر على مصدر لقول الكلبي .

وقال علي رضي الله عنه : «وَالْعَدِيَّتِ ضَبْعًا» ؛ الإبل في الحج تعدو من عرفة إلى المزدلفة ، ومن مزدلفة إلى منى^(١) . (وهذا قول عبدالله^(٢) ، ومحمد بن كعب^(٣) ، وأبي صالح^(٤))^(٥) .

قال الأزهري : «مَنْ جعلها الإبل جعل (ضبحاً) بمعنى ضَبْعاً ، يقال : ضبعت الناقة في سيرها ، وضبعت إذا مدت ضَبْعَيْهَا في السَّير»^(٦) ، وهو قول أبي عبيدة ، قال : «ضبحت ، وضبعت واحد»^(٧) ، وأنشد^(٨) :

فكَانَ لَكُمْ أَحْرَى جَمِيعاً وَأَضْبَحَتْ

بِ النَّازِلِ الْوَجْنَا فِي الْآلِ تَضْبِحُ^(٩)

والضبح في (الخيل)^(١٠) أظهر عند أهل العلم .

-
- (١) جامع البيان ٢٧٣/٣٠ ، والكشف والبيان ١٣/١٣٨ ب ، والنكت والعيون ٦/٣٢٣ ، ومعالم التنزيل ٤/٥١٧ ، والمحزر الوجيز ٥/٥١٣ ، وزاد المسير ٨/٢٩٤ ، والتفسير الكبير ٣٢/٦٣ ، ولباب التأويل ٤/٤٠٢ ، والبحر المحيط ٨/٥٠٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٧٩ .
- (٢) ورد في المصادر السابقة ما عدا لباب التأويل ، وتفسير القرآن العظيم ، والمحزر الوجيز .
- (٣) ورد في الكشف والبيان ١٣/١٣٨ ب ، ومعالم التنزيل ٤/٥١٧ ، وزاد المسير ٨/٢٩٤ ، والتفسير الكبير ٣٢/٦٣ ، والبحر المحيط ٨/٥٠٣ ، وفتح القدير ٥/٤٨٢ ، والدر المنثور ٨/٦٠٣ منسوباً إلى عبد بن حميد .
- (٤) ورد في الكشف والبيان ١٣/١٣٨ ب ، ومعالم التنزيل ٤/٥١٧ ، وزاد المسير ٨/٢٩٤ ، والبحر المحيط ٨/٥٠٣ ، وفتح القدير ٥/٤٨٢ ، والدر المنثور ٨/٦٠٣ منسوباً إلى عبد بن حميد .
- (٥) ما بين القوسين ساقط من نسخة (أ) .
- (٦) ورد في تهذيب اللغة (ضبح) ٤/٢١٩ ، وهذا القول ذكره الأزهري عن بعض أهل اللغة بنصه .
- (٧) مجاز القرآن ٢/٣٠٧ ، وورد قول أبي عبيدة أيضاً في الإبدال لابن السكيت ، ولم يذكر بيت الشعر ٨٦ .
- (٨) لم أجد في المجاز أنه استشهد ببيت الشعر .
- (٩) لم أعر على مصدر له .
- (١٠) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

قال صاحب النظم : (كلا^(١)) القولين قد جاء في التفسير ؛ إلا أن ما بعده يدل على أنها الخيل ، وهو قوله :

٢ . ﴿فَالْمُورِبَتِ قَدَحًا﴾ . والإيراء لا يكون إلا للحافر لصلابته ، وأمّا الخف ففيه لين واسترخاء^(٢) ، هذا كلامه .

ويقال : يَري^(٣) الزند وري^(٤) ورياً وريّةً ، مثل : وَعَى تَعِي وَعِيًا وَعِيَةً .

ويقال أيضاً : وروى يري مثل : ولي^(٥) يلي ، وورى تَوْرَى مثل وحى يوحى ، ثلاث^(٦) لغات ، ذكر ذلك أبو عبيد^(٧) ، وأبو الهيثم^(٨) : «وأوريت النار إيراءً فورَت تَري ، وورِيَت تَري ، وتَوْرَى»^(٩) ، والقَدْحُ قَدَحٌ بالزند ، والمقدحة وهي الحديدية التي تقدح بها .

قال ابن عباس : «يريد ضرب الخيل بحوافرها الجبل ، فأورت منه النار ، مثل الزناد إذا قدح»^(١٠) .

-
- (١) في (ع) : (كلى) .
 (٢) ما بين القوسين من قول صاحب النظم ، ولم أعر على مصدر لقوله .
 (٣) في (أ) : (ورى) .
 (٤) في (ع) : (يرى) .
 (٥) في (ع) : (ولى) .
 (٦) في (ع) : (ثلث) .
 (٧) الغريب المصنف لأبي عبيد ١٥٦/١ .
 (٨) تهذيب اللغة (ورى) ٣٠٦/١٥ .
 (٩) من قوله : (وأوريت النار) إلى قوله : (تورى) ذكره أيضاً أبو هيثم في تهذيب اللغة (ورى) ٣٠٦/١٥ ، ٣٠٧ .
 (١٠) ورد في المحرر الوجيز ٥١٣/٥ بمعناه ، والتفسير الكبير ٦٥/٣٢ ، والدر المنثور ٥٩٩/٨ بطرق مختلفة عنه منسوباً إلى البزار ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والدارقطني في الأفراد ، وابن مردويه .

قال^(١) مقاتل : «تقدحن بحوافرها في الحجارة ناراً كنار الحُباحب»^(٢) .

وقال أبو عبيدة : «توري بسنابِكها»^{(٣)(٤)} .

وقال الزَّجَّاج : «إذا عدت الخيل بالليل [وأصابت]^(٥) حوافرها الحجارة انقدح منها النيران»^(٦) .

و﴿قَدْحًا﴾ نُصِب على معنى : فالموريات تقدح قدحاً ، كما قلنا في (ضبحاً) ، وهذا^(٧) الذي ذكرنا قول (عكرمة^(٨))^(٩) ، وعطاء^(١٠) ، والضحاك^(١١) .

(١) في (ع) : (قال) .

(٢) الحُباحب يَقصد بها أبا حُباحب ، كان شيخاً من مُضر في الجاهلية من أبخل الناس ، وكان لا يوقد ناراً لخيز ولا غيره حتى ينام كل ذي عين ، فإذا نام أصحابه أوقد نويةً تقدُّ مرةً وتحمد أخرى ، فإذا استيقظ بها أحد أطفالها كراهية أن ينتفع بها أحد ، فشَبَّهت العرب هذه النار بناره ؛ أي لا ينتفع كما لا يُنتفع بنار أبي حُباحب . انظر : جمهرة الأمثال ١/ ٢٤٦ ، رقم ١٩٩٢ ، والزاهر ١/ ١٨٤ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٣٩ أ ، والتفسير الكبير ٣٢/ ٦٥ ، ومعاني القرآن للقرّاء ٣/ ٢٨٤ . وقيل : نار الحُباحب طائر يطير بين المغرب والعشاء ، أحمر الريش ، يَحْيَل إلى الناظر إليه أن في جناحه ناراً . انظر : الزاهر ١٨٤/ ١ .

(٣) في (أ) : (سنابلها) .

(٤) مجاز القرآن ٢/ ٣٠٧ ، والسُّنْبُك : طرف الحافر وجانباه من قُدم ، وجمعه سنابك . انظر : تهذيب اللغة (سنبك) ١٠/ ٤٢٨ .

(٥) في (أ) : (قد أصاب) ، وفي (ع) : (وأصاب) ، وأثبت ما جاء في معاني الزَّجَّاج مصدر القول .

(٦) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٥٣ بنصه .

(٧) في (ع) : (وهو) .

(٨) جامع البيان ٣٠/ ٢٧٣ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٣٨ ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥١٧ ، وكلامه في المصادر السابقة ، قال : «أورت وقدحت» ، وقال : «توري النار بحوافرها ، إذا سارت في الحجارة والأرض المخصبة» .

(٩) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(١٠) جامع البيان ٣٠/ ٢٧٣ ، وعبارته : «قال : أورت النار بحوافرها» ، والكشف والبيان ١٣/ ١٣٨ ب ، والنكت والعيون ٦/ ٣٢٤ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥١٧ .

(١١) المراجع السابقة ، وعبارته : «قال : توري الحجارة بحوافرها» .

و(الموريات) - على هذا القول - هي العاديات .

وروى (سعيد بن جبير)^(١) عن ابن عباس قال : «هم الذين يغزون فيورون بالليل نيرانهم لحاجتهم وطعامهم»^(٢) .

والموريات - على هذا القول - الجماعات من الغزاة .

وقال محمد بن كعب : «الموريات قدحاً ليلة المزدلفة ، يعني الحجاج إذا أوقدوا نيرانهم بها»^(٣) .

وعلى هذا قول من قال بالعاديات ، [أنها]^(٤) الإبل .

وقال قتادة : «الموريات هي الخيل توري نار العداوة بين المقاتلين عليها»^(٥) .

(وقال عكرمة : هي الألسنة توري نار العداوة بعظيم ما تتكلم به)^{(٦)(٧)} .

وقال مجاهد : «هي أفكار الرجال توري نار المكر والخديعة»^(٨) .

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) ورد معنى قوله في المراجع السابقة ، وانظر أيضاً : زاد المسير ٢٩٦ / ٨ ، والتفسير الكبير ٦٥ / ٣٢ ، والبحر المحيط ٥٠٤ / ٨ .

(٣) النكت والعيون ٣٢٤ / ٦ ، والكشف والبيان ١٣ / ١٣٩ ، ومعالم التنزيل ٥١٧ / ٤ ، وزاد المسير ٢٩٦ / ٨ .

(٤) في كلتا النسختين (لأنها) ، وأثبت ما رأيت به استقامة الكلام .

(٥) ورد معنى قوله في المراجع السابقة عدا زاد المسير ، ومن مصادر قوله أيضاً جامع البيان ٢٧٤ / ٣٠ ، والمحرم الوجيز ٥١٤ / ٥ .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) ورد معنى قوله في المراجع السابقة جميعها ، وفي التفسير الكبير ٦٥ / ٣٢ ، والبحر المحيط ٥٠٤ / ٨ .

(٨) ورد معنى قوله مختصراً في جامع البيان ٢٧٤ / ٣٠ ، والكشف والبيان ١٣ / ١٣٩ ، والنكت والعيون ٣٢٤ / ٦ ، ومعالم التنزيل ٥١٧ / ٤ ، والمحرم الوجيز ٥١٤ / ٥ ، وزاد المسير ٢٩٦ / ٨ ، والبحر المحيط ٥٠٤ / ٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٥٧٩ / ٤ .

والعرب تقول : «لأقدحن لك ؛ ثم لأورين لك ، أي لأهيجن عليك شراً وحزناً ومكراً» . (وهذا قول زيد بن أسلم)^{(١)(٢)} .

قال ابن جريج : «معنى ﴿فَالْمُورِبَتِ قَدْحًا﴾ فالمنجحات أمراً^(٣) ؛ يعني البالغين بحجتهم في ما قصدوا من الغزو والحج ، والعرب تقول للمنجح في حاجته : «وريت زنده^(٤) ، أوري زنده ، وفي ضده تقول : صلد^(٥) زنده^(٦) ، إذا لم يظفر ببغيته» .

٣. قوله : ﴿فَالْمُعِيرَتِ صُبْحًا﴾ . قال ابن عباس (في رواية عطاء^(٧)) ، والكلبي^{(٨)(٩)} : «هي التي تغير على العدو عند الصباح» .

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) ورد في الكشف والبيان ١٣ / ١٣٩ أ ، وورد معنى قوله في معالم التنزيل ٤ / ٥١١ ، وزاد المسير ٨ / ١٩٦ ، والبحر المحيط ٨ / ٥٠٤ .

(٣) ورد قوله عن بعضهم في الكشف والبيان ١٣ / ١٣٩ أ .

(٤) جاء في جهرة الأمثال للعسكري ٢ / ٢٨٦ : «قولهم وَرَيْتُ بك زنادي ؛ أي أنجح الله بك أمري ، ويراد به الدعاء ، يقال : وَرَت النار ترى ورِيًّا ، وَوَرَيْت الزناد فهي وارية ، وأورى القادح» .

(٥) الصلد : الحجر الأملس اليابس ، يقال : صَلَدَ الزند يصلد إذا صَوَّت ولم يخرج ناراً . انظر : تهذيب اللغة (صلد) ١٢ / ١٤٢ .

(٦) جاء في مجمع الأمثال للميداني ٢ / ٢٢١ ، رقم ٢١٠٣ : «صَلَدَتْ زَنَادُهُ ، إذا قدح فلم يؤد ، يُضْرَب للبخيل يُسأل فلا يُعْطَى» . وعن الأصمعي قال : «يقال : صَلَدَ الزند يَصْلُد إذا صَوَّت ولم يخرج ناراً» . انظر : الغريب المصنف ١ / ١٥٦ .

(٧) ورد معنى قوله من طريق عطاء في الدر المنثور ٨ / ٦٠١ ، ونسبه إلى عبد الرزاق ، ولم أجده عنده ، وسعيد بن منصور ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . وفي جامع البيان ٣٠ / ٢٧٥ وردت روايته من طريق سعيد بن جبير ، وورد قول ابن عباس من ذكر الطريق في النكت والعيون ٦ / ٣٢٤ ، والمحرم الوجيز ٥ / ٥١٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٧٩ .

(٨) المراجع السابقة عدا الدر .

(٩) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

وقال مقاتل : «هي الخيل تصبح بالغارة»^(١) . وهذا قول جماعة المفسرين^(٢) .

وإنما^(٣) خصَّ الصبح بالإغارة عنده ؛ لأن عادة العرب كانت في إغارتهم أن يغيروا عند الصباح ، وذلك أغفل ما يكون الناس ؛ يقولون : «صبحنا بني فلان»^(٤) ؛ أي أتيناهم صباحاً للغارة ، ومنه :

نحنُ صبحنا عامراً في دارها^(٥)

يقولون : «إذا بدروا بخيل أو غارة تحيتهم : يا صباحاه ، يندرون الحي بهذا النداء ؛ أي الغارة فانتبهوا ، واستعدوا للحرب» .

وقال^(٦) محمد بن كعب : «هي الإبل تدفع بركبانها يوم النحر جمع إلى منى ، والسنة أن لا يغير حتى تصبح»^(٧) ، هذا كلامه .

(١) تفسير مقاتل ٢٤٨ ب .

(٢) وقد حكاه عن أكثر المفسرين الثعلبي في الكشف والبيان ١٣/١٣٩ أ ، والبغوي في معالم التنزيل ٤/٥١٧ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/٥١٤ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/٢٩٦ . وقال قتادة ومجاهد : تفسير القرآن العظيم ٤/٥٧٩ .

(٣) في (أ) : (وإن ما) .

(٤) جاء في مجمع الأمثال ٢/٣٤١ : «يقال : صَبَحَ بني فلان زوير سوء ، إذا عَرَّاهم في عقر دارهم ، والزُّوير : زعيم القوم» .

(٥) عجز البيت :

جُرُداً تَعَادَى طَرْفِي نَهَارَهَا

وقد ورد البيت من غير نسبة في تهذيب اللغة (صبح) ٤/٢٦٥ ، ولسان العرب (صبح) ٢/٥٠٣ .

(٦) في (أ) : (قال) .

(٧) الكشف والبيان ١٣/١٣٩ أ ، ومعالم التنزيل ٤/٥١٧ .

ومعنى الإغارة في اللغة : (الإسراع ، ويقال أغار ، إذا أسرع ، وبذلك فسّر الكسائي قول الأعشى :

أغارَ لَعْمَرِي في البلاد وأنجدا^(١) ^(٢) .

وكانت العرب في الجاهلية تقول : «أشرقَ ثَبِيرٌ كَيْما نُغِيرُ»^(٣) ؛ أي كي يسرع في الإفاضة .

٤ . قوله (تعالى)^(٤) : ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴾ .

(يقال : ثار الغبارُ والدُّخان ، إذا ارتفع ، وثار القطا^(٥) عن مفحصه^(٦))^(٧) ، ويقال : ثاروا في وجوه القوم ، وأثرته ؛ أي هيجته ، وأثرت الغبار^(٨) .

(١) ورد البيت من دون نسبة في تهذيب اللغة (غار) ١٨٣ / ٨ . والبيت للأعشى ميمون بن قيس ، وهو في ديوانه .

(٢) ما بين القوسين منقول عن تهذيب اللغة (غار) ١٨٣ / ٨ .

(٣) ورد المثل في مجمع الأمثال ١٥٧ / ٢ ، وهو يضرب في الإسراع والعجلة ، ومعنى أشرقَ : ادخل يا ثبير في الشروق كي تُسرِعَ إلى النَّحْرِ ، يقال : أغار على إغارة الثعلب ؛ أي أسرع . قال عمر : «إن المشركين كانوا يقولون : أشرقَ ثبيرٌ كما نُغِيرُ ، وكانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس» .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٥) القطا : طير ، والواحدة : قطاة ، سُمِّيَ بذلك لِثِقَلِ مَشْيِهِ . انظر : تهذيب اللغة (قطا) ٩ / ٢٤٠ ، ولسان العرب (قطا) ١٤ / ١٨٩ .

(٦) ورد في تهذيب اللغة (مجمثه) بدلاً من (مفحصه) .

(٧) مفحص القطاة حيث تُفَرِّخُ فيها من الأرض ، والدجاجة تفحص برجليها وجناحيها في التراب : تتخذ لنفسها أفحوصة تبيض أو تجثم فيه ، وأفاحيص القطا التي تفرخ فيها . انظر : تهذيب اللغة (فحص) ٤ / ٢٥٩ .

(٨) ما بين القوسين منقول عن تهذيب اللغة (ثار) ١٥ / ١١٢ .

ومنه قول امرئ القيس :

أَثْرَنَ الْغُبَارَ^(١) بِالْكَدِيدِ الْمُرْكَلِ^(٢)

«والنقع» الغبار . قال جرير :

لقومي أحمى في الحقيقة منكم وأضرب للجبار والنقع ساطع^(٣)
قال المفسرون^(٤) : «هي الخيل تثير الغبار بحوافرها» ، وأنشد (ابن عباس
قول حسان)^(٥) :

ثُكِلْتُ جِيادَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُثِيرُ النَّقْعَ مِنْ جَبَلِي كَدَاءٍ^{(٦)(٧)}

(١) في (أ) : (غباراً) .

(٢) شطره الأول :

مَسَحَّ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَنَى

وقد ورد في ديوانه ٥٣ ، طبعة دار صادر . والمعنى : مسح : صب يصب ؛ أي إنه يصب الجري ،
والعدو صباً بعد صب ، والسابح من الخيل : الذي يمد يديه في عدوه ؛ شبه بالسابح في الماء . والواني :
الفتور . والكديد : الأرض الصلبة المطمئنة . والمركل : من الركل ، وهو الدفع بالرجل ، والضرب
بها ، والمركل الذي يركل مرة بعد أخرى .

(٣) لم أجدّه في ديوانه .

(٤) قال بذلك مجاهد ، وابن عباس ، وعطاء ، وابن زيد ، وعكرمة ، وقتادة ، وعبدالله بن مسعود . انظر :
تفسير عبدالرزاق ٢ / ٣٩٠ ، وجامع البيان ٣٠ / ١٧٦ ، والدر المنثور ٨ / ٦٠٣ . وقال محمد بن كعب :
«النقع ما بين مزدلفة إلى منى» . انظر : النكت والعيون ٦ / ٣٢٥ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) في (أ) : (لداء) .

(٧) ورد البيت في ديوانه ٨ ، طبعة دار صادر برواية :

عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدْهَا كَدَاءٍ

وورد في النكت والعيون ٦ / ٣٢٥ برواية :

عَدِمْتُ بُيَّتِي مِنْ كَنَفِي كَدَاءٍ

وورد في الدر المنثور ٨ / ٦٠٢ منسوباً إلى الطيالسي ، وبرواية : (عدمنا موعدها كداء) في روح المعاني

وقوله : ﴿يَهْءَ﴾ .

قال الكلبي : «بالمكان الذي انتهى إليه»^(١) .

قال الفرّاء : «﴿يَهْءَ﴾ ؛ يريد الوادي ، ولم يذكر قبل ، وهو جائز إذا عرف اسم الشيء كنى عنه ، وإن لم يجر له ذكر . قال الله تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر : ١]» .

يعني القرآن ، وهو استئناف سورة^(٢) .

وهذا على قول مَنْ يقول : إن هذه الآيات في ذكر إبل الحجاج^(٣) ؛ لأن ذلك الوادي الذي يسرع فيه الإبل معروف ، وهو وادي مُحَسَّر^(٤) .

وقال أبو إسحاق : «فأثرن بمكان عدوها»^(٥) نقعاً ، ولم يتقدم ذكر المكان ، ولكن في الكلام^(٦) دليل عليه^(٧) .

وعطف قوله : ﴿فَأَثَرْنَ﴾ على معنى : فالمغيرات ، ومعناها : فاللاتي أغرن صبحاً فأثرن .

النقع : الغبار ، والكداء : الثنية العليا بمكة مما يلي المقابر ، وهو المعلي .

وقوله : (عدمنا خيلنا) هو كقولك : لا حملتني رجلي إن لم تسر إليك ، ولا نفعني مالي إن لم أنفقه عليك . انظر : شرح ديوان حسان ٥٨ ، تحقيق عبدالرحمن البرقوق ٥٧ مختصراً .

(١) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٢) ورد مختصراً في معاني القرآن ٣ / ٢٨٥ .

(٣) في (ع) : (الحاج) .

(٤) وادي مُحَسَّر : موضع ما بين مكة وعرفة ، وهو مَسِيلٌ . انظر : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع للبكري ٤ / ١١٩٠ ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي ٥ / ٦٢ .

(٥) غير مقروءة في (أ) .

(٦) في (أ) : (المكان) .

(٧) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٣٥٣ بتصرف .

٥. وقوله: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾. قال الليث: «وسطت النهر، والمفازة أوسطها وَسَطًا وَسِطَةً؛ أي صرت في وسطها، وكذلك وسطها وتوسطها»^(١)، (ونحو هذا قال الفراء^(٢))، وهو مما سبق الكلام فيه^{(٣)(٤)}.

وقوله: ﴿بِهِ﴾. قال مقاتل: «أي بالعدو»^(٥)، وذلك أن العاديات تدل على العدو، فجازت الكتابة عنه.

(١) ورد قريب من هذا القول عنه في تهذيب اللغة (وسط) ٢٨/١٣، والذي ورد عنه قال: «فلان وَسِطُ الدار والحسب في قومه، وقد وَسَطَ وَسَاطَةً وَسِطَةً وَسِطَةً توسيطاً»، وورد في لسان العرب ٧/٤٢٩ غير منسوب.

(٢) معاني القرآن ٣/٢٨٥، قال: «اجتمعوا على تخفيف فوسطن، ولو قُرئت (فوسطن) كان صواباً، لأن العرب تقول: وَسَطَتِ الشَّيْءَ وَوَسَّطَتْهُ وَتَوَسَّطَتْهُ بمعنى واحد».

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٤) عند قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، ومما جاء في تفسيرها: «وقوله: (وسطاً) الوسط: اسم لما بين طرفي الشئ، قال: الفراء: الوسط المثلث اسم، كقولك: رأس، ووسط، وأسفل، ولا تقولن هاهنا: وسط بالتخفيف، واحتجم وسط رأسه، وربما خفف وليس بالوجه، وجلس وَسَطَ القوم، ولا يقول وَسَطَ، لأنه في معنى بين القوم، وجلس وسط الدار، لأن بين لا تصلح في هذا الموضع، وربما خفف، قال الفراء: قال ابن يونس: سمعت: وَسَطَ، ووسط بمعنى». وقال أحمد بن يحيى: «ما اتحدت أجزاؤه فلم يتميز بعضه من بعض فهو وَسَطٌ بتحريك السين نحو: وَسَطُ الدار، ووسط الرأس، والكف، وما أشبهها، وما التفَّت أجزاؤه متجاورة بعضها يتميز من بعض كالعقد، وحلقه الناس فهو وَسَطٌ». وقال محمد بن يزيد: «ما كان اسماً فهو وَسَطٌ -محرك السين- نحو قولك: وَسَطُ رأسه صُلْبٌ، ووسط داره واسع، وما كان طرفاً فهو وَسَطٌ -مسكن السين- نحو قولك: وَسَطُ رأسه دهن، ووسط داره رجل، أي في وسط، وفي وسط رأسه». وقال الفراء: «ويقال: وسطت القوم سطةً ووُسُوطاً إذا دخلت وسطهم. قال الله: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾». انظر: البسيط ١/٩٢أ.

(٥) تفسير مقاتل ٢٤٨ب، والتفسير الكبير ٣٢/٦٦.

وقوله : ﴿جَمَعًا﴾ . قال جماعة المفسرين : «يعني : جمع العدو»^(١) .

والمعنى : صرن بعدهن وسط جمع العدو .

وقال القرطبي : «يعني جمع منى»^{(٢)(٣)} .

أقسم الله - تعالى - بهذه الأشياء ، فقال :

٦ . ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ .

قال^(٤) : «الكنود : الكفور للنعمة»^(٥) . (كَنَدَ يَكْنُدُ كَنُودًا)^(٦) .

وقال أبو عبيدة : «الكنود : الكفور ، والأرض الكنود لا تنبت شيئاً ، وأنشد
(للأعشى)^(٧) :

أَحْدِثْ لَهَا تُحْدِثْ لَوْصِلِكَ أَنهَا كُنْدُ لَوْصِلِ الزَّائِرِ الْمَعْتَادِ^{(٨)(٩)} .

(١) حكاه عن المفسرين ابن الجوزي في زاد المسير ٢٩٦ / ٨ ، وقال به قتادة ، وابن عباس ، وعكرمة ، وعطاء ، ومجاهد ، والضحاك ، والحسن . انظر : تفسير عبدالرزاق ٣٩٠ / ٢ ، وجامع البيان ٣٠ / ٢٧٧ ، والنكت والعيون ٦ / ٣٢٥ ، والدر المنثور ٨ / ٦٠٢ .

(٢) في (أ) و(ع) : (منا) .

(٣) ورد في الكشف والبيان ١٣ / ١٣٩ ب ، ومعالم التنزيل ٤ / ٥١٨ ، والدر المنثور ٨ / ٦٠٣ منسوباً إلى عبد بن حميد .

(٤) قلت : «لعله الكلبي ، فقد ورد عنه هذا القول برواية الفراء له في تهذيب اللغة (كند) ١٠ / ١٢٢ ، ولا سيما أن الكلام الذي بعده قد نقله عن التهذيب ، والله أعلم» . انظر : لسان العرب (كند) ٣ / ٣٨١ .

(٥) تهذيب اللغة (كند) ١٠ / ١٢٢ .

(٦) ما بين القوسين منقول عن تهذيب اللغة ، وهو قول لليث .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٨) ورد البيت أيضاً في ديوانه ٥٠ ، طبعة دار صادر ، وجامع البيان ٣٠ / ٢٧٧ ، والنكت والعيون ٦ / ٣٢٥ ، والكشف والبيان ١٣ / ١٤٠ أ .

(٩) مجاز القرآن ٣ / ٢٨٥ .

قال الأصمعي: «امرأة كُتْدٌ: أي كفور للمواصلة»^(١).

وأصل الكنود منع الحق والخير، والكنود الذي يمنع ما عليه. والمفسرون يقولون في تفسير الكنود: إنه الكفور، (وهو قول ابن عباس^(٢)، وعكرمة^(٣)، ومجاهد^(٤)، والضحاك^(٥)، وقتادة^(٦))^(٧).

-
- (١) ورد في تهذيب اللغة (كند) ١٠/١٢٢ أبو عبيد عن الأصمعي، وورد في لسان العرب (كند) ٣/٣٨١ من دون نسبة.
- (٢) جامع البيان ٣٠/٢٧٧، والكشف والبيان ١٣/١٣٩ ب، ومعالم التنزيل ٦/٥١٨، وزاد المسير ٦/٢٩٧، والتفسير الكبير ٣٢/٦٧، ولباب التأويل ٤/٤٠٢، والبحر المحيط ٨/٥٠٥، وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٧٩، والدر المنثور ٨/٦٠٢، ونسبه السيوطي إلى الطيالسي، وعبد بن حميد، وسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.
- (٣) التفسير الكبير ٣٢/٦٧.
- (٤) تفسير الإمام مجاهد ٧٤٤، وجامع البيان ٣٠/٢٧٧، والكشف والبيان ١٣/١٣٩ ب، ومعالم التنزيل ٤/٥١٨، وزاد المسير ٨/٢٩٧، والتفسير الكبير ٣٢/٦٧، وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٧٩.
- (٥) النكت والعيون ٦/٣٢٥، وزاد المسير ٨/٢٩٧، والتفسير الكبير ٣٢/٦٧، وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٧٩.
- (٦) جامع البيان ٣٠/٢٧٨، والنكت والعيون ٦/٣٢٥، والكشف والبيان ١٣/١٣٩ ب، ومعالم التنزيل ٤/٥١٨، وزاد المسير ٨/٢٩٧، والتفسير الكبير ٣٢/٦٧، وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٧٩، وشعب الإيمان ٤/١٥٣ ح ٤٦٢٨. وإلى هذا القول ذهب أيضاً الحسن، والربيع، وابن جبير، والنخعي، وأبو الجوزاء، وأبو العالية، ومحمد بن قيس، وعطاء. انظر: تفسير عبدالرزاق ٢/٣٩١، وجامع البيان ٣٠/٢٧٨، والكشف والبيان ١٣/١٣٩ ب، والدر المنثور ٨/٦٠٣.
- (٧) ما بين القوسين ساقط من (أ).

وقال الكلبي^(١)، (ومقاتل^(٢) : الكنود)^(٣) : «هو العاصي لربه» ، وبلسان كندة^(٤) ، ومعد^(٥) : «الكفور للنعم» ، وبلسان بني مالك^(٦)^(٧) (بن كنانة)^(٨) : «البخيل الذي يمنع رفده»^(٩) ، ويبيع عبده ، ولا يعطي قومه في النائية^(١٠)^(١١) ، (وقد روي مثل هذا المعنى عن أبي أمامة^(١٢) موقوفاً عليه^(١٣) ، ومرفوعاً أيضاً أنه : الكفور الذي يمنع رفده ، ويأكل وحده ، ويضرب عبده)^(١٤)^(١٥) .

- (١) الكشف والبيان ١٣/ ١٣٩ ب ، والنكت والعيون ٦/ ٣٢٥ بنحوه ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥١٨ مختصراً ، والتفسير الكبير ٣٢/ ٦٧ مختصراً ، وشعب الإيمان ٤/ ١٥٣ ح ٤٦٢٨ .
- (٢) تفسير مقاتل ٢٤٨ ب ، والكشف والبيان ١٣/ ١٣٩ ب .
- (٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (٤) كنده : قبيلة من كهلان ، وكندة هذا أبوهم ، واسمه ثور ، وإننا سُمي كندة لأنه كند أباه ؛ أي كفر نعمه ، وبلاد كندة في اليمن ، وكان لكندة هؤلاء ملك في الحجاز واليمن ، ومنهم امرؤ القيس بن عابس الكندي الصحابي . انظر : نهاية الأرب ٣٦٦ .
- (٥) معد : بنو معد بطن من بني عدنان ، وهو بطن متسع ، ومنهم تناسل بنو عدنان جميعاً . انظر : نهاية الأرب ٣٧٨ .
- (٦) في (أ) : (ملك) ، وغير مقروءة في (ع) ، وأثبت ما جاء في مصادر القول .
- (٧) بنو مالك : هم من ولد كنانة ، وكنانة بطن من مضر من القحطانية ، وهو في اليمن . انظر : نهاية الأرب ٣٦٦ .
- (٨) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (٩) الرافدة : فاعلة من الرّفد ، وهو الإعانة ، يقال : رَفَدْتُهُ أَرَفِدُهُ ، إذا أَعْنَتَهُ . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٢٤ .
- (١٠) النائية : ما ينوب الإنسان ؛ أي ما ينزل به من المهات والحوادث . انظر : النهاية ٥/ ١٢٣ .
- (١١) قال به عطاء . انظر : معالم التنزيل ٤/ ٥١٨ ، والبحر المحيط ٨/ ٥٥٥ .
- (١٢) تقدّمت ترجمته في سورة النساء .
- (١٣) ورد في جامع البيان ٣٠/ ٢٧٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، والدر المنثور ٨/ ٦٠٣ منسوباً إلى عبد بن حميد ، والبخاري في الأدب ، والحكيم الترمذي ، وابن مردويه . وأخرجه الطبراني في الكبير ٨/ ٢٢١ ، ٢٩٢ ح ٧٧٧٨ ، ٧٩٥٨ .
- (١٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (١٥) وردت الرواية عند الطبري في جامع البيان ٣٠/ ٢٧٨ من طريق جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعاً بنحوه ، ووردت أيضاً في الكشف والبيان ١٣/ ١٤٠ أ ، والنكت والعيون ٦/ ٣٢٥ ، =

(وقال الحسن : الكنود لوَّام لربه يعدُّ المصيبات ، وينسى النعم^(١))^(٢) .

قال (عطاء عن)^(٣) ابن عباس : نزلت في قرط بن أبي قرط ، (يريد أنه لربه لكفور^(٤))^(٥) .

(قال مقاتل : هو قرط)^(٦) بن عبدالله بن عمرو بن نوفل القرشي^(٧) .

وقال محقق النكت : «رواه ابن جرير ، وسنده ضعيف ؛ لأن فيه جعفر بن الزبير ، وهو متروك» ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٤٢/٧ : «رواه الطبراني بإسنادين ، في أحدهما جعفر بن الزبير ، وهو ضعيف ، وفي الآخر من لم أعرفه» . انظر : المعجم الكبير ٨/ ٢٢١ ، ٢٩٢ ح ٧٧٧٨ ، ٧٩٥٨ . ثم قال : «قلت : وضعفه السيوطي في الدر ٨/ ٦٠٣ ، وزاد نسبته إلى ابن عسكر ، والبيهقي ، وابن مردويه» . وقال ابن كثير : «ورواه ابن أبي حاتم من طريق جعفر بن الزبير ، وهو متروك ، فهذا إسناد ضعيف ، وقد رواه ابن جرير أيضاً مرفوعاً» . انظر : تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٧٩ ، ٥٨٠ . ووردت الرواية في المحرر الوجيز ٥/ ٥١٤ ، وزاد المسير ٨/ ٢٩٦ ، والتفسير الكبير ٣٢/ ٦٧ . قال ابن حجر : «جعفر بن الزبير الخنفي متروك الحديث ، وكان صالحاً في نفسه» . انظر : تقريب التهذيب ١/ ١٣٠ ت ٨٠ .

جامع البيان ٣٠/ ٢٧٨ ، وبحر العلوم ٣/ ٥٠٣ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٣٩ ب ، والنكت والعيون ٦/ ٣٢٥ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥١٨ بنحوه ، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١٤ ، وتفسير الحسن البصري ٢/ ٤٣٤ ، وشعب الإيمان ٤/ ١٥٣ ح ٤٦٢٩ .

(١) جامع البيان ٣٠/ ٢٧٨ ، وبحر العلوم ٣/ ٥٠٣ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٣٩ ب ، والنكت والعيون ٦/ ٣٢٥ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥١٨ بنحوه ، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١٤ ، وتفسير الحسن البصري ٢/ ٤٣٤ ، وشعب الإيمان ٤/ ١٥٣ ح ٤٦٢٩ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) ورد قوله في التفسير الكبير ٣٢/ ٦٧ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) تفسير مقاتل ٢٤٨ ب ، وبحر العلوم ٣/ ٥٠٣ ، وزاد المسير ٨/ ٢٩٦ .

ثم قال :

٧. وقوله : ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ .

قال ابن عباس : «يريد : وإن الله على كفره لشهيد»^(١) .

ثم أخبر عنه ، فقال :

٨. (قوله)^(٢) : ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ .

الخير : المال هاهنا في قول الجميع^(٣) ، والله - تعالى - سمي المال خيراً في مواضع من التنزيل كقوله : ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠] ونحوه^(٤) . وعلى هذا عادة الناس ؛ لأن الناس يعدونه في ما بينهم خيراً ، وهذا كما أنه سُمي ما ينال المجاهد من الجراح وأذى الحرب^(٥) سوءاً في قوله : ﴿لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤] على ما يتعارفه الناس بينهم ، لا على أنه سوء في العاقبة . ذكر ذلك ابن زيد^(٦) .

(١) ورد معنى قوله في زاد المسير ٢٩٧/٨ ، والبحر المحيط ٥٠٥/٨ ، وبمثله ورد عن ابن جريج في النكت والعيون ٣٢٦/٦ ، ونسبه البغوي إلى أكثر المفسرين في معالم التنزيل ٥١٨/٤ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) قال بذلك من المفسرين قتادة ، وابن زيد ، وابن عباس ، ومجاهد . انظر : تفسير عبدالرزاق ٣٩١/٢٠ ، وجامع البيان ٢٧٩/٣٠ ، والنكت والعيون ٣٢٦/٦ . وقال به السمرقندي في بحر العلوم ٥٠٣/٣ ، وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٥٣٦ ، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٣٥٤/٥ ، وانظر : معالم التنزيل ٥١٨/٤ ، وزاد المسير ٢٩٧/٨ ، ولباب التأويل ٤٠٢/٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٥٨٠/٤ ، ولم أجد من قال بغير ذلك .

(٤) قوله تعالى : ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٢٧] ، وقوله تعالى : ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣] .

(٥) في (أ) : (الحربي) .

(٦) ورد معنى قوله في جامع البيان ٢٧٩/٣٠ ، والكشف والبيان ١٣/١٤٠ ب .

﴿الشَّدِيدَ﴾ ؛ البخيل . قال أبو عبيدة ، (والزَّجَّاجُ)^(١) : «يقال للبخيل : شديد ومتشدد ، وأنشد لطرفة :

أرى الموتَ يعتامُ الكرامَ ويصطفي

عقيلةً مالِ الفاحشِ المتشددِ»^{(٢)(٣)} .

المعنى : فإن^(٤) الإنسان من أجل حب المال لبخيل ، (وهذا معنى قول المفسرين)^(٥) .

وقال ابن قتيبة : «معناه : وإن حُبَّهُ للخير شديد ، فأخَّرَ الحبَّ وقَدَّمَ الهاء ، ذكره في باب المقلوب^{(٦)(٧)} .

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) ورد البيت في ديوانه ٣٤ ، طبعة المؤسسة العربية ، وجامع البيان ٣٠ / ٢٧٩ ، وفيه (النفوس) بدلاً من (الكرام) ، و(الباطل) بدلاً من (الفاحش) ، ومعاني القرآن وإعرابه ٥ / ٣٥٤ ، والمحرر الوجيز ٥ / ٥١٥ ، والكشاف ٤ / ٢٢٩ ، وزاد المسير ٨ / ٢٩٧ ، وفيه (الباطل) بدلاً من (الفاحش) ، والدر المصون ٦ / ٥٦١ .

(٣) مجاز القرآن ٢ / ٣٠٧ ، ٣٠٨ .

(٤) في (ع) : (وإن) ، قال بذلك ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٥٣٦ ، والزَّجَّاجُ في معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٣٥٤ . ونسبه الطبري إلى نحوي البصرة في جامع البيان ٣٠ / ٢٧٩ ، وانظر : بحر العلوم ٣ / ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، وزاد المسير ٨ / ٢٧٩ . وذكر الماوردي في النكت والعيون ٦ / ٣٢٦ قولاً آخر ، هو : «لشديد الحب للخير ، وشدة الحب قوته وتزايد» ، وقد قال به ابن زيد ، وقتادة ، ونحويو الكوفة ، والحسن . انظر : جامع البيان ٣٠ / ٢٧٩ ، والنكت والعيون ٦ / ٣٢٦ ، وزاد المسير ٨ / ٢٩٧ ، وقد قال به أيضاً الثعلبي في الكشف والبيان ١٣ / ١٤ ب ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥ / ٥١٥ . وانظر : لباب التأويل ٤ / ٤٠٢ ، والبحر المحيط ٨ / ٥٠٥ ، وقال به الكلبي في معاني القرآن للفرّاء ٣ / ٢٨٥ ، وذكر ابن كثير المعنيين في تفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٨٠ : «لشديد : البخيل والقوة» ، وقال : «كلاهما صحيح» .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) في (أ) : (القلوب) .

(٧) ورد قوله في تأويل مشكل القرآن ، باب : المقلوب ٢٠٠ .

قال ابن الأنباري : «ولا يجوز أن يحمل هذا على القلب ؛ لأنه لا ضرورة تحوج إلى ذلك ، وهو صحيح المعنى من غير قلب اللفظ ، ومعناه : إن الإنسان من أجل حُب المال لبخيل ، و(اللام) في الحُب بتأويل : من أجل»^(١) .

قال الفرّاء : «ويجوز أن يكون المعنى : وإنه حُب الخير لشديد الحُب ، فاكتفى بالحُب الأول من الثاني ، كما قال : ﴿أَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم : ١٨] أراد في يوم عاصف الريح ، فاكتفى بالأول من الثانية»^(٢) .

ثم خوّفه فقال :

٩ . ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ ، يقول^(٣) : «أفلا يعلم هذا الإنسان إذا بعث الموتى» .

وذكرنا تفسير (بعثر) عند قوله : ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الأنفطار : ٤]^(٤) ، ومعنى : ﴿بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ : أثير وأخرج^(٥) .

١٠ . ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ . قال أبو عبيدة : (مُيِّزٌ)^(٦)^(٧) .

(١) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٢) ورد في معاني القرآن ٣/ ٢٨٥ ، ٢٨٦ بتصرف تام .

(٣) لا أدري مَنْ المعنى بقوله : (يقول) ، ولم أستطع معرفته ، أو : هل يعني أن القول عائد إلى الله سبحانه ؟ وقد ورد نحوه عن مقاتل في تفسيره ٢٤٨ ب .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) ما بين القوسين من قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٣٠٨ .

(٦) ساقط من (أ) .

(٧) مجاز القرآن ٢/ ٣٠٨ .

قال الليث^(١): «حصل (يحصل)^(٢) الشيء حصولاً، والحاصل من كل شيء ما بقي وثبت وذهب ما سواه، والتحصيل: تمييز ما يحصل، والاسم الحصيلة»، قال لييد:

وكلُّ امرئٍ يومًا سيعلمُ سَعْيُهُ

إِذَا حُصِّلَتْ عِنْدَ الْإِلَهِ الْحَصَائِلُ^{(٣)(٤)(٥)}

قال ابن عباس^(٦)، ومقاتل^(٧): «ميز ما في القلوب من الخير والشر».

وقال الكلبي: «بَيَّنَّ»^(٨). والمعنى: جمع، وأبرز.

١١. قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ﴾ مفعول العلم، وكسرت (إِنَّ) لمكان (اللام) في خبرها.

(١) ساقط من (أ).

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٣) غير مقروءة في (ع).

(٤) ورد في ديوانه ١٣٢، وفيه (كشفت) بدلاً من (حصلت)، و(المحاصل) بدلاً من (الحصائل)، والحصائل هي الحسنات والسيئات معاً. وورد أيضاً في تهذيب اللغة (حصل) ٢٤١/٤، والتفسير الكبير ٦٨/٣٢.

(٥) ما بين القوسين منقول عن تهذيب اللغة (حصل) ٢٤١/٤ بتصرف.

(٦) ورد معنى قوله في جامع البيان ٢٨٠/٣٠، وزاد المسير ٢٩٧/٨، وتفسير القرآن العظيم ٥٨٠/٤، وروايته: (أبرز ما فيها)، وقال أيضاً: (أبرز وأظهر).

(٧) تفسير مقاتل ٢٤٨ ب.

(٨) ورد معنى قوله في النكت والعيون ٣٢٦/٦ بلفظ: (ميز ما فيها).

وتأويل هذه الآية ما ذكره الزَّجَّاج ، قال : « الله خبير بهم في ذلك اليوم وغيره ، ولكن المعنى : أن الله يجازيهم على كفرهم في ذلك اليوم ، وليس يجازيهم ^(١) إِلَّا بأعمالهم ، ومثل : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [النساء: ٦٣] ، معناه : أولئك الذين لا يترك الله مجازاتهم » ^(٢) .

* * *

(١) في (أ) : (يجزي) .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣٥٤ / ٥ .

تفسير

سورة القارعة^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿الْقَارِعَةُ﴾ اسم من أسماء القيامة في قول الجميع^(٢).قال الكلبي: «سُمِّيَتْ قارعة، لأنها قرعت قلوبهم»^(٣).

(١) مكية بقول الأكثرية، وقيل: إنها مدنية.

(٢) جامع البيان ٢٨٠/٣٠، وبحر العلوم ٧٠/٣٢، ومعالم التنزيل ٥١٩/٤. حكى الإجماع الفخر في التفسير الكبير ٧٠/٣٢، وعزاه ابن عطية لجمهور المفسرين في المحرر الوجيز ٥١٦/٥، وكذلك ابن حيان في البحر المحيط ٥٠٦/٨، وقد قال بذلك ابن عباس، ووکیع. انظر: جامع البيان ٢٨١/٣٠، والدر المنثور ٦٠٥/٨. وقد قال به أيضاً ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٥٣٧، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٣٥٥/٥، والسمرقندي في بحر العلوم ٥٠٥/٣، وانظر: معالم التنزيل ٥١٩/٤، ولباب التأويل ٤٠٣/٤، وتفسير القرآن العظيم ٥٨٠/٤، وفتح القدير ٤٨٥/٥. أما من خالف هذا القول فقال: «هي النار ذات التغیظ والزفير»، قاله الضحاك كما في البحر المحيط ٥٠٦/٨، وقال الكرمانی في غرائب التفسير وعجائب التأويل ١٣٨١/٢: «الجمهور على أنها القيامة، وقيل الصيحة، والغريب هي النار».

(٣) ورد معنى قوله مفصلاً في التفسير الكبير ٧٠/٣٢.

وقال مقاتل : «لأنها تقرر أعداء الله بالعذاب»^(١) .

وقال أبو إسحاق : «القارعة التي تقرر بالأهوال»^(٢) .

وقال أهل المعاني : «القارعة (البلية)^(٣) التي تقرر القلوب بشدة المخافة والفرع بضرب^(٤) بشدة اعتماد»^(٥) .

٢-٣ . قوله تعالى : ﴿ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ تهويل وتعظيم .

ثم عجب نبيه ﷺ منها ، فقال : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ تعظيماً لشدتها .

ثم بيّن أنها متى تكون (فقال)^(٦) : ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ ﴾^(٧) ؛ (أي)^(٨) القارعة (تقرر)^(٩) .

٤ . (قوله)^(١٠) : ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾ . قال

الكلبي : «شبههم يومئذ بالفراش الذي يطير بين السماء والأرض ، فيجول بعضه في^(١١) بعض»^(١٢) .

(١) تفسير مقاتل ٢٤٨ ب ، والتفسير الكبير ٣٢ / ٧٠ ، وعلق الفخر عليه بقوله : «وهذا أولى من قول

الكلبي ، لقوله تعالى : ﴿ وَهُمْ مِنْ فِرْعَ يَوْمٍ مِمَّنْ يَمُوتُونَ ﴾ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٣٥٥ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) في (ع) : (الضرب) .

(٥) لم أعر على مصدر لقوله .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) ساقط من (أ) .

(٨) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٩) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(١٠) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(١١) في (أ) : (على) .

(١٢) ورد قوله مختصراً في النكت والعيون ٦ / ٣٢٨ .

وقال مقاتل : «يعني يجول بعضهم في بعض إذا خرجوا من القبور ، شبههم في الجولان بالفراش المبتوث ، وشبههم في الكثرة بالجراد»^(١) . وهو قوله : ﴿كَانَهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧] .

وقال الفرّاء : «كغواء»^(٢) الجراد يركب بعضه بعضاً ، كذلك الناس يومئذٍ يجول بعضهم في بعض»^(٣) .

وقال أبو إسحاق : «الفراش ما تراه كصغار البق»^(٤) يتهافت^(٥) في النار ، وشبّه الناس في وقت البعث بالجراد المنتشر ، وبالفراش المبتوث ، لأنهم لما بُعثوا يُموج بعضهم في بعض كالجراد والفراش»^(٦) .

وقال أبو عبيدة : «الفراش طائر لا بعوض ولا ذباب»^(٧) .

وقال المبرّد : «وهو يوصف بالجهل لتهافته في النار» .

(١) تفسير مقاتل ٢٤٩ أ .

(٢) غوغاء الجراد : إذا احمرّ وانسلخ من الألوان كلها ، وبدت أجنحته بعد الدّبي . وقال أبو عبيدة : «الجراد أول ما يكون سرّوة ، فإذا تحرك فهو دّبي قبل أن تنبت أجنحته ، ثم يكون غوغاء ، وبه سُمي الغوغاء ، والغوغاء : الصوت والجلبة» . انظر : لسان العرب (غوى) ١٤٢ / ١٥ .

(٣) ورد في معاني القرآن ٢٨٦ / ٣ بنصه .

(٤) البق : البعوض والجمع البقّ . انظر : مختار الصحاح (بق) ٦٠ .

(٥) يتهافت : يتساقط من الهفّت ، وهو السقوط . انظر : لسان العرب (هفت) ١٠٤ / ٢ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣٥٥ / ٥ .

(٧) ورد نحوه في مجاز القرآن ٣٠٩ / ٢ .

وأنشد جرير :

وقد كان أقوامٌ رددت حلومهم

عليهم وكانوا كالفراش من الجهل^{(١)(٢)}

وقال الليث : «الفراش الذي يطير»^(٣) ، وأنشد :

أودى بجهلهم الفياش فجهلهم^(٤)

حلم الفراش غشين نار المصطفى^{(٥)(٦)}

وقال صاحب النظم : «إنما شبههم بالفراش ؛ لأن الفراش إذا ثار لم يتجه لجهة واحدة ، فدلّ هذا على أنهم إذا بعثوا فزعوا ، واختلفوا في المقاصد على جهات مختلفة» ، و﴿الْمَبْتُوثُ﴾ : المفرق ، يقال : بُتّه إذا مزّقه^(٧) .

٥ . قوله : ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ .

(١) لم أعر عليه في ديوانه ، وقد ورد في الجامع لأحكام القرآن ١٦٥ / ٢٠ برواية : (رددت قلوبهم إليهم) ، وفتح القدير ٤٨٦ / ٥ .

(٢) لم أعر على مصدر لقول المبرّد .

(٣) (الفراش الذي يطير) : غير مقروءة في نسخة (ع) .

(٤) في (ع) : (بحملهم الغياش محملهم) بدلاً من (بجهلهم الفياش مجهلهم) .

(٥) ورد البيت غير منسوب في تهذيب اللغة (فرش) ٣٤٦ / ١١ برواية : (بحلّمهم الفياش فحلّمهم) .

(٦) ورد في تهذيب اللغة (فرش) ٣٤٦ / ١١ بنصه .

(٧) ورد بمثله غير منسوب في التفسير الكبير ٧٢ / ٣٢ ، ولم أعر عليه في ما لدي من مصادر .

(العهن : الصوف ذو الألوان)^(١) ، وقد مرَّ عند قوله : ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾ [المعارج : ٩] .

(والنفس : مدك الصوف حتى يتنفس بعضه عن بعض)^(٢) ، وهو أهون ما يكون من الصوف .

والمعنى : أنها تصوير خفيفة في السير ، كالصوف الذي نفس باليد .

ثم ذكر أحوال الناس بقوله :

٦ . قوله ^(٣) (تعالى)^(٤) : ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ .

قال مقاتل^(٥) ، (والكلبي)^(٦)^(٧) : رجحت حسناته .

٧ . ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ . قال أبو إسحاق : «أي ذات رضى يرضاها صاحبها»^(٨) ، وهي كقولهم : لابن ، ونابل ، وتامر .

(١) ما بين القوسين قول أبي عبيدة نقله عنه من مجاز القرآن ٢ / ٣٠٩ ، وقال بمعناه الأزهرى : في تهذيب اللغة (عهن) ١ / ١٤٥ .

(٢) ما بين القوسين من قول الليث نقله عنه بنصه من تهذيب اللغة (نفس) ١١ / ٣٧٦ .

(٣) في (ع) : (بقوله) .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٥) تفسير مقاتل ٢٤٩ أ .

(٦) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٨) ورد نحوه في معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٣٥٥ .

(قال أبو بكر)^(١): «بمعنى ذو لبن ، ونبل ، وتمر»^(٢) ، ولهذا قال المفسرون في تفسيرها : «مرضية»^(٣) على معنى يرضاها صاحبها .

٨. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ ؛ أي رجحت سيئاته على حسناته .

قال أبو بكر : «إنما ثقلت موازينهم باتباعهم الحق ، وثقلت^(٤) عليهم . وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلاً ، وإنما خفَّت موازين مَنْ خَفَّتْ باتباعهم الباطل في الدنيا ، وخفتهم عليهم (وحق)^(٥) لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفاً»^(٦) . ونحو هذا ذكر مقاتل ، وقال : «لأن الحق ثقيل ، والباطل خفيف»^(٧) .

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) انظر : الأصول في النحو لأبي بكر السراج ٨٣ / ٣ .

(٣) نسبته الفخر إلى المفسرين في التفسير الكبير ٧٣ / ٣٢ ، وقال بمعنى ذلك قتادة ، وقال : «هي الجنة» ، وفسرها الماوردي فقال : «يعني في عيشة مرضية» . وقد ورد قول قتادة أيضاً في جامع البيان ٢٨٢ / ٣٠ ، والدر المنثور ٦٠٥ / ٨ منسوباً إلى عبد بن حميد ، وعن مجاهد قال : «في عيشة قد رضيها في الجنة» . انظر : جامع البيان ٢٨٢ / ٣٠ ، وقد ذهب إلى القول : «مرضية» السمرقندي في بحر العلوم ٥٠٥ / ٣ ، والثعلبي في الكشف والبيان ١٣ / ١٤١ أ ، وانظر أيضاً : معالم التنزيل ٥١٩ / ٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦٦ / ٢٠ ، وفتح القدير ٤٨٦ / ٥ .

وقد ذكر الماوردي في النكت والعيون ٣٢٩ / ٦ وجهاً آخر في الآية ، هو : «نعيم دائم» ، ونسبته إلى الضحاك ، ثم قال : «فيكون على الوجه الأول من المعاش ، وعلى الوجه الثاني من العيش» .

(٤) في (ع) : (ثقله) .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) ورد في التفسير الكبير ٧٣ / ٣٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦٧ / ٢٠ بنحوه .

(٧) ورد بمعناه في تفسيره مقاتل ٢٤٩ أ ، والتفسير الكبير ٧٣ / ٣٢ .

٩. (وقوله)^(١): ﴿فَأَمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾. قال الليث: «الهاوية اسم من أسماء جهنم»^(٢)، (والهاوية كل مهواة لا يُدرك قعرها)^(٣).

والمعنى: فمسكنه جهنم. (وهذا معنى قول عطاء)^(٤)، والكليبي^(٥)، وأكثر المفسرين^{(٦)(٧)}.

قال أبو إسحاق: «وقيل لمسكنه: (أُمُّه)؛ لأن الأصل في السكون إلى الأمهات، ف قيل الذي له بدل ما يسكن إليه: (نار حامية)»^(٨).

وهذا معنى (قول)^(٩) الفراء: «صارت هاوية مأواه، كما (تؤوي)^(١٠) المرأة ابنها»^(١١)، فجعلها، إذ لا مأوى له غيرها، أمًا له^(١٢).

(١) ما بين القوسين ساقط من (ع).

(٢) هذا من قول ابن المظفر، وليس الليث. انظر: تهذيب اللغة (هوى) ٦/ ٤٩٠.

(٣) ما بين القوسين من قول الأزهري نقله عنه بنصه من تهذيب اللغة (هوى) ٦/ ٤٩٠.

(٤) لم أعثر على مصدر لقوله.

(٥) لم أعثر على مصدر لقوله.

(٦) ممن قال بذلك ابن عباس، وقتادة، وابن زيد. انظر: جامع البيان ٣٠/ ٢٨٣، والنكت والعيون ٦/ ٣٢٩، والدر المنثور ٨/ ٥٠٥، ٥٠٦، ونسبه ابن عطية إلى أكثر المفسرين ٤/ ٥٨١، وقال به أيضاً ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٥٣٧، والكشف والبيان ١٣/ ١٤١ أ-ب، وانظر: معالم التنزيل ٤/ ٥١٩ والبحر المحيط ٨/ ٥٠٧.

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٨) ورد في معاني القرن وإعرابه ٥/ ٣٥٦ بتصرف. (فقيل: الذي له بدل ما يسكن إليه نار حامية) فيها ركake، والعبارة كما هي عند الزجاج على النحو الآتي: (فأبدل في ما يسكن إليه نار حامية)، (فأبدل في ما) بدلا من (فقيل الذي له بدل).

(٩) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(١٠) في (أ) و(ع): (تردي)، وأثبت ما جاء في مصدر القول.

(١١) في (أ): (منها).

(١٢) معاني القرآن ٣/ ٢٨٧.

وقال مقاتل : «يقول يؤم الناس^(١) الهاوية»^(٢) ، وهذا إنشأ كان يحتمل لو قُرئ : (فأُمَّه) بفتح الهمزة ، ولم يرو ذلك عن أحد .

وذكر أهل المعاني قولين آخرين :

أحدهما : أن المعنى خسرت نفسه وهلكت ، والعرب تقول : هوت أمه ، إذا هلك وعطب^(٣) ، وهذا قول الأخفش ، والمُبرّد^(٤) ، وصاحب النظم ، وأنشدوا لكعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه (فقال)^(٥) :

هَوَتْ أُمُّهُ مَا يَبْعُثُ الصَّبْحُ غَادِيًّا

وماذا^(٦) يؤدي الليل^(٧) حينَ يؤوبُ^(٨)

وأنشد المُبرّد^(٩) قول الكندي^(١٠) :

هَوَتْ أُمُّهُمْ مَاذَا بِهِمْ يَوْمَ ضُرَّعُوا بجيشانَ مِنْ أَسْبَابِ مَجْدٍ تَصَرَّ مَا^(١١)

(١) في (ع) : (النار) .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٣) في (أ) : (عصب) .

(٤) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٦) في (أ) : (وما) .

(٧) في (أ) : (الليل) .

(٨) ورد البيت في الجامع لأحكام القرآن ١٦٧/٢٠ . انظر : البحر المحيط ٥٠٧/٨ ، وفيه (ما ينبعث) بدلاً من (من يبعث) ، و(وماذا يرد الليل حين يؤون) بدلاً من (ماذا يؤدي الليل حين يؤوب) ، وروح المعاني ٢٢٢/٣٠ .

(٩) لم أعثر على مصدر لقوله .

(١٠) الكندي : أم صريح شاعرة جاهلية قالت البيت ضمن قصيدة ترثي فيها قومها وقد ماتوا يوم جيشان . انظر : معجم البلدان ٢/٢٠٠ ، وديوان الحماسة ١/٤٥٩ .

(١١) ورد في معجم البلدان ٢/٢٠٠ ، وديوان الحماسة ١/٤٥٩ ، وتهذيب اللغة (ناب) ١٥/٤٨٩ برواية : (. . . ما ذامُّهُمْ بَنَيْسَانَ مِنْ أُنْيَابِ مَجْدٍ تَصَرَّ مَا) .

القول الثاني :

(فأم^(١) رأسه هاوية في النار) . ذكره الأخفش^(٢) ، والكلبي ، فقال : «يقال : أمه هاوية ، لأم الرأس»^(٣) . وإلى هذا ذهب قتادة ، فقال : «إنهم يهونون في النار على رؤوسهم»^(٤) .

وروى معمر عنه ، قال : «هذه كلمة عربية يقال : إذا وقع في أمر شديد هوت أمه»^(٥) . وهذا معنى القول الأول من قولي أهل المعاني ، ويدل على صحة القول الأول ، (وهو الذي عليه المفسرون)^(٦) ، ما روي في الحديث أن المؤمن إذا مات ذهب بروحه إلى أرواح المؤمنين فيسألونه^(٧) ويقولون : ما فعل فلان وفلان ؟ حتى إذا سألوه عمن لم يأتهم ممن قد مات ، (فيقول : قد مات)^(٨) ، أما جاءكم ؟ فيقولون : لا ، ذهب به إلى أمه الهاوية^(٩) .

(١) ساقط من (أ) .

(٢) ورد في التفسير الكبير ٧٤ / ٣٢ ، وورد بمعناه في تفسير القرطبي ١٦٧ / ٢٠ بلفظ : (فمستقر) ، ثم قال القرطبي : «والمعنى متقارب ، يعني مع مَنْ قال يهوي فيها على أم رأسه» .

(٣) ورد في التفسير الكبير ٧٤ / ٣٢ ، وورد بمثله عن أبي صالح ، في جامع البيان ٢٨٢ / ٣٠ ، والكشف والبيان ١٣ / ١٤١ ب ، ومعالم التنزيل ٥١٩ / ٤ ، والمحزر الوجيز ٥١٧ / ٥ .

(٤) جامع البيان ٢٨٣ / ٣٠ ، والكشف والبيان ١٣ / ١٤١ ب ، ومعالم التنزيل ٥١٩ / ٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٥٨٠ / ٤ .

(٥) ورد في تفسير عبدالرزاق ٣٩٢ / ٢ ، وجامع البيان ٢٨٢ / ٣٠ ، ٢٨٣ ، والكشف والبيان ١٣ / ١٤١ ب ، ومعالم التنزيل ٥١٩ / ٤ ، وزاد المسير ٢٩٩ / ٨ ، والتفسير الكبير ٧٤ / ٣٢ ، والدر المنثور ٦٠٦ / ٨ منسوباً إلى ابن المنذر .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) في (أ) و(ع) : (فيسألونه) .

(٨) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٩) أخرج النسائي بمعناه مطولاً ، وقد انفرد به من طريق أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً في كتاب الجنائز ٣٠٦ / ٤ ح ١٨٣٢ ، والحاكم عن الحسن مرفوعاً في كتاب التفسير (سورة القارعة) ٥٣٣ / ٢ ، وقال : «هذا حديث مرسل صحيح الإسناد» ، ووافقه الذهبي ، وورد عند عبدالرزاق في تفسيره ٣٩٢ / ٢ =

ويدل أيضاً على صحته أن الله - تعالى - قد أخبر عنها ، فقال :

١٠ . (قوله)^(١) : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴾ .

يعني الهاوية ، والهاء في ﴿ مَا هِيَّةٌ ﴾ للوقف ، فإذا وصل جاز حذفها^(٢) ، والاختيار الوقف بالهاء ، لاتباع المصحف ، والهاء ثابتة^(٣) فيه^(٤) .

وذكرنا الكلام في هذه الهاء عند قوله : ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ [البقرة: ٢٥٩] ، و﴿ فِيْهَدْنَهُمْ أَقْتَدَ ﴾ [الأنعام: ٩٠] ، و﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴾ [الحاقة: ٢٨] .

ثم فسرها الله - تعالى - وأخبر عنها ، فقال :

١١ . ﴿ نَارُ حَامِيَةٍ ﴾ ؛ أي هي نار حامية ، قال الكلبي^(٥) ومقاتل^(٦) : « حَارَّةٌ قد انتهت حرُّها كقوله : ﴿ تَصَلَّىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ [الغاشية: ٤] » .

من طريق معمر ، عن أشعث بن عبد الله الأعمى ، وبالطريق نفسه عند الطبري في جامع البيان ٢٨٢/٣٠ ، وورد عند القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٦٧/٢٠ من طريق أبي هريرة ، وإسناد عبد الرزاق في تفسير القرآن العظيم ٥٨٠/٤ ، والدر المنثور ٦٠٦/٨ بطرق مختلفة ، وفي زاد المسير ٢٩٩/٨ من غير ذكر الإسناد .

(١) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٢) قرأ حمزة ويعقوب ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴾ بحذف الهاء في الوصل ، وقرأ الباكون بإثبات الهاء في الوصل . انظر : المبسوط ٤١٤ ، وحجة القراءات ٧٧٠ .

(٣) في (أ) : (باقية) .

(٤) ممن قال بالوقف النحاس في القطع والائتناف ٨١٦/٢ ، والداني في المكتفي في الوقف والابتداء ٦٢٧ . انظر : علل الوقوف للسجاوندي ١١٥٣/٣ ، ومنار الهدى في بيان الوقف والابتداء للأشموني ٤٣٣ ، والمقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء لأبي يحيى زكريا الأنصاري ٤٣٣ ، وهو مذيل بكتاب الأشموني . قال النحاس : « ويستحب الوقف على (هيه) ، لأنه إن وصل بغير هاء خالف السواد ، وإن وصل بالهاء لحن ، فالوقف عليها أسلم » . انظر : الوقف في الابتداء ٨١٦/٢ . وعن السجاوندي - في بيان علة الوقف - قال لتام الجملة . انظر : علل الوقوف ١١٥٣/٣ .

(٥) لم أعر على مصدر لقوله .

(٦) تفسير مقاتل ٢٤٩ أ .

تفسير

سورة التكاثر^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ . تقول^(٢) : ألهاني فلان عن كذا ؛ أي أنساني ، وشغلني ، ولهيت عنه ألهى لهياً ، ومنه الحديث : (أن ابن الزبير كان إذا سمع صوت الرعد لهي من حديثه^(٣) ؛ أي تركه وأعرض عنه ، وكل شيء تركته فقد لهيت عنه)^(٤) .

-
- (١) مكية ، وحكى الإجماع على ذلك ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥١٨ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٢٩٨ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٦٨ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٨/ ٥٠٧ ، والشوكاني في فتح القدير ٥/ ٤٨٧ . وقيل : إنها مدنية . انظر : فتح القدير ٥/ ٤٨٧ .
- (٢) في (ع) : (يقال) .
- (٣) غريب الحديث لأبي عبيد ٤/ ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، وتتمته : قال : «سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته» . انظر : الفائق ٣/ ٣٣٦ ، طبعة دار المعرفة ، وقد ورد في التفسير الكبير ٣٢/ ٧٥ .
- (٤) ما بين القوسين منقول عن تهذيب اللغة (كثر) ٦/ ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، وهو من قول الليث ، وانظر : لسان العرب (كثر) ١٥/ ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

والتكاثر : التباهي بكثرة المال والعدد ، والتفاخر بكثرة المناقب ، يقال : تكاثر القوم تكاثراً ، إذا تعادوا ما لهم من كثرة المناقب .

وذكر في تفسير هذا قولان^(١) :

أحدهما : أن المعنى شغلکم (التكاثر)^(٢) بالأموال والأولاد عن طاعة الله .

٢ . ﴿ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ ؛ أي حتى أدرككم الموت على تلك الحال^(٣) ، وهذا قول قتادة ، قال : «نزلت في اليهود ، قالوا : نحن أكثر من بني فلان ، وبني فلان أكثر من بني فلان^(٤) ، أهاكم ذلك عن الإيثار حتى ماتوا ضلالاً»^(٥) .

ثم يدخل في هذا كل من اشتغل بالتكاثر والتفاخر عن طاعة الله حتى يأتيه الموت وهو على ذلك . يدل على هذا ما روي أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية : ﴿ أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ ﴾ ، ثم قال : «يقول ابن آدم : مالي مالي ، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأبليت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت ؟»^(٦) .

(١) القول الثاني أورده عند تفسيره الآية ٢ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) قال بهذا المعنى أيضاً ابن عباس والحسن . انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٦٨/٢٠ .

(٤) في (أ) و(ع) : (بنوا) .

(٥) ورد نحوه في تفسير عبدالرزاق ٣٩٣/٢ ، ولم يذكر أنها نزلت في اليهود ، وكذا في جامع البيان ٢٨٣/٣٠ ثم ذكر عبدالرزاق ، والكشف والبيان ١٤٢/١٣ أمثله ، ومعالم التنزيل ٥٢٠/٤ ، وزاد المسير ٣٠٠/٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦٨/٢٠ ، والبحر المحيط ٥٠٧/٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٥٨٢/٤ ، والدر المنثور ٦١٠/٨ منسوباً إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وفتح القدير ٤٨٨/٥ ، وأسباب النزول ٤٠٠ ، تحقيق أيمن صالح .

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الزهد ، باب (٥٣) ٢٢٧٣/٤ ح ٣ ، ولفظه كما هو عنده : «حدثنا قتادة عن مطرف عن أبيه ، قال : أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ في ﴿ أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ ﴾ ، قال : «يقول ابن آدم : مالي مالي . (قال) : وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنت ، أو لبست فأبليت ، =

قال صاحب النظم في هذا القول : «(أي)^(١) لا تزالون تتكاثرون ، وتتفاخرون إلى أن تموتوا»^(٢) .

ويقال لمن مات : زار رَمْسَه^(٣) ، وزار قبره . قال جرير للأخطل :

زَارَ الْقُبُورَ أَبُو^(٤) مَالِكٍ فَأَصْبَحَ أَلَامَ زُؤَارِهَا^(٥)
فجعل زيارة القبور بالموت^(٦) .

أو تصدقت فأَمْضِيَتْ ، وأخرجه أحمد ٤ / ٢٤ ، ٢٦ ، وأخرجه الترمذي في سننه في كتاب الزهد ، باب (٣) ٤ / ٥٧٢ ح ٢٣٤٢ ، وقال : «حديث حسن صحيح» ، وكتاب تفسير القرآن ، باب (٨٩) ٥ / ٤٤٧٠ ح ٢٣٥٤ ، والنسائي في كتاب الوصايا ، باب (١) ٦ / ٥٤٨ ح ٣٦١٥ ، وابن المبارك في الزهد ١٧٠ ح ٤٩٨ .

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٣) الرَّمْسُ : التراب ، ورمس القبر : ما حثي عليه ، وقد رمسناه بالتراب ، والرَّمْسُ : تراب تحمله الريح فترمس به الآثار ؛ أي تعفوها ، والرياح الروامس ، وكل شيء نُثر عليه التراب فهو مرموس ، والقبر يسمى رَمْساً . انظر : تهذيب اللغة (رمس) ١٢ / ٤٢٣ .

(٤) في (أ) : (أبا) .

(٥) ورد البيت في ديوانه ٢٣٥ ، طبعة دار بيروت ، برواية : (فكان كألأم) ، وتهذيب اللغة (كثر) ١٠ / ١٧٧ ، ولسان العرب (كثر) ٥ / ١٣٣ ، والتفسير الكبير ٣٢ / ٧٧ ، وروح المعاني ٣٠ / ٢٢٤ .

(٦) تهذيب اللغة (كثر) ١٠ / ١٧٧ .

القول الثاني : إن هذه الآية نزلت في حين من قريش ، وهما (بنو)^(١) عبد مناف^(٢) ، وبنو سهم^(٣) ، تفاخروا أيهم أكثر عدداً ، ففخرت^(٤) بنو عبد مناف بني سهم بالمكارم والمساعي^(٥) ، ثم ترقوا إلى ذكر الأموات^(٦) حتى أتوا المقابر ، فعدوها فكثرتهم بنو^(٧) سهم ، ؛ لأنهم كانوا أكثر عدداً في الجاهلية . وهذا قول الكلبي^(٨) ، ومقاتل^(٩) ، وابن عباس^(١٠) في رواية عطاء^(١١) .

-
- (١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (٢) بنو عبد مناف : بطن من قريش من العدنانية ، وهم بنو عبد مناف بن قصي ، وكان قصي قد جعل لابنه عبد الدار في مقابلة شرف عبد مناف : الحجابة ، واللواء ، والندوة ، والرفادة ، والسقاية ، فبقوا على ذلك إلى أن انتزع بنو عبد مناف منهم السقاية والرفادة في حلف أحليين ، واستقرت لبني عبد الدار الحجابة واللواء والندوة . انظر : نهاية الأرب للقلقشندي ٣١٢ .
- (٣) بنو سهم : بطن من هصص من قريش من العدنانية ، وهم بنو عمرو بن هصص . انظر : نهاية الأرب ٢٧٤ .
- (٤) في (أ) : (ففخرت) .
- (٥) المساعي : العرب تسمي مآثر أهل الشرف والفضل مساعي ، واحداثها مسعاة ؛ لسعيهم فيها كأنها مكاسبهم وأعمالهم التي أعنوا فيها أنفسهم . انظر : لسان العرب (سعا) ٣٨٦ / ١٤ .
- (٦) في (أ) : (الأسواف) .
- (٧) في (أ) : (بنوا) .
- (٨) ورد في أسباب النزول ٤٠٠ ، ولباب النقول ٢٣٤ بمعناه منسوباً إلى ابن أبي حاتم عن ابن بريدة ، وورد بمعناه أيضاً في بحر العلوم ٥٠٦ / ٣ ، والكشف والبيان ١٤٢ / ١٣ ، والنكت والعيون ٣٣١ / ٦ ، ومعالم التنزيل ٥٢٠ / ٤ ، وزاد المسير ٣٠٠ / ٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦٨ / ٢٠ ، والبحر المحيط ٥٠٧ / ٨ ، وورد غير منسوب في معاني القرآن الفراء ٢٨٧ / ٣ ، وجامع النقول لابن خليفة ٣٣٦ .
- (٩) ورد في تفسير مقاتل ٢٤٩ ب ، وانظر : المراجع السابقة عدا بحر العلوم .
- (١٠) لم أعثر على مصدر لقوله .
- (١١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

وقال ابن بُرَيْدَةَ: «نزلت في فخذ من الأنصار ، تفاخروا بأبائهم ، فقالوا : هذا قبر فلان ، وهذا قبر فلان»^(١) .

ومعنى ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ على هذا القول : حتى أتيتموها ، وذكرتم أهلها في مفاخرتكم ، ثم ردَّ الله عليهم ، فقال :

٣. ﴿كَلَّا﴾^(٢) . قال أبو إسحاق : «هو ردع وتنبيه ، المعنى : ليس الأمر الذي ينبغي أن يكونوا عليه التكاثر ، والذي ينبغي أن يكونوا عليه طاعة الله والإيمان»^(٣) .

وقال صاحب النظم : «أي (أن)»^(٤) هنا لا ينفع شيئاً ، أو ليس له طائل»^(٥) .
ثم أوعدهم فقال : ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ .

٤. ثم وكَّد ذلك ، وكرَّر فقال : ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ .

قال الفراء : «الكلمة قد تكررهما على التغليظ والتخويف ، وهذا من ذلك»^(٦) .

(١) ورد مختصراً في الكشف والبيان ١٣/ ١١٤٢ ، ونحوه قال ابن زيد كما في الجامع لأحكام القرآن ١٦٨/ ٢٠ .

(٢) ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر : ٣] .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٥٧ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٦) ورد في معاني القرآن ٣/ ٢٨٧ بنصه .

قال الحسن^(١)، ومقاتل^(٢): «هو وعيد بعد وعيد».

والمعنى: سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم إذا نزل بكم الموت، ثم كلاً سوف تعلمون ذلك في القبر، وهذا قول مقاتل^(٣)، وابن عباس^(٤) في رواية عطاء، وعلى هذا ليس التكرير للتأكيد، والتكرير للحالتين، ومن جعلهما^(٥) للتأكيد لم يذكر الحالتين، ويقول: هو كقوله: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾^(٦)، [عم: ٤-٥]، ودليل القول الثاني ما روى زر بن حبیش عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -^(٦) قال: «كُنَّا نَشْكُ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ»^(٧).

يعني أن معنى قوله: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي في القبور.

٥. قوله: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾. هذا استئناف خبر وكلام آخر تقول: لو تعلمون^(٨) الأمر علماً يقيناً. وإضافة العلم إلى اليقين كقوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥]، وقد مر^(٩).

- (١) معالم التنزيل ٤/ ٥٢٠، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٨٣، وفتح القدير ٥/ ٤٨٨.
- (٢) تفسير مقاتل ٢٤٩ ب، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٢.
- (٣) ورد بمعناه في تفسير مقاتل ٢٤٩ ب.
- (٤) لم أعثر على مصدر لقوله.
- (٥) في (أ): (جعله).
- (٦) ما بين القوسين ساقط من (أ).
- (٧) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب تفسير القرآن، باب (٨٩) ٥/ ٤٤٧، وقال: «هذا حديث غريب»، وأورده السيوطي في لباب النقول ٢٣٤ منسوباً إلى ابن جرير عن علي. انظر: جامع البيان ٣٠/ ٢٨٤، والكشف والبيان ١٣/ ١٤٢ ب، والتفسير الكبير ٣٢/ ٧٨، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٧٢، والدر المنثور ٨/ ٦١٠ منسوباً إلى حنیش بن أصرم في الاستقامة، وابن المنذر، وابن مردويه.
- (٨) ما بين القوسين ساقط من (أ).
- (٩) مما جاء في تفسير آية الواقعة: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾: «قال الإمام الواحدي: ومعنى حق اليقين حق الأمر اليقين عند الأخفش، والبصريين، وعند الكوفيين هو من باب إضافة الشيء إلى نفسه، وقال أبو إسحاق: هذا كما تقول: إن زيداً لعالم، وإنه للعالم حق العلم، إذا بالغت في التوكيد». انظر: البسيط ٥/ ٩٣.

قال قتادة : «كُنَّا نحدث أن علم اليقين : أن يعلم (أن)^(١) الله باعته بعد الموت»^(٢) .

وقال عطاء : «لو تعلمون يوم القيامة علم اليقين»^(٣) .

قال صاحب النظم : «اليقين - هاهنا - هو الموت أو البعث ؛ لأنها إذا وقعا جاء اليقين ، وزال^(٤) الشك» .

والمعنى على ما ذكره^(٥) : «لو تعلمون الأمر علماً يقيناً ، كما تعلمونه بعد الموت والبعث» .

وجواب (لو) محذوف على تقدير : لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر^(٦) .

وتلخيص هذا المعنى ما ذكره أبو إسحاق : «لو علمتم^(٧) الشيء حق علمه لارتدعتم عما أنتم عليه من التكاثر»^(٨) .

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) ورد مختصراً في تفسير عبدالرزاق ٣٩٣/٢ ، وجامع البيان ٢٨٥/٣٠ ، وورد بمعناه في الكشف والبيان ١٣/١٤٢ ب ، والنكت والعيون ٦/٣٣١ ، ومعالم التنزيل ٤/٥٢١ ، والبحر المحيط ٨/٥٠٨ ، وفتح القدير ٥/٤٨٩ ، والدر المنثور ٨/٦١١ منسوباً إلى الفريابي ، وابن أبي شيبه ، وابن أبي حاتم ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٣) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٤) في (أ) : (زوال) .

(٥) في (أ) : (ما ذكره) .

(٦) انظر : الدر المصون ٦/٥٦٥ ، وقدّر الكلام بقوله : «أي لفعلتم ما لا يوصف» ، وانظر : البيان في غريب إعراب القرآن ٢/٥٣١ .

(٧) في (أ) : (علمه) .

(٨) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٥/٣٥٧ بتصرف .

٦. ثم أوعدهم وعيداً آخر، فقال: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾.

وهذا على إضمار القسم.

(والمعنى: سترون الجحيم في الآخرة كقوله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]. وقراءة العامة بفتح التاء^(١).

وقد قرئ بضمها^(٢)، من أريته الشيء. والمعنى: أنهم يحشرون إليها، فيرونها في حشرهم إليها (فيرونها)^(٣). وهذه القراءة تروى عن ابن عامر، والكسائي، كأنهما أرادا^(٤) لَتَرَوُنَّهَا، فَتَرَوُنَّهَا، ولذلك قرأ الثانية: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ بالفتح، وفي هذه الثانية دليل على أنهم إذا أروها [أروها]^(٥)، وفي قراءة العامة الثانية تكرير للتأكيد، والمعنى: لترون الجحيم بأبصاركم على البعد منكم.

٧. ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾؛ أي مشاهدة، وانتصب قوله: ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ انتصاب المصدر كما تقول: رأيته حقاً يقيناً، وتبينته يقيناً.

ومعنى هذه الرؤية: الرؤية التي هي مشاهدة^(٦)، هذا كله كلام أبي علي الفارسي (وتفسيره)^(٧).

(١) السبعة في القراءات ٦٩٥، والقراءات وعلل النحويين فيها ٧٩٥/٢، والمبسوط ٤١٦، والحجة ٤٣٤/٦، وحجة القراءات ٧٧١، والبدور الزاهرة ٣٤٥.

(٢) السبعة في القراءات ٦٩٥، والقراءات وعلل النحويين فيها ٧٩٥/٢، والمبسوط ٤١٦، والحجة ٤٣٤/٦، وحجة القراءات ٧٧١، والبدور الزاهرة ٣٤٥.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٤) في (أ): (أرادوا).

(٥) (أروها) في كلتا النسختين، وأثبت ما جاء في مصدر القول.

(٦) ما بين القوسين منقول كما بينه الإمام الواحدي عن الحجة ٤٣٤/٦، ٤٣٥ بتصرف.

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ).

وقال الفراء : «قراءة العامة أشبه بكلام العرب ؛ لأنه تغليظ ، فلا ينبغي أن يختلف لفظه»^(١) .

وقال أبو علي : (والمعنى في ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ لترون عذاب الجحيم ، ألا ترى^(٢) أن الجحيم يراها المؤمنون أيضاً ، بدلالة قوله : ﴿وَلِإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم : ٧١] ، وإذا كان كذلك ، فالمعنى : والوعيد في رؤية عذابها لا في رؤيتها نفسها ، يدل على هذا قوله : ﴿إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ [البقرة : ١٦٥] ؛ (ذكر العذاب في هذه يدل على أن المعنى في الآخرة العذاب)^(٣) أيضاً ، وبناء الفعل في قوله : ﴿إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ ، وفي قوله : ﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ﴾ [النحل : ٨٥] للفاعل يدل على أن ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ ، أرجح (من لَتَرَوُنَّ)^(٥) ^(٦) ، انتهى كلامه .

٨. قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ . قال مقاتل : «يعني كفار مكة كانوا في الدنيا في الخير والنعمة ، فيسألون^(٧) يوم القيامة عن شكرها ، وما كانوا فيه ، ولم يشكروا رب النعم ؛ فذلك قوله : ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ يوم القيامة»^(٨) .

(١) ورد في معاني القرآن ٢٨٨ / ٣ بيسير من التصرف .

(٢) (ترا) في كلتا النسختين .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) في (أ) : (وإذ يرى) .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) ورد في الحجة ٦ / ٤٣٦ ، ٤٣٧ بيسير من التصرف .

(٧) في (أ) : (فسئلون) .

(٨) تفسير مقاتل ٢٤٩ ب ، ومعالم التنزيل ٥٢١ / ٤ .

وقال الكلبي : «الكفار مسؤولون^(١) عن كل نعمة»^(٢) .

قال^(٣) : «وقال أبو بكر - رضي الله عنه - لما نزلت هذه الآية : يا رسول الله ، أرأيت أكلة أكلتها معك في بيت أبي الهيثم بن التيهان^(٤) من خبز شعير ، ولحم ، وبسر^(٥) قد ذنب^(٦) ، وماء عذب ، أتخاف علينا أن يكون هذا من النعيم الذي نسأل عنه ؟ فقال رسول الله ﷺ : «إنما ذلك للكفار» ، ثم قرأ : ﴿وَهَلْ يُجِزِي إِلَّا الْكُفُورُ﴾^(٧) [سبأ : ١٧] .

- (١) في (أ) : (يسلون) .
- (٢) لم أعثر على مصدر لقوله .
- (٣) أي الكلبي .
- (٤) أبو الهيثم مالك بن التيهان ، واسمه مالك بن عتيك بن عمرو الأنصاري الأوسي ، شهد بدرًا ، وكان من نقباء بيعة العقبة ، وشهد المشاهد كلها ، توفي سنة ٢٠ هـ . انظر : الاستيعاب ٤ / ١٧٧٣ و ٣٢١٣ ، وأسد الغابة ٦ / ٣٢٣ ، والإصابة ٧ / ٢٠٩ ت ١١٨٨ .
- (٥) البسر : هو التمر قبل أن يربط لفضاضته ، واحدته : بُسرة . انظر : لسان العرب (بسر) ٤ / ٥٨ .
- (٦) ذنب : التذنب ، وهو البسر الذي قد بدأ فيه الأرباط من قبل ذنبه ، وذنب البُسرة وغيرها من التمر مُؤَخَّرُهَا ، وذنب البُسرة فهي مذنبية ، وكُنْتُ من قبل ذنبها . قال الأصمعي : «إذا بدت نُكْتُ من الأرباط في البسر من قبل ذنبها قيل : قد ذنبت» . انظر : لسان العرب (ذنب) ١ / ٣٩٠ .
- (٧) بياض في (ع) .
- (٨) وردت الرواية بمعناها عن الكلبي في الدر المنثور ٨ / ٦١٨ منسوبة إلى ابن مرويّه ، ووردت من طريق الكلبي عن أبي صالح ، عن ابن عباس في بحر العلوم ٣ / ٥٠٧ ، ووردت من غير ذكر الطريق في التفسير الكبير ٣٢ / ٨١ . ولأبي بكر رواية خلاف رواية الكلبي من طريق أبي هريرة ذكرها الطبري في جامع البيان ٣٠ / ٢٨٧ وهي في صحيح مسلم في كتاب الأشربة ، باب (٢٠) ٣ / ١٦٠٩ ح ١٤٠ . والشاهد : عن أبي هريرة قال : خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة ، فإذا هو بأبي بكر وعمر ، فقال : «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟» ، قالا : الجوع يا رسول الله ، قال : «وأنا . . . لأخرجني الذي أخرجكما . . . إذ جاء الأنصاري ، فنظر إلى رسول الله ﷺ ، فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب ، فقال : كلوا من هذه . . . فذبح لهم ، فأكلوا من الشاة ، ومن ذلك العذق ، وشربوا ، فلما أن شعبوا ورروا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر في : «والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة» . وأخرج الرواية أيضاً البيهقي في شعب الإيثار ٤ / ١٤٤ ح ٤٦٠٢ - ٤٦٠٦ من طريق أبي هريرة وطرق أخرى .

والظاهر يشهد لهذا القول وهو : أن الكفار لم^(١) يؤدوا حق النعمة حيث أشركوا به وعبدوا غيره ، واستحقوا أن يُسألوا عما أنعم عليهم توبيخاً لهم ؛ هل قاموا بالواجب فيه ، أم ضيّعوا حق النعمة ؟ ثم يعذبون على ترك الشكر بتوحيد المنعم^(٢) . وهذا معنى ما ذكره مقاتل ، وهو قول الحسن ، وقال : « لا يسأل عن النعيم إلّا أهل النار »^(٣) .

واختلفوا في معنى هذا النعيم .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : « الأمن ، والصحة »^(٤) . وهو قول الشعبي^(٥) ، وقتادة^(٦) ، وسعيد بن جبير^(٧) .

-
- (١) في (أ) : (لو) .
- (٢) قال القاضي عياض : « المراد : السؤال عن القيام بحق شكره ، والذي نعتقده أن السؤال هنا سؤال تعداد النعم ، وإعلام بالامتنان بها ، وإظهار الكرامة بإسباغها ؛ لا سؤال توبيخ وتقريع ومحاسبة ، والله أعلم » . انظر : شرح صحيح مسلم ١٣ / ٢٢٧ ، ٢٢٨ .
- (٣) ورد معنى قوله في زاد المسير ٨ / ٣٠٢ ، وقد وضّحه ابن الجوزي فقال : « إنه أراد بذلك أنه خاص بالكفار » . انظر قوله أيضاً في : التفسير الكبير ٣٢ / ٨٠ ، وفتح القدير ٥ / ٤٨٩ ، وتفسير الحسن البصري ٢ / ٤٣٧ .
- (٤) ورد في جامع البيان ٣٠ / ٢٨٥ ، وبحر العلوم ٣ / ٥٠٧ ، والنكت والعيون ٦ / ٣٣٢ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٥٢١ ، وزاد المسير ٨ / ٣٠٢ ، والبحر المحيط ٨ / ٥٠٨ ، والدر المنثور ٨ / ٦١٢ منسوباً إلى هناد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والبيهقي في شعب الإيمان . وورد عنه مرفوعاً في الكشف والبيان ١٣ / ١٤٤ أ ، وزاد المسير ٨ / ٣٠٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٨٤ .
- (٥) ورد في زاد المسير ٣٠ / ٣٠٢ ، والبحر المحيط ٨ / ٥٠٨ ، وورد من طريق الشعبي عن ابن مسعود في جامع البيان ٣٠ / ٢٨٥ .
- (٦) لم أعثر على مصدر لقوله .
- (٧) ورد في جامع البيان ٣٠ / ٢٨٥ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٥٢٢ بمعناه ، وتفسير سعيد بن جبير ٣٨٠ .

وقال مجاهد : «كل لذة من لذات الدنيا»^(١) .

وروى (معمر)^(٢) عن قتادة قال : «إن الله - تعالى - سائل كل ذي نعمة عما أنعم عليه»^(٣) . وعلى هذا ورد أكثر الأخبار .

قال محمود بن لبيد^(٤) : «لما نزلت هذه السورة على رسول الله ﷺ قالوا : يا رسول الله ، أي نعيم نسأل ؟ إنما هو الماء ، والتمر ، وسيوفنا على عواتقنا ، والعدو حاضر ، فعن أي نعيم نسأل ؟ ، قال : «إن ذلك سيكون»^(٥) .

-
- (١) ورد في جامع البيان ٣٠ / ٢٨٥ ، والكشف والبيان ١٣ / ١٤٥ ب ، وزاد المسير ٨ / ٣٠٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٨٤ ، وفيه قال ابن كثير : «وهذا أشمل هذه الأقوال» ، والدر المنثور ٨ / ٦١٢ منسوباً إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .
- (٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (٣) ورد في جامع البيان ٣٠ / ٢٨٩ ، وزاد المسير ٨ / ٣٠٢ بمعناه ، والدر المنثور ٨ / ٦١٢ منسوباً إلى عبدالرزاق ولم أجده عنده ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .
- (٤) محمود بن لبيد بن رافع بن امرئ القيس بن زيد الأنصاري الأشجعي من بني عبدالأشهل ، وُلد على عهد النبي ﷺ ، وحَدَّث عنه أحاديث ، وكان أحد العلماء ، وروى عن ابن عباس ، وتوفي سنة ٩٦ هـ . انظر : الاستيعاب ٣ / ١٣٧٨ ت ٢٣٤٧ ، وأسد الغابة ٥ / ١١٧ ت ٤٧٧٣ .
- (٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥ / ٤٢٩ ، وقال الهيثمي ٧ / ١٤٢ : «رواه أحمد وفيه محمد بن عمر بن علقمة ، وحديثه حسن ، وفيه ضعف لسوء حفظه ، وبقيّة رجاله رجال الصحيح» ، وأخرجه الترمذي ٥ / ٤٤٨ ح ٣٣٥٦ ، ٣٣٥٧ من طريقين ؛ الأول : إلى الزبير بن العوام عن أبيه ، وحسن هذا الطريق . والثاني : إلى أبي هريرة ، وقال : «وحدث ابن عيينة عن محمد بن عمرو عن عدي أصح من هذا ، سفيان بن عيينة أحفظ ، وأصح حديثاً من أبي بكر بن عياش» . وورد أيضاً في جامع البيان ٣٠ / ٢٨٨ ، والكشف والبيان ١٣ / ١٤٤ ب ، والتفسير الكبير ٣٢ / ٨١ ، والدر المنثور ٨ / ٦١٣ منسوباً إلى ابن أبي شيبة ، وهناد ، وابن مردويه ، والبيهقي في شعب الإيثار ٤ / ١٤٢ ح ٤٥٩٨ ، وفتح القدير ٥ / ٤٩٠ .

وروى (عطاء)^(١) عن ابن عباس أن عمر - رضي الله عنه - قال : «وأي نعيم نُسأل عنه يا رسول الله ، وقد أخرجنا من ديارنا وأموالنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : «ظلال المساكين ، وظلال الشجر ، والأخبية^{(٣)(٤)} التي تقيكم من الحر ، والماء البارد في اليوم الحار ، والصحة»^(٥) .

وروى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال : «أول ما يسأل الله العبد يوم القيامة أن يقول له : ألم أصحَّ جسمك ، وأروك من الماء البارد ؟»^(٦) .

وروى ابن عباس أن النبي ﷺ قال : «ما فوق الإزار ، وجلف^(٧) الخبز ، وظل الحائط ، وجرة الماء ، فضل يحاسب به ، ويسأل عنه العبد يوم القيامة»^(٨) .

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) ساقط من (أ) .

(٣) الخباء : من الأبنية واحد الأخبية ، وهو ما كان من وبر أو صوف ، ولا يكون من شعر ، وهو على عمودين أو ثلاثة ، وما فوق ذلك فهو بيت . انظر : لسان العرب (خبأ) ٢٢٢ / ١٤ .

(٤) غير واضحة في (ع) .

(٥) التفسير الكبير ٨١ / ٣٢ .

(٦) أخرج الترمذي نحوه في السنن في كتاب تفسير القرآن ، باب (٨٩) ٥ / ٤٤٨ ح ٣٣٥٨ . قال أبو عيسى : «هذا حديث غريب» ، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج جامع الأصول ٢ / ٤٣٥ : «وإسناده قوي» ، وصححه ابن حبان كما في موارد الظمان في كتاب البعث ، باب (١٠) ٦٤٠ ح ٢٥٨٥ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٨ / ٦١٣ ، ٦١٤ ، وزاد نسبته إلى أحمد في زوائد الزهد ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن مردويه ، والبيهقي في شعب الإيسان ٤ / ١٤٧ ح ٤٦٠٧ . وورد أيضاً في معالم التنزيل ٤ / ٥٢١ ، والتفسير الكبير ٨١ / ٣٢ ، ولباب التأويل ٤ / ٤٠٤ ، وفتح القدير ٥ / ٤٩٠ ، والدر المنثور ٨ / ٦١٣ ، ٦١٤ منسوبةً إلى عبد بن حميد ، وابن مردويه .

(٧) الجلف : الخبز اليابس الغليظ بلا آدم ولا لبن كالخشب ، ويروى بفتح السلام ، جمع جِلْفَة ، وهي الكسرة من الخبز . انظر : لسان العرب (جلف) ٣١ / ٩ .

(٨) ورد في تفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٨٥ من طريق يزيد بن الأصم عن ابن عباس ، وفيه (جر الماء) بدلاً من (جرة الماء) ، والدر المنثور ٨ / ٦١٩ منسوبةً إلى البزار .

وروى أبو قلابة أن النبي ﷺ قال في هذه الآية : «ناس من أمتي يعتقدون السمن والعسل بالنقي فيأكلونه»^(١) .

ومن قال بهذا القول ، وهو أن كل أحد يُسأل عن النعيم ، كان المعنى عنده : أن الكافر يُسأل توبيخاً ثم يُعذَّب لتركه الشكر كما ذكرنا ، والمؤمن يُسأل عن ذلك إظهاراً للمنة عليه ، وإذا كان قد قام بشكره فلا عتب عليه^(٢) ، فقد روي أن النبي ﷺ أكل هو ونفر من أصحابه تمرّاً ، وشربوا عليه الماء ، وقالوا : يا رسول الله ، ما شكر هذا النعيم ؟ قال : «تقولوا : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين»^(٣) . والنعيم نقيض البؤس .

(١) ورد في الكشف والبيان ١٣ / ١٤٥ أمن طريق يوسف ابن أخت ابن سيرين عن أبي قلابة مرفوعاً ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٨٤ موقوفاً ، ورواية الموقوف وضحت المراد بالنقي . قال أبو قلابة : «من النعيم أكل السمن والعسل بالخبز النقي . والنقي المراد به النظيف من الشيء» . انظر : لسان العرب (نقا) ١٥ / ٣٣٨ ، وفتح القدير ٥ / ٤٩٠ ، وقال : «هذا مرسل» ، ونسبه إلى أحمد في الزهد ، وابن مردويه .

(٢) قال الزنجشيري في الكشف ٤ / ٢٣١ : «فإن قلت : ما النعيم الذي يُسأل عنه الإنسان ، ويعاتب عليه ، فما من أحد إلا وله نعيم ؟ قلت : هو نعيم من عكف همته على استيفاء اللذات ، ولم يعيش إلا ليأكل الطيب ، ويلبس اللين ، ويقطع أوقاته باللهو والطرب ، لا يعبأ بالعلم والعمل ، ولا يحمل نفسه مشاقها ، فأما من تمتع بنعمة الله وأرزاقه التي لم يخلقها إلا لعباده ، وتقوى بها على دراسة العلم والقيام بالعمل ، وكان ناهضاً بالشكر ، فهو من ذاك بمعزل» .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء ، باب (١٧) ٤ / ٢٠٨٥ ح ٦٤ ، وأبو داود في سننه في كتاب الأطعمة ، باب ما يقول الرجل إذا طعم ٢ / ٣٥٩ ، والرواية عنده من طريق أبي سعيد الخدري ، ومن غير ذكر القصة .

وأخرجه أيضاً مالك في الموطأ في كتاب صفة النبي ﷺ ، باب ما جاء في الطعام والشراب ٢ / ٧١٢ ح ٣٤ ، والإمام أحمد في المسند ١ / ١٥٣ ، ٥ / ٣٢ ، ٩٨ ، ١٥٣ ، ١٦٧ ، ٢٥٣ ، وابن ماجه في سننه في كتاب الأطعمة ، باب (١٦) ٢٣٧٠٢ ح ٣٣٢٦ ، والترمذي في سننه في كتاب الدعوات ، باب (١٦) ٤٧٠ / ٥ ح ٣٣٩٦ .

(تفسير)^(١)

سورة والعصر^{(٢)(٣)}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿وَالْعَصْرِ﴾ . قال ابن عباس : « يريد والدهر »^(٤) . قال الفرّاء : « هو »^(٥) الدهر أقسم الله به »^(٦) ، قال قتادة^(٧) : « أراد آخر ساعة من ساعات

(١) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٢) فيها قولان : أحدهما أنها مكية ، قاله ابن عباس ، وابن الزبير ، والجمهور . والآخر أنها مدنية ، قاله مجاهد ، وقتادة ، ومقاتل . انظر : زاد المسير ٨ / ٣٠٣ ، والنكت والعيون ٦ / ٣٣٣ ، والبحر المحيط ٥٠٩ .

(٣) في (أ) : (العصر) بغير واو .

(٤) الكشف والبيان ١٣ / ١٤٦ ب ، والنكت والعيون ٦ / ٣٣٣ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٥٢٢ ، والمحرق الوجيز ٥ / ٥٢٠ ، وزاد المسير ٨ / ٣٠٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١٧٨ ، ولباب التأويل ٤ / ٤٠٥ ، والبحر المحيط ٨ / ٥٠٩ .

(٥) في (ع) : (وهو) .

(٦) ورد في معاني القرآن ٣ / ٢٨٩ بنصه .

(٧) مكررة في (أ) .

النهار»^(١)، وهو رواية مجاهد عن ابن عباس قال: «العصر ما يلي المغرب من النهار»^(٢).

قال^(٣) ابن كيسان: «هو الليل والنهار»^(٤). وهذا قول المفسرين^(٥).

والعصر بهذه^(٦) المعاني صحيح في اللغة؛ (يقال للدهر: العَصْرُ، والعَصْرُ، والعَصْرُ)^(٧). أنشد ابن السكيت^(٨):

ثم اتَّقَى وَأَيَّ عَصْرِ يَتَّقِي بُعْلَبِيَّةً وَقَلْعِهِ الْمُعَلَّقِ^(٩)^(١٠)

ويقال لليوم، والليلة، والغداة، والعشي: العصر.

(١) ورد في تفسير عبدالرزاق ٣٩٤/٢، والكشف والبيان ١٣/١٤٦، ومعالم التنزيل ٥٢٢/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٧٩/٢٠، والدر المنثور ٨/٦٢٢ منسوباً إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وفتح القدير ٥/٤٩١، وفتح الباري ٨/٧٢٩ بنحوه.

(٢) ورد في بحر العلوم ٣/٥٠٨، ومعالم التنزيل ٥٢٢/٤، والدر المنثور ٨/٦٢٢ بمعناه منسوباً إلى ابن المنذر، وتهذيب اللغة ١٣/٢٠.

(٣) في (ع): (وقال).

(٤) الكشف والبيان ١٣/١٤٦ ب.

(٥) قال بذلك ابن عباس في جامع البيان ٣٠/٢٨٩.

(٦) في (ع): (هذه).

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٨) نسبه إلى أبي محمد الفقعسي صاحب اللسان (قلع) ٨/٢٩١.

(٩) ورد البيت في إصلاح المنطق ٣١، ولسان العرب (قلع) ٨/٢٩١.

ومعنى البيت كما في اللسان: «أي وأي زمان يتقي، وجمعه قَلْعَةٌ وَقِلَاعٌ، وهو الكِنْفُ يكون فيه زاد الراعي وقنائه.

(١٠) ما بين القوسين منقول عن إصلاح المنطق ٣١.

قال حميد بن ثور :

ولنْ يلبثَ العَصْرانِ يومٌ وليلةٌ إذا طَلَبَا أنْ يُدْرِكَما تَيَمَّمَا^(١)
(فإبداله اليوم واليلة من (العصران) يدل على أنها العصران)^(٢) . أنشد^(٣)
ابن السكيت :

وَأَمْطَلُهُ الْعَصْرَيْنِ حَتَّى يَمْلَنِي
وَيَرْضَى بِنِصْفِ الدِّينِ وَالْأَنْفُ رَاغِمٌ^{(٤)(٥)}

قال : «العصران : الغداة والعشي»^(٦) .

-
- (١) ورد البيت في ديوانه ، وفي إصلاح المنطق ٣٩٤ ، وتهذيب اللغة (عصر) ١٣ / ٢ غير منسوب ،
والصاحح (عصر) ٧٤٨ / ٢ ، ولسان العرب (عصر) ٥٧٦ / ٤ ، وتاج العروس (عصر) ٤٠٤ / ٣ ،
والبحر المحيط ٥٠٢ / ٨ ، وفتح القدير ٤٩١ / ٥ ، وروح المعاني ٢٢٨ / ٣٠ ، ومعاني القرآن وإعرابه
٣٥٩ / ٥ من دون نسبة ، والحجة ٤٤ / ٦ .
- (٢) ما بين القوسين منقول عن الحجة ٤٤٠ / ٦ .
- (٣) في (ع) : (وأنشد) .
- (٤) في (ع) : (راعم) .
- (٥) ورد البيت غير منسوب في إصلاح المنطق ٣٩٥ ، وتهذيب اللغة (عصر) ١٣ / ٢ ، والصاحح (عصر)
٧٤٩ / ٢ ، ولسان العرب (عصر) ٥٧٦ / ٤ ، وتاج العروس (عصر) ٤٠٤ / ٣ ، وقال : «قال الصاغاني :
والصواب في الرواية : ويرضى بنصف الدين في غير نائل» ، ونسبه إلى عبدالله بن الزبير الأسدي .
- (٦) ورد في إصلاح المنطق ٣٩٤ بنصه .

قال الليث : «والعصر العشى ، وأنشد :

تَرْوُحُ بِنَايَا عَمْرٍ وَقَدْ قَصُرَ الْعَصْرُ^(١)
قال : وبه سُمِّيَتْ صلاة (العصر)»^{(٢)(٣)} .

وقال أهل المعاني : في (العصر) بجميع هذه المعاني عبرة للناظرة من جهة مرور الليل والنهار ؛ على تقدير الأدوار من جهة أخذ^(٤) النهار في التقضي ، والليل في المجيء^(٥) .

وقال أبو إسحاق : «وقال بعضهم معناه^(٦) : ورب العصر ، كما قال : ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الذاريات : ٢٣]»^(٧) .

(١) عجز البيت :

وفي الرُّوحَةِ الأولى الغنِيمَةُ والأَجْرُ

وقد ورد غير منسوب في تهذيب اللغة (عصر) ٤ / ٢ ، ولسان العرب (عصر) ٥٧٦ / ٤ ، وتاج العروس (عصر) ٤٠٤ / ٣ ، والنكت والعيون ٣٣٣ / ٦ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٣) تهذيب اللغة (عصر) ١٣ / ٢ ، ١٤ .

(٤) في (أ) : (جهد) .

(٥) لم أعثر على مصدر لقوله ، وقد ورد نحوه غير منسوب في الوسيط ٥٥ / ٤ .

(٦) بياض في (ع) .

(٧) معاني القرآن وإعراجه ٣٦٠ / ٥ .

وقال مقاتل : «يعني صلاة العصر ، أقسم الله بصلاة العصر ، وهي الصلاة الوسطى»^(١) ، فقال :

٢ . ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ .

وقال أبو عبيدة^(٢) ، والزجاج^(٣) ، وغيرهما^(٤) : «الإنسان هاهنا في معنى الناس ، وهو اسم الجنس يقع على الجميع كقولهم : كثر الدرهم في أيدي الناس» . قوله تعالى : ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾ .

الخسر : كالخسران ، وهو النقصان ، وذهاب رأس المال^(٥) .

وذكر في تفسير الخسر - هاهنا - قولان :

أحدهما : أن هذا الخسر في الدنيا ، وهو الضلال .

(١) تفسير مقاتل ٢٥٠، والكشف والبيان ١٣/١٤٦، والنكت والعيون ٦/٣٣٣، ومعالم التنزيل ٤/٥٢٢، ٥٢٣، وزاد المسير ٨/٣٠٣، والتفسير الكبير ٣٢/٨٥، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٧٩، وفتح القدير ٥/٤٩١، وروح المعاني ٣٠/٢٢٧، ورجّحه الزمخشري في الكشاف ٤/٣٢٣ .

(٢) مجاز القرآن ٢/٣١٠ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٥/٣٥٩ .

(٤) قال به محمد بن كعب القرظي في بحر العلوم ٣/٥٠٨ ، قال : «يعني الناس كلهم» ، وذهب إليه الطبري في جامع البيان ٣٠/٢٩٠ ، والماوردي في النكت والعيون ٦/٣٣٣ ، ورجّحه الشوكاني في فتح القدير ٥/٥١٥ .

(٥) قال بنحوه ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٣٤٢ ، وتفسير غريب القرآن ٥٣٨ ، قال : «الخسران : النقصان» ، وكذا الماوردي في النكت والعيون ٦/٣٣٤ ، والثعلبي في الكشف والبيان ١٣/١٤٦ .

والمعنى أن كل إنسان -يعني الكافر لاستثنائه المؤمنين في الآية الثانية- لفي ضلال حتى يموت فيه ، فيدخل النار . وهذا قول مقاتل^(١) .

وقال الفرّاء : «لفي عقوبة بذنوبه ، وأن يخسر أهله ، ومنزله ، وماله في الجنة»^(٢) .

وهذا الخسر إنما هو في الآخرة . وقال أهل المعاني : «الخسر هلاك رأس المال ، والإنسان في هلاك نفسه وعمره وهما أكثر رأس المال ؛ إلا المؤمن العامل بطاعة ربه»^(٣) ، وهو قوله :

٣. ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ . وذكر المفسرون في الإنسان التعيين والتخصيص ، فقال عطاء عن ابن عباس : «يريد جماعة من المشركين : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والأسود بن عبدالمطلب»^(٤) .

وقال مقاتل : «نزلت في أبي لهب»^(٥) .

وروي مرفوعاً أنه أبو جهل^(٦) .

(١) لم أعثر على مصدر لقوله ، وقد ورد نحوه غير منسوب في التفسير الكبير ٨٧/٣٢ .

(٢) ورد نحوه في معاني القرآن ٢٨٩/٣ .

(٣) لم أعثر على مصدر لقوله ، وقد ورد بنص عبارتهم غير منسوب في الوسيط ٥٥١/٤ ، ومعالم التنزيل ٥٢٣/٤ ، وزاد المسير ٣٠٤/٨ .

(٤) ورد في التفسير الكبير ٨٦/٣٢ ، وورد غير منسوب في فتح القدير ٤٩١/٥ .

(٥) تفسير مقاتل ٢٥٠، والتفسير الكبير ٨٦/٣٢ .

(٦) ورد في التفسير الكبير ٨٦/٣٢ ، والدر المنثور ٦٢٢/٨ موقوفاً على ابن عباس ، ونسبه إلى ابن مردويه .

وهذا يحمل على أن هؤلاء ممن عني بلفظ الإنسان ؛ لأن اللفظ اختص بهم
لمكان استثناء المؤمنين من الإنسان .

والمعنى : إلا الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بطاعته .

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ .

أوصى بعضهم بعضاً بالقرآن ، (قاله الكلبي^(١) ، والحسن^(٢))^(٣) .

وقال مقاتل : «بتوحيد الله»^(٤) . وهو اختيار أبي إسحاق ، قال : «تواصوا
بالإقامة على توحيد الله ، والإيمان بنبيه ﷺ»^(٥) .

(وقوله)^(٦) : ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ .

قال ابن عباس : «بالصبر عن^(٧) معاصي الله ، وعلى فرائض الله»^(٨) .

(١) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٢) ورد بمعنى قوله في تفسير عبدالرزاق ٣٩٤ / ٢ ، وجامع البيان ٢٩ / ٣٠ ، ومعالم التنزيل ٥٢٣ / ٤ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) تفسير مقاتل ٢٥٠ ، والكشف والبيان ١٣ / ١٤٧ ، ومعالم التنزيل ٥٢٣ / ٤ ، وهامش زاد المسير
(النسخة الأزهرية) ٣٠٤ / ٨ .

(٥) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٣٥٩ / ٥ بنصه .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) في (أ) : (على) .

(٨) لم أعثر على مصدر لقوله ، وقد ورد غير منسوب في فتح القدير ٣٥٩ / ٥ .

وروي مرفوعاً : أن المراد بـ (الذين آمنوا) : أبو بكر ، و(عملوا الصالحات) : عمر (وتواصوا) (بالحق) : عثمان ، و(تواصوا)^(١) بالصبر) : علي رضي الله عنهم^(٢) .

وقال أبو حاتم : «قرأ أبو عمرو (بالصبر) بشم الباء شيئاً (من الجر)^(٣) ولا يُشبع»^(٤) .

قال أبو علي : «وهما لا يجوز في الوقف ، ولا يكون في الوصل إلا على إجراء الوصل مجرى الوقف ، وهذا لا يكاد يكون في القراءة ، وعلى هذا قول الشاعر^(٥) :

فَقَرَّبَنَ هَذَا وَهَذَا أَزْجِلَهُ»^(٦)

- (١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (٢) ورد في بحر العلوم ٣/ ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٨٠ موقوفاً على ابن عباس ، وذكره ابن جماعة في غرر البيان ٥٤٨ ، ولم ينسبه إلى النبي ﷺ ، وذكر نحوه ابن تيمية في مقدمته في أصول التفسير ٨٨ ، وعده وأمثاله من الخرافات التي تتضمن تفسير اللفظ بها لا يدل عليه بحال . انظر : الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق صفوان داودي ، ١٢٣١ .
- (٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (٤) وهو من باب الوقف بالنقل ؛ إذ يقف على الصبر ، وينقل حركة الراء إلى الساكن قبلها ، وهي لغة سائغة . انظر : الكتاب لسيبويه ٤/ ١٧٣ ، والبحر المحيط ٨/ ٥٠٩ ، وعلل النحويين ٢/ ٧٩٥ . ويراد بالإشمام : ضم الشفتين بعيد التسكرين (إشارة إلى الضم) مع بعض انفراج بينهما ليخرج منه النفس ، ولا يدرك لغير البصر ؛ أي إنه يرى رؤية ، ولا يسمع له صوت . انظر : حق التلاوة لحسني الشيخ عثمان ٩٠ . وقال أبو منصور في القراءات وعلل النحويين فيها ٢/ ٧٩٥ : «كان هذا من اختلاس أبي عمرو ، ولم يرو هذا لأبي عمرو ، والقراءة بسكون الباء» .
- (٥) أبو النجم العجلي الرازي ، الفضل بن قدامة بن عبيد الله . . . بن عجل بن لجيم . انظر : جهرة أنساب العرب ٣١٤ ، وقد تقدّمت ترجمته في سورة النساء .
- (٦) عجز البيت :

ولا يقرّ رأيت البكر

ورد البيت في الكتاب لسيبويه ٤/ ١٨٠ ، والمفصل ٩/ ٧١ برواية : (زُحِلَّة) ، والكمال ٢/ ٦٩٣ . =

وَأُنْشِدْ سَيِّبِيهِ :^(١)

أَنَا ابْنُ مَأْوِيَّةَ إِذَا جَدَّ النَّقْرُ^(٢)

(وَكذلك)^(٣) أَنْشِدْ^(٤) :

عَجِبْتُ وَالدهْرُ كَثِيرٌ عَجَبُهُ^(٥) مِنْ عَنَزِيٍّ سَبَّيْنِي لَمْ أَضْرِبُهُ^(٦)

والشاهد : نقل حركة الهاء إلى الساكن قبلها . انظر : الفصل ٧٢ / ٢ . قال شارح المفصل : «اعلم أنه يجوز في الوقف الجمع بين ساكنين ، لأن الوقف يمكن الحرف ويستوفي صوته ، ويوفره على الحرف الموقوف عليه فيجري ذلك مجرى الحركة لقوة الصوت واستيعابه ، كما جرى المد في حروف المد مجرى الحركة ، وليس كذلك الوصل ، لأن الآخذ في متحرك بعد الساكن يمنع من امتداد الصوت لصرفه إلى ذلك المتحرك . . . ثم قال : ومن الناس من يكره اجتماع الساكنين في الوقف ؛ كما يكره ذلك في الوصل فيأخذ في تحريك الأول ؛ لأنه هو المانع من الوصل إلى الثاني ، فحركوه بالحركة التي كانت له في حال الوصل ، فإن كان مرفوعاً حولوا الضمة إلى الساكن قبله ، ويكون في ذلك تنبيه على أنه كان مرفوعاً وخروج عن عهدة الساكنين . . . » . انظر : الفصل ٧١ / ٩ .

(١) نُسِبَ إلى بعض السعديين كما هو عند سيبويه فذكرى بن أعبد بن أسعد بن منقر كما في جمهرة ابن حزم . ومراجع أخرى نسبته إلى عبيدالله بن مأوية الطائي ، أو عبيد بن معاوية الطائي ، كما في اللسان ، وعجزة :

وَجَاءَتِ الْخَيْلُ أَثَاثِيَّ زُمَرُ

(٢) ورد البيت في جمهرة ابن حزم ٢١٧ ، وكتاب سيبويه ١٧٣ / ٤ ، والإنصاف ٧٣٢ / ٢ ش ٤٥٠ ، والمغني ٩٠ / ٢ س ٦٨٠ ، والدر اللوامع ٢٣٤ / ٢ ، والكمال ٦٩٣ / ٢ ، والتكملة للفارسي ٩ . والنقْر : أصله (بفتح النون وسكون القاف) قال ابن سيده : «ومعناه ، أن تُلزق طرف لسانك بحنكك وتفتح ثم تصوت ، وقيل : هو اضطراب اللسان في الفم إلى فوق وإلى أسفل ، وقد نقر بالدابة نقرأ إذا صوت . . . » . والشاهد : إلقاء حركة الراء على القاف للوقف . انظر : الكتاب ، والإنصاف .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٤) لزياد الأعجم ، نسبة إليه سيبويه في كتابه ، وكذا ابن منظور .

(٥) في (ع) : (عجبية) .

(٦) ورد البيت في الكتاب ١٨٠ / ٤ ، والمحتسب ١٩٦ / ١ ، والدر اللوامع ٢٣٤ / ٢ ، والجمع ٢٠٨ / ٢ ،

طبعة دار المعرفة ، ولسان العرب (المسم) ٥٥٤ / ١٢ برواية (يا عجبا والدهر جم عجبه) ، قال :

«والمشهور في البيت الأول : عجبت والدهر كثير عجبه» ، والمفصل ٧٠ / ٩ ، وشرح أبيات سيبويه =

فعلى هذه الأشياء قوله : ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ ، وعلى هذا ما يروى عن سلام أبي^(١) المنذر أنه قرأ : (والعصر) بكسر الصاد ، ولعله وقف لانقطاع نفس أو عارض منعه من إدراج القراءة .

وعلى هذا يحمل على إجراء^(٢) الوصل مجرى الوقف ، وعلى هذا ما روي عن الكسائي أنه كان يستحب أن يقف على (منه) ، و(عنه) بإشمام النون الضمة ، فيقول : (منه) و(عنه) وهو مثل ما ذكرنا من قول الشاعر :

مَنْ عَنَزِيٍّ سَبَنِي لَمْ أَضِرُّهُ

وأشد ابن مجاهد^(٣) على هذه القراءة :

رَأَيْتُ ثِيَاباً عَلَى جُثَّةٍ فَقُلْتُ هَشَامٌ وَلَمْ أَخْبِرْهُ^{(٤)(٥)}

* * *

للنحاس ٣٦ ش ٢٥ ، والكامل ٦٩٣ / ٢ .

والشاهد : قال النحاس : فرفع بـ (لم) ، وكان حقه أن يقول : لم أضربه بسكون الباء ، لأن (لم) عاملة الجزم ، ولكن لما كانت القافية موقوفة حول الضمة التي في الهاء من (أضربه) إلى الباء لثلاث يجتمع ساكنان : شرح أبيات سيبويه ٣٦ ش ٢٥ .

(١) في (أ) : (ابن) .

(٢) في (أ) : (أجرى) .

(٣) لم أعثر على قائله ، وقال محقق الحجة : «لم نقف على قائله» .

(٤) ما بين القوسين من كلام طويل لأبي علي - كما نص عليه الإمام الواحدي - نقله عن الحجة ٤٣٨ / ٦ - ٤٤٠ باختصار .

(٥) ساقط من (ع) .

تفسير

سورة الهمزة^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ . قال أبو عبيدة^(٢) ، والزَّجَّاج^(٣) : «الهمزة اللزمة الذي يغتاب الناس ، ويغضُّهم^{(٤)(٥)} ، وأنشد قول الأعجم^(٦) :

تُدلي الودَّ إن لاقيتني كذباً وإن تعيَّتُ كنتَ الهامزَ اللَّمَزَةَ»^(٧) .

(١) مكية بالإجماع ، حكاه ابن عطية في المحرر ٥ / ٥٢١ ، وانظر : جامع البيان ٣٠ / ٢٩١ ، والكشف والبيان ١٣ / ١٤٧ ب ، وزاد المسير ٨ / ٣٠٥ .

(٢) ورد في مجاز القرآن ٢ / ٣١١ برواية : (تدلي بودي ، وإن أُغيب فأنْت . . .) .

(٣) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٣٦١ برواية : (إذا لقيتكَ عن كره تكاشرفي) .

(٤) وردت في المعاني بلفظ : (يغضُّهم) ، ومعنى يغضُّهم : يغض (بالضم) إذا وضع ونقص من قدره . انظر : الصحاح (غضض) ٣ / ١٠٩٥ .

(٥) ساقط من (أ) .

(٦) الأعجم : لعله زياد بن سليم العبدي ، ويقال : زياد بن جابر بن عمرو بن عامر من عبد القيس الأعجم ، وكان هجاءً قليل المدح للملوك والوفادة إليهم ، ولم تكن له همة تدعوه ، وكانت همته ومركزه بخراسان وما يليها ، وكان صاحب بديهة وقدرة في الشعر ، وعده ابن سلام من طبقة فحول الإسلام ، وكانت فيه لَكَنَة فلذلك قيل له الأعجم . انظر : طبقات فحول الشعراء ٢ / ٦٨١ ، رقم ٨٥٠ ، والشعر والشعراء ٢٧٩ .

(٧) ورد البيت في جامع البيان ٣٠ / ٢٩١ برواية : (بمثل ما عند أبي عبيدة) ، ومن ذكر أيضاً بمثل رواية =

قال سعيد بن جبير^(١)، ومجاهد^(٢)، و(قتادة^(٣))^(٤): «الهمزة: الطعان، واللمزة^(٥) الذي يأكل لحوم الناس ويغتابهم».

قال المبرّد: «الهمز باللسان، واليد، واللمز أن يغتاب بلسانه، وينظر النظرة المنكرة بعينه»^(٦). وهذا مما سبق فيه الكلام عند قوله ﴿يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: ٥٨]^(٧)، وقوله ﴿هَمَزٌ مَسَاءً﴾ [القلم: ١١]^(٨).

أبي عبيدة صاحب النكت والعيون ٦/٣٣٥، والبحر المحيط ٨/٥١٠، وإصلاح المنطق ٤٢٨. وبمثل رواية الرّجّاج عند الكشف والبيان ١٣/١٤٨، ولسان العرب (كشر) ٥/٤٢٦، وزاد المسير ٨/٢٠٦، ولباب التأويل ٤/٤٠٦، وذكر بالروايتين في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٨٢، وفتح القدير ٥/٤٩٣، وقد وردت بمثل ما ذكرها الواحد في الكشف ٤/٢٣٢، ومشاهد الإنصاف على شواهد الكشف ١٤٠.

- (١) الكشف والبيان ١٣/١٤٨، ومعالم التنزيل ٤/٥٢٣.
- (٢) جامع البيان ٣٠/٢٩٢، وبحر العلوم ٣/٥١٠، والكشف والبيان ١٣/١٤٨، والمححر الوجيز ٥/٥٢١، وزاد المسير ٨/٣٠٦، بمعناه، والدر المنثور ٨/٦٢٤ منسوباً إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في الغيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في شعب الإيثار ٥/٣١٠ ح ٦٧٥٣.
- (٣) ورد في تفسير عبدالرزاق ٢/٣٩٥ (ذكر فقط معنى اللمزة)، وجامع البيان ٣٠/٢٩٢، والكشف والبيان ١٣/١٤٨، ومعالم التنزيل ٤/٥٢٣، وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٨٦، والدر المنثور ٨/٦٢٤ منسوباً إلى عبد بن حميد.

- (٤) ما بين القوسين ساقط من (أ).
- (٥) في (أ): (الهمزة).
- (٦) لم أعر على مصدر لقوله.
- (٧) ومما جاء في تفسيرها: قال الليث: «اللمز كالغمز في الوجه، رجل لمزة؛ يعيبك في وجهك، ورجل همزة؛ يعيبك بالغيبة»، وقال الرّجّاج: «يقال لمزه الرجل بكسر الميم، واللمزة، بضم الميم، إذا عتبه، وكذلك همزته أهمله إذا عتبه، والهمزة اللمزة الذي يغتاب الناس ويغضبهم»، وقال الأزهري: «وأصل الهمز واللمز الدّفْعُ...»، وفي رواية عطّاء: «يلمزك: يغتابك»، وقال قتادة: «يطعن عليك».

- (٨) مما جاء في تفسيرها: قال المبرّد: «وهو الذي يهزم الناس بالمكره، وأكثر ذلك بظهر الغيب»، وقال الرّجّاج: «يغتاب الناس»، وقال ابن عباس: «طعان للناس»، وقال مقاتل: «مغتاب».

قال عطاء^(١) (والكلبي^(٢))^(٣) : «نزلت في الأخنس بن شريق ، كان يلزم الناس ويغتابهم» .

وقال مقاتل : «الهمزة المغتاب على الغيبة ، واللمزة : الطعان في الوجه ، نزلت في الوليد بن المغيرة ، كان يغتاب النبي ﷺ من ورائه ، ويطعن عليه في وجهه»^(٤) .

وقال محمد بن إسحاق : «مازلنا»^(٥) نسمع هذه السورة نزلت في أمية بن خلف»^(٦) .

قال الفرّاء : «إنها نزلت في رجل واحد ، وهو جائز في العربية أن تذكر الشيء العام وأنت تريد به الواحد ، وتقصد قصد الواحد ، هذا من ذلك ، وأنت قائل في الكلام عند قول الرجل : لا أزورك»^(٧) أبداً ، فتقول أنت : كل من لم يزرني فلست بزائره ، وأنت تقصد قصده» .

(١) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٢) الكشف والبيان ١٣/١٤٨ ب ، ومعالم التنزيل ٤/٥٢٣ ، وزاد المسير ٨/٣٠٥ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) تفسير مقاتل ٢٥٠أ ، وبحر العلوم ٣/٥١٠ ، والكشف والبيان ١٣/١٤٨ ب ، ومعالم التنزيل ٤/٥٢٤ ، وزاد المسير ٨/٣٠٥ .

(٥) في (أ) : (ملنزلنا) .

(٦) معالم التنزيل ٤/٥٢٣ ، وزاد المسير ٨/٣٠٥ ، ولباب التأويل ٤/٤٠٦ ، ولباب النقول ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٧) في (أ) : (لزورك) .

ويدل على أن المراد به الواحد بعينه أنها في قراءة عبدالله : (ويل للهمزة اللّمْزة)^(١) .

٢. ثم وصفه ، فقال : ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ . (وقرى «جمع» بالتشديد)^(٢) . قال أبو الحسن^(٣) : «المثقلة أكثر في الكلام ، وفي القراءة تقول : فلان يُجَمِّعُ الأموال ؛ أي يجمعها من هنا وهنا» ، قال : «وقال أبو عمرو : (جَمَعَ) بالتخفيف إذا كثر ، وَمَنْ ثَقُلَ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ بَعْدَ شَيْءٍ هُوَ -هاهنا- ثَقِيلٌ ، لأنه جمع شيئاً بعد شيء» .

قال أبو علي : «ويجوز أن يكون (جمع) بالتخفيف لما يُجَمِّعُ شَيْءٌ بَعْدَ شَيْءٍ» ، كما قال (الأعشى)^(٤) :

لَامِرِيٍّ يَجْمَعُ الْأَدَاةَ لَرَيْبِ الدَّهْرِ لَا مُسْنَدٍ وَلَا زُمَالٍ^(٥)

(١) ورد في معاني القرآن ٢٨٩/٣ بتصرف . قال الزمخشري في الكشاف ٢٣٢/٤ : «ويجوز أن يكون السبب خاصاً ، والوعيد عاماً لتناول كل مَنْ باشر ذلك القبيح ، وليكون جارياً مجرى التعريض بالوارد فيه ، فإن ذلك أضر له وأنكى فيه» . والذي عليه الأكثرية عموم اللفظ لكل همز ولز . انظر : جامع البيان ٢٩٣/٣٠ ، والكشف والبيان ١٤٨/١٣ ب ، والنكت والعيون ٣٣٦/٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨٣/٢ .

(٢) قرأ (جَمَعَ) بالتشديد ابن عامر ، وحمة ، والكسائي ، وخلف ، وأبو جعفر ، وروح ، ووافقه الأعمش : (جَمَعَ) بالتشديد . انظر : السبعة ٦٩٧ ، والحجة ٤٤١/٦ ، والقراءات وعلل النحويين فيها ٧٩٧/٢ ، والمبسوط ٤١٧ ، والتبصرة ٧٣٢ ، وإتحاف فضلاء البشر ٤٤٣ .

(٣) أي الأخفش .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) البيت في ديوانه ١٨٣ ، برواية (يجعل) بدلاً من (يجمع) . ومعنى مسند : المتهم في نسبه . والزمال : الضعيف .

والأشبه أن إرادة الحرب لا تُجمع في وقت واحد ، إنما هو شيء بعد شيء ،
وقال :

ولها بالمطرون إذا أكل النمل الذي جمعا^(١)
والنمل لا يجمع ما يدخره في وقت واحد ، إنما يجمع شيئاً بعد شيء ، فيجوز
على هذا في قول مَنْ خَفَّفَ أن يكون جمع شيئاً بعد شيء ، كما يكون ذلك في قول
مَنْ ثَقَّلَ^(٢) .

وقوله^(٣) : ﴿وَعَدَدُهُ﴾ . قال الفرّاء : «وأحصاه»^(٤) .

وقال الزّجاج : ﴿وَعَدَدُهُ﴾ للدهر^(٥) ، وهو معنى قول مقاتل : «واستعد
مالاً»^(٦) .

(١) البيت مختلف في نسبته إلى قائله ، فمنهم مَنْ ينسبه إلى الأحوص ، وهو في شعره ١٤١ ، ومنهم مَنْ ينسبه
إلى يزيد بن معاوية ، ومنهم مَنْ ينسبه إلى دهل . قال أبو الحسن : «الصحيح أنه ليزيد يصف جارية» .
انظر : الكامل ٤٩٨ / ٢ ، وسر صناعة الإعراب ٦٢٦ / ٢ ، والممتع لابن عصفور ١ / ١٥٨ ، ولسان
العرب (مطرن) ٤٠٩ / ١٣ منسوباً إلى الأخطل ، ولم أعثر عليه في ديوان الأخطل . وجاء في حاشية
كتاب الكامل ٤٩٨ / ٢ : «والأبيات في شعر الأحوص ، وهي كلمة رواها أبو عمر الشيباني لأبي دهل
الجمحي وتكلم وحقق ومال في النهاية إلى توثيق نسبته إلى أبي دهل» . انظر : شعر الأحوص ١٤١ ،
تحقيق السامرائي .

(٢) ما بين القوسين منقول عن الحجة ٤٤١ / ٦ ، ٤٤٢ بتصرف .

(٣) في (أ) : (قوله) .

(٤) معاني القرآن ٢٩٠ / ٣ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣٦١ / ٥ .

(٦) ورد في تفسير مقاتل ٢٥٠ ، ورد معنى قوله في الكشف والبيان ١٤٨ / ١٣ ب ، ومعالم التنزيل
٥٢٤ / ٤ ، والمحضر الوجيز ٥٢١ / ٥ .

قال صاحب النظم : « مأخوذ من العدة ، وهو الذخيرة ، يقال : أعددت الشيء لكذا وأعددت^(١) ، وعددته أيضاً ، إذا أمسكته »^(٢)^(٣) .

وقال (صاحب النظم)^(٤) : « وقيل معنى ﴿وَعَدَّدَهُ﴾ كثره ، كما يقال : هذا مال له عدد »^(٥) .

والعدد ، والعديد في بني فلان ؛ أي الكثرة فيهم^(٦) .

ثم ذكر طول أمله ، فقال :

٣-٤ . (قوله)^(٧) : ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ . قال أبو إسحاق : « أي يعمل عمل من لا يظن مع يساره أنه يموت »^(٨) .

﴿كَلَّا لَا يَخْلُدْهُ (ماله)^(٩) ، ولا يبقى له .

قوله : ﴿لَيُبَدِّلَنَّا فِي الْحَطَمَةِ﴾ ؛ ليلقي في جهنم ، وليطرحن فيها .

(١) في (ع) : (واعدته) .

(٢) في (ع) : (أمسكه له) .

(٣) لم أعر على مصدر لقوله ، وقد ورد نحوه غير منسوب في التفسير الكبير ٩٣ / ٣٢ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) في (أ) : (عدة) .

(٦) لم أعر على مصدر لقوله ، وقد ورد نحوه في التفسير الكبير ٩٣ / ٣٢ ، وجاء في التهذيب (عد)

٩٠ / ١ : « العديد : الكثرة ، يقال : ما أكثر عديد بني فلان ، وبنو فلان عديد الحص ، إذا كانوا لا يحصون كثرة ، كما لا يحصى الحص ، ويقال : هذه الدراهم عديد هذه الدراهم إذا كانت بعددها » .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٨) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٣٦٢ بنصه .

(٩) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

قال الكلبي : «الحطمة اسم من أسماء النار ، وهي الدرجة الثانية من درج النار»^(١) .

وقال المبرّد : «الحطمة النار التي تحطم كل من وقع فيها ، ورجل حطمة ؛ أي شديد الأكل يأتي على زاد القوم ، وكذلك يقال في السير : سواق حطم ، وأنشد :
قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقٍ^(٢) حُطَمٌ^(٣) .

(١) لم أعثر على مصدر لقوله ، وقد ورد نحوه غير منسوب في التفسير الكبير ٩٤ / ٣٢ ، وتهذيب اللغة (حطم) ٤٠٠ / ٤ ، وقد ورد عنه أنه الباب السادس . انظر : النكت والعيون ٦ / ٣٣٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١٨٤ .

(٢) في (ع) : (بسوق) .

(٣) البيت في الحماسة البصرية :

بَاتَ يِقَاسِيهَا غَلَامٌ كَالزَّلَمِ خَدَّلَجُ السَّاقِينَ خَفَّاقُ الْقَدَمِ
قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقٍ حُطَمِ لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمِ

وورد أيضاً في الكامل ٢ / ٤٩٨ ، ٣ / ١٢٣٠ منسوباً إلى الحطم القيسي ، كما في سمط اللآلي ٧٢٩ ، ولسان العرب (حطم) ١٢ / ١٣٨ ، ١٣٩ . قال آخرون : «هي للرشيد بن رُميض العنزي قالها في الحطم ، وقد نعت بهذا البيت بالحطم ، فلُقِبَ يومئذ لقول رشيد هذا فيه» . انظر : الأغاني ١٥ / ٢٥٥ ، تحقيق عبد السلام هارون ، وديوان الحماسة للتبريزي ١ / ١٣٢ ، والحماسة البصرية لأبي الفرج بن الحسين البصري ١ / ١٠٣ . وورد غير منسوب في مقاييس اللغة (حطم) ٢٠ / ٧٨ ، والصحاح (حطم) ٥ / ١٩٠١ ، وقال محقق الكامل : «ويقع بعضها في رجز أبي زغبة الخزرجي ، والأخنس بن شهاب التغلبي ، وجابر بن حني التغلبي ، والأغلب العجلي» . انظر : شرح أبيات سيويه ٢ / ٢٨٦ . ومعنى قوله : (قد لفها الليل) جعل الفعل لليل على المجاز ، وأصل الحطم الكسر ، والمعنى : جمع الليل هذه الساق برجل متناهي القوة ؛ عنيف السوق لا يرفق بوسائقه رفق الرعاة ، ولا رفق الجزاع . انظر : ديوان الحماسة للتبريزي ١ / ١٣٢ ، ١٣٣ .

وأصل الحطمة في اللغة : الكسير^(١) (ذكرنا ذلك في تفسير «الحطام»)^{(٢)(٣)} ، ويقال : «شرُّ الرِّعَاءِ الحُطْمَةُ»^(٤) ، يقال : راع حطمة ، وحُطِمَ بغيرها ، كأنه يَحْطِمُ الماشية ؛ أي يكسرها عند سوقها لعنفه^(٥) .

قال مقاتل : «هي تحطم العظام ، وتأكل اللحوم حتى تهجم على القلوب»^(٦) . وذلك قوله :

٧-٦ . ﴿ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۖ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۚ ﴾ . قال^(٧) : «تخلص حرها إلى القلوب ، ثم يكسى لحماً جديداً ، ثم يقبل عليه ، فتأكله فهذا دأبه»^(٨) . ونحو هذا قال الفراء^(٩) ، (والرَّجَّاجُ^(١٠))^(١١) : «يلغ المها وإحراقها إلى الأفئدة» .

- (١) في (أ) : (الكثير) . انظر : إصلاح المنطق (حطم) ٤٢٩ ، وتهذيب اللغة ٤ / ٤٠٠ ، ومقاييس اللغة ٢ / ٧٨ ، والصحاح ٥ / ١٩٠١ ، ولسان العرب ١٢ / ١٣٨ .
- (٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (٣) جاء تفسير الحطام الوارد في سورة الزمر ، الآية ٢١ . قال أبو عبيدة : «الحطام والرفات والدارين واحد في كلام العرب وهو : ما ييس من النبات وغيره» ، وقال مقاتل : «يعني هالكاً بعد الخضرة» .
- (٤) هذا المثل أصله حديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة ، باب (٥) ٣ / ١٤٦١ ح ٢٣ من طريق عائد بن عمرو ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ : دخل على عبيد بن زياد ، فقال : أي بني ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن شرَّ الرِّعَاءِ الحطمة ، فإياك أن تكون منهم» . وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٥ / ٦٤ ، وانظر : مجمع الأمثال ٢ / ١٥٩ ، رقم ١٩٤٦ ، وقال الميداني : «يضرب لمن يلي شيئاً ثم لا يُحسَن ولا يُتَمَّ» ، وتاج العروس (حطم) ٨ / ٢٥١ . وورد في المستقصى في أمثال العرب للزمخشري ٢ / ١٢٩ ، رقم ٤٤٢ .
- (٥) ما بين القوسين منقول عن تهذيب اللغة (حطم) ٤ / ٤٠٠ .
- (٦) تفسير مقاتل ٢٥٠ ب ، والتفسير الكبير ٣٢ / ٩٤ .
- (٧) أي مقاتل .
- (٨) تفسير مقاتل ٢٥٠ ب .
- (٩) معاني القرآن ٣ / ٢٩٠ .
- (١٠) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٣٦٢ ، واللفظ له .
- (١١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

قال ابن قتيبة: «﴿تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْعَدَةِ﴾: تُوفي عليها وتُشرف، (ويقال: طلع الجبل وأطلع عليه إذا [علا] ^(١) فوقه) ^(٢)، وخص الأفعدة؛ لأن الألم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه، فأخبر أنهم في حال من يموت وهم لا يموتون، كما قال: ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ [طه: ٧٤] يريد أنه في حال من يموت (وهو) ^(٣) لا يموت» ^(٤).

ثم وصفهم، فقال:

٨. ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾. قال المفسرون: «مطبقة» ^(٥)، وهو كقوله: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّوَصَّدَةٌ﴾ [البلد: ٢٠].

(وقد مرّ وذكرنا الكلام في تفسير (الموصدة) هناك ^(٦)) ^(٧).

٩. وقوله: ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ ^(٨) وقرأ: (في عُمَدٍ) ^(٩).

- (١) (علاه) هكذا ورد في كلتا النسختين، وأثبت ما جاء في مصدر القول لانتظام الكلام به.
- (٢) ما بين القوسين ساقط من (أ).
- (٣) ما بين القوسين ساقط من (أ).
- (٤) ورد في تأويل مشكل القرآن ٤١٩ بنصه.
- (٥) قال بذلك ابن عباس، وعطية، وسعيد بن جبير، والحسن، والضحاك، وقتادة، وابن زيد. انظر: جامع البيان ٣٠/٢٩٥، وتفسير عبدالرزاق ٢/٣٩٥، والنكت والعيون ٦/٣٣٧، وقال به السجستاني في نزهة القلوب، واليزيدي في غريب القرآن وتفسيره ٤٤١، والسمرقندي في بحر العلوم ٣/٥١٠، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/٣٦٢، والثعلبي في الكشف والبيان ١٣/١٤٩، ١٤٩أ، وانظر: معالم التنزيل ٤/٥٢٤، والمحزر الوجيز ٥/٥٢٢، وقال آخرون: «مغلقة»، وقال غيرهم: «مسدودة». انظر: النكت والعيون ٦/٣٣٧. وكلها تحمل معنى واحداً.
- (٦) راجع سورة البلد، الآية ٢٠.
- (٧) ما بين القوسين ساقط من (أ).
- (٨) ما بين القوسين ساقط من (أ).
- (٩) قرأ بذلك عاصم في رواية أبي بكر، وحمة، والكسائي، وخلف، ووافقه الحسن، والأعمش، وقرأ الباقر (عمد) بفتحيتين. انظر: السبعة ٦٩٧، والقراءات وعلل النحويين فيها ٢٠/٧٩٧، والمبسوط ٤١٧، والحجة ٦/٤٤٢، وحجة القراءات ٧٧٢، وإتحاف فضلاء البشر ٤٤٣.

قال الفرّاء: «وهما^(١) جمعان^(٢) للعمود، مثل: الأديم^(٣)، والأُدْم، والإهاب^(٤)، والأهَب، الأُهَب، والقُضِيم^(٥)، والقُضَم، والقُضْم^(٦)»، (ونحو هذا قال الأخفش: «كلاهما جمع عمود»^(٧))^(٨).

وقال (المبرّد^(٩))، و^(١٠) أبو علي: «العُمْدُ عُمُود على غير قياس واحد، والجمع على واحد (عُمْد) مثل: زُبُور، وزُبُر، ورُسُول، ورُسُل».

ومَن قال: (عَمْدٌ) فهو اسم من أسماء الجمع من غير مسمى، يقال ذلك في جمع: فعول، وفعليل، وفعلال، ونحو آدم، وأهَب، وحرَس، وغيب^(١١).

وقال أبو عبيدة: «كلاهما جمع: العِمَاد»^(١٢).

(١) أي العُمْد، والعَمْد.

(٢) بياض في (ع).

(٣) الأدم: اشتقاقه من أديم الأرض؛ لأنه خلق من تراب، وكذلك الأُدْمَةُ إنما هي مشبهة بلون التراب. قال الليث: «الأدم: جمع الأديم، وأديم كل شيء ظاهر جلده، وأدمة الأرض وجهها، والإدام والأدم ما يؤتدم به مع الخبز». انظر: تهذيب اللغة (أدم) ٢١٥/١٤.

(٤) الإهاب: يقال للجلد إهاب، والجمع أهَبُ وأهَب. انظر: تهذيب اللغة (أدم) ٢١٥/١٤.

(٥) القُضِيم: الجلد الأبيض، يكتب عليه، والجمع أقْضِمة وقُضْم وقُضَم. انظر: تهذيب اللغة ٣٥١/٨، ولسان العرب (قُضْم) ٤٨٨/١٢.

(٦) معاني القرآن ٢٩١/٣.

(٧) لم أعثر على مصدر لقوله.

(٨) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٩) التفسير الكبير ٩٥/٣٢.

(١٠) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(١١) ورد في الحجة ٤٤٣/٦ بتصرف.

(١٢) ورد في مجاز القرآن ٣١١/٢ بنصه.

والعمود كل مستطيل من خشب أو حديد^(١)، وهو أصل للبناء، مثل العماد، يقال: عمود البيت، للذي^(٢) يقوم به البيت^(٣).

واختلفوا في المراد بالعمد -ها هنا- مأخوذ بالأعرف، والذي عليه الأكثر أنها أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار.

قال مقاتل: «أطبقت الأبواب عليهم، ثم شُدَّتْ بأوتاد^(٤) من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرُّها، فلا يفتح عنهم باب. (ولا يدخل عليهم رَوْحٌ»^(٥). وهو قول الكلبي قال: «طبقتها في عمد، والعمد كعمد أهل الدنيا غير أنها من النار»^(٦) و«قول ابن مسعود (أيضاً)^(٨) وهي في قراءته (بِعَمَدٍ)^(٩) يعني أنها مطبقة عليهم بعمد وهي أوتاد تلك^(١٠) الأطباق التي تطبق عليهم (وهي أبوابها)^(١١) و﴿مُمَدَّدَةٍ﴾ من صفة العمدة؛ أي ممدودة مطولة، وهي أرسخ وأثبت من الطويلة.

- (١) وعبرة (والعمود كل مستطيل من خشب أو حديد) نسبها القرطبي إلى أبي عبيدة في الجامع لأحكام القرآن ١٨٦/٢٠، وكذا الشوكاني في فتح القدير ٤٩٤/٥، ولم أجدها عند أبي عبيدة في المجاز.
- (٢) في (أ): (الذي).
- (٣) انظر: مقاييس اللغة (عمد) ١٣٧/٤، والصحاح ٥١١/٢، ولسان العرب ٣٠٣/٣.
- (٤) في (أ): (باوتداد).
- (٥) ورد في تفسير مقاتل ٢٥٠ب، وزاد المسير ٣٠٧/٨، وفتح القدير ٤٩٤/٥، وقد ورد نحوه من غير نسبة في بحر العلوم ٥١١/٣، ولباب التأويل ٤٠٧/٤.
- (٦) لم أعثر على مصدر لقوله.
- (٧) ما بين القوسين ساقط من (أ).
- (٨) ما بين القوسين ساقط من (أ).
- (٩) وردت قراءته في جامع البيان ٢٩٥/٣٠، والكشف والبيان ١٤٩/١٣، ومعالم التنزيل ٥٢٤/٤، وزاد المسير ٣٠٧/٨، والجامع لأحكام القرآن ١٨٥/٢٠، وهي قراءة تفسيرية، وليست قراءة قرآنية؛ لشذوذها، وضعف سندها.
- (١٠) في (أ): (ذلك).
- (١١) ما بين القوسين ساقط من (أ).

وقال قتادة : «بلغنا أنها عمد يعذبون بها في النار»^(١) .

وعلى هذا ، معنى الآية : هم عمد ممددة ، أي في عذابها وإيلاها يضربون بها .

(تمت)^(٢) .

* * *

(١) ورد في تفسير عبدالرزاق ٣٩٥/٢ ، وجامع البيان ٢٩٦/٣٠ ، والكشف والبيان ١٤٩/١٣ ب ، ومعالم التنزيل ٥٢٤/٤ ، وزاد المسير ٣٠٧/٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨٦/٢٠ ، ولباب التأويل ٤٠٧/٤ ، والبحر المحيط ٥١١/٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٥٨٦/٤ ، وفتح القدير ٤٩٤/٥ ، والدر المنثور ٦٢٥/٨ منسوباً إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

تفسير

سورة الفيل^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿أَلَمْ تَرَ﴾^(٢). (قال ابن عباس : يريد ألم تسمع يا محمد^(٣))^(٤).

(قال الفرّاء : «يريد ألم تُخبر»^(٥)).

وقال الزّجاج : «معنى ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم^(٦) تعلم»^(٧).

(١) مكية بإجماعهم ، حكى ذلك ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥٢٣ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣٠٨ ، وانظر : جامع البيان ٣٠/ ٢٩٦ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٢٥ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) معاني القرآن ٣/ ٢٩١ .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٦٣ .

وقال صاحب النظم : «هي كلمة وضعت لمعنى (التعجب)»^(١) (٢) .

وقوله : ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾ . قال أبو إسحاق : «كيف في موضع نصب»^(٣) بـ (فعل) لا بقوله : (ألم تر) ، لأن (كيف) من حروف الاستفهام»^(٤) .

وقوله : ﴿يَأْصَحِبِ الْفِيلِ﴾ ؛ يعني الذين غزوا البيت ، وقصدوا تخريب الكعبة من الحبشة ، والفيل معروف ، ويجمع على الفيلة ، والأفيال ، وسأيسه^(٥) الفيال ، والعرب تعظم شأنه ، وتعجب من صورته ، وخلقه (وقوته وكثافة أركانه)^(٦) . قال لبيد :

لَوْ يَقُومُ الْفِيلُ أَوْ فَيَالُهُ زَلَّ عَنْ مِثْلِ مَقَامِي وَزَحَلُ^(٧)
وأكثر أهل التاريخ على أنهم لم يكن معهم غير فيل واحد ، وكان فيلاً كبيراً للنجاشي ، لم يُر مثله في الأرض عظماً (وجسماً وقوة)^(٨) واسم الفيل : محمود^(٩) .
وقال الضحاك : «كانت الفيلة ثمانية»^(١٠) .

(١) الوسيط ٥٥٤ / ٤ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٣٦٣ / ٥ بنصه .

(٥) السائيس : القائم على الشيء بما يصلحه ، والسياسة فعل السائيس . انظر : لسان العرب (سوس) ١٠٨ / ٦ .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) البيت في ديوانه ١٤٧ ، طبعة دار صادر . زحل : زل عن مكانه . والفيال : صاحب الفيل ، توهم لبيد أنه لا بد أن يكون قوياً ليقدّر على تصرف الفيل ، وقد عاب العلماء هذا البيت على لبيد .

(٨) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٩) ممن ذكر أنه فيل واحد : الطبري في تاريخه ١٥٤ / ٢ ، وابن هشام في السيرة ٤٦ / ١ ، وابن الأثير في الكامل في التاريخ ٢٦٠ / ١ ، وابن كثير في البداية والنهاية : م ١٥٨ / ٢ .

(١٠) الكشف والبيان ١١٥٧ / ١٣ ، والبحر المحيط ٥١٢ / ٨ .

وعلى هذا ، الفيل اسم الجنس ، والصحيح هو الأول يدل عليه قول أبي الصلت (الثقفي) ^(١) ^(٢) يذكر تلك القصة :

إِنَّ آيَاتِ رَبِّنَا بَيِّنَاتٌ مَا يُمَارِي بِهِنَّ إِلَّا الْكُفُورُ
حَبَسَ الْفِيلَ بِالْمُغَمَّسِ حَتَّى ظَلَّ يُحِبُّو كَأَنَّهُ مَعْقُورٌ ^(٣)
أخبر عن فيل واحد .

ثم ذكر ما فعل بهم ، فقال :

٢ . ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ (فِي تَضْلِيلِ) ^(٤) ۚ أَي مكرهم ، وسعيهم في تخريب الكعبة ، واستباحة أهلها ^(٥) .

﴿ فِي تَضْلِيلٍ ﴾ . قال عطاء : في باطل . (وقال الكلبي : «في أباطيل» ^(٦) ^(٧) .
وقال مقاتل : «في خسار» ^(٨) .

(١) أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي ، تقدّمت ترجمته .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) ورد البيتان في سيرة ابن هشام ١/٦٣ ، وفيه (ثاقبات) بدلاً من (بينات) ، والبداية والنهاية : م ١٦٣ / ٢ برواية ابن هشام نفسها ، ولكن منسوبة إلى أبي الصلت ربيعة بن أبي ربيعة ، والنكت والعيون ٦ / ٣٤١ برواية : (ناطقات لا يباري) و(مريعي) منسوبة إلى أبي الصلت بن مسعود ، والكشف والبيان ١٣ / ١٥٦ منسوبة إلى أبي الصلت بن أمية بن مسعود ، ولباب التأويل ٤ / ٤٠٩ برواية : (ساطعات) و(ظل يعوي) ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٤٩١ برواية : (باقيات) و(حتى صار يحبو) .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) لعله نقله عن الثعلبي بتصريف . انظر : الكشف والبيان ١٣ / ١٥٧ أ .

(٦) لم أعثر على مصدر لقولها ، وقد ورد نحوه غير منسوب في الكشف والبيان ١٣ / ١٥٧ أ .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٨) تفسير مقاتل ٢٥٣ أ ، والكشف والبيان ١٣ / ١٥٧ أ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٥٢٨ .

وقال أبو إسحاق : «في ذهاب»^(١) .

والمعنى : في تضليل عما قصدوا له من تخريب الكعبة ، ضلّ كيدهم حتى لم يصل إلى البيت ، وإلى ما أرادوه بكيدهم .

٣. ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ﴾^(٢) .

عطف قوله : (وأرسل)^(٣) على معنى (ألم يجعل) لا على لفظه ، ومعناه (جعل)^(٤) كيدهم في تضليل ، ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ﴾ كما قلنا في قوله : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾^(٥) وَوَضَعْنَا [الشرح : ١-٢] .

و(قوله)^(٥) تعالى : ﴿طَيْرًا أَبَايِلَ﴾ . قال ابن عباس (في رواية عطاء)^(٦) : «يريد مجتمعة»^(٧) .

وقال مقاتل : «يعني متتابعة بعضها على إثر بعض»^(٨) ، (وهو قول قتادة)^(٩) ، وعبيد بن عمير^(١٠) (١١) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣٦٣/٥ .

(٢) بياض في (ع) .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) في (أ) : (قوله) .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٨) تفسير مقاتل ١٢٥٣ ، وزاد المسير ٣١٢/٨ .

(٩) تفسير عبدالرزاق ٣٩٦/٢ .

(١٠) لم أعثر على مصدر لقوله .

(١١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(وقال ابن أُبَيزَى^(١) : «أقاطيع كالإبل المؤبلة»^{(٢)(٣)(٤)} .

وقال أبو سلمة : «هي الزُّمَر»^{(٥)(٦)} .

(وقال أبو صالح : «يتبع بعضها بعضاً»^{(٧)(٨)} .

وأما أهل اللغة فقال أبو عبيدة : «﴿أَبَايِلَ﴾ : جماعات على تفرقة ، يقال : جاءت الخيل أباييل من هاهنا وهاهنا ، ولم نَرِ أحداً^(٩) يجعل لها واحداً»^(١٠) ، (ونحو هذا ذكر الأخفش سواء^{(١١)(١٢)} .

(١) ابن أُبَيزَى : سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي الخزاعي ، مولا هم ، الكوفي ، روى عن أبيه ، وروى عنه جعفر بن أبي ربيعة ، وقتادة ، وقال النسائي : «ثقة» . انظر : الجرح والتعديل ٤ / ٣٩٩ ، ١٧١ ، وتهذيب الكمال ١٠ / ٥٢٤ ت ٢٣٠٨ .

(٢) المؤبلة : يراد بها الكثيرة . انظر : تهذيب اللغة (أبل) ١٥ / ٣٨٨ .

(٣) ورد في الكشف والبيان ١٣ / ١٥٧ أ ، وورد نحوه عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث ، وجامع البيان ٣٠ / ٢٩٧ ، والنكت والعيون ٦ / ٣٤٣ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) في (ع) : (الرمي) .

(٦) جامع البيان ٣٠ / ٢٩٧ .

(٧) ورد معنى قوله في النكت والعيون ٦ / ٣٤٢ ، وزاد المسير ٨ / ٣١٢ بلفظ : (جمعاً بعد جمع) .

(٨) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٩) في (ع) : (أحد) .

(١٠) مجاز القرآن ٢ / ٣١٢ .

(١١) التفسير الكبير ٣٢ / ١٠٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١٩٧ ، والكلام عنه قال : «يقال : جاءت إبلك أباييل ؛ أي خرقاً ، وطير أباييل ، قال : وهذا يجيء في معنى التكثير ، وهو من الجمع الذي لا واحد له» . انظر : لسان العرب (أبل) ١١ / ٦ . وجميع ما ذكر في معنى (أباييل) أقوال متفقة ، وحقيقة المعنى أنها جماعات عظام ، قاله النحاس في الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١٩٧ .

(١٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

وقال الفرّاء : ﴿أَبَايِلَ﴾ لا واحد لها ، مثل : الشّاميط^(١) ، والعباديد^(٢) ،
والشّعارير^(٣) ^(٤) .

كل هذا لا يفرد له واحد ، قال : «وزعم (أبو جعفر)^(٥) الرّؤاسي^(٦) ^(٧) ، وكان
ثقة مأموناً أنه سمع واحدها (إِبَالَة)» ، وقال الكسائي : «كنت أسمع النحويين
يقولون : (أَبُول) مثل : العَجَّول^(٨) ، والعَجَاجيل . قال الفرّاء : ولو قال قائل :
«واحد الأباييل إيبالة كان صواباً ، كما قالوا : دينار ، ودنانير»^(٩) .

وقال ابن الأعرابي : «(الإَبُولُ) طائر ينفرد من الرّف ، وهو السّطر من
الطّير»^(١٠) .

وقد استعملت العرب : الأباييل معنى الجماعات .

-
- (١) الشّاميط : المتفرقة ، يقال : وجاءت الخيل شاميط متفرقة أرسالاً . انظر : القاموس المحيط
للغيروزيآبادي ٣٦٩ / ٢ .
- (٢) العباديد : الفرق من الناس الناهبون في كل وجه وكذلك العبايد . انظر : الصحاح (عبد) ٥٠٤ / ٢ .
- (٣) شعارير : متفرقين ، يقال : ذهب القوم شعارير إذا تفرقوا . انظر : الصحاح (شعر) ٧٠٠ / ٢ ،
والقاموس المحيط (شعر) ٦٠ / ٢ .
- (٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (٦) في (ع) : (الرازي) .
- (٧) أبو جعفر هو محمد بن الحسن بن أبي سارة الرّؤاسي ، قيل له ذلك لعظم رأسه ، وهو أول من وضع
نحو الكوفيين ، وقد ذكر ذلك ثعلب . من تصانيفه : معاني القرآن ، وتصانيفه في النحو . انظر : بغية
الوعاة ١٠٩ / ١ ت ١٨٠ .
- (٨) العَجَّول : ولد البقرة ، ويقال : عَجَل ، والأنثى عجلة ، وجمع عَجول : عجاجيل . انظر : تهذيب اللغة
(عجل) ٣٧٢ / ١ .
- (٩) ورد في معاني القرآن ٢٩٢ / ٣ بتصرف .
- (١٠) تهذيب اللغة (وبل) ٣٨٩ / ١٥ .

قال الأعشى :

طَرِيقٌ وَجَبَّارٌ رِوَاءُ أَصُولُهُ عَلَيْهِ أَبَايِلٌ مِنَ الطَّيْرِ تَنْعَبُ^(١)

وقال امرؤ القيس :

تَراهُمْ إِلَى الدَّاعِي سَراعاَ كَأَنَّهُمْ أَبَايِلُ طَيْرٍ تَحْتَ دَجَنٍ مُسَجَّنٍ^{(٢)(٣)}

واختلفوا في صفة ذلك الطير ، فروي عن (ابن سيرين ، عن)^(٤) ابن عباس ، قال : « كانت طيراً لها خراطيم كخراطيم الطير ، وأكف كأف الكلاب »^(٥) .

وروى عطاء عنه قال : « طير سود جاءت من قبل البحر فوجاً فوجاً »^(٦) .

(١) ورد البيت في ديوانه ١١ ، طبعة دار صادر ، والكشف والبيان ١٣ / ١٥٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩٧ / ٢٠ . الطريق ، والجبار : نخل طويل . وأباييل : أسراب .

(٢) في (أ) : (سخر) .

(٣) ورد البيت في الكشف والبيان ١٣ / ١٥٧ أ برواية : (مسخر) ، والجامع لأحكام القرآن ١٩٧ / ٢٠ غير منسوب ، وفي الهامش ذكر أنه منسوب إلى امرئ القيس وأنه لم يجده في ديوانه ، وانظر : فتح القدير ٤٩٦ / ٥ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) ورد في جامع البيان ٣٠ / ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، والكشف والبيان ١٣ / ١٥٧ ب ، ومعالم التنزيل ٤ / ٥٢٨ ، والتفسير الكبير ٣٢ / ١٠٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١٩٦ ، ولباب التأويل ٤ / ٤١٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٨٩ ، والدر المنثور ٨ / ٦٣٠ منسوباً إلى ابن أبي شيبه ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقي في دلائل النبوة ١ / ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٦) ورد في التفسير الكبير ٣٢ / ١٠٠ ، والدر المنثور ٨ / ٦٣٠ منسوباً إلى الفريابي ، وعبد بن حميد .

وقال عكرمة : (خرجت من البحر [لها] ^(١) مثل رؤوس السباع ، وقال ^(٢)) :
« هي طير خضر تختلف ^(٣) بالحجارة » ^(٤) .

وقال قتادة : « هي طير خرجت من قبل البحر بيض ، مع كل طائر ثلاثة ^(٥) »
أحجار ، حجران في رجليه ، وحجر في منقاره ، لا يصيب شيئاً إلا هشمته ^(٦) ^(٧) ،
فذلك قوله :

٤ . ﴿ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ .

روى (عطاء) ^(٨) عن ابن عباس (قال) ^(٩) : « لما أرسل الله الحجارة على
أصحاب الفيل جعل لا يقع حجر على أحد منهم إلا نفط ^(١٠) جلده وثار به

(١) غير مقروءة في (ع) ، وأثبت ما جاء في الجامع لأحكام القرآن ؛ لسوقه مثل هذه الرواية ، وعن عكرمة أيضاً .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) غير مقروءة في (ع) .

(٤) ورد مقوله مختصراً في الكشف والبيان ١٣/١٥٧ ب ، ومعالم التنزيل ٤/٥٢٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٩٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٨٩ ، والدر المشور ٨/٦٣١ بمعناه منسوباً إلى سعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في دلائل النبوة ١/١٢٣ .

(٥) غير واضحة في (ع) .

(٦) في (أ) : (هشمة) .

(٧) تفسير عبد الرزاق ٢/٣٩٦ ، وجامع البيان ٣٠/٢٩٩ ، وذلك عند تفسير : ﴿ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ ﴾ ، ومعالم التنزيل ٤/٥٢٩ ، بيد أنه ذكر أنها طير سود ، وكذا في فتح القدير ٥/٤٩٥ .

(٨) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٩) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(١٠) نفط : البثرة ، يقال : نفطت يده نفطاً من باب تعب ، ونفيطاً ، إذا صار بين الجلد واللحم ماء ، الواحدة نفطة ، والجمع نفط ، وهو الجدرى . انظر : المصباح المنير (نفط) ٢/٧٥٧ .

الجدري^(١)، فكان أول يوم رؤي فيه الجدري، لم يُرَ قبل ذلك^(٢)، (ونحو هذا قال سعيد بن جبير^(٣))^(٤).

وقال ابن سابط: «كانت تحمل الحجارة لا تريد شيئاً فتخطئه، ولا تصيب شيئاً إلا أحرقت»^(٥)^(٦).

وروى موسى بن أبي عائشة^(٧): أنها كانت تحمل حجارة أصغرهما مثل العدسة^(٨)، وأكبرها مثل الحمصة^(٩).

قال عبيد بن عمير: «ما أرادت أصابت، وما أصابت قتلت»^(١٠).

وقال مقاتل: «كان الطائر الواحد يحمل ثلاثة أحجار، واحد في منقاره، واثنان في رجله، يقتل بكل واحد رجل؛ مكتوب على كل حجر اسم صاحبه»^(١١).

(١) الجدري: بثرات تخرج من البدن يقال لصاحبها: مجذور، فإن بالغت قلت: مجدر، ويقال أيضاً: جدري (بفتح الجيم) منسوباً إلى جذر العضة، وهي كالبثرات، أو إلى الجذرة، وهي ورم كالسلعة في الخلق وغيره، وإذا ضمنت الجيم يكون من تغيير النسب، وهو مرض معد، وقد قضي عليه تماماً بالتطعيم. انظر: المجموع المغني (جذر) ١/٣٠٣، ٣٠٤، والنهاية في غريب الحديث والأثر (جذر) ١/٢٤٦، والموسوعة العربية العالمية ٨/٢٢٠.

(٢) ورد نحوه في تفسير عبدالرزاق ٢/٢٩٦ من طريق عكرمة عن ابن عباس، والتفسير الكبير ٣٢/١٠٠، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٩٨ مختصراً، وعن عكرمة نحوه في جامع البيان ٣٠/٢٩٩.

(٣) التفسير الكبير ٣٠/١٠٠.

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٥) بياض في (ع).

(٦) لم أعثر على مصدر لقوله.

(٧) تقدّمت ترجمته في سورة النور.

(٨) العدسة: من الجبوب، والجمع: العدّس. انظر: لسان العرب (عدس) ٦/١٣٢.

(٩) جامع البيان ٣٠/٢٩٩.

(١٠) لم أعثر على مصدر لقوله.

(١١) ورد بمعناه في تفسير مقاتل ٢٥٢أ، والتفسير الكبير ٣٢/١٠٠.

قال ابن مسعود : « ما وقع منها حجر على رجل إلا خرج من الجانب الآخر ، وإن وقع على رأسه خرج من دبره »^(١) .

وقال عطاء عن ابن عباس : « كانت تحمل حصاة في »^(٢) منقارها ، وحصاتين في رجليها مثل الحمص ؛ (ترسل الواحدة على رأس الرجل فتسيل لحمه ودمه ، وتبقى عظامه)^(٣) خاوية لا لحم فيها ، ولا دم ولا جلد »^(٤) ، فذلك قوله :

٥ . ﴿ جَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ . تفسير العصف قد تقدّم عند قوله : ﴿ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ ﴾ [الرحمن : ١٢] ^(٥) ، ومعنى «عصف (مأكول)»^(٦) :

(١) ورد بمعناه في الكشف والبيان ١٣/١٥٧ ب ، والنكت والعيون ٦/٣٤٣ ، ومعالم التنزيل ٤/٥٢٩ ، ولباب التأويل ٤/٤١٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٩٩ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) ورد معنى قوله في فتح القدير ٥/٤٩٦ منسوباً إلى أبي نعيم في الدلائل .

(٥) مما جاء في تفسير (كعصف) أنه قشور التبن التي تعلق حب الحنطة وغيره ، أو هو ما على ساق الزرع من الورق الذي يبس فيفتت ، وقال بعضهم : « إنه بقل الزرع ، يعني أول ما ينبت منه ، وهو ورق بعد » ، وقال ابن عباس : « ورق السنبل » . وخلاصة أقوالهم : إن (العصف) ورق الزرع ، ثم إذا يبس وديس صار تبناً .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

كزرع (وتبن)^(١) قد أكلته الدواب ، ثم راثته^{(٢)(٣)} قد يبس وتفرقت
أجزاؤه ، شبّه تقطع أوصالهم بتفرّق أجزاء الروث ، وهذا معنى قول قتادة^(٤) ،
ومقاتل^(٥) ، وعطاء عن ابن عباس^(٦) .

وقال آخرون : «يعني جعلهم كزرع قد أكل حبه ، وبقي تبنة»^(٧) .

والمعنى على هذا : كعصف مأكول الحب ، كما يقال : فلان حسن ؛ أي حسن
الوجه ، فأجرى مأكول على العصف من أجل أكله حبه ، لأن المعنى معلوم ،
وهذا قول الحسن^(٨) .

وقيل في معنى (مأكول) : إنه مما يؤكل ، يعني تأكله الدواب ، يقال لكل شيء
يصلح للأكل : هو مأكول ، [ومطعوم]^(٩) .

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) في (أ) : (وراثته) .

(٣) راثته : يراد به الروث ، وهو رجيع ذوات الحافر ، والرؤثة أخص منه ، وقد راثته تروث رؤثاً . انظر :
النهاية في غريب الحديث والأثر (روث) ٢ / ٢٧١ .

(٤) الكشف والبيان ١٣ / ١٥٧ ب ، والتفسير الكبير ٣٢ / ١٠١ .

(٥) تفسير مقاتل ٢٥٣ أ ، والتفسير الكبير ٣٢ / ١٠١ .

(٦) المرجع السابق .

(٧) ورد هذا القول غير منسوب في الكشف والبيان ١٣ / ١٥٨ أ ، وممن قال بمعناه ابن عباس ،
وعكرمة ، وحبيب بن ثابت ، وعطاء بن السائب . انظر : جامع البيان ٣٠ / ٣٠٤ ، والكشف والبيان
١٣ / ١٥٨ أ ، والنكت والعيون ٦ / ٣٤٤ ، وقد أورد ابن قتيبة هذا القول أيضاً من قولين في تفسير
غريب القرآن ٥٣٩ .

(٨) التفسير الكبير ٣٢ / ١٠١ ، ١٠٢ .

(٩) (مضعون) : هكذا ورد في كلتا النسختين ، والصواب ما أثبتناه .

والمعنى : جعلهم كتب تاكله الدواب ، وهو معنى قول عكرمة^(١) ،
(والضحاك^(٢)) .

فحصل في المأكول ثلاثة أقوال :

أحدها : مأكول على الحقيقة ، والثاني : مأكول الحب ، والثالث : مأكول أنه
مما يؤكل .

* * *

(١) ورد في التفسير الكبير ١٠٢/٣٢ ، وجامع البيان ٣٠٤/٣٠ بلفظ : (كزرع مأكول) .

(٢) الكشف والبيان ١٣/١٥٨ أ ، والتفسير الكبير ١٠٢/٣٢ .

تفسير



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ۝١ إِيْلَفِهِمْ﴾^(٢). وقُرئ: (إِلَا فِيهِمْ)،
و(إِلْفِهِمْ)^(٣).

(١) فيها قولان: أحدهما أنها مكية، ونسبه الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٤٥ إلى الأكثرين من المفسرين، وحكى ابن عطية الإجماع في المحرر الوجيز ٥/ ٥٢٥. والثاني أنها مدنية، قاله الضحاك، وابن السائب. انظر: النكت والعيون ٦/ ٣٤٥، وزاد المسير ٨/ ٢١٣.

(٢) ﴿إِيْلَفِهِمْ رِحْلَةَ الْبَيْتِ وَالصَّيْفِ﴾.

(٣) قرأ ابن كثير في رواية ابن فليح وحده (لإيلاف قريش) (إِلْفِهِمْ) ساكنة اللام، وليس قبلها ياء، وذكر البخاري لابن كثير في هذه الرواية (إِلْفِهِمْ) بفتح اللام مشبعة بعدها ألف، والهمزة قبلها مختلصة ليس بعدها ياء، وقرأ أبو جعفر (ليلاف قريش) بغير همز، و(إِلْفِهِمْ) مختلصة الهمزة ليس بعدها ياء، وقرأ ابن عامر (لإلاف قريش) مختلصة الهمزة ليس بعدها ياء، و(إِلْفِهِمْ) مشبعة الهمزة بعدها ياء، وقرأ الباقر ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ۝١ إِيْلَفِهِمْ﴾ مشبعة الهمزة في الحرفين بعدها ياء. انظر: السبعة ٦٩٨، والقراءات وعلل النحويين فيها ٢/ ٧٩٩، والحجة ٦/ ٤٤٤، والمبسوط ٤١٨، والتبصرة ٧٣٢.

قال علماء اللغة^(١)(٢): (أَلِفْتُ الشيء، وأَلَفْتُهُ، إلفاً، وإلفاً، وإيلافاً، بمعنى واحد^(٣))، فهو مألوف، ومؤلف، وألفتِ الطباء الرَّمْلَ إذا أَلَفَتْهَا.

قال ذو الرمة:

مَنْ الْمُؤَلِّفَاتِ الرَّمْلَ أَدْمَاءُ حُرَّةٌ شُعَاعُ الضُّحَى فِي مَتْنِهَا^(٤) يَتَوَضَّحُ^(٥)

فالإلف، والإلاف مصدر ألف، والإيلاف مصدر ألف.

وأنشدوا:

زَعَمْتُمْ أَنَّ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ^(٦) لَهُمْ إلفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إلفٌ^(٧)

ويقال أيضاً: أَلِفْتُ فلاناً الشيء أولفه إيلافاً، إذا ألزمته إياه^(٨).

(١) في (أ): (اللغت).

(٢) أبو عبيدة وأبو زيد، جاء ذكرهما في تهذيب اللغة.

(٣) أي لَزَمْتُهُ. انظر: تهذيب اللغة (ألف) ٣٧٨/١٥.

(٤) في (أ): (مسها).

(٥) ورد البيت في ديوانه ١١٩٧/٢، رقم ١٦، والحجة ٤٤٥/٦، وفيه (جيدها) بدلاً من (متنها).

انظر: الكامل ٦٩٢/٢، وفيه (لونها) بدلاً من (متنها)، وتهذيب اللغة (ألف) ٣٧٨/١٥، ولسان

العرب (ألف) ١٠/٩، والمحزر الوجيز ٥٢٥/٥ برواية: (جيدها)، والبحر المحيط ٥١٤/٨،

والدر المصون ٥٧٢/٦، وروح المعاني ٢٣٨/٣٠، وسيرة ابن هشام ٥٨/١. المؤلفات: اللواتي

اتخذن الرمل إلفاً. ويتوضح: يبرق في متنها. انظر: ديوانه ١١٩٨.

(٦) لفظ قريش: ورد مرفوعاً على الخبر، وفي اللسان (ألف) ١٠/٩ بالنصب على البدل، وانظر: البحر

المحيط ٥١٤/٨.

(٧) البيت لمساور بن هند يهجو بني أسد، وقد ورد في تهذيب اللغة (ألف) ٣٧٩/١٥، ولسان العرب

(ألف) ١٠/٩، والحجة ٤٤٦/٦، والكشاف ٢٣٥/٤، والجامع لأحكام القرآن ٢٠١/٢٠،

والبحر المحيط ٥١٤/٨ برواية: (قريشاً)، والدر المصون ٥٧١/٦، وفتح القدير ٤٩٨/٥، وروح

المعاني ٢٤٠/٣٠.

(٨) ما بين القوسين منقول عن تهذيب اللغة (ألف) ٣٧٨/١٥، وانظر: لسان العرب (ألف) ١٠/٩.

واختلفوا في (اللام) في قوله : ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ﴾^(١) ، فذكروا فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : وهو الأشهر الأعراف أن اللام تتعلق بالسورة التي قبلها ، وذلك أن الله - تعالى - ذكّر أهل مكة عظيم النعمة عليهم في ما صنع بالحبشة ، ثم قال : ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ﴾ ، كأنه قال : ذلك إلى نعمة عليهم في رحلة الشتاء والصيف ، ونقول : نعمة إلى نعمة ، ونعمة لنعمة سواء في المعنى^(٢) . (هذا كلام الفراء)^(٣) . وقال الأخفش : «يقول فعلنا ذلك بهم لتأليف قريش»^(٤) .

وقال أبو إسحاق : «المعنى : فجعلهم كعصف مأكول لألف (قريش)^(٥) ، أي أهلك الله (أصحاب الفيل لتبقى قريش ، وما ألفوا من رحلة الشتاء والصيف»^(٦) ، وهذا قول أبي عبيدة^(٧) .

(واعترض على هذا القول معترض ، فقال : إنما جعلوا كعصف مأكول لكفرهم ، ولم يجعلوا كذلك لتألف قريش^(٨)) .

(١) في (أ) : (ليلاف) .

(٢) ورد في معاني القرآن ٢٩٣/٣ بتصرف يسير .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) ورد معنى قوله في الحجة ٤٤٨/٦ ، والمحزر الوجيز ٥٢٥/٥ ، والدر المصون ٥٧١/٦ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣١٢/٢ .

(٧) مجاز القرآن ٣١٢/٢ ، وهو معنى قول مجاهد ، وابن عباس في رواية ابن جبير عنه . انظر : جامع البيان ٣٠٦/٣٠ .

(٨) ومن اعترض على هذا القول الطبري ، قال : «وأما القول أنه من صلة قوله : ﴿جَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ ، فإن ذلك لو كان كذلك لوجب أن يكون : (لإيلاف) بعض (ألم تر) ، وأن لا تكون سورة منفصلة من (ألم تر) ، وفي إجماع جميع المسلمين على أنها سورتان تامتان كل واحدة منهما منفصلة عن الأخرى ، ما يبين عن فساد القول الذي قاله من قال ذلك ، ولو كان قوله : ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ﴾ من صلة قوله : =

قال أبو علي: «وليس هذا الاعتراض بشيء، لأنه يجوز أن يكون المعنى: أهلكوا الكفرهم، ولما أدى^(١) إهلاكهم إلى أن تألف قريش، قيل: أهلكوا لإيلاف قريش، وجاز ذلك بقوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]، وهم لم يلتقطوه لذلك، فلما آل الأمر إليه حسن أن يجعل عليه الالتقاط»^(٢).

الوجه الثاني: قول الفرّاء: «ويقال: إنه عَجَبَ نبيه فقال: يا محمد، اعجب لنعم الله على قريش في إيلافهم رحلة الشتاء والصيف»^(٣).

وقال الأخفش: «قال بعضهم: هو على التعجب، وليس معلقاً (بما قبله؛ كأنه)^(٤) قال: لإيلاف قريش، (وما صنع الله بها، كما تقول)^(٥): لزيد وما صنعناه، ولزيد وكرامتنا إياه»^(٦).

وقال أبو إسحاق: «وقال قوم: هذه لام التعجب، (كأن المعنى: أعجبوا)^(٧) لإيلاف قريش»^(٨).

﴿جَعَلَهُمْ كَعَصِفٍ مَّأْكُولٍ﴾ لم تكن (ألم تر) تامة حتى توصل بقوله: ﴿لِيَأْلَفَ قُرَيْشٌ﴾؛ لأن الكلام لا يتم إلا بانقضاء الخبر الذي ذكر. انظر: جامع البيان ٣٠/٣٠٦، ٣٠٧.

(١) في (ع): (أهدى).

(٢) ما بين القوسين منقول عن الحجة ٤٨/٦ بتصرف يسير.

(٣) ورد في معاني القرآن ٣/٢٩٣ بنصه.

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٦) ورد معنى قوله في الكشف والبيان ١٣/١٥٩، ومعالم التنزيل ٤/٥٢٩، وورد في حاشية زاد المسير

(النسخة الأزهرية) ٨/٥١٤، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢٠١.

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٨) ورد نحوه في معاني القرآن وإعرابه ٥/٣٦٥.

الوجه الثالث : قول الخليل وسيبويه^(١) ، وهو أن هذه اللام متصل بما بعدها على تقدير : فليعبدوا رب هذا البيت لإيلاف قريش ؛ أي ليجعلوا عبادتهم شكراً لهذه النعمة ، واعترافاً بها^(٢) . واختار صاحب النظم (وابن قتيبة)^(٣) الوجه الأول .

قال صاحب النظم : «الوجه الأول أشبه بالصواب ، لقوله على أثره : ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ ، وهذا كما تقول في الكلام : قد فعلت بفلان كذلك ، وكذا الخير صنعته^(٤) به ، فليفعل هو كذا ، وكذا لأمر^(٥) أمرته به ، ولا يكاد يجيء مثل هذا الأمر بعد التعجب»^(٦) .

وقال ابن قتيبة : «هاتان سورتان متصلتا الألفاظ» .

والمعنى : إن قريشاً كانت بالحرم آمنة من الأعداء أن تهجم عليها فيه ، وأن يعرض لها أحد بسوء إذا خرجت منه لتجارتها ، وكانوا يقولون : قريش سكان الله^(٧) ، وأهل الله ، وولاية بيته الحرام جديب^(٨) لا زرع به ولا ضرع ، ولا شجر ولا مرعى ، وإنما كانت تعيش قريش فيه بالتجارة ، وكانت لهم رحلتان في كل سنة : رحلة في الشتاء إلى اليمن ، ورحلة في الصيف إلى الشام ، ولولا هاتان الرحلتان لم يكن به مقام ، ولولا الأمن بجوارهم البيت لم يقدروا على التصرف ، فلما قصد أصحاب الفيل إلى مكة ليهدموا الكعبة ، وينقلوا أحجارها إلى اليمن فبينوا بها هناك

(١) قوله : (الخليل وسيبويه) غير واضح في (ع) .

(٢) انظر : كتاب سيبويه ٣/ ١٢٧ ، وقد أورد أبو علي قولي الخليل وسيبويه في الحجة ٦/ ٤٤٨ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) غير واضح في (ع) .

(٥) في (أ) : (الأمر) .

(٦) لم أعثر على مصدر قوله .

(٧) أي سكان حرم الله كما في تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة .

(٨) أي الحرم وإدٍ جديب .

بيتاً ينتقل الأمن إليهم ، ويصير العز إليهم ، أهلكهم الله ، لتقيم قريش بالحرم ، ويجاوروا البيت ^(١) . فقال : يذكر نعمته : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ ؛ أي لفعلهم ؛ أي فعل ذلك ليؤلف قريشاً هاتين الرحلتين اللتين بهما تعيشهم ، ومقامهم بمكة .

تقول : ألّفت موضع كذا ، إذا ألزمته ^(٢) ، وألفيته الله ، كما تقول : «لزمت موضع كذا ، وألزمنيه الله ، وكرّر (لإيلاف) كما تقول في الكلام : أعطيتك المال لصيانة وجهك صيانةً عن كل الناس ، فتكرّر ^(٣) الكلام على التوكيد ^(٤) . أنتهى كلامه .

وهذا الذي ذكره هو على أن يجعل (الإيلاف) واقعاً ، ويكون المصدر الواقع مضافاً إلى المفعول .

ويجوز أن يكون مضافاً إلى الفاعل على معنى (هم يؤلفون) ؛ أي يهيئون ويجهزون ، قال الفرّاء ^(٥) وابن الأعرابي ^(٦) : «ويجوز أن يكون الإيلاف مطاوعاً ، فيكون مضافاً ^(٧) إلى الفاعل ، على معنى : لتألف قريش رحلتها ، ولتألف ^(٨) قريش الرحلتين فتتصلا ولا ينقطعا» . ويؤكد هذا الوجه قراءة من قرأ : (لإيلاف قريش) و (لإيلافهم) ، فإن هذين المصدرين للمطاوع ، وقد حصل في هذا ثلاثة أقوال :

-
- (١) في (أ) : (يجاور) .
 - (٢) في (أ) : (ألزمته) .
 - (٣) في (أ) : (فتكرير) .
 - (٤) ورد قوله في تأويل مشكل القرآن ٤١٣-٤١٥ بتصرف يسير ، وورد مختصراً في تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٥٣٩ .
 - (٥) لم أعثر على مصدر لقوله .
 - (٦) ورد قوله في تهذيب اللغة (ألف) ٣٧٩/١٥ ، وورد غير منسوب في لسان العرب (ألف) ١٠/٩ .
 - (٧) في (أ) : (مضاف) .
 - (٨) في (أ) : (لتألف) .

أحدها : لتؤلف قريش رحلتها .

والثاني : لتؤلف قريش رحلتها .

والآخر : لتألف قريش رحلتها .

(وذكر ابن الأعرابي بيان الإيلاف وكيفيته ، فقال : أصحاب الإيلاف أربعة إخوة : هاشم ، وعبدشمس ، والمطلب ، ونوفل بن عبدمناف^(١) ، كانوا يؤلفون الجوار يحIRON قريشاً بميرهم^(٢) ، وكانوا يُسمَّون المجيرين ، فأما هاشم فإنه أخذ حبلاً من ملك الروم ، وأخذ نوفل حبلاً من كسرى^(٣) ، وأخذ عبدشمس حبلاً من النجاشي ، وأخذ المطلب حبلاً من ملوك حمير ، فكان^(٤) تجار قريش يختلفون إلى هذه الأمصار بحبال هؤلاء الإخوة ، فلا تُعرض لهم . فكان هاشم يؤلف إلى الشام ، وعبدشمس إلى الحبشة ، والمطلب إلى اليمن ، ونوفل إلى فارس)^(٥) .

ومعنى يُؤلف : يجير ، والإجارة سبب تألف الغير ، ف قيل للجوار : إيلاف ، وللمجير : مؤلف ، (وأما قريش فهم ولد النضر بن كنانة ، وكل من ولده النضر فهو قرشي ، ومن لم يلد له النضر فليس بقرشي)^(٦) ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : «إنا بني النضر بن كنانة لا نقفؤ أمتنا ، ولا نتنفى من أبنائنا»^(٧) .

(١) في (أ) و(ع) : (بنوا) .

(٢) الميرة : جلب الطعام للبيع ، يقال : ماره يميّره ميّراً : إذا أتاها ميرة ؛ أي طعام . انظر : تهذيب اللغة (مور) ٢٩٩/٥ .

(٣) في (أ) و(ع) : (كسرا) .

(٤) في (أ) : (وكان) .

(٥) ما بين القوسين منقول عن تهذيب اللغة ٣٧٩/١٥-٣٨١ بتصرف يسير .

(٦) ما بين القوسين منقول عن الكشف والبيان ١٣/١٥٩ ب .

(٧) الحديث رواه الإمام أحمد ٢١١/٥ ، ٢١٢ ، وابن ماجه في السنن في كتاب الحدود ، باب (١٣٧)

٢/٩٦ ح ٢٦٤١ ، من طريق عقيل بن طلحة السلمي عن مسلم بن هيصم ، ورواه الطبراني في المعجم

الكبير ٢/٢٨٥ ، ٢٨٦ ح ٢١٩٠ ، ٢١٩١ من طريقين : أحدهما صرح بالتحديث فيها عن الجفشيش =

واختلفوا في سبب تسميتهم بهذا الاسم ، فذهب قوم إلى :

(أنه من القرش ، وهو الجمع من هاهنا وهاهنا ، وسُميت قريش قريشاً لتقرشها ؛ أي لتجمعها إلى مكة من جوانبها^(١) ، وكانوا متبدين في الأرض ، فتقرشت ؛ أي اجتمعت بعد التفرق حين جمعهم قصي بن كلاب في الحرم ، ولذلك سُمي مجمعا^(٢)) ، ومنه قول الشاعر يذكر قريشاً :

أبوكم قصي كان يُدعى مجمعاً بهِ جَمَعَ اللهُ القبائلَ مَنْ فِيهِ^(٣)
(هذا قول الليث)^{(٤)(٥)} .

الكندي . قال البوصيري في الزوائد : «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات» . انظر : حاشية سنن ابن ماجه ٩٦/٢ ، وقال الألباني : «وهو كما قال» . انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤٨٩/٥ ح ٢٣٧٥ ، وقال الألباني عنه : «حسن» . انظر : صحيح ابن ماجه في كتاب الحدود ، باب (٣٧) ٩١/٢ ح ٢١١٥ .

- (١) في (أ) : (حواليها) .
- (٢) ما بين القوسين منقول عن تهذيب اللغة (قرش) ٣٢١/٨ ، وهو قول الليث بتصرف . انظر : لسان العرب (قرش) ٣٣٥/٦ .
- (٣) البيت لمطروود الخزاعي انظر : شرح ديوان أبي تمام ٩٥/٤ ، والتبيين في أنساب القرشيين ١ ، ونسبه البغدادي إلى الفضل بن العباس في خزانة الأدب ٢٣٠/١ ، وقد ورد غير منسوب في النكت والعيون ٣٤٦/٦ ، والدر المصون ٥٧٢/٦ ، والتفسير الكبير ١٠٦/٣٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠٢/٢٠ ، وروح المعاني ٢٣٩/٣٠ ، ولسان العرب (جمع) ٦٠/٨ ، وفيها كلها (أبونا) بدلاً من (أبوكم) .

(٤) ذكرت ذلك في حاشية سابقة ، غير أن الليث لم يذكر بيت الشعر ، ولم يرد أيضاً في تهذيب اللغة .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

وقال آخرون : (بل سُمِّيت قريش للتجارة ، وجمع المال ، وكانوا أهل تجارة ، ولم يكونوا أصحاب ضرع ، وزرع ، والقرش الكسب ، يقال : هو يقرش لعياله)^(١) ، (ويقرش ؛ أي يكتسب ، ويتقرش ويتقرح ؛ أي يكسب ويطلب)^(٢) .

وقال^(٣) الشاعر :

إخوة قرشوا الذنوب علينا في حديث من عهدهم وقديم^(٤)
أي جمعوا ، (وهذا قول أكثر الناس)^(٥)^(٦) .

وقال معروف (بن خربوذ)^(٧)^(٨) : «إنما سُمِّيت قريشاً ، لأنهم كانوا يفتشون الحاج عن خلتهم فيسدونها ، ويطعمون جائعهم ، ويكسون عاريهم ، ويحملون المنقطع به ، والتقريش : التفتيش»^(٩) .

(١) ما بين القوسين انظر فيه : تهذيب اللغة (قرش) ٨ / ٣٢١ ، ولسان العرب (قرش) ٦ / ٣٣٥ .

(٢) ما بين القوسين من قول اللحياني في تهذيب اللغة (قرش) ٨ / ٣٢١ .

(٣) في (أ) : (قال) .

(٤) البيت لأبي جلدة الشكري ، وقد ورد منسوباً في الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٠٣ ، وغير منسوب في النكت والعيون ٦ / ٣٤٦ ، وروح المعاني ٣٠ / ٢٣٩ ، وفيها كلها (من دهرهم) بدلاً من (من عهدهم) .

(٥) ذكر هذا السبب من جملة أسباب تسمية قريش بهذا الاسم من غير ترجيح ، وذلك في الكشف والبيان ١٣ / ١٥٩ ب ، والنكت والعيون ٦ / ٣٤٦ ، وانظر : معالم التنزيل ٤ / ٥٣٠ ، والكشاف ٤ / ٢٣٥ ، وزاد المسير ٨ / ٢١٤ ، والتفسير الكبير ٣٢ / ١٠٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٠٣ ، ولباب التأويل ٤ / ٤١١ ، والدر المنثور ٨ / ٦٣٨ .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) معروف بن خربوذ المكي ، مولى عثمان ، روى عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الليثي ، وروى عنه أبو عاصم الضحاك ، صدوق ربا وهم ، كان إخبارياً علامة ، روى له البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، وابن ماجه . انظر : كتاب العلل ومعرفة الرجال ٢ / ٥٨ ، رقم ٣٧٧ ، والكشاف ٣ / ١٤٣ ت ٥٦٥٠ ، وتهذيب الكمال ٢٨ / ٢٦٣ ت ٦٠٨٦ ، وتهذيب التهذيب ٢ / ٢٦٤ ت ١٢٦٦ .

(٨) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٩) ورد هذا القول غير منسوب في الكشف والبيان ١٣ / ١٥٩ ب ، والنكت والعيون ٦ / ٣٤٦ ، وانظر : =

قال ابن حَلَزَّة^(١) :

أَيُّهَا الشَّامِتُ المَقْرَشُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرٍو وَهَلْ لَذَاكَ^(٢) بَقَاءً^(٣)
 وروى أن^(٤) معاوية^(٥) سأل ابن عباس : «لَمْ سُمِّيتَ قَرِيشَ قَرِيشاً ؟ فقال :
 قَرِيشَ دَابَّةٍ فِي الْبَحْرِ تَأْكُلُ دَوَابَّ الْبَحْرِ ، وَلَا تَوْكُلُ ، وَتَعْلُو وَلَا تَعْلَى ، وَأُنْشِدْ
 (فقال)^(٦) :

وَقَرِيشٌ هِيَ الَّتِي تَسْكُنُ الْبَحْرَ بِهَا سُمِّيتَ قُرَيْشٌ قُرَيْشَا»^(٧) .

- = معالم التنزيل ٤ / ٥٣٠ ، والكشاف ٤ / ٢٣٥ ، وزاد المسير ٨ / ٢١٤ ، والتفسير الكبير ٣٢ / ١٠٦ ،
 والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٠٣ ، ولباب التأويل ٤ / ٤١١ .
- (١) تقدّمت ترجمته في سورة النساء .
- (٢) في (أ) : (لذلك) .
- (٣) ورد البيت في ديوانه ٤٨ ، برواية : (أَيُّهَا الشَّامِي المَبْلَغُ عَنَّا . . . انتهاء) بدلاً من (بقاء) . انظر : شرح
 المعلقات للزوزني ٢٢١ ، وفيه (المقرش) بدلاً من (المقرش) ، والنكت والعيون ٦ / ٣٤٦ ، وفيه
 (إبقاء) بدلاً من (بقاء) ، والدر المصون ٦ / ٥٧٢ ، وفيه (أَيُّهَا النَّاظِقُ) بدلاً من (أَيُّهَا الشَّامِتُ) ، ولسان
 العرب (قرش) ٦ / ٣٣٤ برواية : (أَيُّهَا النَّاظِقُ) . ومعنى البيت : أَيُّهَا النَّاظِقُ عِنْدَ الْمَلِكِ الَّذِي يَبْلُغُ
 عَنَّا الْمَلِكُ مَا يَرِيهِ وَيَشْكِكُهُ فِي مَحَبَّتِنَا ، هَلْ لَذَاكَ التَّبْلِيغُ بَقَاءً ؟ وَهَذَا اسْتِفْهَامُ مَعْنَاهُ النِّفْيُ ؛ أَيُّ لَا بَقَاءَ
 لَذَاكَ ، لِأَنَّ الْمَلِكَ يَبْحَثُ عَنْهُ ، فَيَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْأَكَاذِبِ . انظر : هامش شرح المعلقات ٢٢١ .
- (٤) في (أ) : (ابن) .
- (٥) في (ع) : (معومة) .
- (٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (٧) ورد قول ابن عباس في الكشف والبيان ١٣ / ١٥٩ ب ، والنكت والعيون ٦ / ٣٤٦ ، ومعالم التنزيل
 ٤ / ٥٣٠ ، والدر المصون ٦ / ٥٧٢ ، والكشاف ٤ / ٢٣٥ ، وزاد المسير ٨ / ٣١٤ ، ٣١٥ ، والتفسير
 الكبير ٣٢ / ١٠٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٠٣ ، والبحر المحيط ٨ / ٥١٣ ، والدر المنثور
 ٨ / ٦٣٨ منسوباً إلى البيهقي في الدلائل ، وتهذيب اللغة (قرش) ٨ / ٣٢١ ، ولسان العرب (قرش)
 ٦ / ٣٣٥ ، وروح المعاني ٣٠ / ٢٣٩ . وقد نُسِبَ بَيْتُ الشَّعْرِ إِلَى تَبَعٍ فِي السِّدْرِ الْمَصُونِ ، وَكَذَا عِنْدَ
 الْقُرْطُبِيِّ ، وَأَبِي حَيَّانٍ ، وَنُسِبَ إِلَى الْجَمْحِيِّ فِي الدَّرِ الْمُنْثَوْرِ ، وَرُوحِ الْمَعَانِي .

٢. قوله : ﴿رِحْلَةَ الْشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ . قال الليث : «الرحلة : اسم الارتحال من القوم للمسير»^(١) .

قال المفسرون^(٢) : «كانت لقريش رحلتان : رحلة بالشتاء إلى اليمن وبلادها من جَنْد^(٣) وجرش^(٤) وما يليهما ، وكان اليمن أدفأ^(٥) من الشام ؛ فلذلك ارتحلوا إليها بالشتاء ، ورحلة بالصيف^(٦) إلى الشام» .

(١) تهذيب اللغة (رحل) ٧/٥ .

(٢) ممن قال بذلك ابن زيد ، وسفيان ، والكلبي ، وانظر : جامع البيان ٣٠/٣٠٨ ، وحكاة عن المفسرين ابن الجوزي في زاد المسير ٨/٣١٥ ، والفخر في التفسير الكبير ٣٢/١٠٦ ، والخازن في لباب التأويل ٤/٤١١ ، ورجحه الشوكاني في فتح القدير ٥/٤٩٨ . وقال به أيضاً الفراء في معاني القرآن ٣/٢٩٤ ، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/٣٦٥ ، ٣٦٦ .

(٣) جَنْد : من أعمال اليمن ، تقع قرب صنعاء ، والجند مسماة بجند بن شهران ؛ بطن من المعافر ، وفي الجند مسجد بناء معاذ بن جبل ، يُنسب إليها المؤرخ اليماني المفضل الجندي ، والبهاء الجندي ، ويوجد جبل في اليمن يطلق عليه اسم الجند .
انظر : معجم البلدان ٢/١٦٩ ، والقاموس الإسلامي ١/٦٤٠ ، ومعجم ما استعجم من أسماء البلاد ٢/٣٩٧ .

(٤) جَرْش : من مخاليف اليمن من جهة مكة ، وقيل : هي مدينة عظيمة في اليمن ، وولاية واسعة ، وقد فتحت في حياة النبي ﷺ سنة ١٠ هـ صلحاً على الفيء ، يُنسب إليها يزيد بن الأسود الجرشي من التابعين . انظر : معجم البلدان ٢/١٢٦ .

(٥) في (أ) : (أفا) .

(٦) (الصيف) مكرر في (ع) .

وذكر مقاتل على القلب من هذا ، فقال : « كانوا يمتارون في الشتاء من الأردن^(١) ، وفلسطين^(٢) ؛ لأن ساحل البحر أدفأ ، فإذا كان الصيف تركوا طريق الشام ، والبحر من أجل الحر ، وأخذوا إلى اليمن للمسيرة^(٣) .

و(نحو هذا)^(٤) روي عن الكلبي ، وقال : « كان أول من حمل السمراء^(٥) من الشام ورحل إليها الإبل : هاشم بن عبد مناف^(٦) .

وذكر (عطاء عن)^(٧) ابن عباس السبب في ذلك فقال : « كانت قريش إذا أصاب واحداً منهم مخمصة^(٨) خرج هو وعياله إلى موضع ، وضربوا على أنفسهم

(١) الأردن : اسم بلد ، وفيه عدة كور ، منها : جُدَر ، وصفورية ، وغيرها ، افتتحه شرحبيل بن حسنة عنوة ، وهو الآن دولة عربية تُعرف باسم المملكة الأردنية الهاشمية ، وتتكون من الشقة الشرقية لنهر الأردن ، وكانت تحت الاحتلال الإنجليزي ، ثم نالت استقلالها عام ١٩٤٦ م ، عاصمتها عَمَّان ، ويعدُّ الأردن من المناطق الإستراتيجية قديماً وحديثاً ، وبرزت أهميته في أثناء الحروب الصليبية ، وهو يحوي العديد من المواقع الأثرية المهمة في الشرق الأوسط . انظر : معجم البلدان ١/ ١٤٧ ، والقاموس الإسلامي ١/ ٦٥ ، والآثار في شمال الحجاز للقتامي ١/ ٢٩ .

(٢) فلسطين : إقليم عربي يشغل شريطاً ضيقاً من الأراضي المتاخمة للساحل الجنوبي الشرقي من البحر الأبيض المتوسط ، وقد خضعت فلسطين للانتداب البريطاني عام ١٩٢٠ م الذي مكن اليهود من الاستيطان في فلسطين ، وتعدُّ القدس (العاصمة السابقة لفلسطين) المركز الديني للديانتين : الإسلامية والنصرانية ، وقد سعى اليهود لجعلها مركزاً روحياً لاتباع ديانتهم . أمّا تل أبيب فهي عاصمة الكيان الصهيوني منذ عام ١٩٤٨ م ، وأمّا اللغة الرسمية فالعربية للعرب ، والعبرية لليهود ، ويمثّل العرب المسلمون الغالبية العظمى من سكان فلسطين المحتلة ، ويتبع معظمهم المذهب السُّني ، ويتبع بعضهم المذهب الدرزي ، ويقيم بجانبهم عرب نصاري فلسطينيون . انظر : معجم البلدان ٤/ ٢٧٤ ، والموسوعة العربية العالمية ١٧/ ٤٢٢ - ٤٤٠ .

(٣) ورد في تفسير مقاتل ٢٥٣ ب ، وورد بمعناه في بحر العلوم ٣/ ٥١٦ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) السمراء : الخنطة ، وقيل : الناقة الأدماء . انظر : لسان العرب (سمر) ٤/ ٣٧٦ .

(٦) ورد في معالم التنزيل ٤/ ٥٣١ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٨) المخمصة : المجاعة ، وخص الشخص خصاً فهو خميص ، إذا جاع . انظر : المصباح المنير ١/ ٢١٨ ، ومختار الصحاح ١٩٠ .

خباء حتى يموتوا ، إلى أن كان هاشم بن عبد مناف ، وكان سيد زمانه ، وكان له ابن يقال له أسد ، وكان له تَرْبٌ^(١) من بني مخزوم^(٢) يحبه ويلعب معه ، فشكا إليه الضر والمجاعة ، فدخل أسد على أمه يبكي ، فأرسلت أمه إلى أولئك بدقيق وشحم ، فعاشوا فيه أياماً ، ثم أتى تَرْبٌ أسد أيضاً إليه وشكا ثانياً ، فقام هاشم خطيباً في قريش فقال : إنكم أحدثتم حدثاً تقلون فيه وتذلون ، وأنتم أهل حرم الله ، وأشرف ولد آدم ، والناس لكم تبع ، قالوا : نحن نتبع لك فليس عليك منّا خلاف ، فجمع كل بني أب على الرحلتين في الشتاء إلى اليمن ، وفي الصيف إلى الشام للتجارات ، فما ربح الغني قسمه (بينه)^(٣) وبين الفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم ، فجاء الإسلام وهم على هذا ، فلم يكن^(٤) في العرب بنو أب^(٥) أكثر مالاً ، وأعز من قريش ، ولا أمتع^(٦) .

وقد قال الشاعر فيهم :

الخالطينَ فقيرهمُ بغنيّهم حتى يكونَ فقيرُهمُ كالكافي^{(٧)(٨)}

(١) تَرْبٌ : اللدة والسِّن ، يقال : هذه تَرْبٌ هذه ؛ أي لدتها ، وقيل : ترب الرجل الذي ولد معه . انظر :

لسان العرب (ترب) ١ / ٢٣١ ، وتاج العروس (ترب) ١ / ١٥٨ .

(٢) بنو مخزوم : بطن من لؤي بن غالب بن قريش . انظر : نهاية الأرب للقلقشندي ٣٧١ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) فلم يكن) بياض في (ع) .

(٥) في (أ) : (بنو أرب) .

(٦) (من قريش ولا أمتع) بياض في (ع) .

(٧) ورد البيت مختصراً غير منسوب في معالم التنزيل ٤ / ٥٣١ عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَأَمْنَهُمْ مِّنْ حَوْفٍ﴾ ، وزاد المسير ٨ / ٣١٥ عند تفسير قوله تعالى : ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ ، والتفسير الكبير ٣٢ / ١٠٦ ، ١٠٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٠٥ برواية : (الخالطون) (وحتى يصير) ، ولباب التأويل ٤ / ٤١١ ، والبحر المحيط ٨ / ٥١٥ ، وروح المعاني ٣ / ٢٤٠ ، والنكت والعيون ٦ / ٢٤٧ ، برواية : (الخالطون) .

(٨) ورد قوله في المراجع السابقة عدا النكت والعيون ، والبحر المحيط ، وروح المعاني .

٣. (قوله)^(١) : ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ . قال الكلبي : «يقول : فليوحدوا رب هذه الكعبة»^(٢) .

٤. ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّنْ جُوعٍ﴾ ؛ أي بعد جوع ، وهذا^(٣) كما تقول : كسوتك من عُزَي^(٤) ، وهذا الإطعام يفسر على ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الله - تعالى - آمنهم بالحرم ، وكونهم من أهله حتى لم يتعرض لهم في رحلتهم ، وكان ذلك سبب إطعامهم بعد ما كانوا فيه من الجوع . (كما ذكر عطاء عن ابن عباس^(٥) ، وهذا قول أكثر المفسرين^(٦))^(٧) .

وقال مقاتل : «شق عليهم الاختلاف إلى الناحيتين في الشتاء والصيف ، فقذف الله في قلوب الحبشة أن يحملوا الطعام في السفن إلى مكة ، فحملوه ، وجعل أهل مكة يخرجون إليهم بالإبل والحُمُر فيشترون طعامهم من جُدَّة^(٨) على مسيرة ليلتين ، وتتابع ذلك عليهم فكفاهم الله مؤنة الرحلتين»^(٩) .

(١) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٣) في (أ) : (وهاذا) .

(٤) في (ع) : (عرأ) . وعُزَي : يقال رجل عار إذا خلع ثوبه ، والمرأة عُريانة ، وفرس عُزَي ؛ ليس عليه سرج ، وعُزَي من ثيابه بالكسر ، وعُزَي بالضم فهو عار . انظر : تهذيب اللغة (عري) ٣/ ١٥٩ ، وختار الصحاح ٢٤٩ ، وانظر : النهاية ٣/ ٢٢٥ .

(٥) انظر : التفسير الكبير ٣٢/ ١٠٨ ، وزاد المسير ٨/ ٣١٥ .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) تفسير مقاتل ٢٥٣ ب .

(٨) جُدَّة : ساحل مكة ، سُمِّيت بذلك لأنها حاضرة البحر ، والجُدَّة من البحر والنهر ما ولي البر ، وأصل الجُدَّة الطريق الممتد ، وهي الآن ميناء في المملكة العربية السعودية تطل على البحر الأحمر ، وتعد المنفذ البحري لمكة ، يُنسب تأسيسها إلى الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه . انظر : معجم ما استعجم من البلاد والمواضع ١/ ٣٧١ ، والقاموس الإسلامي ١/ ٥٨٥ .

(٩) ورد في التفسير الكبير ٣٢/ ١٠٨ ، وورد بمعناه من غير نسبة في النكت والعيون ٦/ ٣٤٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٠٩ .

وقال الكلبي: «هذا الإطعام هو أنهم لما كذبوا محمداً ﷺ دعا عليهم، فقال: «اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف».

فاشتد عليهم القحط، وأصابهم الجهد، فقالوا: يا محمد، ادع الله لنا، فإننا مؤمنون، فدعا رسول الله ﷺ فأخصبت تَبَالَة^(١)، وجُرش، والجند^(٢) من بلاد اليمن، فحملوا الطعام إلى مكة، وأخصبت أهل مكة بعد القحط^(٣)، فذلك قوله تعالى: ﴿أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾.

وهو أنهم كانوا يسافرون آمنين لا يتعرض لهم أحد، ولا يغير أحد عليهم، لا في سفرهم^(٤)، ولا في حضرهم^(٥)، وكان غيرهم لا يأمن سفرهم، ولا في حضرهم.

وهذا معنى قوله: ﴿أَوَلَمْ تُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾ [القصص: ٥٧] الآية، أعلم الله - تعالى - أن من الدلالة على وحدانيته ما فعل بهؤلاء؛ أطعمهم وهم في بلدة لا زرع فيها ولا ضرع، وآمنهم وغيرهم خائفون، وأمرهم بعبادة الذي أنعم عليهم هذه النعمة. (هذا قول جماعة المفسرين^(٦))^(٧).

(١) كلمة (تباله) ساقطة من (أ)، وهي بلدة صغيرة من اليمن، أسلم أهلها من غير حرب، وكان فتحها سنة ١٠ هـ. انظر: معجم ما استعجم من البلاد والمواضع ٣٠١/١، ومعجم البلدان ٩/٢.

(٢) كلمة غير مقروءة في (أ).

(٣) ورد معنى قوله في التفسير الكبير ١٠٨/٣٢، وورد معناه أيضاً من دون نسبة في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢٠٩، وولباب التأويل ٤/٤١٢، وفتح القدير ٥/٤٩٨.

(٤) في (ع): (سفره).

(٥) في (ع): (حضره).

(٦) وهو معنى قول ابن زيد، وقتادة، ومجاهد. انظر: جامع البيان ٣٠/٣٠٨، ٣٠٩، وتفسير عبدالرزاق ٢/٣٩٨، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢٠٩، وبمعناه قال السمرقندي في بحر العلوم ٣/٥١٧، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/٣٦٦، والثعلبي في الكشف والبيان ١٣/١١٦١، وانظر أيضاً: المحرر الوجيز ٥/٥٢٦، وزاد المسير ٨/٣١٥.

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ).

وقال الضحاك^(١)، والربيع^(٢)، (وشريك^(٣))^(٤)، وسفيان^(٥) :
 «(وآمنهم من خوف) يعني من خوف الجذام^(٦)، (فلا يصيبهم بجلدهم
 الجذام)»^(٧).

* * *

-
- (١) جامع البيان ٣٠/٣٠٩، والنكت والعيون ٦/٣٤٩، والمحزر الوجيز ٥/٥٢٦، ومعالم التنزيل ٤/٥٣١، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢٠٩، وفتح القدير ٥/٤٩٨ .
- (٢) ورد في المراجع السابقة عدا النكت والعيون، والمحزر الوجيز .
- (٣) فتح القدير ٥/٤٩٨ .
- (٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (٥) يراد به سفيان الثوري، وقد ورد قوله في المصادر السابقة ما عدا المحزر الوجيز .
- (٦) الجذام : مرض يصيب الجلد والأعصاب، ويجعل الجلد متورماً، كثير العقيد، ويتغير لونه، وهو مرض معد، ويعدُّ العلاج المبكر للجذام مهماً جداً؛ لأنه يمنع التشوهات، والإعاقة الجسدية . وأصل الجذم القطع، سُمِّي بذلك لتجذم الأصابع وتقطعها . انظر : الموسوعة العربية العالمية ٨/٢٢٣، والصحاح (جذم) ٥/١٨٨٤، ولسان العرب (جذم) ١٢/٧٨ .
- (٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

تفسير

سورة أُرأيت^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿أُرْءَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّكْرِ﴾ . قال أبو إسحاق : «الاختيار (أُرأيت) بإثبات الهمزة الثانية ، لأن الهمزة إنما طرحت من المستقبل نحو : ترى ، وأرى ، ويرى . فأما (رأيت) فليس يصح عن العرب فيها (ريت) ، ولكن أُلِفَ الاستفهام لما^(٢) كانت في أول الكلام سَهَّلَتِ إلقاء الهمزة ، والاختيار إثباتها»^(٣) ، (وقد تقدّم بيان هذا في سورة الأنعام)^{(٤)(٥)} ، ومعنى ﴿أُرْءَيْتَ الَّذِي﴾ التنبيه على حال المخبر عنه بالكذب .

(١) تسمى سورة الماعون ، وسورة الدين كما في الإتيان ١ / ١٥٩ ، وفيها قولان : أحدهما أنها مكية ، قال به عطاء ، وجابر ، ونسبه ابن الجوزي إلى الجمهور . والثاني أنها مدنية في أحد قولي ابن عباس ، وقال به أيضاً قتادة . انظر : زاد المسير ٨ / ٣١٦ ، والنكت والعيون ٦ / ٣٥٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢١٠ .

(٢) في (أ) : (ما) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٣٦٧ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) عند قوله تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ غَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

[الأنعام : ٤٠] . وقد اختلف القراء في همزة (أُرأيت) وما كان من بابها ودخل عليها أُلِفَ الاستفهام ، =

قال (عطاء عن) ^(١) ابن عباس : «نزلت ^(٢) في رجل من المنافقين» ^(٣) .

وقال الكلبي : «نزلت في العاص بن وائل السهمي» ^(٤) .

(وقال السُّدِّي ^(٥) ، وابن حيان ^(٦) : «يعني الوليد بن المغيرة» ^(٧) .

ومعنى ﴿يُكَذِّبُ بِالذِّبْرِ﴾ .

قال ابن عباس : «بالحساب والجزاء» ^(٨) .

وقال أهل المعاني : «التكذيب بالجزاء أضر شيء على صاحبه ؛ لأنه يعدم به أكثر الدواعي إلى الخير ، والصوارف عن الشر ؛ لأنه لا يخاف عائد الضر ، ولا يرجو ^(٩) الجزاء على الخير» ^(١٠) .

مثل : (أرأيتم) ، و(أرايتكم) ، و(أرأيت) ، و(أفرايتم) ؛ فحذف الكسائي همزة الرؤية وقرأ (أرايتكم) كأنه حذفها للتخفيف كما قالوا : (ويلمه . . .) ، وقرأ نافع بتلين همزة الرؤية ، فجعلها بين الهمزة والألف على التخفيف القياسي ، والباقون قرؤوا بتحقيق الهمزة ؛ لأن الهمزة عين الفعل . ومذهب الكسائي حسن ، وهو كثير في الشعر ، وقد تكلمت العرب في مثله بحذف الهمزة .

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) في (أ) : (أنزلت) .

(٣) معالم التنزيل ٤ / ٥٣١ ، وزاد المسير ٨ / ٣١٦ ، والتفسير الكبير ٣٢ / ١١٢ ، ولباب التأويل ٤ / ٤١٢ .

(٤) أسباب النزول ، ٤٠٣ ، تحقيق أيمن صالح ، والكشف والبيان ١٣ / ١٦١ ب ، والنكت والعيون ٦ / ٣٥٠ ، وزاد المسير ٨ / ٣١٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢١٠ ، وفتح القدير ٥ / ٤٩٩ .

(٥) الكشف والبيان ١٣ / ١٦١ ب ، والنكت والعيون ٦ / ٣٥٠ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٥٣١ ، وزاد المسير ٨ / ٣١٧ ، والتفسير الكبير ٣٢ / ١١١ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢١٠ ، وفتح القدير ٥ / ٤٩٩ .

(٦) ورد في المراجع السابقة عدا زاد المسير ، والجامع لأحكام القرآن .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٨) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٩) في (أ) و(ع) : (يرجوا) .

(١٠) لم أعثر على مصدر لقولهم .

ثم أخبر عن المكذب بقوله :

٢. (قوله)^(١): ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ ؛ أي يدفعه عن حقه دفعاً بعنف وجفوة كقوله : ﴿يَدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ [الطور: ١٣]^(٢) .

قال المفسرون : «يظلمه ويدفعه عن حقه فلا يعطيه»^(٣) .

٣. قوله ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ ؛ أي لا يطعم المسكين ، ولا يأمر بإطعامه . قال الكلبي : «لا يحافظ»^(٤) على صدقة المسكين»^(٥) .

وقال مقاتل : «لا يحض نفسه على طعام المسكين ، يعني لا يطعم مسكيناً»^(٦) .

وقال أهل المعاني : «لا يحض عليه بخلاً به ، وتكديباً بجزائه ، ولذلك ذم به»^(٧) ، ولو كان لا يحض عليه عجزاً لم يذم به» .

(١) ما بين القوسين ساقط من نسخة (ع) .

(٢) انظر : تفسير غريب القرآن ٥٤٠ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٦٧ / ٥ .

(٣) أقوال المفسرين مختلفة الألفاظ متفقة المعنى ، وقد تناولت ما ذكره الواحدي ، ومن قال بمعناه قتادة ، وابن عباس ، وسفيان ، ومجاهد ، والضحاك . انظر : جامع البيان ٣٠ / ٣١١ ، والدر المنثور ٨ / ٦٤١ ، ٦٤٢ . ومن قال بمعنى ذلك أيضاً الفراء في معاني القرآن ٣ / ٢٩٤ ، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٣٦٧ ، والسمرقندي في بحر العلوم ٣ / ٥١٨ ، والثعلبي في الكشف والبيان ١٣ / ١٦١ ب . انظر أيضاً : معالم التنزيل ٤ / ٥٣٢ ، وزاد المسير ٨ / ٣١٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢١١ .

(٤) في (أ) : (يحافظ) بغير (لا) .

(٥) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٦) تفسير مقاتل ٢٥٤ أ .

(٧) انظر : النكت والعيون ٦ / ٣٥١ .

٤-٥. قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾. قال الكلبي^(١) (ومقاتل^(٢))^(٣): «يعني من المنافقين».

ثم نعتهم، فقال:

﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾. قال ابن عباس (في رواية عطاء)^(٤): «لو كانت: في صلاتهم ساهون، كانت في المؤمنين، ولكنها نزلت في المنافقين الذين لا يرجون لها ثواباً إن صلوا، ولا يخافون عليها عقاباً إن تركوا، فهم عنها ساهون إذ كانوا مع النبي ﷺ، وإذا لم يكونوا معه تركوا»^(٥).

وقال أكثر المفسرين: «معنى عنها ساهون؛ أي يغفلوا»^(٦) عنها حتى يذهب وقتها».

(١) لم أعثر على مصدر لقوله.

(٢) تفسير مقاتل ٢٥٤ أ.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٥) ورد قوله من طريق الضحاك عن ابن عباس في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢١١، ونسبه الشوكاني إلى الواحدي في فتح القدير ٥/٥٠٠، وورد غير منسوب في زاد المسير ٨/٣١٧.

(٦) في (أ): (يعلموا).

وهو قول [سعد] ^(١) بن أبي وقاص ^(٢)، (ومقاتل ^(٣)) ^(٤)، والحسن ^(٥)، قالوا: «السهو ^(٦) عنها تضييع وقتها حتى يفوت» ^(٧).

وقال قتادة: «هو الذي لا يبالي ^(٨) أصلى أم لم يُصَلِّ ^(٩)، ويدل على هذا أنه من صفة المنافقين».

٦. قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ﴾. قال ابن عباس: «يتركون الصلاة في السر، ويصلونها في العلانية» ^(١٠)، ونحو هذا قال الكلبي: «إن

(١) في (أ) و(ع): (سعيد)، والصواب ما أثبتناه.

(٢) ورد قوله موقوفاً عليه في التفسير الكبير ١١٤/٣٢، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢١١، والدر المنثور ٨/٨٤٢ منسوباً إلى الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في سننه موقوفاً، وفتح القدير ٥/٥٠١.

وورد هذا القول عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ في جامع البيان ٣٠/٣١٣، والكشف والبيان ١٣/١١٦٢، والنكت والعيون ٦/٣٥٢، ومعالم التنزيل ٤/٥٣٢، والدر المنثور ٨/٦٤٢، وفتح القدير ٥/٥٠١. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/١٤٣: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عكرمة بن إبراهيم، وهو ضعيف جداً، ولهذا الحديث طرق»، وقد ذكر ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٤/٥٩٤ «أن الموقوف أصح إسناداً من المرفوع، ثم قال: وقد ضَعَفَ البيهقي رفعه، وصَحَّحَ وقفه»، وكذلك الحاكم. انظر: فتح القدير ٥/٥٠١.

(٣) تفسير مقاتل ٢٥٤، والتفسير الكبير ٣٢/١١٤.

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٥) تفسير عبدالرزاق ٢/٤٠٠، والتفسير الكبير ٣٢/١١٤.

(٦) غير مقروءة في (أ).

(٧) وإلى هذا أيضاً ذهب مصعب بن سعد بن أبي وقاص، وابن عباس، وابن أبيزى، ومسروق، وأبو الضحى، ومسلم بن صبيح. انظر: جامع البيان ٣٠/٣١١، ٣١٢.

(٨) بياض في (ع).

(٩) تفسير عبدالرزاق ٢/٣٩٩، والمحزر الوجيز ٥/٥٢٧، والبحر المحيط ٨/٥١٧، والدر المنثور ٨/٦٤٣.

(١٠) ورد في جامع البيان ٣٠/٣١٣، والنكت والعيون ٦/٣٥٢، والكشف والبيان ١٣/١١٦٢، ومعالم التنزيل ٤/٥٣٢، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢١٢، ولباب التأويل ٤/٤١٢، وتفسير القرآن =

أبصرهم أحد صلوا^(١)؛ كقوله: ﴿يُرَآءُونَ النَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢]؛ أي لا يريدون الله بها^(٢).

ثم وصفهم بالبخل أيضاً، فقال:

٧. (قوله)^(٣): ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾. واختلفوا في تفسير الماعون، فقال ابن عباس في رواية عطاء: «يريد زكاة أموالهم»^(٤). وهو قول علي^(٥) رضي الله عنه، والزهري^(٦)، وابن عمر^(٧)، وابن الحنفية^(٨)،

= العظيم ٥٩٢/٤، والدر المنثور ٦٤٢/٨ منسوباً إلى ابن مردويه، ولباب النقول ٢٣٥ منسوباً إلى ابن المنذر، وفتح القدير ٥/٥٠٠، ٥٠١.

(١) (أحد صلوا) بياض في (ع).

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٤) ورد في التفسير الكبير ١١٥/٣٢، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢١٥ برواية: (الضحاك عن ابن عباس)، والبحر المحيط ٥١٨/٨، وتفسير القرآن العظيم ٥٩٤/٤ عن عطاء، والدر المنثور ٦٤٥/٨ منسوباً إلى البيهقي.

(٥) ورد في تفسير عبدالرزاق ٣٩٩/٢، وجامع البيان ٣٠/٣١٥، وبحر العلوم ٣/٥١٨، والكشف والبيان ١٣/١٦٢، والنكت والعيون ٦/٣٥٢، ومعالم التنزيل ٤/٥٣٢، والمحزر الوجيز ٥/٥٢٨، وزاد المسير ٨/٣١٨، والتفسير الكبير ٣٢/١١٥، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢١٣، ولباب التأويل ٤/٤١٣، والبحر المحيط ٨/٥١٨، وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٩٤، والدر المنثور ٨/٦٤٥ منسوباً إلى الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي شبة، والحاكم، والبيهقي في سننه.

(٦) تفسير القرآن العظيم ٤/٥٩٤.

(٧) ورد في تفسير عبدالرزاق ٣٩٩/٢، وجامع البيان ٣٠/٣١٥، والكشف والبيان ١٣/١٦٢، والنكت والعيون ٦/٣٥٢، ومعالم التنزيل ٤/٥٣٢، والمحزر الوجيز ٥/٥٢٨، وزاد المسير ٨/٣١٨، والتفسير الكبير ٣٢/١١٥، ولباب التأويل ٤/٤١٣، والبحر المحيط ٨/٥١٨، وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٩٤، والدر المنثور ٨/٦٤٥ منسوباً إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر.

(٨) جامع البيان ٣٠/٣١٦، والكشف والبيان ١٣/١٦٢، والتفسير الكبير ٣٢/١١٥، والبحر المحيط ٨/٥١٨، وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٩٤.

ومحمد بن كعب^(١)، والحسن^(٢)، والقرظي^(٣)، وقتادة^(٤)، ومقاتل^(٥)، والضحاك^(٦)^(٧).

قالوا: «الماعون: الزكاة^(٨) المفروضة، وكل حق في المال».

قال الزهري^(٩) (ومقاتل^(١٠)^(١١)): «والماعون: المال بلغة قريش».

-
- (١) لم أعثر على مصدر لقوله .
- (٢) جامع البيان ٣٠/٣١٦، والكشف والبيان ١٣/١٦٢ ب، والنكت والعيون ٦/٣٥٢، ومعالم التنزيل ٤/٥٣٢، وزاد المسير ٨/٣١٨، والتفسير الكبير ٣٢/١١٥، ولباب التأويل ٤/٤١٣، والبحر المحيط ٨/٥١٨، وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٩٤، وتفسير الحسن البصري ٢/٤٤١ .
- (٣) مكرر في (ع). هو محمد بن كعب، وسبق بيان أني لم أعثر عليه في ما لدي من مصادر .
- (٤) جامع البيان ٣٠/٣١٦، والكشف والبيان ١٣/١٦٢ ب، والنكت والعيون ٦/٣٥٢، ومعالم التنزيل ٤/٥٣٢، وزاد المسير ٨/٣١٨، والتفسير الكبير ٣٢/١١٥، ولباب التأويل ٤/٤١٣، وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٩٤ .
- (٥) تفسير مقاتل ٢٥٤أ، وبحر العلوم ٣/٥١٨ .
- (٦) ورد في جامع البيان ٣٠/٣١٦، والكشف ١٣/١٦٢ ب، ومعالم التنزيل ٤/٥٣٢، والتفسير الكبير ٣٢/١١٥، ولباب التأويل ٤/٤١٣، والبحر المحيط ٨/٥١٨، وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٩٤، والدر المنثور ٨/٦٤٥ منسوباً إلى ابن أبي شيبه .
- (٧) ورد في (أ) بلفظ: (وجماعة) بدلاً مما بين القوسين .
- (٨) في (أ) و(ع): (الزكاة) .
- (٩) جامع البيان ٣٠/٣١٩، والكشف والبيان ١٣/١٦٢ ب، والنكت والعيون ٦/٣٥٣، وزاد المسير ٨/٣١٨، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢١٤، والبحر المحيط ٨/٥١٨، وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٩٤ .
- (١٠) ورد في الكشف والبيان ١٣/١٦٢ ب، وورد أيضاً في الحاشية ٦ من كتاب زاد المسير ٨/٣١٨، وقد ورد في تفسير مقاتل ١٥٤أ: (الماء) وليس (المال) .
- (١١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

وذهب أكثر المفسرين إلى أن الماعون اسم لما يتعاضده الناس من الدلو والفأس والقدر ، وما لا يمنع كالماء والملح وأشباه ذلك ، وهو قول عبدالله بن عباس (في رواية سعيد بن جبير^(١) ، ومجاهد^(٢) عنه وقول إبراهيم^(٣) ، وعكرمة^(٤))^(٥) .

قالوا^(٦) : «هي العارية وما يتعاطاه الناس من المتاع . (وسئل عكرمة فقيل :)^(٧) مَنْ منع شيئاً من المتاع كان له الويل ؟ قال : لا ، ولكن مع جمع ثلاثهن فله الويل ، يعني : ترك الصلاة ، والرياء ، والبخل بالماعون»^(٨) .

(هذا قول المفسرين في تفسير الماعون^(٩))^(١٠) .

(١) ورد في جامع البيان ٣٠/٣١٨ ، والكشف والبيان ١٣/١٦٢ ب ، والنكت والعيون ٦/٣٥٣ ، ومعالم التنزيل ٤/٥٣٢ ، والمحزر الوجيز ٥/٥٢٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٣١٤ ، وللباب التأويل ٤/٤١٣ ، والبحر المحيط ٨/٥١٨ ، والدر المنثور ٨/٦٤٤ منسوباً إلى آدم ، وسعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، والطبراني ٩/٢٣٥ ح ٩٠١١-٩٠١٣-٩٠١٤ ، والحاكم ، وصححه البيهقي ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/١٤٣ : «رواه الطبراني ، رجاله رجال الصحيح» . وورد أيضاً عن طريق وائل عن عبدالله بن عباس مثل هذه الرواية في كشف الأستار عن زوائد البزار ٣/٨٢ ، ٨٣ ح ٢٢٩٢ .

(٢) ورد في المراجع السابقة عدا معالم التنزيل .

(٣) جامع البيان ٣٠/٣١٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٩٤ .

(٤) ورد في بحر العلوم ٣/٥١٨ ، ومعالم التنزيل ٤/٥٣٢ ، وللباب التأويل ٤/٤٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٩٤ ، والدر المنثور ٨/٦٤٥ منسوباً إلى ابن أبي حاتم .

(٥) ورد في (أ) بلفظ : (وغيره) بدلاً مما بين القوسين .

(٦) في (أ) : (قال) .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٨) ورد معنى قوله في بحر العلوم ٣/٥١٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢١٥ ، والدر المنثور ٨/٦٤٥ منسوباً إلى الفريابي ، وابن المنذر ، والبيهقي .

(٩) ومن قال بذلك أيضاً الحسن ، وقتادة ، وابن الحنفية ، وابن زيد ، والضحاك ، وابن المسيب ، وابن مسعود . انظر : جامع البيان ٣٠/٣٠٦-٣٠٨ ، والمحزر الوجيز ٥/٥٢٨ ، والبحر المحيط ٨/٥١٨ ، ونسبه الفخر في التفسير الكبير ٣٢/١١٥ إلى أكثر المفسرين .

(١٠) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

وأَمَّا أَهْلُ اللِّغَةِ فَقَالَ أَبُو عِيْدَةَ^(١) ، وَالْأَخْفَشُ^(٢) ، (وَالزَّجَّاجُ^(٣))^(٤) :
«الماعون في الجاهلية كل ما كان فيه منفعة ، وكل ما انتفع به من قليل أو كثير
كالعطية والعارية» ، قال الأعشى :

بِأَجْوَدَ^(٥) مِنْهُ بِمَاعُونِهِ إِذَا مَا سَاءَ هُمْ لَمْ تَغِمَّ^(٦)^(٧)
(وقال هميان :

لا يجرُّ الماعون منه الخابطا^(٨))^(٩)

والماعون في الإسلام الزكاة والطاعة .

قال الراعي^(١٠) :

قَوْمٌ عَلَى الْإِسْلَامِ لَمَّا يَمْنَعُوا مَاعُونَهُمْ وَيُضَيِّعُوا تَهْلِيلًا^(١١)

(١) مجاز القرآن ٢ / ٣١٣ .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٣٦٨ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) في (أ) : (باجود) .

(٦) في (ع) : (يقسم) .

(٧) ورد بيت الشعر في ديوانه ١٩٩ ، طبعة دار صادر برواية : (بإعنده) ، وانظر : جامع البيان ٣٠ / ٣١٤ ،
والكشف والبيان ١٣ / ١٦٢ ب ، والنكت والعيون ٦ / ٣٥٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢١٤ ،
وفتح القدير ٥ / ٥٠٠ ، ولسان العرب (معن) ١٣ / ٤١٠ برواية : (سأؤهم) ، وتاج العروس (معن)
٩ / ٣٤٧ .

(٨) ورد البيت في الكشف والبيان ١٣ / ١٦٢ ب .

(٩) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(١٠) عبيد بن حصين .

(١١) ورد البيت في تهذيب اللغة ٣ / ١٧ ، وفيه (ويبدلوا تبديلا) بدلا من (ويضيعوا تهليلا) ، ولسان
العرب ١٣ / ٤١٠ ، وفيه (على التنزيل) بدلا من (على الإسلام) و(يبدلوا التنزيلا) بدلا من =

ويقال : رَضَّ بعيرك حتى يعطيك الماعون ، أي ينقاد لك ، ويعطيك الطاعة^(١) .

(وهذا قول عطية عن ابن عباس قال في الماعون : «هو الطاعة»^(٢))^(٣)

قال الفرّاء : «وسمعت بعض العرب يقول : الماعون هو الماء بعينه ، وأنشدني :

يَمُحُّ صَبِيرَةُ الْمَاعُونِ صَبًّا^(٤)^(٥)

(يضعوا التهليلا) ، وجامع البيان ٣٠ / ٣١٤ برواية : (التنزيلا) ، والكشف والبيان ١٣ / ١٦٣ أ
برواية : (التهليلا) ، والنكت والعيون ٦ / ٣٥٣ برواية : (التهليلا) ، وكذا في الجامع لأحكام القرآن
٢٠ / ٢١٤ ، والبحر المحيط ٨ / ٥١٨ ، وروح المعاني ٣٠ / ٢٤٢ .
(١) انظر فيه : المخصص لابن سيده ٩ / ١٤٨ ، ولسان العرب (معن) ١٣ / ٤٠٩ ، والكشف والبيان
١٣ / ١٦٣ أ .

(٢) ورد في النكت والعيون ٦ / ٣٥٣ من غير ذكر طريق عطية ، وزاد المسير ٨ / ٣١٨ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) عجزه :

إِذَا نَسَمُ مِنَ الْهَيْفِ اغْتَرَاهُ

ورد البيت غير منسوب في تهذيب اللغة (معن) ٣ / ١٧ ، ولسان العرب ١٣ / ٤١٠ ، وتاج العروس
(معن) ٩ / ٣٤٧ ، وجامع البيان ٣٠ / ٣١٤ ، والكشف والبيان ١٣ / ١٦٢ ب ، والجامع لأحكام
القرآن ٢٠ / ٢١٤ ، وشرح أبيات معاني القرآن ٢٣ ش ٢١ . والشاهد : الماعون هو الماء . الصبير :
السحاب .

(٥) ورد في معاني القرآن ٣ / ٢٩٥ بنصه .

وقال أبو العباس : «(الماعون)^(١) كل ما يستعار من قدوم^(٢) ، (وشفرة^(٣)) ، وشفرة^(٤)»^(٥)^(٦) .

فإن قيل على هذا : كيف حصَّ المنافقين ، وهم شر الخليقة ، بمنع الماعون ، وهو من المحقرات ، وفيهم من الكبائر^(٧) ما هو أكبر من كل كبيرة ؟ قيل : هذا^(٨) تنبيه على بخلهم ، (وسوء خلتهم)^(٩) ، وموضع عداوتهم ، وإشارة إلى غاية بغضهم للإسلام وأهله ، وذلك أنهم إذا منعوا ما لا يرزأ^(١٠)^(١١) مالا ولا يغير حالاً فهم للكثير أمتع ، وإذا لم يصلوا من مضرة المسلمين إلّا^(١٢) إلى منع^(١٣) الحقير فهم^(١٤) بغير ذلك أدعى ، وإليه أسرع .

-
- (١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
 (٢) قدوم : أي الفأس برأسين . انظر : مجالس ثعلب لأحمد بن يحيى بن ثعلب ٢ / ٤٢٩ .
 (٣) شفرة : السكنى العظيم . انظر : مختار الصحاح (شفر) ٣٤١ .
 (٤) سُفرة : السفرة طعام يصنع للمسافر ، والجمع سفر ، وسُميت الجلدة التي يوعى فيها الطعام سفرة مجازاً . انظر : المصباح المنير (سفر) ١ / ٣٢٩ ، ٣٣٠ .
 (٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
 (٦) ورد قوله في تهذيب اللغة (معن) ١٣ / ١٧ ، وانظر : لسان العرب ١٣ / ٤١٠ .
 (٧) غير مقروءة في (ع) .
 (٨) في (أ) : (هلا) .
 (٩) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
 (١٠) غير مقروءة في (ع) .
 (١١) قال الليث : «يقال : ما رزأ فلان فلاناً شيئاً ؛ أي ما أصاب من ماله شيئاً ولا انتقص منه» . انظر : تهذيب اللغة (رزأ) ١٣ / ٢٤٨ .
 (١٢) في (أ) : (إلى) .
 (١٣) في (أ) : (منعهم) .
 (١٤) في (أ) : (فلم) .

وقال ^(١) أبو إسحاق (وغيره ^(٢)) ^(٣): «الماعون فاعول من المعن ، وهو الشيء القليل» ^(٤).

ومن هذا قالوا : «ماله سَعْنَةٌ ^(٥) ولا مَعْنَةٌ ^(٦)» ^(٧) ، ومنه قول التَّمْرِ (بن التَّوَلَب) ^(٨) :

فإنَّ ضياعَ مالكَ غيرُ مَعْنٍ ^(٩)

- (١) في (ع) : (قال) .
 (٢) منهم : ابن سيده في المخصص ١٤٨ / ٩ ، ٨٩ / ١٣ .
 (٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
 (٤) لم أَعثر على قوله في المعاني ، وإنما وجدته في تهذيب اللغة (معن) ١٧ / ٣ ، وانظر : تاج العروس (معن) ٣٤٧ / ٩ .
 (٥) في (ع) : (سعته) .
 (٦) في (أ) : (منعه) .
 (٧) سَعْنَةٌ ولا مَعْنَةٌ ؛ أي لا قليل ولا كثير . انظر : إصلاح المنطق ٣٨٤ ، وانظر : تهذيب اللغة (معن) ١٧ / ٣ ، ولسان العرب ١١١ / ١٣ ، وتاج العروس ٣٤٧ / ٩ . وأصل معنى سَعْنَةٌ ومَعْنَةٌ ، قالوا : «السَعْنَةُ من المَعَزَى : صغار الأجسام في خلقها ، والمعنة : الشيء الهين» . وقالوا أيضاً : «السَعْنَةُ : الكثرة من الطعام وغيره ، والمعنة : القلة من الطعام وغيره» . وأيضاً : «السَعْنَةُ : القربة الصغيرة يُنبذ فيها ، والسُّعْنَةُ : المظلة» . انظر : تهذيب اللغة (سعن) ١٠٤ / ٢ .
 (٨) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
 (٩) البيت كاملاً :

ولا ضَيَّعْتُهُ فإلأَمْ فيهِ
 ورد البيت في ديوانه ١١٨ تأليف نوري القيسي ، وتهذيب اللغة (معن) ١٦ / ٣ ، ١٨ ، ولسان العرب ٤٠٩ / ١٣ ، وتاج العروس ٣٤٧ / ٩ ، والمخصص ١٤٨ / ٩ : نعوت الماء من قبل جريه وسيلانه .
 ومعناه مرتبط بالبيت السابق له ، وهو :

يلوُمُ أخِي على إهلاكِ مالي
 وما إنْ غَالَهُ ظَهري وبطني
 يقول : لم يهلك مالي بطني ، يريد الأكل والشرب ، وظهري يريد لم أفنه في اللباس ، وقيل : الجعاع ، يعني أنه لم يذهب ماله في الملاذ ، ولا ضيعته ؛ أي لم أكن سيئ التدبير فيهلك لسوء التدبير ، وإنما صرف إلى الحقوق التي يلزمنا إنفاق المال بها . وغير معن : غير يسير ولا هين .

أي غير حقير ولا يسير .

وُسُمِّيتِ الزكاة ماعوناً ؛ لأنه يؤخذ من المال ربع عشره فهو قليل من كثير^(١) ،
(والله أعلم بالصواب)^(٢) .

* * *

(١) لم أعثر على قوله ، وإنما وجدته في تهذيب اللغة (معن) ١٧ / ٣ ، وانظر : لسان العرب (معن) ٤١٠ / ١٣ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

تفسير

سورة الكوثر^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (الكوثر عند أهل اللغة : فوعل من الكثرة ، ومعناه : العدد الكثير ، والخير الكثير ، ويقال للرجل الكثير العطاء : كوثر . قال الكميت :

وَأَنْتَ كَثِيرٌ يَا بْنَ مَرْوَانَ طَيِّبٌ^(٢)

وَكَانَ أَبُوكَ ابْنَ الْعَقَائِلِ (كوثر^(٣))^(٤)

(١) فيها قولان : أحدهما أنها مكية ، قاله ابن عباس ، والكلبي ، ومقاتل ، والجمهور . والثاني أنها مدنية ، قاله الحسن ، وعكرمة ، وقتادة ، ومجاهد . انظر : زاد المسير ٢١٩ / ٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢١٦ ، وفتح القدير ٥ / ٥٠٢ .

(٢) (أ) : (يا ابن) .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) ورد البيت في ديوانه ٢٠٩ / ١ ، رقم ٢٨١ ، تحقيق داود سلوم ، وفيه (بابن) بدلاً من (يا ابن) ، وتهذيب اللغة (كثر) ١٠ / ١٧٨ ، ولسان العرب ٥ / ١٣٣ ، وتاج العروس ٣ / ٥١٧ ، والتفسير الكبير ٣٢ / ١٢٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢١٦ ، والبحر المحیط ٨ / ٥٢٠ ، وروح المعاني ٣٠ / ٢٤٥ ، وسيرة ابن هشام ١ / ٤٢٢ ، والمنصف لابن جني ٣ / ٦ .

وقالت عجوز من العرب : «قدم فلان بكوثر كثير» . ويقال للغبار إذا سطع وكثر : كوثرٌ ، ومثله يقال للكثير النوافل : نوفل^(١) ^(٢) هذا معنى الكوثر في اللغة .

واختلف (المفسرون)^(٣) في تفسيره ، فالذي عليه الأكثر أن نهر في الجنة يجري على الدَّر^(٤) ، والياقوت ، طيبة مسك أذفر^(٥) ، [حافته] ^(٦) قباب^(٧) الدَّر^(٧) المجوَّف ، ماؤها أشد بياضاً من الثلج ، وأحلى من العسل ، وهو قول أنس^(٨) ، وعائشة^(٩) ، وابن عمر^(١٠) ، ورووا ذلك عن رسول الله ﷺ أنه قال : «هو نهر في الجنة وعدنيه ربي ، عليه خير كثير ، لذلك النهر حوض يرد عليه أمتي يوم القيامة آتيته عدد النجوم»^(١١) .

- (١) غير واضحة في (ع) .
- (٢) ما بين القوسين منقول بتصرف عن تهذيب اللغة (كثر) ١٧٨-١٧٦/١٠ .
- (٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (٤) الدَّر : مفردة الدَّرَّة ، وهي اللؤلؤة . انظر : مختار الصحاح ٢٠٢ .
- (٥) أذفر : الدَّفَرُ (بالتحريك) والدَّفَرَةُ جميعاً : شدة ذكاء الريح من طيب أو نتن ، ويفرق بينهما ما يضاف إليه ويوصف به ، ومنه صفة الجنة وتراها مسك أذفر . انظر : لسان العرب (ذفر) ٣٠٦/٤ .
- (٦) في (أ) و(ع) : (حافته) ، والصواب ما أثبتناه .
- (٧) قباب : جمع ، ومفردة قُبَّة ، قال ابن فارس : «القاف والباء أصل صحيح يدل على جمع وتجمع . من ذلك القبة ، وهي معروفة ، وسميت لتجمعها» . انظر : مقاييس اللغة (قب) ٥/٥ .
- (٨) جامع البيان ٣٠/٣٢٠ ، والكشف والبيان ١٣/١٦٤ ، والمحزر الوجيز ٥/٥٢٩ ، والتفسير الكبير ٣٢/١٢٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٩٧ .
- (٩) جامع البيان ٣٠/٣٢١ .
- (١٠) ورد موقوفاً في الزهد والرقائق لابن المبارك ٥٦٢ ح ١٦١٣ ، والمحزر الوجيز ٥/٢٩٥ ، والتفسير الكبير ٣٢/١٢٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٩٧ ، وورد عنه مرفوعاً في جامع البيان ٣٠/٣٢٤ ، وبحر العلوم ٣/٥١٩ ، ومعالم التنزيل ٤/٥٣٣ ، وورد عن حذيفة بمعناه . قال الألباني : «إسناده حسن» . انظر : ظلال الجنة في تخريج السنة ٢/٣٣٦ ح ٧٢٤ ، ٧٢٥ .
- (١١) الحديث أخرجه مسلم من طريق أنس في صحيحه في كتاب الصلاة ، باب (١٤) ٣٠٠/١ ح ٥٣ ، ٥٤ ، ونص الحديث كما عنده عن أنس ، قال : بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءً ، ثم رفع رأسه مبتسماً ، فقلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : «أنزلت علي أنفاً سورة» فقرأ : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝﴾ ، ثم قال : =

قالت عائشة رضي الله عنها : (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْمَعَ خَرِيرَهُ^(١) فليجعل أصبعيه في أذنيه^(٢) . (وبه قال من المفسرين : مقاتل^(٣) ، وهو قول ابن عباس في رواية عطاء^(٤))^(٥) .

«أتدرون ما الكوثر ؟» فقلت : الله ورسوله أعلم ، قال : «فإنه نهر وعدنيه ربي - عز وجل - عليه خير كثير ، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة ، آتيته عدد النجوم ، فيخلج العبد منهم فأقول : رب ، إنسه من أمتي ، فيقول : ما تدري ما أحدث بعدك» . ويوجد حديث آخر ورد عن أنس بن مالك ، يقول : «أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة . . .» بنحو حديث ابن مسهر ، غير أنه قال : «نهر وعدنيه ربي - عز وجل - في الجنة عليه حوض» ، ولم يذكر «آتيته عدد النجوم» . وقد أخرج الحديث أيضاً الإمام أحمد في المسند ١٠٢/٣ من طريق أنس ، وأبو داود في السنن في كتاب الصلاة ، باب مَنْ لم يرَ الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم ٢٠١/١ من طريق أنس بنحو الرواية الثانية ، وكتاب السنة ٥٨٨/٢ بنحو من الرواية الأولى لأنس ، والنسائي في السنن في كتاب الإنتاج ، باب (٢١) ٢/٢٤٧١ ح ٩٠٣ بنحو من طريق أنس بن مالك . وأمّا الحديث الذي رواه ابن عمر فهو : قال رسول الله ﷺ : «الكوثر نهر في الجنة حافته من ذهب ، ومجراه على الدرّ والياقوت ؛ تربته أطيب من المسك ، وماؤه أحلى من العسل ، أبيض من الثلج» . أخرجه الإمام أحمد في المسند ١١٢/٢ ، والترمذي في سننه ٥/٤٥٠ ح ٣٣٦١ ، وقال أبو عيسى : «هذا حديث حسن صحيح» ، وقال الأرناؤوط في تخريج جامع الأصول ٢/٤٣٩ ح ٨٨٩ : «وإسناده صحيح» .

(١) أذفر : خريير الماء ؛ أي صوته ، أراد مثل صوت خريير الكوثر . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر (خر) ٢/٢١ .

(٢) ورد الأثر في جامع البيان ٢٠/٣٠ من طريق أبي نجيع عن مجاهد ، عن رجل ، عن عائشة ، وبإسناد آخر عن ابن أبي نجيع عن عائشة ، والكشف والبيان ١٣/١٦٤ ب . قال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٤/٥٩٦ : «وهذا منقطع بين ابن أبي نجيع وعائشة ، وفي بعض الروايات عن رجل عنها ، ومعنى هذا أنه يسمع نظير ذلك ؛ لا أنه يسمعه بنفسه ، والله أعلم» . وورد أيضاً عن السيوطي في الدر المنثور ٨/٦٤٨-٦٥٠ منسوباً إلى ابن مردويه من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد ، ونسبه إلى هناد ، وكذلك ورد في النهاية ٢/٢١ ، ولكن عن ابن عباس .

(٣) بحر العلوم ٣/٥١٩ .

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (خر) ٢/٢١ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(وقال فطر بن خليفة^(١) : سألت عطاء عن (الكوثر) ونحن نطوف بالبيت فقال : حوض أعطي رسول الله ﷺ يكثر الناس عليه يوم القيامة)^(٢) .

قال أهل المعاني : «يجوز أن يكون سُمِّي ذلك النهر أو ذلك الحوض لكثرة الواردة والشاربة من أمته هناك . ويجوز أن يكون سُمِّي^(٣) بذلك لما فيه الخير الكثير»^(٤) . فقد قال رسول الله ﷺ : خير كثير^(٥) . وإلى هذا ذهب ابن عباس في تفسيره الكوثر ، فقال : «هو الخير الكثير (الذي)^(٦) أعطى الله نبيه ﷺ»^(٧) ، وروى (ذلك أبو بشر)^(٨) عن (سعيد)^(٩) بن (جبير عنه ، قال أبو)^(١٠) بشر :

(١) فطر بن خليفة القرشي المخزومي أبو بكر الكوفي الحنات ، مولى عمرو بن حريث ، روى عن عكرمة مولى ابن عباس ، وروى له الجماعة سوى مسلم ، صدوق ، رُمي بالشيعة ، توفي سنة ١٥٦ هـ . انظر : الكاشف ٢٠/٣٣٢ ت ٤٥٦٤ ، وتهذيب الكمال ٢٣/٣١٢ ت ٤٧٧٣ ، وتقريب التهذيب ٢/١١٤ ، ت : ٧٧ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) ورد في (أ) : «ذلك النهر أو ذلك الحوض» ، وهو كلام مكرر سبق ذكره في موضعه الصحيح .

(٤) لم أعثر على مصدر لقوله ، وقد ورد نحوه غير منسوب في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢١٧ .

(٥) سبق تخريجه .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) ورد في جامع البيان ٣٠/٣٢١ ، والنكت والعيون ٦/٣٥٥ ، ومعالم التنزيل ٤/٥٣٣ ، وزاد المسير ٨/٣٢٠ ، والبحر المحيط ٨/٥١٩ ، والدر المنثور ٨/٦٤٨ منسوباً إلى ابن مردويه ، والمستدرک في كتاب التفسير (سورة الكوثر) ٢/٥٣٧ ، وانظر : صحيح البخاري ٣/٣٣١ ح ٤٩٦٦ ، وفتح القدير ٥/٥٠٤ ، ومجموع الفتاوى ١٦/٥٢٩ . وقد عقب الشوكاني في فتح القدير ٥/٥٠٤ على ما ذكره ابن عباس ، قائلاً : «وهذا التفسير من حبر الأمة عن ابن عباس - رضي الله عنه - ناظر إلى المعنى اللغوي ، ولكن رسول الله ﷺ قد فسّرَه في ما صح عنه أنه النهر الذي في الجنة» .

(٨) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٩) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(١٠) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

«قلت لسعيد : فإن ناساً يزعمون أنه نهر في الجنة ، فقال سعيد : النهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه»^(١) .

ونحو هذا قال الكلبي : «إنا أعطيناك الخير الكثير ، منه القرآن ، وهو أفضله»^(٢) .

(وهذا قول الحسن في تفسير الكوثر أنه القرآن العظيم)^(٣) (٤) .

وقال عكرمة : «هو النبوة والكتاب»^(٥) .

وقال أبو بكر بن عياش^(٦) : «هو العدد الكثير من الأصحاب والأشياء»^(٧) .

(١) جامع البيان ٣٠/٣٢١، ٣٢٢، ومعالم التنزيل ٤/٥٣٣، والمحزر الوجيز ٥/٥٢٩، والبحر المحيط ٨/٥١٩، والدر المنثور ٨/٦٤٩، والمستدرک في کتاب التفسير (سورة الكوثر) ٢/٥٣٧، وصحيح البخاري في کتاب التفسير، باب (١٠٨) ٣/٣٣١ ح ٤٩٦٦، وفتح القدير ٥/٥٠٤، وتفسير سعيد بن جبير ٣٨٢، والزهد والرفائق لابن المبارك ٥٦٢ ح ١٦١٤ .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٣) ورد في النكت والعيون ٦/٣٥٤، والمحزر الوجيز ٥/٥٢٩، وزاد المسير ٨/٣٢٠، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢١٧، والبحر المحيط ٨/٥١٩، والدر المنثور ٨/٦٥٠ منسوباً إلى ابن أبي حاتم، وتفسير الحسن البصري ٢/٤٤١ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) ورد في جامع البيان ٣٠/٣٢٢، والنكت والعيون ٦/٣٥٤، والكشف والبيان ١٣/١٦٥ ب، ومعالم التنزيل ٤/٥٣٣، وزاد المسير ٨/٣٢٠، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢١٧، والبحر المحيط ٨/٥١٩، والدر المنثور ٨/٦٥٠ منسوباً إلى هناد، وابن أبي حاتم، وابن عساكر .

(٦) أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي الحنات المَقْرئ، روى عن الأجلح الكندي، وعن ابنه إبراهيم، وُلد سنة ٩٥هـ، ثقة عابد، بيد أنه لما كبر سئء حفظه، وكتابه صحيح، قاله ابن حجر، توفي سنة ١٩٣هـ. انظر: كتاب الثقات ٧/٦٨٨، وتهذيب الكمال ٣٣/١٢٩ ت ٧٢٥٢، وتهذيب التهذيب ٢/٣٩٩ ت ٦٥ .

(٧) الكشف والبيان ١٣/١٦٥ ب، ١١٦٦ أ، والنكت والعيون ٦/٣٥٥، وزاد المسير ٨/٣٢٠، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢١٧، والبحر المحيط ٨/٥١٩ .

وقول ابن عباس شامل لهذا كله ؛ لأنه جميع هذا من الخير الكثير .

قال أبو إسحاق : «وجميع ما جاء في تفسير الكوثر قد أعطيه النبي ﷺ ، أعطى النبوة ، والإسلام ، وإظهار الدين على كل الأديان ، والنصر على عدوه ، والشفاعة ، وما لا يحصى ، وقد أعطي من الجنة على قدر فضله على أهل الجنة»^(١) .

٢ . قوله : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ ؛ يعني الصلوات الخمس في قول مقاتل^(٢) ، وابن عباس^(٣) (في رواية عطاء)^(٤) .

وقال مجاهد^(٥) ، (والثوري^(٦))^(٧) ، وعطاء^(٨) : «صَلِّ الصبح ، (وانحر) البُذْن بمنى» ، وهو قول سعيد بن جبير^(٩) .

(١) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٣٦٩/٥ بنصه .

(٢) زاد المسير ٣٢٠/٨ .

(٣) ورد في جامع البيان ٢٦/٣٠ من طريق العوفي عن ابن عباس ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢١٨ من طريق الضحاك عن ابن عباس ، والدر المنثور ٨/٦١٥ منسوباً إلى ابن المنذر .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) ورد في الكشف والبيان ١٣/١٦٦ أ ، وزاد المسير ٨/٣٢٠ ، والدر المنثور ٨/٦٥١ منسوباً إلى عبدالرزاق لم أجده عنده ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وورد عنه فقط تفسير معنى «النحر» في جامع البيان ٣٠/٣٢٧ ، والنكت والعيون ٦/٣٥٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٩٧ .

(٦) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٨) ورد في تفسير عبدالرزاق ٢/٤٠١ ، ٤٠٢ ، وجامع البيان ٣٠/٣٢٦ ، والنكت والعيون ٦/٣٥٥ ، ومعالم التنزيل ٤/٥٣٥ ، والدر المنثور ٨/٦٥١ منسوباً إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وورد عنه فقط تفسير معنى (النحر) في زاد المسير ٨/٣٢٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٩٧ .

(٩) جامع البيان ٣٠/٣٢٦ ، والكشف والبيان ١٣/١٦٦ أ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢١٨ ، والتفسير الكبير ٣٢/١٣٠ ، وفتح القدير ٥/٥٠٤ ، وورد عنه فقط تفسير معنى (النحر) في النكت والعيون ٦/٣٥٥ .

قال (عكرمة^(١))^(٢) وقاتدة^(٣) : «يعني صلاة العيد يوم النحر ، ثم النسك بعده ، وهو نحر البُذْن» . وأكثر المفسرين على أن هذا لغير الله ، فأمر الله نبيه ﷺ^(٤) أن تكون صلاته ونحره له^(٥) .

وروى عن علي - رضي الله عنه - أنه فسّر هذا النحر بوضع^(٦) اليدين على النحر في الصلاة^(٧) .

(وهو)^(٨) (قول ابن عباس في رواية أبي الجوزاء^(٩))^(١٠) .

(١) جامع البيان ٣٠/٣٢٦ ، والكشف والبيان ١٣/١٦٦ أ ، ومعالم التنزيل ٤/٥٣٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢١٨ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) ورد في المراجع السابقة ، بالإضافة إلى المحرر الوجيز ٥/٥٢٩ بمعناه ، وزاد المسير ٨/٣٢٠ ، والبحر المحيط ٨/٥٢٠ ، والدر المنثور ٨/٦٥١ .

(٤) ساقط من (أ) .

(٥) ومن قال بمعنى ذلك محمد بن كعب ، وابن عباس ، وعطاء الخراساني ، ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقاتدة ، والضحاك ، والربيع . انظر : جامع البيان ٣٠/٣٢٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٩٧ . وهذا القول رجّحه الطبري في تفسيره .

(٦) في (أ) : (موضع) .

(٧) ورد في جامع البيان ٣٠/٣٥٢-٣٥٦ ، والكشف والبيان ١٣/١٦٦ أ-ب ، والنكت والعيون ٦/٣٥٥ ، والمحرر الوجيز ٥/٥٣٠ ، وزاد المسير ٨/٣٢٠ ، والتفسير الكبير ٣٢/١٢٩ ، وتفسير القرطبي ٢٠/٢١٩ ، والبحر المحيط ٨/٥٢٠ ، وتفسير ابن كثير ٤/٥٩٧ ، وقال : «وهذا لا يصح» ، وفتح القدير ٥/٥٠٤ ، والدر المنثور ٨/٥٦٠ منسوباً إلى ابن أبي شيبة في المصنف ، والبخاري في تاريخه ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والدارقطني في الأفراد ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقي في سننه ، وانظر : المستدرک في کتاب التفسير (سورة الكوثر) ٢/٥٣٧ .

(٨) غير مقروءة في (ع) ، وساقطة من (أ) ، وأثبت ما رأيت فيه انتظام الكلام .

(٩) ورد في الكشف والبيان ١٣/١٦٦ ب ، والنكت والعيون ٦/٣٥٥ ، ومعالم التنزيل ٤/٥٣٤ ، وزاد المسير ٨/٣٢٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢١٩ ، ولباب التأويل ٤/٤١٦ ، والدر المنثور ٨/٦٥٠ ، ٦٥١ منسوباً إلى ابن أبي حاتم ، وابن شاهين في السنّة ، وابن مردويه ، والبيهقي .

(١٠) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

وروى (الأصْبَغُ بْنُ بُنَاتَةَ^(١))^(٢) عن علي - رحمه الله - قال : «لما نزلت هذه السورة ، قال النبي ﷺ لجبريل^(٣) : «ما هذه النحيرة التي أمرني بها ربي ؟» ، قال : ليست بنحيرة ، ولكنه يأمرك إذا تحزّمت للصلاة أن ترفع يديك إذا كَبَّرْتَ ، وإذا ركعت ، وإذا رفعت رأسك من الركوع ، وإذا سجدت ، فإن صلاتنا وصلاة الملائكة الذين في السماوات السبع ، وأن لكل شيء زينة ، وزينة الصلاة رفع الأيدي عند كل تكبيرة»^(٤) .

وذكر الكلبي^(٥) ، والفرّاء^(٦) أن قوله : (وانحر) (أمر)^(٧) باستقبال القبلة بنحره .

وذكر عن عطاء أن هذا أمر بالاستواء بين السجدين حتى يستقبل بنحره القبلة^(٨) .

(١) أصبغ بن نباتة التميمي ، ثم الحنظلي ، ثم الدارمي ، ثم المجاشعي ، أبو القاسم الكوفي ، روى عن علي بن أبي طالب ، متروك ، رُمي بالرفض . انظر : المجروحين لابن حبان ١ / ١٧٣ ، وتهذيب الكمال ٣ / ٣٠٨ ت ٥٣٧ ، وتقريب التهذيب ١ / ٨١ ت ٦١٣ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) في (أ) : (بحريه) .

(٤) ورد في الكشف والبيان ١٣ / ١٦٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢١٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٩٧ . قال عنه ابن كثير : «إنه حديث منكر جداً» . وورد أيضاً في المستدرک في کتاب التفسير (سورة الكوثر) ٢ / ٥٣٨ . قال الذهبي : «قلت : إسرائيل صاحب عجائب لا يعتمد عليه ، وأصبغ شيعي متروك عند النسائي» (النسائي ، كتب : الضعفاء والمتروكين ٥٨ ، رقم ٦٦) ، والدر المنثور ٨ / ٦٥٠ منسوباً إلى ابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقي في سننه ، وفتح القدير ٥ / ٥٠٤ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢١٩ .

(٦) ورد نحوه في معاني القرآن ٣ / ٢٩٦ .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٨) ورد في الكشف والبيان ١٣ / ١٦٨ ، وورد بمعناه في التفسير الكبير ٣٢ / ١٢٩ ، والجامع لأحكام القرآن ٢ / ٢١٩ ، ٢٢٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٩٧ ، والدر المنثور ٨ / ٦٥١ منسوباً إلى ابن أبي حاتم .

وقال سليمان التيمي معناه : « ارفع يديك بالدعاء إلى نحرك »^(١) .

(هذا قول المفسرين ، وما ذكروه في هذه الآية)^(٢) ، و(أصل ذلك كله من النحر الذي هو الصدر ، ويقال لذبح البعير : النحر ؛ لأن منحره في صدره حيث يريد ، والحلقوم من أعلى الصدر)^(٣) .

فمعنى النحر في هذا هو إصابة النحر ، كما يقال رأسه وبطنه ، إذا أصابه ذلك منه ، ووضع اليد على الصدر نحر أيضاً ، كما ذكره علي رحمه الله ؛ لأنه إصابة النحر باليد ، ورفع الأيدي في الصلاة أيضاً عند التكبير نحر ، كما فسّره جبريل (عليه السلام)^(٤) للنبي ﷺ ، وهو أن يرفع يديه إلى نحره ، فتصيب^(٥) يده نحره^(٦) ، وذلك القدر من الرفع هو السُّنة ، واستقبال القبلة يسمى نحرّاً .

(قال)^(٧) ابن الأعرابي : «النحر انتصاب الرجل في الصلاة بإزاء المحراب»^(٨) .

(١) ورد في المراجع السابقة عدا التفسير الكبير ، والدر المنثور .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) . وقد عَقَّب ابن كثير على ما مضى من الأقوال ، قال : «وكل هذه الأقوال غريبة جداً ، والصحيح القول الأول ، وأن المراد بالنحر ذبح المناسك ، ثم حَسَّن ما رجَّحه الطبري من القول بالعموم» .

ومعنى الآية : فاجعل صلاتك كلها لله دون ما سواه من الأنداد ، وكذلك النحر اجعله له دون الأوثان ؛ شكراً له على ما أعطاك من الكرامة . قال : «وهذا الذي قاله في غاية الحسن ، وقد سبقه إلى هذا المعنى محمد بن كعب القرظي وعطاء» . انظر : تفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٩٧ ، ٥٩٨ .

(٣) ما بين القوسين انظر فيه : تهذيب اللغة (نحر) ٥ / ١٠ ، ولسان العرب (نحر) ٥ / ١٩٥ ، ومقاييس اللغة (نحر) ٥ / ٤٠٠ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) في (أ) : (لتصيب) .

(٦) في (أ) : (لنحره) .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٨) نقلاً عن تهذيب اللغة (نحر) ٥ / ١١ .

(قال ثعلب : «وهو أن ينتصب بنحره بإزاء القبلة ، ولا يلتفت يمينا ولا شمالا»^(١))^(٢) .

قال الفرّاء : «ويقال منازلهم تتناحر ؛ أي تتقابل ، وأنشد :

أبا حَكَمٍ هل أنتَ عُمُّ مُجَالِدٍ وسيّدُ أهلِ الأبطَحِ المتناحرِ»^(٣) .
 ٣. قوله : ﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ (هُوَ الْأَبْتَرُ)^(٤)﴾ ؛ أي مبغضك ، من الشنآن ،
 وهو البغض^(٥) ، وقد مرَّ^(٦) ، (هو الأبتَر) .

(١) نقلاً عن تهذيب اللغة (نحر) ١١ / ٥ ، وكلامه في مجالس ثعلب ١ / ١١ ، قال : «معنى قوله تعالى : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ ، يقال : استقبل القبلة بنحره ، ويقال : اذبح .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) بيت القصيد لبعض بني أسد ، ذكر ذلك الفرّاء في معاني القرآن ٣ / ٢٩٦ ، وفيه (ها أنت) بدلاً من (هل أنت) ، وتهذيب اللغة (نحر) ١٠ / ٥ ، ولسان العرب ٥ / ١٩٧ ، وتاج العروس ٣ / ٥٥٨ ، وجامع البيان ٣٠ / ٣٢٨ ، والنكت والعيون ٦ / ٣٥٦ ، والكشف والبيان ١٣ / ١١٦٨ ، وروح المعاني ٣٠ / ٢٤٧ ، والتفسير الكبير ٣٢ / ١٣٠ ، وشرح أبيات معاني القرآن ١٧٤ س ٣٨٧ . والشاهد : يقال منازلهم تتناحر ؛ أي هذا ينحر هذا ؛ أي قبّالته . الأبطح : المتسع العريض ، وأبطح الوادي : حصاه اللين في بطن المسيل . والجلد : القوة والشدة .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (شنأ) ١١ / ٤٢ ، وإصلاح المنطق ٢٨٤ .

(٦) قوله تعالى : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ [المائدة : ٢] ، وقوله تعالى : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ [المائدة : ٨] . وما جاء في معنى : (شنآن) : قال أبو زيد : «شئت الرجل أشنؤه شنأً وشنأناً ومنشأةً ، إذا أبغضته» . واختلف الفرّاء في هذا الحرف ، فالأكثرون قرؤوا على فعّلان ، وحجتهم أنه مصدر ، والمصدر يكثر على فعّلان ، ومن أسكن النون ؛ فلأن المصدر قد جاء أيضاً على فعّلان ، وإذا كان كذلك فالمعنى في القراءتين واحد ، ومعناه في البسيط باختصار شديد : «لا يجرمكم بغض قوم ؛ أي بغضكم قوم بصددهم إياكم . . .» .

معنى البتر في اللغة : (استئصال القطع ، يقال بترته أبتره بترًا ؛ أي صار أبتر ، وهو المقطوع الذنب . ويقال للذي لا عقب له أبتر ، وكذلك للمقطع^(١) عن الخير)^(٢) .

قال المفسرون : «يعني العاص بن وائل ، قال للنبي ﷺ : إنه أبتر لا ابن له يقوم مقامه بعده ، فإذا مات انقطع ذكره واسترحتم منه ، وكان قد مات ابنه عبدالله بن خديجة» . وهو قول (الكلبي)^(٣) ، ومقاتل^(٤) ، وابن عباس^(٥) في رواية عطاء وعامة أهل التفسير^(٦) .

(١) في (أ) : (المقطع) .

(٢) ما بين القوسين انظر فيه : تهذيب اللغة (بتر) ٢٧٧ / ١٤ .

(٣) تفسير عبدالرزاق ٢ / ٤٠٢ ، والتفسير الكبير ٣٢ / ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٤) تفسير مقاتل ٢٥٤ ب ، والتفسير الكبير ٣٢ / ١٣٢ .

(٥) أورده صاحب أسباب النزول ٤٠٤ ، يقول محققه : «إن رواية ابن عباس ضعيفة بسبب العوفي كما هو وارد عند ابن جرير» ، وذكره جامع البيان ٣٠ / ٣٢٩ من طريق العوفي ، والمحزر الوجيز ٥ / ٥٣٠ من غير ذكر طريق عطاء ، وزاد المسير ٨ / ٣٢١ ، والتفسير الكبير ٣٢ / ١٣٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٩٨ من غير ذكر طريق عطاء ، والدر المنثور ٨ / ٦٥٢ منسوباً إلى ابن عساكر من طريق ميمون بن مهران ، وابن مردويه .

(٦) منهم سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وقتادة . انظر : جامع البيان ٣٠ / ٣٢٩ ، وتفسير القرآن ٣٠ / ٣٢٩ . وإلى القول أنه العاص ذهب السمرقندي في بحر العلوم ٣ / ٥١٩ ، وقال البيهقي : «والمشهور أنها نزلت في العاص بن وائل» ، والدر المنثور ٨ / ٦٥٢ ، وقال به الرجاج في معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٣٧٠ . والرواية التي ذكرها الواحدي ونسبها إلى المفسرين هي رواية محمد بن إسحاق من طريق يزيد بن رومان ، ونصها : «عن محمد بن إسحاق قال : حدثني يزيد بن رومان قال : كان العاص بن وائل السهمي إذا ذكر رسول الله ﷺ قال : دعوه فإنما هو رجل أبتر لا عقب له ، ولو هلك انقطع ذكره واسترحتم منه ، فأنزل الله - تعالى - في ذلك ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ إلى آخر السورة» . انظر : أسباب النزول ٤٠٤ ، تحقيق أيمن صالح ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٩٨ . قال عصام الحميدان عن إسناد محمد بن إسحاق عن يزيد بأنه مرسل يشهد له ما أخرجه ابن جرير عن سعيد بن جبير وقتادة مرسلًا مثله ، وإسناده صحيح . انظر : أسباب النزول ٤٦٦ ، الحاشية ١ ، تحقيق عصام الحميدان . وقال آخرون : «بل عنى بذلك عقبه بن أبي معيط» ، وهو قول شمر بن عطية ، وعكرمة ، وآخرون قالوا : «كعب الأشرف وجماعة من قريش» ، وهو قول عكرمة ، وإحدى =

قال محمد بن إسحاق^(١) (ومقاتل)^(٢) (٣): «لما قال العاص ذلك أنزل الله هذه السورة»، قال ابن إسحاق: «يعني: قد أعطيتك ما هو خير من الدنيا وما فيها؛ قال: الكوثر: العظيم من الأمر»^(٤).

قال مقاتل: «فرع»^(٥) الله ذكر محمد ﷺ في الناس عامة حتى ذكر في الصلاة، والأذان، وآتاه مكان ابنه الكوثر»^(٦).

وقال (عطاء عن)^(٧) ابن عباس: «العرب تسمي من كان له بنون وبنات، فمات البنون وبقي البنات: أبت، وكان العاص بن وائل السهمي يمر بمحمد ﷺ فيقول له: إني لأشْنُوْكَ، وإنك لأبتَر من الرجال، فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ﴾ يعني العاص هو ﴿الْأَبْتَرُ﴾ من خير الدنيا والآخرة»^(٨).

وقال قتادة: «الأبتَر الحقيقير الذليل»^(٩).

روايات ابن عباس . انظر : جامع البيان ٣٠/٣٠٣ ، وقيل غير ذلك . انظر : النكت والعيون ٣٥٦/٦ ، وزاد المسير ٨/٣٢١ .

- (١) سيرة النبي ﷺ لابن هشام ١/٤٢١ .
- (٢) تفسير مقاتل ٢٥٤ ب ، والتفسير الكبير ٣٢/١٣٢ .
- (٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (٤) سيرة النبي ﷺ لابن هشام ١/٤٢١ .
- (٥) في (أ) : (فدفع) .
- (٦) تفسير مقاتل ٢٥٤ ب .
- (٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (٨) ورد في الدر المنثور ٨/٦٥٢ منسوباً إلى ابن عساكر من طريق ميمون بن مهران بمعناه ، وبمعناه أيضاً عن جعفر بن محمد عن أبيه ٨/٦٥٣ منسوباً إلى الزبير بن بكار ، وابن عساكر . الحديث أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٢/٧٠ .
- (٩) تفسير عبدالرزاق ٢/٤٠٢ ، وجامع البيان ٣٠/٣٢٩ ، وبحر العلوم ٣/٥١٩ ، والنكت والعيون ٣٥٦/٦ ، والبحر المحيط ٨/٥٢٠ .

وقال الفرّاء : « يقول الله تعالى : إن مبغضك وعدوك الذي لا ذكر الله بعمل خير (له) ^(١) ، وأمّا أنت فقد جعلت ذكرك مع ذكري » ^(٢) ، هذا كلامه .

وهو من القول المفهوم ، وذلك أنه لما وصف عدوه بأنه أبتر ، تضمن ذلك أنه ليس بأبتر ، وإلاّ فليس في المنطق به ذكر رفع ذكر النبي ﷺ ، وقال أبو إسحاق : « جائز أن يكون الأبتر هو المنقطع العقب ^(٣) ، وجائز أن يكون المنقطع عن كل خير » .

وقال أهل المعاني : « معنى قوله : ﴿ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ ؛ أي هو الذي ينقطع ما هو عليه من كفره بموته فكان الأمر كذلك ، وأمّا أمر النبي ﷺ فإنه ظهر واستفاض حتى ظهر على الدين كله » ^(٤) .

* * *

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) معاني القرآن ٢٩٦ / ٣ .

(٣) العقب : ولد الرجل ، وولد ولده ، وليس له عاقبة ؛ أي ليس له نسل . انظر : مختار الصحاح (عقب) ٤٤٣ ، والمصباح المنير (عقب) ٥٠٠ / ٢ .

(٤) لم أعثر على مصدر لقوله .

تفسير

سورة الكافرون^{(١)(٢)}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا الْكَافِرُونَ﴾ . قال جماعة المفسرين^(٣) : «لما قرأ رسول الله ﷺ سورة النجم بمكة على المشركين ، وألقى الشيطان في قراءته :

-
- (١) تسمى المشققة ؛ أي المبرئة من النفاق ، وتسمى أيضاً سورة العبادة ، وذكر الفخر أنها تسمى المنابذة والإخلاص . انظر : الإتقان ١ / ١٥٩ ، وفتح الباري ٨ / ٧٣٣ ، والتفسير الكبير ٣٢ / ١٣٦ .
- (٢) فيها قولان : أحدهما أنها مكية ، قاله ابن مسعود ، والحسن ، والجمهور . والآخر أنها مدنية ، قاله قتادة ، وأحد قولي ابن عباس ، والضحاك . انظر : النكت والعيون ٦ / ٣٥٧ ، وزاد المسير ٨ / ٣٢٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٢٤ .
- (٣) قال بذلك ابن عباس ، والقرظي ، والضحاك ، والسُّدِّي ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومقاتل . انظر : تفسير مقاتل ٢٥٤ ب ، وجامع البيان ١٧ / ١٣١ ، ومعالم التنزيل ٣ / ٢٩٢ ، وزاد المسير ٥ / ٣٠٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ٢٣٩ ، وأسباب النزول ٢٥٨ ، تحقيق أيمن صالح .

تلك الغرائق^(١) العلا على ما ذكرنا^{(٢)(٣)}، طمع مشركو قريش فيه، وقالوا: إن محمداً (قد)^(٤) دخل في بعض ديننا، فأتوه وقالوا له: تعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة، فإن كان الذي جئت به خيراً مما نحن فيه كنا قد شركناك فيه، وأخذنا بحظنا منه، وإن كان الذي نحن عليه خيراً كنت قد شركتنا في أمرنا، وأخذت بحظك منه، فقال رسول الله ﷺ: «معاذ الله أن أشرك به غيره»، فأنزل الله: ﴿قُلْ يَتَأَيَّهَا الْكَافِرُونَ﴾^(٥)، يعني المستهزئين من قريش.

- (١) الغرائق: الأصنام، وهي في الأصل الذكور من طير الماء، سُمِّيَ به لبياضه، وكانوا يزعمون أن الأصنام تقرَّبهم من الله عز وجل، وتشفع لهم إليه، فشُبِّهت بالطيور التي تعلق وترتفع في السماء. انظر: لسان العرب (غرنق) ١٠/ ٢٨٧، وتفسير أبي العالية ١/ ٢٧٢، تحقيق الوثران، رسالة غير منشورة.
- (٢) عند قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢].
- (٣) قصة الغرائق باطلة سنداً ومتناً، وقد تقدَّم التعليق عليها في سورة الحج، وتناولها كثير من العلماء بالنقد والتجريح، والخلاصة فيها ما قاله الألباني في نصب المجانيق في نسف قصة الغرائق ١٨ وما بعدها من أن أسانيد القصة على اختلاف طرقها جميعها معلة بالإرسال والضعف والجهالة، وبين أنه ليس في أحدها ما يصلح للاحتجاج به، ولا سيما في أمر خطير كهذا، ثم بين أن مما يؤكد ضعفها، بل بطلانها ما في القصة من نكارة لا تليق بمقام النبوة والرسالة. ومن أبطلها أيضاً ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٣/ ٢٣٩، وابن العربي في أحكام القرآن ٣/ ١٣٠، والشوكاني في فتح القدير ٣/ ٤٦١، والشنقيطي في أضواء البيان ٥/ ٧٣٠. ومن أراد الاستزادة فليراجع ذلك في تفسير أبي العالية ٢/ ٢٧٢-٢٧٦، تحقيق نورة الوثران، رسالة غير منشورة.
- (٤) ما بين القوسين ساقط من (أ).
- (٥) ممن قال بمعنى هذه الرواية وهب، وعكرمة عن ابن عباس، وسعيد مولى البخاري، ومقاتل، وعبيد بن عمير. انظر: تفسير عبد الرزاق ٢/ ٤٠٣، وجامع البيان ٣٠/ ٣٣١، وزاد المسير ٨/ ٣٢٢، ٣٢٣، وبحر العلوم ٣/ ٥٢٠، ولباب النقول ٢٣٧، والدر المنثور ٨/ ٦٥٥، وقد نسب السيوطي إلى ابن أبي حاتم والطبراني. وقال بهذه الرواية أيضاً الثعلبي في الكشف والبيان ١٣/ ١٦٩ ب، وانظر: معالم التنزيل ٤/ ٥٣٥، والتفسير الكبير ٣٢/ ١٤٤، وأسباب النزول ٤٠٥، تحقيق أيمن صالح. قال ابن حجر في فتح الباري ٨/ ٧٣٣ في الرواية التي من حديث ابن عباس: «إن في إسناد أبي خلف عبدالله بن عيسى، وهو ضعيف».

٢. ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ . قال ابن عباس ^(١) (ومقاتل ^(٢)) ^(٣) : «لا أعبد أهتكم التي تعبدون اليوم» .

٣. ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ إِلَّا هِيَ الذي أعبد اليوم . ومعنى ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ : مَنْ أَعْبَد ، ولكنه مقابل قوله : ﴿مَا عَبَدْتُمْ﴾ ؛ أي من الأصنام . ثم حمل الثاني عليه ليتقابل ^(٤) .

٤. ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ ؛ يعني في ما بعد اليوم .

٥. ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ ؛ في ما بعد ^(٥) اليوم .

قالوا : «فلما قرأ رسول الله ﷺ هذه السورة عليهم علموا ^(٦) أنه قد تبرأ منهم فيئسوا منه ، وشتموه ، وآذوه» .

وقال ^(٧) ابن عباس : «وهذه السورة براءة من الشرك» ^(٨) .

وروي أن رسول الله ﷺ قال لرجل : «إذا أويت إلى فراشك فاقراً : ﴿قُلْ يَتَّخِذُ الْكَافِرُونَ﴾ فإنها براءة من الشرك» ^(٩) .

(١) الوسيط ٤ / ٥٦٥ .

(٢) الوسيط ٤ / ٥٦٥ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) بياض في (ع) .

(٥) في (أ) : (بعد) .

(٦) في (أ) : (علم) .

(٧) في (ع) : (قال) .

(٨) ورد معنى قوله في النكت والعيون ٦ / ٣٥٨ ، وحاشية زاد المسير (النسخة الأزهرية) ٨ / ٣٢٢ .

(٩) الحديث أخرجه الدارمي في سننه في كتاب فضائل القرآن ، باب (٢٣) ٢ / ٩١٥ ح ٣٣٠٢ من حديث زهير عن أبي إسحاق عن فروة بن نوفل عن أبيه ، والإمام أحمد في المسند ٥ / ٤٥٦ من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق ، وأبو داود في سننه في كتاب الآداب ، باب : ما يقول عند النوم ٢ / ٦٦١ من طريق =

قال أبو إسحاق : «نفى رسول الله ﷺ بهذه السورة عبادة آلهتهم عن نفسه في الحال ، وفي ما يستقبل ، (ونفى عنهم عبادة الله في الحال وفي ما يستقبل)»^(١) ، قال : «وهذا في قوم أعلمه الله أنهم لا يؤمنون ، كقوله في قصة نوح : ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦]»^(٢) .

ونحو هذا قال أبو عبيدة^(٣) ، والأخفش^(٤) في وجه تكرار الكلام في هذه السورة .

وشرحه ابن الأنباري فقال حاكياً عن أحمد بن يحيى : «معنى التكرار فيه أنه أراد ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ الساعة ، وفي هذا الوقت ، ﴿وَلَا أَنْتُمْ عِبِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ في هذا الوقت أيضاً ، ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ في ما أستقبل ، ﴿وَلَا أَنْتُمْ عِبِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ في ما تستقبلون^(٥) . فحسن التكرير لاختلاف المعاني» .

شعبة عن أبي إسحاق عن رجل ، والترمذي في سننه في كتاب الدعوات ، باب (٢٢) ٥/٤٧٤ ح ٣٤٠٣ . قال أبو عيسى : «وروى زهير هذا الحديث عن أبي إسحاق عن فروة بن نوفل عن أبيه عن النبي ﷺ نحوه ، وهذا أشبه وأصح من حديث شعبة ، وقد اضطرب أصحاب أبي إسحاق في هذا الحديث» . وورد أيضاً في الدر المنثور ٨/٦٥٧ ، وزاد السيوطي في نسبته إلى ابن أبي شبة ، وابن الأنباري في المصاحف ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقي في شعب الإيثار ٣/٤٩٨ ح ٢٥٢٠ عن فروة بن نوفل بن معاوية الأشجعي عن أبيه . وورد بمعناه في تفسير القرآن العظيم ٤/٥٩٩ منسوباً إلى أحمد ، والطبراني في الأوسط عن الحارث بن جبلة .

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٥/٣٧١ .

(٣) مجاز القرآن ٢/٣١٤ .

(٤) ورد قوله في النكت والعيون ٦/٣٥٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢٢٨ ، وفتح القدير ٥/٥٠٦ .

(٥) لم أعثر على مصدر لقوله . وقد علق الشوكاني في فتح القدير ٥/٥٠٧ على ما ذكره أبو عبيدة ،

والأخفش ، وابن الأنباري ، قال : «وكل هذا فيه من التكلف والتعسف ما لا يخفى على منصف ، فإن جعل قوله : ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ للاستقبال ، وإن كان صحيحاً على مقتضى اللغة العربية ، ولكنه لا يتم جعل قوله : ﴿وَلَا أَنْتُمْ عِبِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ للاستقبال ، لأن الجملة الاسمية تفيد الدوام والثبات في كل الأوقات ، فدخل النفي عليها يرفع ما دلت عليه من الدوام والثبات في كل الأوقات ، ولو =

وقال صاحب النظم : «إنما كرر ، لأنه جوزي به الكلام الذي كان هذا جوابه ، لأنهم قالوا للنبي ﷺ : تعبد آلهتنا لمدة ذكروها ، ونعبد إلهك ، ثم تعبد آلهتنا مدة ، ونعبد إلهك ، فأجيبوا برد ذلك ودفعه على المثال الذي تكلموا به»^(١) .

وقال ابن قتيبة : «إن من مذاهب العرب التكرار إرادة التوكيد والإفهام ، كما أن من مذاهبهم الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز ، ولا موضع أولى بالتكرار للتوكيد من الذي نزلت فيه : ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكُفْرُوتُ﴾ ، لأنهم أرادوه على أن يعبد ما يعبدون ، ليعبدوا ما يعبد ، أبدؤوا في ذلك وأعادوا ، فأراد الله حسم أطماعهم ، قال : وفيه وجه آخر :

وهو أن القرآن كان ينزل شيئاً بعد شيء ، وآية بعد آية ، جواباً لهم يسألون ، ورداً عن النبي ﷺ فكان المشركين قالوا (له)^(٢) : [أسلم]^(٣) ببعض آلهتنا حتى نؤمن بإلهك ، فأنزل الله : ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾^(٤) وَلَا أَنْتَ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿لَأَنِّي لَا أَفْعَلُ مَا قُلْتُمْ .

كان حملها على الاستقبال صحيحاً للزم مثله في قوله : ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ وفي قوله : ﴿وَلَا أَنْتَ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ فلا يتم ما قيل من حمل الجملتين الأخريتين على الحال ، وكما يندفع هذا يندفع ما قيل من العكس ، لأن الجملة الثانية والثالثة والرابعة كلها جل اسمية مصدرة بالضائر التي هي المبتدأ في كل واحد منها مخبر عنها باسم الفاعل العامل في ما بعده ؛ منفية كلها بحرف واحد ، وهو لفظ (لا) في كل واحد منها ، فكيف يصح القول مع هذا الاتحاد بأن معانيها في الحال والاستقبال مختلفة» .

(١) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) في (أ) و(ع) : (استلم) ، والمثبت من مصدر القول .

ثم غبروا^(١) مدة فقالوا : تعبد آلهتنا يوماً ، أو شهراً ، أو حولاً ، ونعبد إلهك يوماً ، أو شهراً ، أو حولاً ، فأنزل : ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ۖ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَّا أَعْبُدُ﴾ أي على شريطة أن تؤمنوا به [في]^(٢) وقت ، وتشركوا به في وقت^(٣) .

أي لا أعبد آلهتكم على ما تشارطون ، ولا أنتم أيضاً عابدون إلهي^(٤) على هذه الشريطة ، لأني لا أفعل ما تشرطون ، قال^(٥) : (وهذا تمثيل أردت أن أريك به موضع الإمكان)^(٦) .

٦ . قوله : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ . قال (ابن عباس^(٧) و) المفسرون^(٨) : لكم كفركم بالله ، ولي التوحيد والإخلاص له ، قالوا : «وهذا قبل أن يؤمر بالحرب ، ثم نسخ هذا التسليم بآية القتال»^(٩) .

-
- (١) غبر الشيء غبوراً : مكث وذهب . انظر : لسان العرب (غبر) ٣ / ٥ .
- (٢) ما بين المعقوفين ساقط من كلتا النسختين ، وأثبت ما جاء في مصدر القول ؛ لاستقامة الكلام به ، وانتظامه .
- (٣) ورد في تأويل مشكل القرآن ٢٣٧ ، ٢٣٨ بتصرف يسير .
- (٤) في (ع) : (لهي) .
- (٥) أي ابن قتيبة .
- (٦) ما بين القوسين قول ابن قتيبة . انظر : تأويل مشكل القرآن ٢٣٩ .
- (٧) التفسير الكبير ١٤٧ / ٣٢ .
- (٨) حكاه عن المفسرين ابن عطية في المحرر الوجيز ٥ / ٥٣١ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨ / ٣٢٣ ، وقال به أيضاً السمرقندي في بحر العلوم ٣ / ٥٢١ ، والشعلبي في الكشف والبيان ١٣ / ١٧٠ ب .
- (٩) ومن قال أيضاً بأنها منسوخة بآية السيف هبة الله في الناسخ والمنسوخ من كتاب الله عز وجل ٢٠٦ ، والبارزي في ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه ٥٨ ، وابن طاهر البغدادي في الناسخ والمنسوخ ١٦١ . وقد رد ابن الجوزي دعوى النسخ فيها ، قال : «قال الأكثرون نسخت بآية السيف ، ثم قال : وإنما يصح هذا لو كان المعنى : قد أقررتكم على دينكم ، وإذا كان لم يكن المفهوم هذا بعد النسخ» . انظر : المصنفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ ٥٩ ، ونواسخ القرآن ٢٥٣ . وردّه أيضاً حلمي كامل ؛ بمحقق كتاب البغدادي ناسخ القرآن العزيز ١٦١ - ١٦٥ ؛ فقد بين أنه لا تعارض بين الآية وآية السيف ، وهو ما لا يدعو إلى القول بالنسخ ، قال : «والقول بالنسخ متعارض من كل وجه لا يمكن معه الجمع بين الآيتين ، لا مسوغ له ، ولا يصار إليه» .

وقال أهل المعاني : «معنى الآية : لكم جزاؤكم على عبادة الوثن ، ولي جزائي على عبادة ربي ، وعلى هذا ، يكون الدين بمعنى الجزاء ، ويجوز أن يكون على تقدير المضاف لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني»^(١) .

وحسبك بجزاء دينهم وبالأً وعقاباً ، كما حسبك بجزاء دينه إمتاعاً وثواباً .

* * *

(١) لم أعثر على مصدر لقولهم ، وقد ورد بمعناه غير منسوب في الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٢٩ .

تفسير



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ . قال المفسرون : «إذا جاءك ، يا محمد ، نصر الله على من عاداك ، وهم قريش ، وغيرهم»^(٣) .
- ﴿وَالْفَتْحُ﴾ فتح مكة^(٤) .

-
- (١) تسمى سورة التوديع لما فيها من الإيحاء إلى وفاته ﷺ . انظر : الإتيان ١/ ١٥٩ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٢٩ .
- (٢) أكثر كتب التفسير تذكر أنها مدنية ، ولم يخالفها إلا السمرقندي في بحر العلوم ٣/ ٥٢٢ ، قال : «إنها مكية» .
- (٣) قال بذلك ابن عباس . انظر : جامع البيان ٣٠/ ٣٣٢ ، وبحر العلوم ٣/ ٥٢٢ ، ونسبه الثعلبي في الكشف والبيان ١٣/ ١٧١ إلى عامة أهل التفسير . انظر : معالم التنزيل ٤/ ٥٣٦ ، وزاد المسير ٨/ ٣٢٤ .
- (٤) قال بذلك مجاهد ، والحسن ، وابن عباس . انظر : جامع البيان ٣٠/ ٣٣٢ ، والنكت والعيون ٦/ ٣٦٠ ، والتفسير الكبير ٣٢/ ١٥٣ .

٢. ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ . قال ابن عباس :
 «يريد أهل مكة ، و(أهل) ^(١) اليمن» ^(٢) ، وهو قول عكرمة ^(٣)
 ومقاتل ^(٤) ، قالا : «أراد بالناس : أهل اليمن» .

وقال الحسن : «لما فتح رسول الله ﷺ مكة قالت العرب : أمّا إذ ظفر محمد
 بأهل الحرم ، وقد أجارهم الله من أصحاب الفيل ، فليس لكم به يدان» ^(٥) ، وكانوا
 يدخلون في دين الله أفواجاً» ^(٦) .

قال أبو إسحاق : «معنى (أفواجاً) ؛ أي جماعات كثيرة ، أي بعد أن
 كانوا يدخلون واحداً واحداً ، واثنين اثنين ، صارت تدخل القبيلة بأسرها في
 الإسلام» ^(٧) .

٣. وقوله ^(٨) : ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ﴾ .

-
- (١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
 (٢) ورد في جامع البيان ٣٠ / ٣٣٣ ، والكشف والبيان ١٣ / ١٧٩ ، والنكت والعيون ٦ / ٣٦٠ ،
 والتفسير الكبير ٣٢ / ١٥٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٣٠ ، والدر المنثور ٨ / ٦٤٤ منسوباً إلى
 ابن عساکر .
 (٣) تفسير عبدالرزاق ٢ / ٤٠٤ ، وجامع البيان ٣٠ / ٣٣٣ ، والكشف والبيان ١٣ / ١٧٩ ،
 والمحزر الوجيز ٥ / ٥٣٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٣٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٦٠١ .
 (٤) تفسير مقاتل ٢٥٥ ، والكشف والبيان ١٣ / ١٧٩ ، والمحزر الوجيز ٥ / ٥٣٢ ، والجامع لأحكام
 القرآن ٢٠ / ٢٣٠ ، وثلاث رسائل للحافظ ابن رجب ٣٩ ، تقديم ابن جبرين .
 (٥) يدان : أي طاقة ، نقلاً عن الوسيط ٣٤ / ٥٦٦ . والذي رجعت إليه من المصادر ، مثل النهاية واللسان ،
 لم أجد فيه ذكراً للطاقة .
 (٦) الكشف والبيان ١٣ / ١٧٩ ، والنكت والعيون ٦ / ٣٦٠ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٥٤١ ، والكشاف
 ٤ / ٢٣٩ ، وزاد المسير ٨ / ٣٢٤ ، ولباب التأويل ٤ / ٤٢٣ ، وفتح القدير ٥ / ٥٠٩ .
 (٧) ورد في معاني القرآن وإعراجه ٥ / ٣٧٣ بنصه .
 (٨) في (أ) : (قوله) .

قال ابن عباس : «لما نزلت هذه السورة على النبي ﷺ (أنه) ^(١) نعت إليه نفسه فقيل له : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾» ^(٢) .

قال الحسن : «أعلم أنه قد اقترب أجله فأمر بالاستغفار والتوبة» ^(٣) .

وقال قتادة ^(٤) (ومقاتل ^(٥)) ^(٦) : «عاش النبي ﷺ بعد نزول هذه السورة سنتين» .

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) ورد معنى قوله في تفسير عبدالرزاق ٤٠٤ / ٢ ، وجامع البيان ٣٠ / ٣٣٤ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٥٤٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٦٠١ ، والدر المنثور ٨ / ٦٦٠ منسوباً إلى ابن مردويه . وله أيضاً في ذلك حديث مرفوع ، انظر : مجمع الزوائد في كتاب التفسير (سورة إذا جاء نصر الله) ٧ / ١٤٤ . قال الهيثمي : «رواه أحمد والطبراني في حديث طويل ، وفي إسناده هلال بن خباب» ، قال يحيى : «ثقة مأمون لم يتغير ، ووثقه ابن حبان ، وفيه ضعف ، وبقيّة رجاله رجال الصحيح ، وفي إسناده أحمد عطاء بن السائب وقد اختلط» .

(٣) ورد معنى قوله في تفسير عبدالرزاق ٤٠٤ / ٢ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٥٤٢ ، وفتح القدير ٤ / ٥١٠ ، وتفسير الحسن البصري ٢ / ٤٤٣ .

(٤) ورد في جامع البيان ٣٠ / ٣٣٥ ، والكشف والبيان ١٣ / ١٨٠ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٥٤٢ ، وزاد المسير ٨ / ٣٢٤ ، والدر المنثور ٨ / ٦٦٠ منسوباً إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٥) ورد في تفسير مقاتل ٢٥٥ ، لكنه قال : إنه عاش بعدها ثمانين يوماً . انظر : الكشف والبيان ١٣ / ١٨٠ .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

وقال عبدالله : «لما نزلت هذه السورة كان النبي ﷺ يكثر أن يقول : «سبحانك اللهم بحمدك اغفر لي أنك أنت التواب»^(١) . (ونحو هذا روت عائشة^(٢) وأم سلمة^(٣))^(٤) .

قال أبو إسحاق : «أمره - عليه السلام - أن يكثر التسبيح والاستغفار ليختم له في آخر عمره بالزيادة في العمل الصالح»^(٥) .

وقال (عطاء عن)^(٦) ابن عباس : «﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ ؛ صَلِّ لربك واحمده»^(٧) .

وقال آخرون : «نزهه عما لا يجوز عليه مع شرك إياه»^(٨) .

(١) ورد في الكشف والبيان ١٣/ ١٨٠ أ-ب ، والدر المنثور ٨/ ٦٦٣ منسوباً إلى عبدالرزاق ، ومحمد بن نصر ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والمستدرک للحاكم في كتاب التفسير (سورة النصر) ٢/ ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، قال عنه : «صحيح» ، ووافقه الذهبي .

(٢) ورد قولها في جامع البيان ٣٠/ ٣٣٢-٣٣٤ ، والنكت والعيون ٦/ ٣٦١ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٨٠ أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٤٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٣١ ، والدر المنثور ٨/ ٦٦٣ منسوباً إلى ابن أبي شيبة ، ومسلم ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، وله ألفاظ كثيرة متقاربة ، فراجعها في الدر ، وانظر : الجامع الصحيح للبخاري في كتاب التفسير ، باب (٢) ٣/ ٣٣٣ ح ٤٩٦٨ . والحديث عن مسروق عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : «كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده : «سبحانك اللهم ربنا ، وبحمدك ، اللهم اغفر لي» يتأول القرآن» ، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة ، باب (٤٢) ١/ ٣٥٠ ح ٢١٧ ، وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٦/ ٤٣ ، ٤٩ ، ١٩٠ ، وابن ماجه في السنن ، أبواب إقامة الصلاة ، باب (٢٠) ١/ ١٦٠ ح ٨٧٤ .

(٣) ورد في جامع البيان ٣٠/ ٣٣٥ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٨٠ ب ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٣١ ، والدر المنثور ٨/ ٦٦٣ منسوباً إلى ابن مردويه .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٥٠/ ٣٧٣ .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) النكت والعيون ٦/ ٣٦١ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٣١ ، وزاد المسير ٨/ ٣٢٤ .

(٨) لم أعثر على من قال ذلك ، وقد ورد نحوه غير منسوب في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٣١ .

وهذا هو الأولى لما روى عبدالله ، وعائشة ، وأم سلمة أن النبي ﷺ كان يكثر أن يقول : «سبحان الله وأستغفره ، وأتوب إليه» بعد نزول هذه السورة .

وقوله ^(١) : ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ ؛ أي على المسيحين المستغفرين ؛ يتوب عليهم ، فيرحمهم ، ويغفر لهم ، ويقبل توبتهم (بمنه وفضله) ^(٢) .

* * *

(١) في (أ) : (قوله) .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(تفسير)^(١)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿تَبَّتْ يَدَايَ لِهَبٍ وَتَبَّ﴾ .

(١) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٢) تسمى أيضاً سورة المسد . انظر : الإتيقان ١/ ١٥٩ .

(٣) مكية بالإجماع ، حكاه صاحب المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٤ ، وزاد المسير ٨/ ٣٢٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٢٤ .

قال ابن عباس (في رواية سعيد بن جبير)^{(١)(٢)} وجماعة المفسرين^(٣) : «صعد رسول الله ﷺ ذات يوم : الصفا ، فقال : يا صباحاه ، فاجتمعت إليه قريش ، فقالوا : مالك ؟ فقال : «أرأيتم إن أخبرتكم أن العدو ممسيكم ما كنتم تصدقوني» ، قالوا : بلى ، قال : «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» . فقال أبو لهب : تباً لك ، ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل الله : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ إلى آخرها .

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب التفسير ، باب (١١) / ٣ / ٣٣٣ ح ٤٩٧١ ، ٤٩٧٢ ، ولفظه عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء ، فصعد إلى الجبل ، فنادى : «يا صباحاه» ، فاجتمعت إليه قريش ، فقال : «أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبّحكم أو ممسيكم ، أكنتم تصدقوني ؟» ، قالوا : نعم ، قال : «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» ، فقال أبو لهب : ألهذا جمعتنا ؟ تباً لك ، فأنزل الله - عز وجل - ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ إلى آخر السورة . وورد قوله أيضاً في جامع البيان ٣٠ / ٣٣٦ ، وبحر العلوم ٣ / ٥٢٣ ، والكشف والبيان ١٣ / ١٨١ ب ، وأسباب النزول ٤٠٧ ، تحقيق أيمن صالح ، ولباب النقول ٢٣٧ ، والصحيح المسند ٢٣٨ . قال الوادي : «وهذا الحديث مرسل ؛ لأن ابن عباس كان حينئذٍ إمّاً لم يولد ، أو كان طفلاً» ، وبه جزم الإسماعيلي في عمدة القاري ١٩ / ١٠٢ ، ثم قال : «أقول هو مرسل صحابي ، ومرسل الصحابي لا ضرر عليه ولا مطعن فيه» . انظر : الصحيح المسند . وللحديث طرق مختلفة ، وألفاظ مختلفة ، ومعانٍ متقاربة . انظر ذلك في : الجامع الصحيح في كتاب التفسير (سورة الشعراء) ٣ / ٢٧٣ ح ٤٧٧٠ ، ٤٧٧١ ، وكتب الجنائز ، باب (٩٨) ح ١٣٩٤ ، وكتاب المناقب ، باب (١٣) ح ٣٥٢٥ - ٣٥٢٧ ، وصحيح مسلم في كتاب الإيمان ، باب : «وأُنذر عشيرتكَ الأقرين» ١ / ١٩٣ ، ١٩٤ ح ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، والإمام أحمد في المسند ١ / ٢٨١ ، وسنن الترمذي في كتاب التفسير ، باب (٩٢) ٥ / ٤٥١ ح ٣٣٦٤ ، وسنن النسائي في كتاب عمل اليوم والليلة ٩٨٣ ، والبيهقي في دلائل النبوة ٢ / ١٨١ ، وسنن النسائي في كتاب التفسير (سورة المسد) ٢ / ٥٦٩ ح ٧٣ .

(٣) قال بذلك ابن زيد ، وابن عباس . انظر : جامع البيان ٣٠ / ٣٣٧ ، والنكت والعيون ٦ / ٣٦٣ ، وورد أيضاً في بحر العلوم ٣ / ٥٢٣ ، وانظر : معالم التنزيل ٤ / ٥٤٣ ، والمحرم الوجيز ٥ / ٥٣٤ ، وزاد المسير ٨ / ٣٢٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٢٤ ، ولباب التأويل ٤ / ٤٢٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٦٠٣ ، والدر المنثور ٨ / ٦٦٦ منسوباً إلى سعيد بن منصور ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

أي خسرت يدا أبي هب ، وخسر هو ، (وهذا قول عامتهم)^{(١)(٢)} .

وتفسير التباب قد تقدّم عند قوله : ﴿غَيْرَ تَنْبِيٍّ﴾ [هود: ١٠١]^(٣) ،

و﴿إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [غافر: ٣٧] .

قال مقاتل : «خسرت يده»^(٤) بترك الإيذان ، وخسر هو»^(٥) .

وقال الفراء : «الأول : دعاء»^(٦) ، والثاني : خبر ، كما تقول : أهلكه الله وقد هلك^(٧) . وجعلك الله صالحاً وقد جعل»^(٨) .

(وأضاف التباب إلى اليد كقول العرب : خسرت يده وضاعت يده ، وكسبت يده ، والمراد به صاحب اليد ، ولكن جرت العادة بإضافة هذه الأفعال إلى اليد)^(٩) .

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) قال بذلك قتادة ، ومقاتل ، وابن عباس . انظر : جامع البيان ٣٠ / ٣٣٧ ، وبحر العلوم ٣ / ٥٢٣ ، والدر المنثور ٨ / ٦٦٦ ، وبه قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٥٤١ ، والسمرقندي في بحر العلوم ٣ / ٥٢٣ ، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٣٧٥ ، وانظر : معالم التنزيل ٤ / ٥٤٣ ، والمحزر الوجيز ٥ / ٥٣٤ ، وزاد المسير ٨ / ٣٢٥ ، وتفسير ابن كثير ٤ / ٦٠٣ .

(٣) مما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿غَيْرَ تَنْبِيٍّ﴾ ؛ أي غير تحسير ، والتباب : الهلاك ، وفي اللغة الإهلاك ، وواحداهما قريب من الآخر .

(٤) في (أ) : (يده) .

(٥) ورد معنى قوله في تفسير مقاتل ٢٥٥ ب ، وبحر العلوم ٣ / ٥٢٣ ، ولفظه : (خسر نفسه) .

(٦) بياض في (ع) .

(٧) في (أ) : (أهلك) .

(٨) معاني القرآن ٣ / ٢٩٨ .

(٩) ما بين القوسين لعله منقول عن الكشف والبيان ١٣ / ١٨٢ .

وأبو لهب هو ابن عبد المطلب عم النبي ﷺ ، واسمه عبد العزى ، ولهذا ذكرت كنيته دون اسمه ؛ لأن تسميته عبد العزى خطأ^(١) ، وهو عبدالله لا عبد العزى ، وكان يعادي النبي ﷺ أشد المعادة .

قال طاوس بن عبدالله (المحاري) ^(٢) : «أتى بسوق ذي المجاز ^(٣) ^(٤) ؛ إذا أنا بشاب يقول : يا أيها ^(٥) الناس ، قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا ، وإذا رجل خلفه يرميه قد أدمى ساقيه ، وعرقوية ^(٦) ، ويقول : يا أيها الناس ، إنه كذاب فلا تصدقوه ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : هذا محمد يزعم أنه نبي ، وهذا عمه أبو لهب يزعم أنه كذاب» ^(٧) .

قال أبو الضحى : «إنما كنّي باللهب لحسنه ، وكان يتلهب من حسنه» ^(٨) . وهو قول عبدالله بن كثير المكي القاري ، وكان يقرأ (أبي لهب) ساكنة الهاء ^(٩) .

- (١) انظر : بحر العلوم ٥٢٣/٣ ، والكشف والبيان ١١٨٢/١٣ .
- (٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (٣) في (أ) : (المجاز) .
- (٤) موضع سوق في عرفة ، كانت تقوم في الجاهلية ثمانية أيام . انظر : معجم البلدان ٥٥/٥ ، ومعجم ما استعجم ١١٨٥/٤ .
- (٥) في (أ) و(ع) : (يايها) .
- (٦) وعرقوية : العرقوب هو الوتر الذي خلف الكعيبين فوق العقب . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر (عرقب) ٢٢١/٣ .
- (٧) ذي المجاز : ورد نحو هذه الرواية في مسند الإمام أحمد ٤٩٢/٣ ، ٣٤١/٤ من طريق محمد بن عمرو عن ربيعة ابن عباد ، قال : «رأيت رسول الله ﷺ وهو يدعو الناس إلى الإسلام بذي المجاز ، وخلفه رجل أحول يقول : لا يغلبنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم . قلت لأبي وأنا غلام : من هذا الأحول الذي يمشي خلفه ؟ قال : عمه أبو لهب» . قال عباد : «أظن بين محمد بن عمرو وبين ربيعة محمد بن المنكدر» . انظر : تفسير القرآن العظيم ٦٠٣/٤ منسوباً إلى أحمد ، والطبراني ٦١/٥ ح ٤٥٨٢ - ٤٥٩٠ عن ربيعة بن عباد . وورد في الجامع لأحكام القرآن ٢٣٦/٢٠ ، وفيه (طارق) بدلاً من (طاووس) .
- (٨) لم أعثر على مصدر لقوله ، وقد ورد نحوه غير منسوب في الجامع لأحكام القرآن ٢٣٦/٢٠ .
- (٩) قرأ الباقر ﴿أَبِي لَهَبٍ﴾ بفتح الهاء . انظر : السبعة في القراءات ٧٠٠ ، والقراءات وعلل النحويين فيها ٨٠٥/٢ ، والحجة ٤٥١/٦ ، والمبسوط ٤٢٠ .

قال أبو علي : « يشبه ^(١) أن يكون هُبْ وهَب لغتين ^(٢) ، كالشَمْع والشمع ^(٣) والنَّهْر والنَّهْر ، واتفاقهم في الثانية ^(٤) على الفتح يدل على أنه أوجه [من] ^(٥) الإسكان ، وكذلك قوله : ﴿وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهِيبِ﴾ [المرسلات : ٣١] » ^(٦) .

وقال غيره : « اتفقوا على الفتح في الثانية ، مراعاةً لوفاق الفواصل » ^(٧) .

قال ابن مسعود : « لما أُنذر النبي ﷺ عشيرته (وأقربته) ^(٨) النار ، قال أبو هب : إن كان ما يقوله حقاً ، فإني أفندي نفسي بهالي وولدي » ، فأنزل الله :

٢ . ﴿مَا آغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ ^(٩) ؛ أي ما دفع عنه عذاب الله ما جمع من ماله ، وما ولد . (وهو قول كافة أهل التفسير) ^(١٠) .

(١) غير واضحة في (ع) .

(٢) في (ع) : (كما) ، وهي زيادة .

(٣) كالشَمْع والشمع في مصدر القول .

(٤) أي في قوله : ﴿نَارًا ذَاتَ هَبٍ﴾ .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من كلتا النسختين ، وأثبت ما جاء في مصدر القول ؛ لسلامته ، وانتظام الكلام به .

(٦) ورد في الحجة ٦ / ٤٥١ بنصه .

(٧) انظر : منار الهدى ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، والبحر المحيط ٨ / ٥٢٥ .

(٨) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٩) الكشف والبيان ١٣ / ١٨٣ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٥٤٣ ، وزاد المسير ٨ / ٣٢٦ ، ولباب التأويل ٤ / ٤٢٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٦٠٣ ، ونحوه عن ابن عباس في الجامع لأحكام القرآن ٢٣٨ / ٢٠ .

(١٠) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

قالوا: «وما كسب يعني: ولده؛ لأن ولده من كسبه». قاله ابن عباس^(١)، وعائشة^(٢) وابن سيرين^(٣)، ومجاهد^(٤)، ومقاتل^(٥)، وقتادة^(٦)،^(٧): «ويدل على صحة هذا ما روي أن النبي ﷺ قال: «إن أطيب ما أكل أحدكم من كسبه، وإن ولده من كسبه»^(٨).

ثم أوعده بالنار، فقال:

٣. (قوله)^(٩): ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾.

- (١) ورد في تفسير عبدالرزاق ٤٠٦/٢، وورد معنى قوله في جامع البيان ٣٣٨/٣٠، والنكت والعيون ٣٦٦/٦، والكشف والبيان ١٨٣/١٣ ب، والمحرر الوجيز ٥٣٤/٥، والكشاف ٢٤١/٤، والتفسير الكبير ٦٩/٣٢، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٨/٢٠، وتفسير القرآن العظيم ٦٠٣/٤.
- (٢) ورد في الكشف والبيان ١٨٣/١٣ ب، وتفسير القرآن العظيم ٦٠٣/٤، والدر المنثور ٦٦٦/٨ منسوباً إلى عبدالرزاق، وابن أبي حاتم.
- (٣) تفسير القرآن العظيم ٦٠٣/٤.
- (٤) تفسير الإمام مجاهد ٧٥٩، وجامع البيان ٣٣٨/٣٠، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٨/٢٠، وتفسير القرآن العظيم ٦٠٣/٤، وفتح القدير ٥١٢/٤، والدر المنثور ٦٦٦/٨.
- (٥) تفسير مقاتل ٢٥٥ ب.
- (٦) لم أعثر على مصدر لقوله، وقد قال بمثل قولهم أيضاً عطاء، والحسن. انظر: تفسير القرآن العظيم ٦٠٣/٤، والدر المنثور ٦٦٦/٨. وحكاه عن المفسرين الزَّجَّاج في معاني القرآن وإعرابه ٣٧٥/٥، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥٣٤/٥، وابن الجوزي في زاد المسير ٣٢٦/٨، وقال به أيضاً الثعلبي في الكشف والبيان ١٨٣/١٣ أ.
- (٧) ما بين القوسين ساقط من (أ).
- (٨) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣٠/٦، ٤٢، ١٢٧، ١٩٣، ٢٢٠، والدارمي في سننه في كتاب البيوع، باب (٦) ٦٩٧/٢ ح ٢٤٤٢، وابن ماجه في سننه في كتاب التجارات، باب (١) ٥/٢ ح ٢١٥٣، والنسائي في سننه في كتاب البيوع، باب الحث على الكسب ٢٧٦/٧ ح ٤٤٦١-٤٤٦٤. والحديث صحَّحه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٥/٢ ح ١٧٣٨. انظر: إرواء الغليل ٦٥/٦ ح ١٦٢٦، ومشكاة المصابيح للتبريزي في كتاب البيوع، باب الكسب وطلب الحلال ٢/٨٤٤ ح ٢٧٧٠.
- (٩) ما بين القوسين ساقط من (أ).

قال مقاتل : «يعني ناراً تلتهب»^(١) عليهم»^(٢) .

٤ . ﴿وَأَمْرَاتُهُ﴾ ؛ هي أم جميل بنت حرب ، أخت أبي سفيان^(٣) .

﴿حَمَالَةَ الْحَطَبِ﴾ . كانت تحمل العصاة والشوك فتطرحه على طريق النبي ﷺ ليعقره^(٥) ، وهو قول مقاتل^(٦) ، (والضحاك^(٧) ، وابن زيد^(٨) ، ورواية عطية^(٩) ، وعطاء^(١٠) عن ابن عباس^(١١) .

(١) في (أ) : (لهب) .

(٢) ورد بمعناه في تفسير مقاتل ٢٥٥ ب .

(٣) قال به الزجاج في معاني القرآن وإعراجه ٣٧٦/٥ ، وانظر : الكشف والبيان ١٣/١٨٣ ب ، ومعالم التنزيل ٥٤٣/٤ .

(٤) في (أ) : (رسول الله) .

(٥) العقر : الجرح ، أو ما يشبه الجرح من الهزم في الشيء . انظر : مقاييس اللغة (عقر) ٩٠/٤ . وقال الفيروزآبادي في القاموس المحيط (عقر) ٩٣/٢ : «العقر : الجرح وأثر كالحز في قوائم الفرس والإبل ، عقره يعقره وعقره والعقير المعقور» .

(٦) لم أعثر على مصدر لقلوله .

(٧) جامع البيان ٣٠/٣٣٩ ، والكشف والبيان ١٣/١٨٤ ، ومعالم التنزيل ٥٤٣/٤ ، وزاد المسير ٣٢٧/٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢٤٠ ، وفتح القدير ٥/٥١٢ .

(٨) ورد في جامع البيان ٣٠/٣٣٩ ، والجامع لأحكام القرآن ٢/٢٤٠ ، والدر المنثور ٨/٦٦٧ منسوباً إلى ابن أبي حاتم ، وفتح القدير ٥/٥١٢ .

(٩) ورد في جامع البيان ٣٠/٣٣٨ ، والكشف والبيان ١٣/١٨٤ ، ومعالم التنزيل ٥٤٣/٤ ، والمحرم الوجيز ٥/٥٣٥ من غير ذكر الطريق إلى ابن عباس ، وزاد المسير ٨/٣٢٧ ، والبحر المحيط ٨/٥٢٦ من غير ذكر الطريق إلى ابن عباس ، والدر المنثور ٨/٦٦٧ منسوباً إلى البيهقي في الدلائل ، وابن عساكر .

(١٠) لم أعثر على مصدر ذكر طريقه إلى ابن عباس سوى المحرم الوجيز ، والبحر المحيط ؛ فقد ذكرت الرواية من غير بيان الطريق إلى ابن عباس . انظر : الهامش السابق .

(١١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

وقال الكلبي^(١)، ومجاهد^(٢)، وقتادة^(٣)، والشَّذِّي^(٤)،^(٥) : «كانت تمشي بالنميمة بين الناس» ، وهو قول ابن عباس (في رواية أبي صالح^(٦))^(٧) .

والمعنى على هذا أنها كانت تحرش^(٨) بين الناس ، فتلقي بينهم العداوة ، وتهيج نارها ، كما توقد النار بالخطب . هذا هو الأصل ، ثم صار الخطب اسماً للنميمة ، يقال : خطب فلان بفلان ، إذا سعى به ، قاله الليث^(٩) ، وأنشد :

مَنْ الْبَيْضِ لَمْ تُصْطَدْ عَلَى ظَهْرِ سَوْءٍ
وَلَمْ تَمْشِ بَيْنَ الْحَيِّ بِالْخَطْبِ الرَّطْبِ^(١٠)

- (١) لم أعثر على مصدر لقوله .
- (٢) ورد في تفسير الإمام مجاهد ٧٥٩ ، وجامع البيان ٣٠ / ٣٣٩ ، والكشف والبيان ١٣ / ١٨٣ ب ، ومعالم التنزيل ٤ / ٥٤٣ ، وزاد المسير ٨ / ٣٢٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٣٩ ، والبحر المحيط ٨ / ٥٢٦ ، والدر المنثور ٨ / ٦٦٧ منسوباً إلى ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وفتح القدير ٥ / ٥١٢ .
- (٣) ورد في المراجع السابقة عدا تفسير مجاهد ، وزاد المسير ، وانظر : تفسير عبدالرزاق ٢ / ٤٠٦ .
- (٤) الكشف والبيان ١٣ / ١٨٣ ب ، والنكت والعيون ٦ / ٣٦٧ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٥٤٣ ، وزاد المسير ٨ / ٣٢٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٣٩ ، والبحر المحيط ٨ / ٥٢٦ ، وفتح القدير ٥ / ٥١٢ .
- (٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (٦) ورد في الكشف والبيان ١٣ / ١٨٣ ب من غير ذكر طريق أبي صالح ، وكذلك زاد المسير ٨ / ٣٢٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٣٩ ، والبحر المحيط ٨ / ٥٢٦ .
- (٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
- (٨) التحريش : الإغراء بين القوم ، وكذلك بين الكلام . انظر : الصحاح (حرش) ٣ / ١٠٠١ ، ولسان العرب (حرش) ٦ / ٢٧٩ .
- (٩) تهذيب اللغة (خطب) ٤ / ٣٩٤ .
- (١٠) ورد البيت أيضاً غير منسوب في لسان العرب (خطب) ١ / ٣٢٢ ، وتاج العروس ١ / ٢١٧ ، والكشف والبيان ١٣ / ١٨٣ ب ، والكشاف ٤ / ٢٤١ ، والنكت والعيون ٦ / ٣٦٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٣٩ ، والبحر المحيط ٨ / ٥٢٦ ، وفتح القدير ٥ / ٥١٢ ، وروح المعاني ٣٠ / ٢٦٣ ، وفيها كلها (ظهر لأمة) بدلاً من (على ظهر سوة) ، ومعاني القرآن وإعرابه ٦ / ٣٧٦ برواية : (لأمة) ، و(لم تمس بين الحي بالخطب الجزل) ، ومعجم مقاييس اللغة (خطب) ٢ / ٧٩ برواية : (جبل لأمة) ، وتأويل =

قال ابن قتيبة : «الخطب : النميمة ، ويقال : فلان يحطب على فلان ، إذا كان يُغري^(١) به ، شَبَّهوا النميمة بالخطب ، والعداوة والشحناء بالنار ؛ لأنها يقعان بالنميمة كما تلتهب النار بالخطب ، وأنشد البيت»^(٢) .

قوله^(٣) : ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ .

قراءة العامة : بالرفع^(٤) على النعت للمرأة ، وهو عطف على الضمير في (سيصلى) ، التقدير : سيصلى هو وامرأته ، إلّا أنه حسن أن لا يؤكد لما^(٥) جرى من الفصل بينهما ، ويجوز أن ترفع (امرأته) بالابتداء ، و(حمالة الخطب) وصف لها و(في جيدها) خبر المبتدأ . وعلى القول الأول (في جيدها) (في) موضع الحال على تقدير : تصلى هي النار مسلسلًا .

وهذا قول أبي علي^(٦) ، والزَّجَّاج^(٧)^(٨) ، ومعنى كلام الفراء^(٩)^(١٠) .

- = مشكل القرآن لابن قتيبة ١٦٠ برواية : (على حبل سواة) ، و(بالخطر الرطب) ، والحجة ٦/ ٤٥٢ ، وفيه (لم تسع) بدلاً من (لم تمس) .
- (١) (أغرى به) هكذا وردت في تأويل مشكل القرآن .
- (٢) ورد في تأويل مشكل القرآن ١٦٠ بتصرف يسير ، وانظر : تفسير غريب القرآن ٥٤٢ .
- (٣) في (أ) : (وقوله) .
- (٤) قرأ عاصم وحده ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ بالنصب . انظر : السبعة في القراءات ٧٠٠ ، والمبسوط ٤٢٠ ، وحجة القراءات ٧٧٦ ، وتحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة ٢٠٢ .
- (٥) في (أ) : (ما) .
- (٦) الحجة ٦/ ٤٥١ ، ٤٥٢ .
- (٧) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٧٥ .
- (٨) في (ع) : (الزَّجَّاج وأبي علي) .
- (٩) معاني القرآن ٣/ ٢١٨ .
- (١٠) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

ومن نصب : ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ فعلی معنى : أعني حمالة الحطب . قاله
الفرّاء^(١) ، والزّجاج^(٢) ، (وأبو علي^(٣))^(٤) .

وقال أبو علي : «النصب في ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ على الذم ، وكأنها كانت
اشتهرت بذلك ، فجرت الصفة عليها [للذم ؛ لا]^(٥) للتخليص والتخصيص من
موصوف غيرها»^(٦) .

٥ . وقوله تعالى : ﴿فِي جِدِّهَا﴾ ؛ أي في عنقها .

﴿جَبَلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ . قال ابن عباس^(٧) والمفسرون : «يعني سلسلة من
حديد في النار ، طولها سبعون ذراعاً» . وهو قول السُّدي^(٨) ، ومقاتل^(٩) ،
(وعروة بن الزبير^(١٠))^(١١) .

-
- (١) معاني القرآن ٣/ ٢١٨ .
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٧٥ .
(٣) الحجة ٦/ ٤٥١ ، ٤٥٢ .
(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
(٥) ما بين المعقوفين ساقط من كلتا النسختين ، وأثبت ما جاء في مصدر القول ؛ لسلامته ، وانتظام الكلام
به .
(٦) ورد في الحجة ٦/ ٤٥٢ بتصرف يسير .
(٧) ورد في الكشف والبيان ١٣/ ١٨٥ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٤٣ ، وورد أيضاً في حاشية زاد المسير
(النسخة الأزهرية) ٨/ ٣٢٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٤٢ من رواية أبي صالح عن
ابن عباس ، ولباب التأويل ٤/ ٤٢٥ .
(٨) ورد معنى قوله في الكشف والبيان ١٣/ ١٨٥ ، وحاشية زاد المسير ٨/ ٣٢٨ .
(٩) لم أعثر على مصدر لقوله .
(١٠) ورد قوله في جامع البيان ٣٠/ ٣٤٠ ، وبحر العلوم ٣/ ٥٢٤ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٨٥ ،
ومعالم التنزيل ٤/ ٥٤٣ ، والمححر الوجيز ٥/ ٥٣٥ ، وزاد المسير ٨/ ٨٢٣ ، والجامع لأحكام القرآن
٢٠/ ٢٤٢ ، والبحر المحيط ٨/ ٥٢٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٦٠٣ ، وفتح القدير ٥/ ٥١٢ .
(١١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(والمسد في كلام العرب الفتل ، يقال مسد الحبل يَمْسُدُه ، إذا أجاد قتله .
ورجل ممسود ، إذا كان مجدول الخَلْق ، وجارية ممسودة ، إذا كانت حسنة طي
الخَلْق ، والمسد : ما مسد ؛ أي قتل من أي شيء كان ، فيقال لما قتل من جلود
الإبل ، ومن الليف والخص : مسد .

ولما قتل من حديد أيضاً : مسد . والمعنى أن السلسلة التي في عنقها قُتِلَتْ من
الحديد قَتْلًا محكمًا ، ولوي لِيًّا شديدًا^(١) ، وهي السلسلة التي ذكرها الله - تعالى -
في قوله : ﴿ ذَرَعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا ﴾ [الحاقة : ٣٢] .

قالوا^(٢) : «تدخل من فيها ، وتخرج من دبرها ، ويلوى سائرهما على عنقها» .
ومن هذا يقال للحديدة التي تكون في البكرة : المسد ، لشدة قتله ، ومنه قول
النابغة :

لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفٌ الْقَعْوِ بِالْمَسَدِ^(٣)

(١) ما بين القوسين منقول عن تهذيب اللغة ١٢ / ٣٨٠ ، ونسب الأزهري القول من : (والمسد في كلام

العرب . . .) إلى (والخص المسد) إلى ابن السكيت ، ولم أجده في إصلاح المنطق .

(٢) هو قول ابن عباس ، وابن الزبير ، ومجاهد ، وعروة . انظر : الكشف والبيان ١٣ / ١٨٥ ، والجامع
لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٤٢ .

(٣) شطره الأول :

مَقْدُوفَةٌ بِدَخِيسِ النَّحْضِ بِأَرْحَا

وقد ورد البيت في ديوانه ٣١ ، طبعة الموسوعة العربية للطباعة والنشر ، والمحرم الوجيز ٥ / ٥٣٥ ،
والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٤١ ، وفتح القدير ٥ / ٥١٢ ، والكمال ٢ / ٨٤٦ . القعو : ما تدور عليه
البكرة إذا كان من خشب ، فإن كان من حديد فهو خطاف . ومقدوفة : مرمية باللحم . والدخيس :
الذي قد ركب بعضه بعضاً . والنحض : اللحم . وبازها : نابها . انظر : الكامل ٢ / ١٠٢٣ ، وانظر
أيضاً : حاشية ديوانه .

وإلى هذا ذهب مجاهد^(١) وعكرمة^(٢)، قالوا: «المسد الحديدية التي تكون في البكرة».

وهذا كالقول الأول؛ لأن المعنى: حبل من حديد، وَوَهُم^(٣) قوم لم يعلموا أن المفتول من الحديد مسد، وظنوا أن المسد لا يكون من الحديد، فقال الشعبي: «حبل من ليف»^(٤).

(و) قال قتادة: «يعني قلادة من ودع»^(٥)(٦)(٧).

وقال الحسن: «كانت خرزات في عنقها»^(٨).

(و) قال سعيد بن المسيب: «كانت لها قلادة في عنقها فاخرة»^(٩)(١٠).

(١) جامع البيان ٣٠/٣٤١، وبحر العلوم ٣/٥٢٤، والكشف والبيان ١٣/١١٨٥، ومعالم التنزيل ٥٤٤/٤.

(٢) جامع البيان ٣٠/٣٤١.

(٣) في (أ): (وهم).

(٤) الكشف والبيان ١٣/١١٨٥، والنكت والعيون ٦/٣٦٨، ومعالم التنزيل ٤/٥٤٤.

(٥) الودع: خرز بيض تخرج من البحر، تتفاوت في الصغر والكبر، قاله القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢٤٢.

(٦) ورد قوله في تفسير عبدالرزاق ٢/٤٠٦، وجامع البيان ٣٠/٣٤١، والكشف والبيان ١٣/١١٨٥، والنكت والعيون ٦/٣٦٨، ومعالم التنزيل ٤/٥٤٤، والمحزر الوجيز ٥/٥٣٥، وزاد المسير ٨/٢٦٨، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢٤٢، والبحر المحيط ٨/٥٢٦، وفتح القدير ٥/٥١٢، والدر المنثور ٨/٦٦٧ منسوباً إلى ابن الأنباري.

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٨) ورد في الكشف والبيان ١٣/١١٨٥، وورد في النكت والعيون ٦/٣٦٨ بمعناه، ومعالم التنزيل ٤/٥٤٤، وهامش زاد المسير (النسخة الأزهرية) ٨/٣٦٨، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢٤٢، والبحر المحيط ٨/٥٢٦، وتفسير الحسن البصري ٢/٤٤٤.

(٩) الكشف والبيان ١٣/١١٨٥، ومعالم التنزيل ٤/٥٤٤، والمحزر الوجيز ٥/٥٣٥، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢٤٢، والبحر المحيط ٨/٥٢٦، وفتح القدير ٥/٥١٢.

(١٠) ما بين القوسين ساقط من (أ).

وقال ابن زيد : « حبل من شجر تنبت باليمن يقال لها : مسد »^(١) .

(وقال مؤرج : «تقتل من لحاء شجر الحرم»^(٢)^(٣) .

وكل هذا وهم ، لا ذم لها في كون القلادة في عنقها .

والمراد بقوله : ﴿ فِي جِيدِهَا ﴾ يعني في النار ، ولا يكون في جيدها في النار حبل من ليف ، ولا من لحاء شجر .

(وذهب قوم إلى أنها كانت تحتطب على ظهرها بحبل من ليف في عنقها^(٤)^(٥) .

(قال ابن قتيبة : «ولست أدري كيف هذا ؛ لأن الله وصف زوجها بالمال والولد ، ثم ذكر في المسد مثل ما ذكرنا ، وهو أنه كل ما ضفر وفتل وإن كان حديداً أو ناراً ، وما شاء الله أن يكون»^(٦)^(٧) .

(١) ورد في جامع البيان ٣٠ / ٣٤٠ ، والكشف والبيان ١٣ / ١٨٥ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٥٤٤ ، وبمعناه في المحرر الوجيز ٥ / ٥٣٥ .

(٢) الكشف والبيان ١٣ / ١٨٥ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) نسبه ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ١٦١ ، ١٦٢ إلى بعض المتقدمين ، وقد قال به قتادة كما في الكشف والبيان ١٣ / ١٨٤ ، والنكت والعيون ٦ / ٣٦٧ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) ورد مختصراً في تأويل مشكل القرآن ١٦١ ، ١٦٢ .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

وذكر أهل العلم (من المفسرين) ^(١) معجزة للنبي ﷺ في هذه السورة ، وهو أنه أخبر أن أباهب وزوجه يدخلان النار ، وذلك ^(٢) إنما يكون بموتها على الكفر ، فكان الأمر كذلك ، وكانا على الكفر ^(٣) .

وسئل الحسن فقيـل : هل كان يستطيع أبوهب أن لا يصلـى النار ؟ فقال : «والله ما كان يستطيع لا يصلها» ^(٤) ، وإنها لفي ^(٥) كتاب الله قبل أن يخلق أبوهب وأبواه» ^(٦) .

(تمت) ^(٧) .

* * *

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) في (ع) : (كذلك) .

(٣) قال بذلك الثعلبي في الكشف والبيان ١٣ / ١٨٥ ، وانظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٤٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٦٠٤ منسوباً إلى العلماء .

(٤) في (أ) : (يصلها) .

(٥) في (أ) : (في) .

(٦) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

تفسير

سورة الإخلاص^{(١)(٢)}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ . قال أبي بن كعب : «إن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ : انسب لنا ربك ، فأنزل الله هذه السورة»^(٣) .

-
- (١) تسمى سورة الأساس ؛ لاشتغالها على توحيد الله ، وهو أساس الدين . انظر : الإلتقان ١ / ١٥٩ .
- (٢) فيها قولان : أحدهما أنها مكية ، وهو قول ابن مسعود ، والحسن ، وعطاء ، وعكرمة ، وجابر . والآخر أنها مدنية ، وهو قول قتادة ، وأحد قولي ابن عباس ، والضحاك ، والسُّدي . انظر : النكت والعيون ٦ / ٣٦٩ ، وزاد المسير ٨ / ٣٢٩ ، والبحر المحيط ٨ / ٥٢٧ .
- (٣) وردت هذه الرواية من طريق أبي سعد الصاغانى (محمد بن مُيسر) ، وهو طريق ضعيف لضعف أبي سعد ، ذكر ذلك أيمن صالح محقق كتاب أسباب النزول ٩ / ٤٠٩ ، وضعفه الألباني في تحقيقه لكتاب السُّنة ، باب : نسب الرب تبارك وتعالى ١ / ٢٩٧ ح ٦٦٣ . قال ابن حجر في تقريب التهذيب ٢ / ٢١٢ : «محمد بن مُيسر هو الجعفي أبو الصاغانى البلخي ، ضعيف ، ورُئي بالإرجاء» ، ووصفه البخاري بالاضطراب في التاريخ الكبير ١ / ٤٥٥ ت ٧٧٨ ، قال : «وفيه اضطراب» . ووردت هذه الرواية أيضاً من طريق أبي العالية عن أبي بن كعب في المسند ٥ / ١٣٤ ، وسنن الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب (٩٣) ٥ / ٤٥١ ح ٣٣٦٤ ، وفي المستدرک في كتاب التفسير ، باب تفسير سورة الإخلاص ٢ / ٥٤ وصححه ، ووافقه الذهبي ، والأسماء والصفات ، جماع أبواب ذكر الأسماء التي تتبع نفي التشبيه عن الله ١ / ٦٩ . قال الترمذي في سننه في كتاب تفسير القرآن ، باب (٩٣) ٥ / ٤٥١ ح ٣٣٦٤ : «وقد روي بنحو هذه الرواية عن أبي العالية ، ولم يذكر فيه عن أبي بن كعب ، وهذا أصح =

وقال ابن عباس (في رواية عطاء^(١) والضحاك^(٢))^(٣): «إن^(٤) وفد نجران^(٥) قدموا على النبي ﷺ فقالوا: صف لنا ربك؛ أومن زبرجد، أم من ياقوت، أم من ذهب، أم من فضة؟ فأنزل الله هذه السورة».

من حديث أبي سعد، وقال ابن حجر في فتح الباري ٧٣٩/٨، بعد أن ذكر رواية أبي العالية عن أبي بن كعب، وأخرجه الترمذي من وجه آخر عن أبي العالية مرسلاً: «هذا أصح، وصحح الموصول ابن خزيمة، والحاكم، وله شاهد من حديث جابر عند أبي يعلى، والطبري، والطبراني في الأوسط»، وأخرجه أيضاً ابن الجوزي كما في جامع الأصول ٤٤١/٢ ح ٨٩٣. وسند رواية أبي بن كعب إن كانت من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أنس عن أبي العالية عنه، فهو إسناد جيد. انظر: الحكم على سند الرواية في مقالة حكمت بشير، مجلة الجامعة الإسلامية ٤٠، السنة ٢٦، العددان ١٠١، و١٠٢، عام ١٤١٤-١٤١٥ هـ، وقد وردت رواية أبي العالية عن أبي بن كعب في جامع البيان ٣٠/٣٤٢، والكشف والبيان ١٣/١٨٨ أ، ومعالم التنزيل ٤/٥٤٤، وتفسير ابن كثير ٤/٦٠٤، والدر المنثور ٨/٦٦٩، منسوبة إلى أحمد، والبخاري في تاريخه، والترمذي، وابن جرير، وابن خزيمة، وابن أبي حاتم، والبغوي في معجمه، وابن المنذر، والحاكم وصححه، وفتح القدير ٥/٥١٣، ومجموع الفتاوى ١٧/٢٢١.

ووردت الرواية أيضاً من غير ذكر الطريق في بحر العلوم ٣/٥٢٥، ومعاني القرآن وإعراجه ٥/٣٧٧، والنكت والعيون ٦/٣٦٩، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢٤٦، ولباب التأويل ٤/٤٢٦.

(١) التفسير الكبير ٣٢/١٧٥.

(٢) الكشف والبيان ١٣/١٨٨ ب.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٤) في (أ): (أنى).

(٥) في (أ): (بحوران).

وقال في رواية أبي (ظبيان^(١) وأبي^(٢)) صالح^(٣) : «إن عامر بن الطفيل^(٤) ، وزيد بن ربيعة^(٥) أتيا النبي ﷺ ، فقال عامر : إلى من تدعون يا محمد ؟ قال : «إلى الله» ، فقال : صفه لنا ، أم من ذهب هو ، أم من فضة ، أم من زبرجد ، أم من خشب ؟ فنزلت هذه السورة» .

وقال قتادة^(٦) (ومقاتل^(٧))^(٨) : «إن اليهود قالوا للنبي ﷺ : انسب لنا ربك ، فقد أنزل الله نعته في التوراة ، فأخبرنا عنه يا محمد ، وصفه لنا ، فأنزل الله : ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى آخر السورة» .

فقال أبو إسحاق : «(هو) كناية عن ذكر الله» . المعنى : الذي سألتهم تبين نسبته^(٩) ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ . قال : «ويجوز أن يكون (هو) للأمر ، كما تقول : هو زيد قائم ؛ أي الأمر زيد قائم^(١٠) . والمعنى : لأمر الله أحد»^(١١) .

(١) الكشف والبيان ١٣/ ١٨٨ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٤٤ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) ورد في الكشف والبيان ١٣/ ١٨٨ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٤٤ ، وزاد المسير ٨/ ٣٢٩ من غير ذكر طريق أبي صالح ، وكذا في لباب التأويل ٤/ ٤٢٦ .

(٤) عامر بن الطفيل : قال ابن الأثير في أسد الغابة ٣/ ١٢٧ : «لم يختلف أهل النقل من المتقدمين أن عامر بن الطفيل مات كافراً» .

(٥) في (أ) : (أريد) .

(٦) تفسير مقاتل ٢٥٧ أ .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٨) ورد في جامع البيان ٣٠/ ٣٤٣ ، والنكت والعيون ٦/ ٣٦٩ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٨٨ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٤٤ ، والدر المنثور ٨/ ٦٧١ منسوباً إلى ابن المنذر .

(٩) في (أ) : (تشبيه) .

(١٠) (زيد قائم) بياض في (ع) .

(١١) ورد في معاني القرآن وإعراجه ٥/ ٣٧٧ بنصه .

قال أبو علي الفارسي : «مَنْ ذهب إلى أن (هو) كناية عن اسم الله ، كان قوله : (الله) مرتفعاً بأنه خبر مبتدأ ، ويجوز في قولك : أحد ما يجوز في قولك : زيد أخوك قائم . ومَنْ ذهب إلى أنه كناية عن القصة والحديث كان اسم الله عنده مرفوعاً بالابتداء و(وَأَحَد) خبره ، ومثل هذا قوله : ﴿ فَإِذَا [هِيَ شَخْصَةٌ] ^(١) أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [الأنبياء: ٩٧] ، إِلَّا أَنْ (هي) جاءت على التأنيث ؛ لأن في التفسير اسماً مؤنثاً ، وعلى هذا جاء : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ ﴾ [الحج: ٤٦] ، فإذا لم يكن في التفسير مؤنث لم يؤنث ضمير القصة لقوله : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا ﴾ [طه: ٧٤] » ^(٢) .

وقال أبو إسحاق : «(أحد) مرفوع على معنى هو أحد ، المعنى هو الله ، وهو أحد» ^(٣) .

وقال الكسائي : «(هو) في قوله : ﴿ هُوَ اللَّهُ ﴾ عماد» ^(٤) مثل قوله : ﴿ إِنَّهُ ﴾ ^(٥) .
أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ [النمل: ٩] » ^(٦) .

وأنكر الفراء ذلك ، وقال العماد : «لا يكون مستأنفاً به» ^{(٧)(٨)} .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من النسختين ، وأثبتته لأنه موطن الشاهد في الآية ، وهو مذكور أيضاً في الحجة ، وهو مصدر القول .

(٢) ورد في الحجة ٤٥٨ / ٦ بتصريف يسير .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣٧٧ / ٥ .

(٤) يعني به ضمير فصل . وقد سبق بيانه .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من كلتا النسختين ، وهو موضع الشاهد كما هو موضح في معاني القرآن ٢٩٩ / ٣ .

(٦) ورد قول الكسائي عند الفراء في معاني القرآن ٢٩٩ / ٣ .

(٧) لا يكون مستأنفاً به إلا إذا كان قبله (إن) ، أو بعض أخواتها ، أو (كان) ، أو الظن . انظر : معاني القرآن للفراء ٢٩٩ / ٣ .

(٨) معاني القرآن للفراء ٢٩٩ / ٣ .

وَأَمَّا (أحد) فقد تقدّم الكلام في أصله وبيانه في سورة البقرة^(١).

قال أبو علي الفارسي: «وهو اسم على ضربين؛ أحدهما: أن يكون اسماً نحو: أحدٌ وعشرون، يريد به الواحد. والآخر أن يكون صفة، كبطلٍ، وحسنٍ، وذلك نحو قول النابغة:

بذي الجليل على مُسْتَأْنَسٍ وَحَدٍ^(٢)

وقد جمعوا (أحدًا) الذي هو صفة على (أحدان)، وهو جمع لأحد الذي يراد به الرفع من الموصوف والتعظيم له، وأنه منفرد عن الشبه والمثل^(٣)، هذا كلامه.

(١) عند قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ كُذِّبَ إِلَهُهُ وَحَدَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، ومما جاء في بيان أصله: قال: «معنى الوحدة في اللغة هي الانفرد، يقال: وحده الشيء، وهو يحده، فهو واحد، وجمعه وحدان بالضم، والوحدان بالفتح بمعنى الواحد؛ مثل قولهم: فردان بمعنى الفرد، وحقيقة الواحد شيء لا يتبعض. ويقال أيضاً: وحده يوحده وحادةً ووحداً فهو وحيد. ويستعمل الواحد على وجهين: أحدهما: على جهة الحكم والحقيقة، والثاني: على الوصف والمجاز. . . . فأمّا الواحد في صفة الله تعالى، فقال الأزهري له معنيان: أحدهما أنه واحد لا نظير له وليس كمثله شيء، والمعنى الثاني أنه إله واحد، ورب واحد ليس له في إلهيته وربوبيته شريك، لأن المشركين أشركوا معه آلهة فكذبهم الله تعالى، فقال: ﴿وَاللَّهُ كُذِّبَ إِلَهُهُ وَحَدَّ﴾.

(٢) صدر البيت:

كَأَنَّ رَحْلِي وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بَنَّا

وقد ورد في ديوانه ٣١، طبعة المؤسسة العربية، وفيه (يوم) بدلاً من (بذي)، وتهذيب اللغة (وحد) ١٩/٥، ولسان العرب (وحد) ٤٥٠/٣، والكشف والبيان ١٨٩/١٣، والجامع لأحكام القرآن ٤٤/٢٠، والحجة ٤٥٨/٦، وتفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ٥٨، تحقيق الدقاق، والأمازي لابن الشجري ٢٧١/٢. زال النهار: انتصف. والجليل: وادٍ قرب مكة. والمستأنس: الذي ينظر بعينه؛ لأنه أحسن إنسياً. ووحده: منفرد.

(٣) ورد مختصراً في الحجة ٤٥٨/٦، ٤٥٩.

ومعناه أن (أحداً)، إن جعلته اسماً لله - تعالى - فمعناه أنه شيء لا ينقسم في نفسه^(١)، وفيه إبطال مذهب المجسمة^(٢)، لأن الجسم ليس بواحد؛ إذ هو أجزاء كثيرة، وقد دل الله بهذا القول على أنه واحد، فصح أنه ليس بجسم. وإن جعلته صفة فمعناه الرفع من شأنه والتعظيم بأنه لا نظير له ولا شريك.

فهو أحد في صفته؛ إذ لم يوصف غيره بها وصف به من الصفات العلية.

(١) قوله: «إنه لا ينقسم في نفسه» هذا لفظ مجمل يحتمل حقاً، وهو نفي أنه - تعالى - يتفرق أو يتجزأ، أو أنه ركب من أجزاء، ويحتمل معنى باطلاً، هو نفي علوه على عرشه ومباينته لخلقه، أو نفي صفة الوجه واليدين ونحوهما مما يليق بجلاله وعظمته. وقد اشتهر لدى المتكلمين، ومنهم الأشاعرة، ذكر هذا على المعنى الثاني، ولا شك أنه إطلاق باطل؛ لأن إثبات العلو والاستواء لا يستلزم الانقسام الذي نفاه هؤلاء، وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية في التدمرية ١٨٤، ١٨٥، تحقيق محمد السعوي ما في قول المتكلمين: «واحد لا قسيم له» من حق وباطل، فقال: «قولهم: هو واحد لا قسيم له في ذاته، أو لا جزء له، أو لا بعض له، لفظ مجمل، فإن الله أحد صمد لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، فيمتنع أن يتفرق أو يتجزأ، أو يكون قد ركب من أجزاء، لكنهم يدرجون في هذا اللفظ نفي علوه على عرشه ومباينته لخلقه وامتياز عنهم، ونحو ذلك من المعاني المستلزمة لنفيه وتعطيله، ويجعلون ذلك من التوحيد».

(٢) لفظ المجسمة لفظ مجمل يختلف المتكلمون في تحديده وتعريفه، واضطربوا، فمثلاً يرى من ينفي الأسماء والصفات كالجهمية أن من يثبت الأسماء لله كالمعتزلة مجسمة، ويرى المعتزلة نفاة الصفات أن الأشاعرة الذين يثبتون لله سبع صفات مجسمة، ويرى الأشاعرة أن أهل السنة إذا أثبتوا لله الوجه واليدين والنزول والاستواء ونحوها مجسمة، وهكذا. وقد يطلق هذا على من يشبه الله بخلقه، ويجسمه، ويصفه بصفات البشر كما فعلت جماعة المشبهة ونحوها، وهو في هذه الحالة الأخيرة إطلاق صحيح. انظر: شرح القصيدة النونية لابن القيم ٨٢/١، شرح محمد الهراس، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣/١٠٩٩، شرح عبدالرحمن المحمود، والتدمرية ١٨٤، ١٨٥، تحقيق محمد السعوي. والإمام الواحدي - رحمه الله - بما عُرِف من أشعريته قد يكون قصّد بمذهب المجسمة من يثبت لله الوجه واليدين والعلو والاستواء، ويقولون هذه خصائص الأجسام، وكثيراً ما يذكرون هذا في تفسير الأول، والواحد. ولا شك أن هذا الإطلاق خطأ، بل إثبات هذه الصفات هو الحق الذي عليه الأئمة، وهو الصواب، والله أعلم. انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣/٩٤٨، وشرح القصيدة النونية ٨٢/١.

وقال الأزهرى : « لا يوصف شيء بالأحادية غير الله تعالى ، لا يقال : رجلٌ أحدٌ ، و (لا) ^(١) درهم أحدٌ . كما يقال : رجلٌ وَحْدٌ ، أي فردٌ ؛ لأنَّ أحدًا صفة من صفات الله - جل ثناؤه - التي استأثر بها فلا يشركه فيها شيء ، وليس كقولك : الله واحد ، وهذا شيء واحد ؛ لأنه لا يقال : شيء أحد ، فأحد لا يوصف به غير الله لخلوص هذا الاسم الشريف لله جل ثناؤه » ^(٢) .

وقول المفسرين في تفسير (أحد) يدل على أنه وصف لا اسم ، فإن ابن عباس قال : « يريد الواحد الذي ليس كمثله شيء » ^(٣) .

ومقاتل قال : « (أحد) لا شريك له » ^(٤) .

واختلف القراء في قوله : ﴿ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ ، فقراء العامة ^(٥) : التنوين .

وتحريكه بالكسرة في نحو : (أَحَدُنِ الله) وهو القياس الذي لا إشكال فيه ، وذلك أن التنوين من (أحد) ساكن ، ولام المعرفة من (الله) ساكن ، فلمَّا التقى ساكنان حرَّك الأول منهما بالكسر كما تقول : اذهب اذهب . فتحرك الساكن الأول بالكسر .

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) ورد في تهذيب اللغة ٥/ ١٩٧ ، ١٩٨ بتصرف .

(٣) ورد في الوسيط ٤/ ٥٧١ ، وبمعناه في زاد المسير ٨/ ٣٣٠ ، وعبارته : (الأحد هو الواحد) .

(٤) الوسيط ٤/ ٥٧١ .

(٥) وهم : ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ، وعاصم ، وحزمة ، والكسائي ، وقرأ أبو عمر (أَحَدٌ * الله) بغير تنوين ثم وقف . انظر : السبعة في القراءات ٧٠١ ، والقراءات وعلل النحويين فيها ٢/ ٨٠٧ ، والحجة ٦/ ٤٥٤ .

وروي عن أبي عمرو : (أحد الله) بغير تنوين^(١) ، وذلك أن النون شابهت حروف اللين في أنها تزداد كما يزدن^(٢) ، وفي أنها قد أبدلت منها (الألف) في الأسماء المنصوبة ، وفي الخفيفة نحو : (والله فاعبدا) ، فلما شابهتها أُجريت مجراها في أنها حذفت ساكنه لالتقاء الساكنين كما حذفت الألف والواو والياء كذلك ، نحو : رمى القوم ، ويغزو^(٣) القوم ، ويرمي القوم ، ومن ثم حذفت الساكن في الفعل نحو : ﴿لَمْ يَكْ﴾ [الأنفال : ٥٣] ، ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ﴾ [السجدة : ٢٣] ، فحذفت في (أحد الله) لالتقاء الساكنين كما حذفت هذه الحروف . وقد جاء ذلك في الشعر كثيراً ، أنشد أبو زيد (فقال)^(٤) :

حَيْدَةُ خَالِي ، وَلَقِيطٌ ، وَعَلِيٌّ وَحَاتِمُ الطَّائِي وَهَابُ الْمُئِي^{(٥)(٦)}
وأنشد أيضاً^(٧) (فقال)^(٨) :

لَتَجِدَنِي بِالْأَمِيرِ بَرًّا بِالْقَنَاءِ مَدْعَسًا مَكْرًا إِذَا غُطِفْتُ السَّلَمِيِّ فَرًّا^(٩)

(١) القراءة عن هارون عن أبي عمرو بضم الدال في (أحد) بغير تنوين قراءة شاذة ، رُويت أيضاً عن نصر بن عاصم ، وعمر بن الخطاب . انظر : مختصر الشواذ ١٨٢ . وإذا كان المقصود قراءته بالوقف من غير تنوين فهي قراءة صحيحة كما مر بنا .

(٢) في (أ) : (يزد) .

(٣) في كلتا النسختين : (بغزوا) .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) في (أ) : (المأوى) ، وفي (ع) : (المأى) .

(٦) البيت لامرأة من بني عقيل تغفر بأخوالها من اليمن ، وقد ورد في النوادر في اللغة لأبي زيد (رجز) ٣٢١ ، ولسان العرب (مأى) ١٥ / ٢٧ منسوباً إلى العامرية ، والأُمالي الشجرية ١ / ٣٨٣ ، والمنصف ٦٨ / ٢ .

(٧) الرجز لقائل مجهول . انظر : حاشية الحجة ٦ / ٤٥٧ .

(٨) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٩) ورد البيت في النوادر (رجز) ٣٢١ ، والحجة ٤ / ١٨٥ ، ولسان العرب (دعص) ٧ / ٣٦ ، وأنشد الأول منه والثاني برواية : (بالقناة) مَدْعَصًا دَعَصَهُ بِالرَّمْحِ ؛ أي طعنه به ، ورجل مَدْعَصٌ بِالرَّمْحِ : طَعَنَ ، ولسان العرب (دعس) : ٦ / ٨٤ ، والأُمالي الشجرية ١ / ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، والإنصاف ٢ / ٦٦٥ ، ومعاني =

وقد ذكرنا هذا مستقصى^(١) عند قوله : ﴿عَزِيزٌ أُنْزِلَ اللَّهُ﴾ [التوبة : ٣٠] .

وروي عن أبي عمرو أيضاً : (أحد الله الصمد) ، وقال : «أدركت القرءاء كذلك يقرءونها (أحد) وصلأ على السكون» .

قال أبو علي : «قد تجري الفواصل في الإدراج مجراها في الوقف ، على هذا قال مَنْ قال : ﴿فَاضْلُونا السَّبِيلَ﴾ ﴿١٧﴾ رَبَّنَا﴾ [الأحزاب : ٦٧-٦٨] ، ﴿وَمَا أَدْرُكَ ما هِيَّةَ نارٍ﴾ [القارعة : ١٠-١١] .

وأنشد^(٢) :

أَصْبَحْتُ لا أَهْلُ^(٣) السِّلَاحِ ولا أملكُ^(٤) رأسَ البعيرِ إنْ نَفَرَا
والذئبُ أخشاهُ إنْ مررتُ بهِ^(٥) ...

قال : وهذا مبني على وصل البيت الأول بالثاني ، ألا ترى أنه نصب الذئب كما قال سبجانه : ﴿وَالظَّلِمِينَ أَعَدَّ﴾ [الإنسان : ٣١] بعد قوله : ﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ [الإنسان : ٣١] ، وكذلك الفواصل إذا أدرجت ووصلت بها بعدها .

القرآن ١ / ٤٣١ ، وشرح أبيات معاني القرآن ١٤٠ ش ٣٠٢-٣٠٤ ، وجامع البيان ٣٠ / ٣٤٤ ،
الحاشية ١ . والشاهد : (غطيف) ، أراد غطيف بالتنوين ، بيد أنه حذف لالتقاء الساكنين مثلما حذفت
نون التوكيد لالتقاء الساكنين .

(١) في (ع) : (مستقصى) .

(٢) البيت للربيع بن ضب الفزاري .

(٣) في (ع) : (ولا أملك) بدلاً من (ولا أهمل) .

(٤) في (ع) : (ولا أهمل) بدلاً من (ولا أملك) .

(٥) عجز البيت :

وَخُدي وَأخشى الرِّياحَ والمَطْرا

وقد ورد في كتاب سيبويه ١ / ٨٩ ، ٩٠ ، وشرح أبيات سيبويه ٧١ ش ١٦٣ ، والمحاسب ٢ / ٩٩ ،
والنوادير ٤٤٦ .

ومما يؤكد ذلك قطعهم لهمزة الوصل في أنصاف البيوت كقوله^(١) :

وَلَا يُبَادِرُ فِي الشِّتَاءِ وَلَيْدُنَا أَلْقَدْرُ يُنْزِلُهَا بِغَيْرِ جِعَالٍ^(٢)

فهذا لأن النصف الثاني من الأول كالبيت الثاني من الأول ، فكذلك (أحد الله) لما كان أكثر القراء في ما حكاه أبو عمرو على الوقف أجراه في الوصل مجراه في الوقف لاستمرار الوقف عليه ، وكثرته على ألسنتهم^(٣) .

٢. قوله : ﴿اللَّهُ الصَّكْمُ﴾ . اختلف قول المفسرين في معنى الصمد وتفسيره ، فقال ابن عباس^(٤) (في رواية عطاء)^(٥) : «لما نزل : ﴿اللَّهُ الصَّكْمُ﴾ قالوا : وما الصمد ؟ فقال رسول الله : «السيد الذي يصمد إليه (في)^(٦) الحوائج» . وهو قول أبي عبد الرحمن السلمي^(٧) ، قال : «الصمد الذي يصمد إليه في الأمر»^(٨) .

(١) البيت للبيد ، وليس في ديوانه نقلاً عن الحاشية ١ ، والحجة ٦ / ٤٦١ .

(٢) ورد البيت في كتاب سيبويه ٤ / ١٠٥ ، وشرح أبيات سيبويه ١٨٦ ش ٧٠٩ ، ولسان العرب (جعل) ١١٢ / ١١ برواية : (ولا تبادر في الشتاء وليدتي) ، ونسبه إلى ابن بري . ومعنى جعال : ما تنزل به القدر من خرقة وغيرها .

(٣) ما بين القوسين منقول عن الحجة ٦ / ٤٥٤ - ٤٦٢ بتصرف .

(٤) ورد معنى قوله في بحر العلوم ٣ / ٥٢٥ ، والكشف والبيان ١٣ / ١٨٩ ب ، والنكت والعيون ٦ / ٣٧١ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٤٥ من طريق الضحاك ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٦٠٩ ، وطريق نافع بن الأزرق ، عن ابن عباس ، قال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد (سورة قل هو الله أحد) ٧ / ١٤٥ : «رواه الطبراني ، وفي إسناد جوير ، وهو متروك» ، وورد من غير ذكر طريق عطاء في زاد المسير ٨ / ٣٣٠ ، والتفسير الكبير ٣١ / ١٨١ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) في (أ) : (اللمى) .

(٨) ورد قوله في تهذيب اللغة (صمد) ١٢ / ١٥٠ .

وقال السُّدِّي : «هو المصمود إليه في الرغائب»^(١) .

(روى)^(٢) عمرو عن أبيه^(٣) : «الصامد القاصد لحاجته» .

ويقال للمقصود : المرغوب إليه (المعروف بالإغاثة)^(٤) السيد الصمد^(٥) .

(وقال)^(٦) الليث : «صمدت صمد هذا الأمر ؛ أي قصدت قصده ، ويقال : صمدته^(٧) أيضاً» . قال طرفة :

إِنْ يَلْتَقِ الْحَيَّ الْجَمِيعُ تَلَاقِنِي إِلَى ذِرْوَةِ الْبَيْتِ الرَّفِيعِ الْمَصْمَدِ^(٨)
وروى الأعمش عن أبي وائل أنه قال : «الصمد السيد الذي قد انتهى
سؤدده»^(٩) .

(١) الكشف والبيان ١٣/ ١٩٠، والنكت والعيون ٦/ ٣٧٢، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٤٥، والتفسير الكبير ٣٢/ ١٨١، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٤٥، ومجموع الفتاوى ١٧/ ٢١٦، وتفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ٤٠ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) في (أ) : (الله) .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) لم أعر على مصدر هذا القول .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) تهذيب اللغة ١٢/ ١٥١، وانظر : لسان العرب (صمد) ٣/ ٢٥٨ .

(٨) ورد البيت في ديوانه ٣٠، طبعة المؤسسة العربية، ومعجم مقاييس اللغة (صمد) ٣/ ٣١٠، والكشف والبيان ١٣/ ١٨٩ ب رواية : (وإن)، ومجموع الفتاوى ١٧/ ٢١٧، ودقائق التفسير ٦/ ٣٥٧، وتفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ٥٩، والأمالى لأبي علي القالي ٢/ ٢٨٨ . المصمد : القصد ، يقول : وإن اجتمع الحي للافتخار تلاقني أُنتمي وأعترى إلى ذروة البيت الشريف ، إلى أعلى الشرف ، يريد أنه أوفاهم حظاً من الحب ، وأعلامهم سهماً من النسب .

(٩) ذكره البخاري في الجامع الصحيح في كتاب التفسير ، باب (٢) ٣/ ٣٣٤ من قول أبي وائل تعليقاً ، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٨/ ٧٤٠ : «وصله الفريابي من طريق الأعمش عنه ، وجاء أيضاً من طريق عاصم عن أبي وائل يذكر ابن مسعود فيه» . وقال عبدعلي محقق تفسير سورة الإخلاص ٣٩-٥٢ : =

قال الأزهرى : «أمّا الله فلا نهاية لسؤدده ، لأنه سؤدد غير محدود»^(١) .

وهذا معنى قول ابن عباس (في رواية الوالبي)^(٢) ، قال : «هو السيد الذي قد كمل في جميع أنواع الشرف والسؤدد»^(٣) .

واختاره أبو إسحاق ، وأحسن في (العبرة عن)^(٤) تفسيره ، فقال : «تفسير الصمد (السيد)^(٥) الذي يُنتهى إليه السؤدد»^(٦) .

«أخرجه ابن أبي عاصم في السُّنة : ٢٩٩/١ ح ٦٦٦» ، وقال الألباني : «إسناده حسن ، وأخرجه أيضاً من قول أبي وائل من رواية ابن نمير عن وكيع ، وابن إدريس عن الأعمش عنه ورجال إسناده في الصحيحين ١/٣ ح ٦٢٧ ، وأخرجه الطبري ، والبيهقي في الأسماء والصفات ١/١٠٩ من وجه آخر عن الأعمش عنه ، ورجلها أيضاً ثقات» . وورد أيضاً في تفسير عبدالرزاق ٢/٤٠٧ ، وجامع البيان ٣٠/٣٤٦ ، وبحر العلوم ٣/٥٢٥ ، والكشف والبيان ١٣/١٨٩ ب ، والنكت والعيون ٦/٣٧١ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢٤٥ ، ولباب التأويل ٤/٤٢٧ منسوباً إلى البخاري في أفراده ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٦١٠ ، والأسماء والصفات ١/١٠٩ ، ومجموع الفتاوى ١٧/٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٥ ، ودقائق التفسير ٦/٣٥٩ .

(١) تهذيب اللغة (صمد) ١٢/١٥٠ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) ورد في جامع البيان ٣٠/٣٤٦ مطولاً ، والكشف والبيان ١٣/١٨٥ ب من طريق ابن أبي طلحة ، ومعالم التنزيل ٤/٥٤٤ من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس ، وزاد المسير ٨/٣٣٠ عن ابن أبي طلحة عنه ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢٤٥ ، ولباب التأويل ٤/٤٢٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٦٠٩ برواية : (ابن أبي طلحة عنه) ، وكذلك الدر المنثور ٨/٢٦٣ منسوباً إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ في العظمة ، والأسماء والصفات ١/١٠٨ ، ودقائق التفسير ٦/٣٥٩ ، ومجموع الفتاوى ١٧/٢٢٠ ، وتفسير سورة الإخلاص ٣٩-٤٦ ، وقال محققه في الهامش ٥١ : ٤٦ : «إن إسناده من طريق أبي صالح لا بأس به» .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٥/٣٧٧ بنصه .

ومعنى هذا أن السؤدد انتهى إلى الله ، فلا سيد فوقه ، كما أن العلم انتهى إليه ، ففوق كل ذي علم عليم حتى ينتهي العلم إليه ، فلا عالم فوقه ، (وهذا معنى ما روي عن عكرمة أنه قال)^(١) : «الصمد الذي ليس فوقه أحد»^(٢) .

وذكر^(٣) القول الأول ، فقال : «وقيل : إن الصمد الذي صمد إليه كل شيء ؛ أي الذي خلق الأشياء كلها لا يستغني عنه شيء ، يريد أن المخلوق لا غنى له عن الخالق ، فكل شيء يصمد^(٤) بافتقاره إليه ، ويدل على وحدانيته»^(٥) .

وقال الحسن : «الصمد الدائم»^(٦) .

وقال مجاهد : «الصمد الذي لا جوف له»^(٧) .

-
- (١) ورد في (أ) بلفظ : (قال عكرمة) بدلاً مما بين القوسين .
 (٢) الكشف والبيان ١٣ / ١٨٩ ب ، ومعالم التنزيل ٤ / ٥٤٥ ، وتفسير سورة الإخلاص ٣٩ .
 (٣) أي الزَّجَّاج .
 (٤) في (أ) : (مصمد) .
 (٥) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٣٧٨ بتصرف .
 (٦) ورد في تفسير عبد الرزاق ٢ / ٤٠٧ ، وبحر العلوم ٣ / ٥٢٥ ، والنكت والعيون ٦ / ٣٧١ ، وزاد المسير ٨ / ٣٣١ غير منسوب ، ومجموع الفتاوى ١٧ / ٢١٩ ، وورد بمعناه في تفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٧٠ ، وتفسير الحسن البصري ٢ / ٤٤٥ ، وقال عنه الألباني في كتاب السنة ١ / ٣٠٢ ح ٦٨١ : «إسناده ضعيف مقطوع» .
 (٧) ورد في تفسير الإمام مجاهد ٧٦٠ ، وتفسير عبد الرزاق ٢ / ٤٠٧ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٥٤٢ ، وجامع البيان ٣٠ / ٣٤٤ منسوباً إلى الحسن وعامر ، والكشف والبيان ١٣ / ١١٨٩ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٥٤٤ ، وزاد المسير ٨ / ٣٣١ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٦١٠ منسوباً إلى ابن مسعود ، وابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، وعبد الله بن بريدة ، وعكرمة ، وعطاء ، والسُّدِّي ، وفتح القدير ٥ / ٥١٦ ، ومجموع الفتاوى ١٧ / ٢١٥-٢٢٤ ، ودقائق التفسير ٦ / ٣٥٩ ، وتفسير سورة الإخلاص ٥٠ ، وقال محققه : «سنده صحيح ، وعند الألباني في تخريج السنة ١ / ٣٠٠ ح ٦٧٣ إسناده صحيح مقطوع» .

وهو قول (عطية^(١))، والضحاك^(٢)، وميسرة^(٣)، وسعيد بن جبير^(٤)،^(٥) قالوا: «هو المصمت^(٦) الذي لا جوف له».

وقال الشعبي: «الذي لا يأكل ولا يشرب»^(٧).

وقال عكرمة: «الذي لا يخرج منه شيء»^(٨).

-
- (١) تفسير القرآن العظيم ٦١٠/٤، وفتح القدير ٥١٦/٥.
- (٢) جامع البيان ٣٠/٣٤٥، والنكت والعيون ٦/٣٧١، وزاد المسير ٨/٣٣١، وتفسير القرآن العظيم ٦١٠/٤، ومجموع الفتاوى ١٧/٢١٥.
- (٣) ورد في الكشف والبيان ١٣/١٧٩ب، وتهذيب اللغة (صمد) ١٢/١٥٠، ومجموع الفتاوى ١٥/٢١٥، وقال الألباني في ظلال الجنة ١/٣٠٠ ح ٦٨٨، ٦٨٩: «إسناده ضعيف مقطوع».
- (٤) ورد في جامع البيان ٣/٣٤٥، والكشف والبيان ١٣/١٨٩أ، والنكت والعيون ٦/٣٧١، ومعالم التنزيل ٤/٥٤٤، وزاد المسير ٨/٣٣١، وتفسير القرآن العظيم ٦١٠/٤، ومجموع الفتاوى ١٧/٢٢٤، وقال الألباني في ظلال الجنة ١/٣٠٢ ح ٦٨٥، ٦٨٦: «إسناده مقطوع فيه ضعف».
- (٥) ورد في (أ) بلفظ: (وجاعة) بدلاً مما بين القوسين.
- (٦) في (أ): (المتصمت).
- (٧) جامع البيان ٣٠/٣٤٥، والكشف والبيان ١٣/١٨٩أ، والنكت والعيون ٦/٣٧١، ومعالم التنزيل ٤/٥٤٤، والمحرم الوجيز ٥/٥٣٦، والبحر المحيط ٨/٥٢٨، وتفسير القرآن العظيم ٦١٠/٤، وفتح القدير ٥١٦/٥، ومجموع الفتاوى ١٧/١٥٠، ٢٢٤، ٢٢١، ودقائق التفسير ٦/٣٥٩، وقال الألباني في ظلال الجنة ١/٣٠٢ ح ٦٨٢: «إسناده صحيح مقطوع».
- (٨) جامع البيان ٣٠/٣٤٥، والكشف والبيان ١٣/١٩٠أ، ومجموع الفتاوى ١٧/٢١٥، ودقائق التفسير ٦/٣٥٩، وتفسير سورة الإخلاص ٤٧، وقال محققه في الحاشية ٦: «إسناده صحيح»، وعلّق عليه ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٧/٢٤٠ قائلاً: «كلام صحيح؛ بمعنى أنه لا يفارقه شيء منه»، وقال الألباني في ظلال الجنة في تخريج السُّنة ١/٢٩٩ ح ٦٦٧ عن رواية عكرمة: «إسناده ضعيف مقطوع».

هذا قول هؤلاء^(١) . وتحقيق ذلك أن الله - تعالى - لا يحتاج إلى الطعام والشراب ، ولا جوف له ، ولا عضو ، ولا رأس ولا رجل^(٢) فلا معنى لتخصيص نفي الجوف دون غيره في صفة الله تعالى .

وأما في تفسير الصمد فقد يكون في العربية الصمد الشيء المصمت الذي لا جوف له ، المسدود الجوف ، ومنه يقال لسداد القارورة : الصمد ، وقد صمدتها أصمدها ، وشيء مصمد : صلب ، وليس فيه خور^(٣) (وهذا صحيح في اللغة^(٤))^(٥) ، ولكن الصمد بهذا المعنى لا يجوز في صفة الله تعالى ؛ لأن المصمت هو المتضاغط^(٦) الأجزاء^(٧) ، وهذا تشبيه وكفر بالله^(٧) .

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) قد أثبت الله - سبحانه - لنفسه صفة الرجل ، فثبت لله - تعالى - ما أثبتته لنفسه اتباعاً لمذهب السلف من غير تشبيه ، ولا تمثيل ، ولا تعطيل ، ولا تكيف إثباتاً يليق بذاته ، فعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : «يلقى في النار وتقول : هل من مزيد حتى يضع قدمه أو رجله عليها فتقول قط قط» أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب التفسير ، باب (٥٠) ، رقم ٢٩٦/٣ ح ٤٨٤٨ .

(٣) الخور : الصوت . انظر : الصحاح (خور) ٦٥١/٢ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (صمد) ١٥٠/١٢ ، ١٥١ ، والصحاح ٤٩٩/٢ ، ولسان العرب ٢٥٨/٣ ، وتاج العروس ٤٠١/٢ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) المتضاغط الضغط والضغط : عصر شيء إلى شيء ضغطه يضغطه ضغطاً ؛ أي زحمة إلى حائط ونحوه ، والتضاغط التزاحم . انظر : لسان العرب (ضغط) ٣٤٢/٧ .

(٧) هذا الكلام من الإمام الواحدي يدل على أشعريته ، ويتضح ذلك عند قوله : «ولا رجل» ؛ لثبوت هذه الصفة لله تعالى . وعند قوله : «فلا معنى لتخصيص الجوف دون غيره في صفة الله تعالى» ؛ لأن قوله : «وغيره» قد يدخل فيه ما هو صفة ثابتة لله تعالى . ثم نفيه لصفة الصمد بالمعنى الثاني ، وهو الذي لا جوف له ، وضمنه أنواعاً من النفي مثل قوله : «لا جوف ، لا عضو ، لا رأس . . .» . وهذه طريقة المتكلمين في النفي ؛ إذ يتقون عن الله - تعالى - من الصفات ما لا يتضمن كماله ضده خلافاً لمنهج الكتاب والسنة ، فإنه قائم على النفي المتضمن كمال ضده لله تعالى ، كنفي السنة والنوم الدال على كمال الحياة والقيومية . وكذا وصفه بالصمد على المعنى الثاني ، وإنه الذي لا جوف له ؛ فإنه راجع إلى صفة الكمال التي دل عليها المعنى الأول ، وقد وضح شيخ الإسلام ذلك باختصار في مجموع الفتاوى ٢٣٨/١٧ - ٢٤٠ قائلًا : «والاسم الصمد فيه للسلف أقوال متعددة قد يُظن أنها مختلفة ، وليست كذلك ، بل كلها =

وَمَنْ أَجَازَ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى (الصمد) فِي صِفَاتِ اللَّهِ هُوَ ضِدُّ الْأَجُوفِ فَقَدْ جَهِلَ، (وَقَالَ مَا لَا يَجُوزُ^(١))، وَقَدْ رَوَى سَعِيدُ عَنْ^(٢) قَتَادَةَ قَالَ: «كَانَ إِبْلِيسُ يَنْظُرُ إِلَى آدَمَ وَيَقُولُ: لَا أَمْرَ خَلَقْتَ، وَدَخَلَ فِي فِيهِ، وَخَرَجَ مِنْ دُبُرِهِ، فَقَالَ لِلْمَلَائِكَةِ: لَا تَرْهَبُوا مِنْ هَذَا، فَإِنْ رَبَّكُمْ صَمَدٌ، وَهَذَا أَجُوفٌ»^(٣).

صواب، والمشهور منها قولان: أحدهما أن الصمد هو الذي لا جوف له، والثاني أنه السيد الذي يصمد إليه في الحوائج.

والأول قول أكثر السلف من الصحابة والتابعين وطائفة من أهل اللغة، والثاني قول طائفة من السلف والخلف وجمهور اللغويين. ثم قال: «قلت: الاشتقاق يشهد جميعاً قول من قال: إن الصمد الذي لا جوف له، وقول من قال: إنه السيد، وهو على الأول أدل، فالأول أصل للثاني، ولفظ الصمد يقال على ما لا جوف له في اللغة... وأصل هذه المادة الجمع والقوة ثم قال: لم يقل: الله صمد، بل قال: الله الصمد، فبين أنه المستحق لأن يكون هو الصمد دون ما سواه، فإنه المستوجب لغايته على الكمال، والمخلوق، وإن كان صمداً من بعض الوجوه، فإن حقيقة الصمدية متفية عنه، فإنه يقبل التفرقة والتجزئة، وهو أيضاً محتاج إلى غيره، فإن كل ما سوى الله محتاج إليه من كل وجه، فليس أحد يصمد إليه كل شيء، ولا يصمد هو إلى شيء إلا الله تبارك وتعالى، وليس في المخلوقات إلا ما يقبل أن يتجزأ ويتفرق وينقسم وينفصل بعضه من بعض، والله - سبحانه - هو الصمد الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك، بل حقيقة الصمدية وكمالها له وحده واجبة لازمة لا يمكن عدم صمديته بوجه من الوجوه، كما لا يمكن تنسية أحديته بوجه من الوجوه، فهو أحد لا يماثله شيء من الأشياء بوجه من الوجوه»، ثم قال: «ودل قوله: (الأحد، الصمد) على أنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فإن الصمد هو الذي لا جوف له ولا أحشاء، فلا يدخل منه شيء، فلا يأكل ولا يشرب... والصمد المصمد الذي لا جوف له، فلا يخرج منه عين من الأعيان فلا يلد...». وقال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٤/٦١٠، بعد إيراده كثيراً من هذه الأقوال في تفسير الصمد: «وكل هذه صحيحة، وهي صفات ربنا عز وجل، هو الذي يصمد إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سؤده، وهو الصمد الذي لا جوف له، ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه...»، وقال البيهقي نحو ذلك. وتأسيساً على ذلك، فلا معنى لاستنكار الإمام الواحدي أو غيره هذه الصفة بعد إثبات معناها عن جمهرة من السلف، وهي دالة على الكمال لله تعالى.

(١) رد قول الإمام الواحدي وأبطل في الحاشية السابقة.

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٣) ورد في بحر العلوم ٣/٥٢٥، ومجموع الفتاوى ١٧/٢٢٦، ودقائق التفسير ٦/٥٢، وتفسير سورة الإخلاص ٤٥٧، وقال محققه عبدعلي: «جاء في حديث طويل أخرجه ابن جرير ١/٢٠٣ والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن مسعود وابن عباس، وسنده ضعيف».

(قال ابن قتيبة ، وهو على^(١)) هذا التفسير : «(الدال) فيه مبدلة من (تاء) ، و(المصمت) من (صمد)»^(٢) ، وقد بيّنا فساد هذا القول ، وأنه لا يجوز في وصف الله (تعالى)^(٣)(٤) .

والقول في الصمد : أنه السيد الذي يصمد إليه الحوائج^(٥) .

(قال أبو عبيدة^(٦) والمبرد^(٧) : «الصمد الذي انتهى إليه السؤدد ، لأن الناس تصمد إليه»^(٨) في حوائجهم)^(٩) .

(١) ما بين القوسين غير مقروء في (ع) .

(٢) ورد في تفسير غريب القرآن ٥٤٢ بتصرف يسير ، وقد بين ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٢٣٢ / ١٧ مراد ابن قتيبة ، قال : «لا إبدال في هذا ، ولكن هذا من جهة الاشتقاق الأكبر . . . ثم قال : فالاشتقاق الأصغر اتفاق القولين في الحروف وترتيبها ، والأوسط اتفاقهما في الحروف لا في الترتيب ، والأكبر اتفاقهما في أعيان بعض الحروف وفي الجنس لا في الباقي كاتفاقهما في كونها من حروف الحلق إذا قيل حرز ، وعزر ، وازر ، فإن الجميع فيه معنى القوة والشدة ، وقد اشتركت مع الراء والزاي والحاء في أن الثلاثة حروف حلقيّة ، وعلى هذا فإذا قيل الصمد : بمعنى المصمت ، وأنه مشتق منه بهذا الاعتبار ، فهو صحيح ، فإن الدال أخت التاء ، فإن الصمت السكوت وهو إمساك وإطباق للهم عن الكلام» .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) بيّنا صحة القول في معنى (الصمد) خلافاً لما زعم الإمام الواحدي ؛ فليراجع في موضعه من هذه السورة .

(٥) ما بين القوسين ساقط من نسخة (أ) .

(٦) مجاز القرآن ٣١٦ / ٢ ، ولم يستشهد ببيت عمرو بن الأسلع وإنما ببيت الزبرقان ، وفيه : ولا رهينة إلا سيد صمد .

(٧) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٨) ما بين القوسين ساقط من (أ) ، وغير مقروء ، وأثبت ما رأيت به انتظام الكلام ، والله أعلم .

(٩) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(والعرب تقول لسيدها ولعظيمها : صمد ، كما قال ^(١) :

عَلَوْتُهُ بِحَسَامِي ثُمَّ قُلْتُ لَهُ

خُذْهَا حَذِيفَ فَأَنْتَ السَّيِّدُ الصَّمَدُ ^(٢)

وأنشد أهل اللغة قول الأسدي ^(٣) :

أَلَا بَكَرَ النَّاعِي بِخَيْرِي بَنِي أَسَدٍ

بعمرو بن مسعود وبالسَّيِّدِ الصَّمَدِ ^(٤) ^(٥)

وروي عن أبي بن كعب في تفسيره : «الصمد أنه ما بعده ، وهو قوله :

-
- (١) البيت لعمر بن الأسلع العسبي في حاشية الصحاح .
- (٢) ورد البيت منسوباً إلى ابن الأثير في الزاهر ١ / ١٨٠ ، وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ٣ / ٤٤٠ ، وغير منسوب في الكشف والبيان ١٣ / ١٨٩ ب برواية : (بحسام) ، والصحاح (صمد) ٢ / ٤٩٩ ، ولسان العرب ٣ / ٢٥٨ ، وتاج العروس ٢ / ٤٠١ ، والأملاني لأبي علي القاسي ٢ / ٢٨٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٤٥ برواية : (بحسام) ، وروح المعاني ٣٠ / ٢٧٣ برواية : (حزيت) ، وتفسير سورة الإخلاص ٤١ .
- (٣) الأسدي : سبرة بن عمرو الفقعسي ، شاعر جاهلي . انظر : شرح ديوان الحماسة للتبريزي ١ / ٨٠ .
- (٤) ورد البيت غير منسوب في شعر بني أسد في الجاهلية لأحمد الجاسم ٣٧ ، وجامع البيان ٣٠ / ٣٤٧ ، ومجاز القرآن ٢ / ٣١٦ برواية : (بخير) ، ومعاني القرآن وإعراجه ٥ / ٣٧٨ ، والكشف والبيان ١٣ / ١٨٩ ب ، والنكت والعيون ٦ / ٣٧١ ، والمحضر الوجيز ٥ / ٥٣٦ برواية : (بخير) ، وزاد المسير ٨ / ٣٣١ ، والتفسير الكبير ٣٢ / ١٨١ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٤٥ برواية : (بخير) ، وروح المعاني ٣٠ / ٢٧٣ ، والأغاني ٢٢ ، ٩٢ ، طبعة دار الكتب ، وفتح القدير ٥ / ٥١٧ ، وتهذيب اللغة (صمد) ١٢ / ١٥ ، ولسان العرب ٣ / ٢٥٨ ، وفتح الباري ٨ / ٧٤٠ ، والأملاني لأبي علي القاسي ٢ / ٢٨٨ ، وسقط اللآلي ٩٣٢ ، وتفسير سورة الإخلاص ٤١ .
- (٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

٣. (الذي)^(١) ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ﴾ ؛ لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت ، وليس شيء إلا سيورث ، وأن الله لا يموت ، ولا يورث^(٢) .

(وقال عطاء عن)^(٣) ابن عباس : «(لم يلد) كما وُلدت مريم ، ولم (يولد) كما وُلد عيسى»^(٤) .

وقال مقاتل : «إن مشركي العرب قالوا : الملائكة بنات الله ، وقالت اليهود : عزيز ابن الله ، وقالت النصارى : المسيح ابن الله ، فأكذبهم الله ، وأبرأ نفسه مما قالوا ، فقال : ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ﴾^(٥) ، يقول : «لم يكن له ولد ، ولم يولد له من أحد كما وُلد عيسى ، وعزيز ، ومريم» .

٤. ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ . قال أبو إسحاق : «معناه لم يكن أحد مثلاً له»^(٦) .

(وقال أبو عبيدة : «يقال : كفوءاً وكَفِيئاً»^(٧) وكِفَاءً كله واحد»^(٨) .

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) الكشف والبيان ١٣/ ١٨٩ ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٤٤ ، وحاشية زاد المسير (النسخة الأزهرية) ٨/ ٣٣١ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٤٥ ، وانظر تحريجه عند قوله : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) ورد في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٤٦ من غير ذكر طريق عطاء .

(٥) بحر العلوم ٣/ ٥٢٥ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٤٥ ، وزاد المسير ٨/ ٣٣١ ، ولباب التأويل ٤/ ٤٢٧ .

(٦) ورد في تهذيب اللغة (كفأ) ١٠/ ٣٨٥ ، ولم أجد قوله في معانيه ، وإنما وجدته في التهذيب ، ولعل الواحد ي نقله عن الأزهرى ، والعبارة الواردة في المعاني ٥/ ٣٧٨ هي : (قال . . . ويقال : فلان كفء فلان مثل كفي فلان) .

(٧) (كفياً) هكذا وردت في المجاز .

(٨) مجاز القرآن ٢/ ٣١٦ .

قال حسان :

وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءٌ^{(١)(٢)}

ومنه قول النابغة :

لَا تَقْدِفَنِي بِرُكْنٍ لَا كِفَاءَ لَهُ^(٣)

وقال آخر :

أَمَا كَانَ عَيَّادٌ كَفِيئًا لِدَارِمٍ بلى ولأبياتٍ بها الحُجْرَاتُ^(٤)

(١) في (أ) : (كفاء) .

(٢) شطره الأول :

وجبريلُ أمينُ الله فينا

وقد ورد البيت في ديوانه ٨ ، طبعة دار صادر . ليس له كفاء : ليس له نظير . انظر : شرح ديوانه ٥٩ ، طبعة دار الكتاب العربي .

(٣) شطره الثاني :

ولو تأثفك الأعداء بالرَّخَدِ

ورد البيت في ديوانه ٣٦ ، طبعة دار بيروت ، وجامع البيان ٣٠ / ٣٤٨ ، وهذا البيت للنابغة لم يورده أبو علي في الحجة ٦ / ٤٦٣ - ٤٦٥ . الكفاء : النظير والمثل . وتأثفك الأعداء : صاروا حولك كالأنثافي . والرغد : العصب من الناس ، يريد : لا ترمني بما لا أطيق ، ولا يقوم له أحد ، ولا يكافئك فيه أعداؤك ، ولو أحاطوا بك متعاونين .

(٤) البيت لرجل من الحبطات ، وهم بنو الحارث بن عمرو بن تميم ، وكان قد خطب امرأة من بني دارم بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، فقال الفرزدق :

بنو دارم أكفأؤهم آلُ مِسْمَعٍ وتُنَكِّحُ في أكفائها الحِطَّاتُ

فأجابه رجل من الحبطات ، فقال : أما كان . . . البيت المذكور . انظر : الكامل ١ / ٦٤ ، ٢ / ٦٨ ، وجامع البيان ٢٦ / ٢٢١ .

والأصل في (كُفُوًا) : الضم^(١) ثم تخفف مثل : طُنْبٌ وَطُنْبٌ ، وَعُنُقٌ وَعُنُقٌ .

وقال أبو علي : « قوله : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ له متعلق (بكان) ، و(كفوا) منتصب بأنه خبر تقدم ، كما أن قوله : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ كذلك»^(٢) .

* * *

(١) قرأ ابن كثير ، وابن عامر ، والكسائي ، وأبو عمرو في رواية الزبيدي ، وعبدالوارث (كُفُوًا) بضم الفاء مهموزة ، وروى عباس بن الفضل ، والقطعي عن محبوب (كُفُوًا) مهموزاً خفيفاً ، وقرأ حمزة (كُفُوًا) مهموزة خفيفة . واختلف عن نافع ، ففي رواية (كُفُوًا) قُرئ مثقلاً مهموزاً ، وفي رواية أخرى (كُفُوًا) قُرئ خفيفاً مهموزاً ، وفي رواية (كُفُوًا) قُرئ مثقلاً غير مهموز . وقرأ عاصم في رواية أبي بكر (كُفُوًا) مثقلاً مهموزاً ، وروى حفص عن عاصم (كُفُوًا) مثقلاً غير مهموز . قال أبو منصور : « هذه لغات وأجودها : كُفُوًا ، ثم كُفُوًا ، وأما كُفُوًا بترك الهمزة وضم الفاء فليس بكثير » . انظر : السبعة في القراءات ٧٠٢ ، والقراءات وعلل النحويين فيها ٨٠٨ / ٢ ، وحجة القراءات ٧٧٧ .

(٢) ما بين القوسين منقول عن الحجة ٦ / ٤٦٣ - ٤٦٥ .

تفسير

سورة الفلق^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾. قال الكلبي^(٢) ومقاتل^(٣): «إن لبید بن أعصم اليهودي سحر النبي ﷺ في إحدى عشرة عقدة في وتر، ودسّه في بئر يقال لها ذَرَوَان^(٤)، فمرض رسول الله ﷺ، (واشتد)^(٥) عليه^(٦) ذلك ثلاث ليال، فنزلت المعوذتان لذلك، وأخبره جبريل بمكان السحر، فأرسل إليها عليّاً - رضي الله عنه - فجابها، فقال جبريل للنبي ﷺ:

- (١) تسمى سورتا الفلق والناس المعوذتين، والمشققتين؛ أي المبرئتتين من النفاق. انظر: الإتقان ١/١٥٩، والنكت والعيون ٦/٣٧٣. وفيها قولان: أحدهما أنها مدنية، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وقتادة. والثاني أنها مكية، رواه كريب عن ابن عباس، والحسن، وعطاء، وعكرمة، وجابر. قال ابن الجوزي: «الأول أصح». انظر: المحرر الوجيز ٥/٥٣٨، وزاد المسير ٨/٣٣٢.
- (٢) ورد في معالم التنزيل ٤/٥٤٦، ولباب النقول ٢٣٨، ٢٣٩ من طريق الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس.
- (٣) تفسير مقاتل ٢٥٧أ، ومعالم التنزيل ٤/٢٤٦.
- (٤) بياض في (ع).
- (٥) ما بين القوسين ساقط من (أ).
- (٦) في (أ): (على).

حُلَّ عقدةً واقرأ آيةً، ففعل، وجعل كلما يقرأ آية انحلت عقدة،
 وذهب عنه ما كان يجده». وهذه القصة صحيحة^(١) . . .

والمعتزلة تنكرها^(٢)، ويقولون: «لا يجوز أن يكون النبي ﷺ مسحوراً؛ لأن
 الكفار كانوا يعيرونه بذلك، فلو قلنا: إنه سحر، وجوزنا ذلك كنا قد جاوزنا ما
 عيّر به».

(١) وردت في صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق، باب (١١) ٤/٤٨، ٤٩ ح ٥٧٦٣، ٥٧٦٥، باب
 (٤٧)، (٤٩)، (٥٠)، ٢/٤٣٧ ح ٣٢٦٨ من طريق هشام عن أبيه، عن عائشة - رضي الله عنها -
 قال: «كان رسول الله ﷺ سُحِرَ حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن». قال سفيان: «وهذا أشد
 ما يكون من السحر إذا كان كذا». فقال: «يا عائشة، أعلمت أن الله قد أفتاني في ما استفتيته فيه؟ أتاني
 رجلان فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟
 قال: مطبوع. قال: ومن طبه؟ قال لبيد بن أعصم رجل من بني زريق حليف لليهود كان منافقاً.
 قال: وفيه؟ قال في مشط ومشاطة. قال: وأين؟ قال في جُف طلعة ذكر تحت رعوفة في بئر ذروان.
 قالت: فأتى النبي ﷺ البئر حتى استخرجه. فقال هذه البئر التي أريتها، وكأن ماءها نقاعة الحناء،
 وكأن نخلها رؤوس الشياطين. قال: فاستخرج. قالت: فقلت أفلا - أي تشتت - فقال: أما والله
 فقد شفاني، وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً». وأورد مسلم الرواية مختصرة في صحيحه في
 كتاب السلام، باب (١٧) ٤/١٧١٩ ح ٤٣، ٤٤. ومما ورد في الصحيحين يتبين أنه ليس فيه ما يدل
 على نزول المعوذتين على الرسول ﷺ عندما سُحِر. قال ابن حجر في فتح الباري ١٠/٢٢٥: «وقد
 وقع في حديث ابن عباس في ما أخرجه البيهقي في الدلائل بسند ضعيف في آخر قصة السحر الذي
 سُحِر به النبي ﷺ أنهم وجدوا وترأفاه إحدى عشرة عقدة، وأنزلت سورة الفلق، والناس، وجعل
 كلما قرأ آية انحلت عقده. وأخرجه ابن سعد بسند آخر منقطع عن ابن عباس: أن علياً وعماراً لما
 بعثهما النبي ﷺ لاستخراج السحر وجدا طلعة فيها إحدى عشرة عقدة فذكر نحوه». وقد وردت
 قصة سحر النبي ﷺ، وأن ذلك كان سبباً في نزول المعوذتين في أسباب النزول ٤١٠، تحقيق أيمن
 صالح، ولباب النقول ٢٣٨، ٢٣٩، والكشف والبيان ١٣/١٩٢، ومعالم التنزيل ٤/٥٤٦، وزاد
 المسير ٨/٣٣٢، ومعاني القرآن للفرأء ٣/٣٠١. قال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٤/٦١٥ تعليقاً
 على رواية الثعلبي: «هكذا أورده بلا إسناد، وفيه غرابة وفي بعضه نكارة شديدة، ولبعضه شواهد»،
 والدر المنثور ٨/٦٨٧ منسوبة إلى ابن مردويه، والبيهقي في الدلائل عن عائشة وابن عباس.

(٢) قال المازني: «أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث، وزعموا أنه يحط من منصب النبوة ويشكك فيها، ثم قال:
 وهذا كله مردود». فتح الباري ١٠/٢٢٦، وقال ابن القيم: «وهذا الحديث - يعني الذي في الصحيح - =

والجواب : أن هذه القصة قد ثبتت (قصتها)^(١) وصحتها عند المفسرين ، وأهل النقل ، والعلم بالرواية ، ودلت هذه السورة على ذلك ، وهو قوله : ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ ؛ يعني اللاتي ينفثن بالرقى والعزائم ، فلولا أن لشرهن تأثيراً وإلا لم يؤمر بالاستعاذة من شرهن .

ولا يجوز أن يكون النبي ﷺ مسحوراً على الوجه الذي عيّر به الكفار^(٢) ، فإنهم كانوا يريدون أنه مخدوع مجنون سُحر بتخيل عقله ، فلذلك خالفهم في الدعاء إلى توحيد الله ، فأما أن يكون مسحوراً بوصف يجده في بدنه ، فذلك ما لا ينكره أحد ، ولم يكن الله لیسلط عليه شيطاناً ، أو جتياً ، أو إنسياً في ما يؤدي إلى الضرورة في الدين ، والنبوة ، ولا الرسالة ، وبيان الدعوة . فأما على الإضرار ببذنه فقد صحَّ أن وجهه شُجَّ^(٣) ، وأن رباعيته^(٤) كُسرت يوم أحد^(٥) ، ولم يقدح ذلك في نبوته ، كذلك السحر ، والخيلة ، والتوصل بالرقى الإضرار ببذنه لا ينكر^(٦) .

ثابت عند أهل العلم بالحديث يتلقى بالقبول بينهم لا يختلفون في صحته ، وقد اعتاص على كثير من أهل الكلام وغيرهم ، وأنكروه أشد الإنكار ، وقابلوه بالتكذيب . انظر : تفسير المعوذتين ٥٧ ، ٥٨ ، تحقيق مصطفى العدوي ، وقد أنكره أيضاً الجصاص في أحكام القرآن ٤٩ / ١ .

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) نحو ما جاء في قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ [الفرقان : ٨] ، وقوله تعالى : ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء : ١٥٣ ، ١٨٥] .

(٣) شج : حصل جرح في رأسه الشريف ، والجراحة إذا كانت في الوجه أو الرأس تسمى شجة . انظر : حاشية صحيح مسلم ١٤١٧ / ٣ .

(٤) الرباعية : السن التي تلي الثنية من كل جانب ، وللإنسان أربع رباعيات . انظر : شرح صحيح مسلم ٣٩٠ / ١٢ .

(٥) أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير ، باب (٣٧) ١٤١٧ / ٣ ح ١٠٤ عن أنس أن الرسول ﷺ كُسرت رباعيته يوم أحد ، وشُجَّ في رأسه ، فجعل يسלט الدم عنه ويقول : «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ، وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله» فأنزل الله عز وجل : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ .

(٦) قال القاضي عياض في الشفاء ٨٦٣ / ٢ عن بعض المحققين : «وهذه الطوارئ والتغيرات المذكورة ، إنما تختص بأجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بني آدم لمشاكله الجنس ، وأما بواطنهم فمُنزَّهة غالباً من ذلك ، معصومة منه ، متعلقة بالملا الأعلى والملائكة لأخذهم عنهم وتلقيها الوحي» .

واختلفوا في معنى (الفلق) ، فالأكثر على أنه الصبح ، وهو قول جابر ^(١) ، وسعيد بن جبير ^(٢) ، والحسن ^(٣) ، وعكرمة ^(٤) ، ومجاهد ^(٥) ، وقتادة ^(٦) ، وابن عباس ، وفي رواية عطاء ^(٧) ، وعطية ^(٨) ^(٩) .

- (١) جامع البيان ٣٠/٣٥٠ ، والكشف والبيان ١٣/١٩٢ ب ، والنكت والعيون ٦/٣٧٤ ، ومعالم التنزيل ٤/٥٤٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢٥٤ ، والبحر المحيط ٨/٥٣٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٦١٣ .
- (٢) ورد في المراجع السابقة عدا النكت ، وانظر أيضاً : المحرر الوجيز ٥/٥٣٨ ، وتفسير سعيد بن جبير ٣٨٣ .
- (٣) الكشف والبيان ١٣/١٩٢ ب ، ومعالم التنزيل ٤/٢٤٧ ، والمحرر الوجيز ٥/٥٣٨ ، وزاد المسير ٨/٣٣٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢٥٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٦١٣ ، وتفسير الحسن البصري ٢/٤٤٥ .
- (٤) المحرر الوجيز ٥/٥٣٨ .
- (٥) جامع البيان ٣٠/٣٥٠ ، وتفسير مجاهد ٧٦١ ، والكشف والبيان ١٣/١٩٢ ب ، ومعالم التنزيل ٤/٥٤٧ ، والمحرر الوجيز ٥/٥٣٨ ، وزاد المسير ٨/٣٣٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢٥٤ ، والبحر المحيط ٨/٥٣٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٦١٣ .
- (٦) تفسير عبد الرزاق ٢/٤٠٨ ، وجامع البيان ٣٠/٣٥٠ ، ومعالم التنزيل ٤/٥٤٧ ، والمحرر الوجيز ٥/٥٣٨ ، وزاد المسير ٨/٣٣٣ .
- (٧) لم أعثر على مصدر لقوله من طريق عطاء .
- (٨) ورد في جامع البيان ٣٠/٣٥٠ ، والكشف والبيان ١٣/١٩٢ ب ، ومعالم التنزيل ٤/٥٤٧ ، وذكرت رواية ابن عباس من غير بيان طريقها في البحر المحيط ٨/٥٣٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٦١٣ ، والدر المنثور ٨/٦٨٨ ، وهذا القول رجَّحه الطبري ، وابن كثير ، والبخاري في صحيحه ، ونسبه الفخر إلى أكثر المفسرين في التفسير الكبير ٣٢/١٩٠ .
- (٩) ورد في (أ) بلفظ : (وجامعة) بدلاً مما بين القوسين .

(وقال في رواية الوالبي : يعني الخلق^(١) . وهو قول الضحاك^(٢) ، ومقاتل^(٣)^(٤) .

وروى (مهاجر الشامي^(٥)^(٦)) عن رجل (من)^(٧) أصحاب النبي ﷺ ، قال : «الفلق بيت في النار إذا فُتح صاح أهل النار من شدة حرّه»^(٨) ، وهو قول السدي ، قال : «جُبَّ في جهنم»^(٩) .

(١) ورد في جامع البيان ٣٠ / ٣٥١ ، والكشف والبيان ١٣ / ١٩٢ ب ، وحاشية معالم التنزيل ٤ / ٥٤٧ ، ولباب التأويل ٤ / ٤٢٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٦١٣ ، والدر المنثور ٨ / ٦٨٩ منسوباً إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وصحيفة علي بن أبي طلحة ٥٤٤ .

(٢) الكشف والبيان ١٣ / ١٩٢ ب ، وانظر : النكت والعيون ٦ / ٣٧٤ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٥٤٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٦١٣ .

(٣) تفسير مقاتل ٢٥٧ ب .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) مهاجر الشامي : مهاجر بن أبي مسلم ، واسمه دينار الشامي الأنصاري ، روى عن تبيع الحميري ابن امرأة كعب الأحبار ، وعنه ابنه محمد ، وعمره مقبول من الثالثة . انظر : كتاب الثقات ٥ / ٤٢٧ ، وتهذيب الكمال ٢٨ / ٥٨٢ ت ٦٢١٧ ، وتقريب التهذيب ٢ / ٢٧٨ ت ١٤١١ .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٨) وردت الرواية عن كعب الأحبار في بحر العلوم ٣ / ٥٢٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٦١٣ ، وفي الكشف والبيان ١٣ / ١٩٢ ب من طريق هشيم بن العوام عن عبد الجبار الحولاني ، عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، وفي الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٥٤ عن أبي بن كعب ، وفي البحر المحيط ٨ / ٥٣٠ منسوباً إلى أحد الصحابة ، وقد أورد ابن كثير الرواية منسوبة إلى ابن أبي حاتم ، وأسندها أيضاً إلى عمرو بن عبسة ، وابن عباس ، والسدي ، وزيد بن علي عن آبائه ، قال : «وقد ورد في ذلك حديث مرفوع منكر إسناده غريب ولا يصح رفعه» . وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٧ / ٥٠٥ : «وَأَمَّا مَنْ قَالَ : إِنَّهُ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ ، أَوْ شَجَرَةٌ فِي جَهَنَّمَ ، أَوْ إِنَّهُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ جَهَنَّمَ ، فَهَذَا أَمْرٌ لَا تُعْرَفُ صَحَّتُهُ ، لَا بِدَلَالَةِ الْاسْمِ عَلَيْهِ ، وَلَا بِنَقْلِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَلَا فِي تَخْصِيصِ رِبُونِيَّتِهِ بِذَلِكَ حُكْمَهُ بِخِلَافِ مَا إِذَا قَالَ : رَبُّ الْخَلْقِ ، أَوْ رَبُّ كُلِّ مَا انْفَلَقَ ، أَوْ رَبُّ النُّورِ الَّذِي يَظْهَرُ عَلَى الْعِبَادِ بِالنَّهَارِ ، فَإِنْ تَخْصِيصُ هَذَا بِالذِّكْرِ مَا يَظْهَرُ بِهِ عَظَمَةُ الرَّبِّ الْمُسْتَعَاذُ بِهِ» .

(٩) ورد في الكشف والبيان ١٣ / ١٩٣ أ ، وزاد المسير ٨ / ٣٣٣ ، والبحر المحيط ٨ / ٣٥٠ منسوباً إلى أحد التابعين ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٦١٣ .

وقال (أبو عبدالرحمن) ^(١) الحُبْلِي ^(٢) : «الفلق : اسم من أسماء جهنم» ^(٣) .
(هذا قول المفسرين) ^(٤) .

وقال أبو إسحاق : «الفلق الصبح وبيانه ، يقال : هو أيين من فلق الصبح» ^(٥) .

قال : «وقيل الفلق : الخلق قال الله تعالى : ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ ^(٦) [الأنعام : ٩٦] ،
﴿فَالِقُ الْهَبِّ وَالنَّوَى﴾ [الأنعام : ٩٥] ، وكذلك فلق الأرض بالنبات ، والسحاب
بالقطر ، وإذا تأملت الخلق تبين لك أن أكثره عن ^(٧) الانفلاق ، فالفلق جميع
المخلوقات ، وفلق الصبح من ذلك» ^(٨) .

وروى عمرو عن أبيه : «الفلق جهنم ، والفلق بيان الصبح» ^(٩) .

٢ . وقوله : ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : «يريد إبليس
خاصة ؛ لأن الله - تعالى - (لم) ^(١٠) يخلق خلقاً هو شر منه» ^(١١) .

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) أبو عبد الصمد الحُبْلِي : عبدالله بن يزيد المعافري ، أبو عبدالرحمن الحُبْلِي المصري وعن ابن سعد الجبلي
بالجيم ، روى عن عبدالله بن عمر ، ثقة من الثالثة ، توفي سنة ١٠٠ هـ بإفريقية . انظر : الطبقات
الكبرى ٧ / ٥١١ ، وتهذيب الكمال ١٦ / ٣١٦ ت ٣٦٦٣ ، وتقريب التهذيب ١ / ٤٦٢ ت ٧٤٩ .

(٣) ورد قوله في جامع البيان ٣٠ / ٣٥٠ ، والكشف والبيان ١٣ / ١٩٢ ب ، والنكت والعيون ٦ / ٣٧٤ ،
وزاد المسير ٨ / ٣٣٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٥٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٦١٣ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) هذا من أمثلة العرب . انظر : جهرة الأمثال ١ / ٢٠٥ ، رقم ٣٤٨ ، ومجمع الأمثال ١ / ٢٠٨ ، رقم
٥٩٧ .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) في (أ) : (على) .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٣٧٩ .

(٩) ورد في تهذيب اللغة ٩ / ١٥٧ برواية : (ثعلب عن عمرو عن أبيه) .

(١٠) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(١١) ورد في التفسير الكبير ٣٢ / ٩٢ ، وورد نحوه غير منسوب في الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٥٦ ، =

وقال الكلبي: «يريد من شر كل ذي شر»^(١).

وقال مقاتل: «من شر ما خلق من الجن والإنس»^(٢).

٣. (قوله)^(٣): ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾. قال ابن عباس: «الغاسق: الليل»^(٤). يريد إذا أقبلت ظلمته من المشرق فدخل في النهار.

وقال مقاتل: «يعني ظلمة الليل إذا دخل سواده في ضوء النهار»^(٥)، وهو قول الحسن^(٦)، ... ومجاهد^(٧)، (ومحمد بن كعب^(٨))^(٩)، قالوا: «يعني الليل إذا أقبل ودخل».

-
- =
- ولباب التأويل ٤/ ٤٣٠، وورد بمثله عن الحسن، وثابت البناني. انظر: تفسير القرآن العظيم ٦١٣/٤.
- (١) ورد في بحر العلوم ٣/ ٥٢٦، وورد نحوه غير منسوب في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٥٦، ولباب التأويل ٤/ ٤٣٠.
- (٢) لم أعثر على مصدر لقوله، وقد ورد نحوه غير منسوب في لباب التأويل ٤/ ٤٣٠.
- (٣) ما بين القوسين ساقط من (أ).
- (٤) ورد في جامع البيان ٣٠/ ٣٥١، والكشف والبيان ١٣/ ١٩٣، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٤٧، وزاد المسير ٨/ ٣٣٤، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٥٦، والبحر المحيط ٨/ ٥٣٠، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٦١٣، والدر المنثور ٨/ ٦٨٨ منسوباً إلى الطستي.
- (٥) تفسير مقاتل ٢٥٧ ب، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٤٧، وتفسير المعوذتين لابن القيم ٤٥.
- (٦) تفسير عبدالرزاق ٢/ ٤٠٨، وجامع البيان ٣٠/ ٣٥١، والكشف والبيان ١٣/ ١٩٣، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٤٧، وزاد المسير ٨/ ٣٣٤، والبحر المحيط ٨/ ٥٣٠، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٦١٣، وتفسير الحسن البصري ٢/ ٤٤٦.
- (٧) ورد في تفسير الإمام مجاهد ٧٦١، والجامع الصحيح للبخاري في كتاب التفسير، باب (١١٣) ٣٠/ ٣٣٤، والمصادر السابقة ما عدا تفسير عبدالرزاق.
- (٨) جامع البيان ٣٠/ ٣٥١، والكشف والبيان ١٣/ ١٩٣، وزاد المسير ٨/ ٣٣٤، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٦١٣.
- (٩) ما بين القوسين ساقط من (أ).

قال الفرّاء : «الغاسق : الليل . (إذا وقب) ؛ إذا دخل في كل شيء ، يقال : غسق وأغسق ، إذا أظلم»^(١) ، ونحو هذا قال أبو عبيدة^(٢) ، وأنشد لابن الرقيات :

إِنَّ هَذَا اللَّيْلَ قَدْ غَسَقَا وَاشْتَكَيْتُ الْهَمَّ وَالْأَرْقَا^(٣)

وقال الزّجاج : «يعني به الليل إذا دخل» ، قال : «وقيل : الليل غاسق ؛ لأنه أبرد من النهار ، والغاسق البارد»^(٤) .

والغاسق^(٥) على قول الفرّاء : المظلم ، وعلى قول الزّجاج معناه : (في اللغة)^(٦) البارد^(٧) .

وذكرنا الكلام في الأصلين عند قوله : ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾^(٨) وقوله : ﴿حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ﴾ [ص : ٥٧] .

(١) ورد في معاني القرآن ٣/ ٣٠١ بتصرف يسير .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٣) ورد البيت في ديوانه ١٨٧ ، طبعة دار بيروت ، ولسان العرب (غسق) ١٠/ ٢٨٨ ، والمحرم الوجيز ٥/ ٥٣٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٥٦ ، وفتح القدير ٥/ ٥٢٠ .

(٤) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٧٩ بتصرف يسير .

(٥) في (ع) : (فالغاسق) .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) لا تنافي بين القولين ؛ فإن الليل بارد مظلم ، فمن ذكر برده فقط أو ظلمته فقط اقتصر على وصفه ، والظلمة في الآية أنسب لمكان الاستعاذة ، فإن الشر الذي يناسب الظلمة أولى بالاستعاذة من البرد الذي في الليل ، ولهذا استعاذ برب الفلق الذي هو الصبح والنور من شر الغاسق الذي هو الظلمة ، فناسب الوصف المستعاذ به المعنى المطلوب بالاستعاذة ، قاله ابن القيم في تفسير المعوذتين ٤٥ .

(٨) عند قوله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّيْلَ إِذَا الْوُكُودُ أَلْسَمَتْ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء ٧٨] ، ومما جاء في تفسير الغسق الوارد في هذه الآية : «غسق الليل : سواده وظلمته» ، وقال آخرون : «غسق الليل دخول أوله وأتته حيث غسق الليل ؛ أي حين يختلط وتسد المناظر ، وأصل هذا الحرف من السيلان يقال : غسقت العين تغسق وهو هملان العين بالغمص ، والماء والغاسق السائل . ومن هذا قيل لما يسيل من أهل النار : الغساق ، فمعنى غسق الليل ؛ أي انصبت بظلامه ، وذلك أن الظلمة تنزل من فوق» . وأما قول المفسرين ، فقال ابن عباس : «غسق الليل : اجتماع الليل وظلمته» ، ولعطاء : «أوله حين يدخل» ، وعن ابن مسعود : «إظلام الليل» . وعن ابن عباس : «دخول الليل بظلمته» . انظر : البسيط .

وقال غيرهما^(١): «الغاسق: السائل من قولهم: غسقت العين تغسق غسقاً، إذا سالت بالغمص والماء.

وسُمِّي الليل غاسقاً، لانصباب ظلامه على الأرض.

وإنما أمر أن يتعوذ من شر الليل؛ لأن الليل تخرج السباع من آجامها^(٢) والهوم^(٣) من مكائنها، وتبعث أهل الشر^(٤) على العبث والفساد، فنبت الضرر على الخلق إلا من أعاده الله^(٥).

وذكر المفسرون في تفسير هذه الآية^(٦) ما روى أبو سلمة عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ أخذ بيدها^(٧)، وأشار إلى القمر، وقال: «استعيذي بالله من شر هذا، فإنه الغاسق إذا وقب»^(٨).

- (١) أبو زيد كما في تهذيب اللغة (غسق) ١٢٧/١٦.
- (٢) آجامها: الأجمة الشجر الكثير الملتف، والجُم أجم، وأُجم، أُجم، وآجام وإجام. انظر: لسان العرب (أجم) ٨/١٢.
- (٣) الهوام: جمع الهامة، ولا يقع هذا الاسم إلا على المخوف من الأحناس. انظر: الصحاح (هوم) ٢٠٦٢/٥.
- (٤) وتبعث أهل الشر) غير واضح في (ع).
- (٥) قال بذلك ابن عباس، والضحاك، وقتادة، والسُّدِّي. انظر: النكت والعيون ٦/٣٧٥.
- (٦) هذه الآية) بياض في (ع).
- (٧) أن رسول الله ﷺ) بياض في (ع).
- (٨) بياض في (ع).
- (٩) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٦/٦١، ٢٠٦، ٢٣٧، والترمذي في السنن، باب (٩٤) ٥٥٢/٥ ح ٣٣٦٦ من طريق أبي سلمة عن عائشة، وقال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح»، والحاكم في المستدرک ٢/٥٤٧، وصحَّحه، ووافقه الذهبي. وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٨/٧٤١: «إسناده حسن»، وأخرجه ابن الجزري في جامع الأصول ٢/٤٤٥ ح ٨٩٨، وقال الأرنؤوط: «وإسناده قوي»، وأخرجه أبو عبيدة في غريب الحديث ١/٣١٣، والطبري في جامع البيان ٣٠/٣٥٢، والسيوطي في الدر ٨/٦٨٩ منسوباً إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ في العظمة، وابن مردويه، وانظر: كنز العمال ٢/١٥ ح ٢٩٥٥. قال الشوكاني في فتح القدير ٥/٥٢٠: «وهذا =

قال ابن قتيبة : « الغاسق : القمر سُمي به ؛ لأنه يكسف فيغسق ؛ أي يذهب ضوؤه ويسود قال : ومعنى قوله ﷺ لعائشة : « تعوذني بالله من شر هذا » ؛ أي من مر شره (إذا وقب) ؛ إذا دخل في الكسوف »^(١) .

قال الأزهري : « هذا حديث غير صحيح ، والصواب في تفسير هذه الآية : من شر الليل إذا دخل ظلامه في كل شيء »^(٢) .

وقال ابن زيد : « يعني الثريا إذا سقطت » ، قال : « وكانت الأسقام تكثر عند وقوعها ، وترتفع عند طلوعها »^(٣) . وعلى هذا ، سُمي الثريا غاسقاً ، لانصبابه عند وقوعه في المغرب . ووقوبه^(٤) : دخوله إذا غاب عن العين ، فلم يُرَ ، يقال :

لا ينافي قول الجمهور ، لأن القمر آية الليل ولا يوجد له سلطان إلا فيه ، وهكذا يقال في جواب مَنْ قال : إنه الثريا » .

(١) تهذيب اللغة (غسق) ١٢٨/١٦ ، ١٢٩ ، وانظر : تفسير غريب القرآن ٥٤٣ . فالإمام الواحدي نقل عبارة ابن قتيبة من التهذيب ، وأما تفسيره فلم أجد عند ابن قتيبة ذكراً لحديث عائشة ، والله أعلم . وقد ردّ ابن تيمية أيضاً تفسير ابن قتيبة في مجموع الفتاوى ١٧/٥٠٦ ، ٥٠٧ ، فقال : « وهذا القول من ابن قتيبة ضعيف ؛ فإن ما قال رسول الله ﷺ لا يعارض بقول غيره ، وهو لا يقول إلا الحق ، وهو لم يأمر عائشة بالاستعاذة منه عند كسوفه بل مع ظهوره ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا لَيْلٍ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَنْ هَمَحَوْا آيَةً أَلَيْلٍ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ فالقمر آية الليل ، وكذلك النجوم إنما تطلع فترى بالليل ، فأمره بالاستعاذة من ذلك أمر بالاستعاذة من آية الليل ، ودليله وعلامته ، والدليل مستلزم للمدلول ، فإذا كان شر القمر موجود فشر الليل موجود ، وللقمر من التأثير ما ليس لغيره فتكون الاستعاذة من الشر الحاصل عنه أقوى . . . فالقمر أحق ما يكون بالليل بالاستعاذة ، والليل مظلم تنتشر فيه شياطين الإنس والجن ما لا تنتشر بالنهار . . . فالشر دائماً مقرون بالظلمة » .

(٢) ورد في تهذيب اللغة ١٦/١٢٩ باختصار يسير .

(٣) ورد في جامع البيان ٣٠/٣٥٢ ، والكشف والبيان ١٣/١٩٣ -أب- ، ومعالم التنزيل ٤/٥٤٧ مختصراً ، والمحزر الوجيز ٥/٥٣٨ ، وزاد المسير ٨/٣٣٤ ، والتفسير الكبير ٣٢/١٩٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢٥٧ ، ولباب التأويل ٤/٤٣٠ غير منسوب ، والبحر المحيط ٨/٥٣١ مختصراً ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٦١٣ ، وفتح القدير ٥/٥٢٠ ، ومجموع الفتاوى ١٧/٥٠٦ .

(٤) في (ع) : (ووقوه) .

وقب يقب وقوباً إذا دخل ، والوقبة الثُّقْرة ؛ لأنه يدخل فيها ، والإيقاب : إدخال الشيء في الوقبة^(١) .

٤ . قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ ؛ يعني السحرة ، والسواحر .

ومعنى النفث : النفخ ، وكانت العرب ترقى به إذا رقت ، وأنشد (أبو عبيدة)^(٢) لعنترة^(٣) :

فَإِنْ يَبْرَأُ فَلَمْ أَنْفِثْ عَلَيْهِ وَإِنْ يَفْقَدُ فَحَقَّ لَهُ الْفُقُودُ^(٤)(٥)
وقال (أبو عبيد)^(٦) : « النفث بالفم شبيه بالنفخ »^(٧) .

وقال أبو إسحاق : « تنفث ، وتنفل بلا ريق كأنه نفخ كما يفعل كل من يرقى »^(٨) .

والعقد : الأخذ^(٩) ، جمع عقود من عقد يعقد .

(١) انظر فيه : تهذيب اللغة (وقب) ٣٥٤ / ٩ ، ومقاييس اللغة ١٣١ / ٦ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) في (ع) : (قول عنترة) بدلاً من (لعنترة) .

(٤) ورد قوله في ديوانه ٢٨٣ ، تحقيق محمد مولوي ، والكشف والبيان ١٣ / ١٩٣ ب ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٥٧ . والمعنى : فإن يبرأ : يريد جريه ، يقول : إن يفق من تلك الطعنة فيتأخر أجله ، فإني ما رقيته ، ولا نفثت عليه ، وإن يفقد ؛ أي يمت فحق له ذلك ، فقد مات من هو خير منه . ويحتمل أنه يريد : فحق له الموت من شدة الطعنة ، وأن مثلها لا يبرأ منها .

(٥) مجاز القرآن ٢ / ٣١٧ .

(٦) (أبو عبيدة) في كلتا النسختين ، والصواب ما أثبتته لنقل الإمام الواحدي قول أبي عبيدة عن تهذيب اللغة .

(٧) تهذيب اللغة (نفث) ١٥ / ١٠٣ ، وانظر : لسان العرب (نفث) ٢ / ١٩٥ .

(٨) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٣٧٩ بنصه .

(٩) يراد بالأخذة : الكلام الذي يقوله الساحر ، وقيل خرزة يرقى عليها ، أو هي الرقية نفسها ، قاله ابن حجر في فتح الباري ١٠ / ٢٣٣ ، وانظر : القاموس المحيط (أخذ) ١ / ٣٥٠ .

قال مقاتل : «يعني السحرة ، والأخذة ينفثن في العقد والأخذ»^(١) .

وقال (عطاء عن)^(٢) ابن عباس : «يريد السحرة الذين عقدوا السحر للنبي ﷺ»^(٣) ، وإنما أتى على لفظ جمع الإناث لتأنيث الجماعات نحو ﴿وَالصَّفَقَاتِ﴾ ، ﴿فَالْتَلَيْتِ﴾ ، ﴿فَالزَّجَرَتِ﴾^(٤) ، ومثل ذلك كثير في التنزيل ومعناه الجماعات .
وقال صاحب النظم : «إنما أنت»^(٥) النفاثات هن بنات لبيد بن أعصم اليهودي سحرن النبي ﷺ»^(٦) .

-
- (١) تفسير مقاتل ٢٥٧ ب .
(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
(٣) الوسيط ٥٧٤ / ٤ .
(٤) سورة الصافات ، والآيات كاملة : ﴿وَالصَّفَقَاتِ صَفًا ۖ فَالزَّجَرَتِ زَجْرًا ۖ فَالْتَلَيْتِ ذِكْرًا﴾ [الصافات : ١-٣] .
(٥) (إنما أنت) غير مقروءة في نسخة (ع) .
(٦) هكذا وردت عبارة صاحب النظم في كلتا النسختين ، ولم أعر عليه في ما لدي من مصادر ، وقد ورد نحوه في زاد المسير ٨ / ٣٣٤ منسوباً إلى المفسرين ، وهذا القول : «إن النفاثات هن بنات لبيد بن أعصم ، لأن الذي سحر النبي ﷺ هو لبيد بن أعصم ، وليس بناته كما جاء ذلك في الصحيح» . والجواب المحقق أن النفاثات هنا هن الأرواح ، والأنفس النفاثات لا النساء النفاثات ؛ لأن تأثير السحر إنما هو من جهة الأنفس الخبيثة والأرواح الشريرة ، وسلطانها إنما يظهر منها ، فلهذا ذكرت النفاثات هنا بلفظ التأنيث دون التذكير ، والله أعلم ، قاله ابن القيم في تفسير المعوذتين ٥٣ ، ٥٤ ، تحقيق مصطفى العدوي .
وأما ابن تيمية فقال في مجموع الفتاوى ١٧ / ٥٠٧ : «وخص من السحر النفاثات في العقد ، وهن النساء ، والحاسد الرجال في العادة ، ويكون من الرجال ومن النساء ، والشر الذي يكون من الأنفس الخبيثة من الرجال والنساء هو شر منفصل عن الإنسان ليس هو في قلبه كالوسواس الخناس» .

٥. قوله : ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ . قال ابن عباس ^(١) ومقاتل ^(٢) :
 «يريد اليهود حسدوا النبي ﷺ» ، وقال الفرّاء : «يعني لبيداً الذي
 حسده» ^(٣) .

(١) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٢) ورد في تفسير مقاتل ٢٥٧ ب ، وقد ورد نحوه غير منسوب في لباب التأويل ٤ / ٤٣٠ .

(٣) ورد في معاني القرآن ٣ / ٣٠١ بتصرف .

تفسير

سورة الناس^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ . (القرءاء على ترك الإمالة في ﴿النَّاسِ﴾^(٢) ، وروي عن الكسائي : الإمالة إذا كان في موضع الخفض^(٣) ، ولا إشكال في حسن ذلك وجوازه ، وذلك أنه لو كان مكان الناس نحو : المال ، والعباب^(٤) لجازت إمالة (الألف) فيه لكسره الإعراب ، فإذا كان ﴿النَّاسِ﴾ كان أحسن ؛ لأن هذا^(٥) الحرف قد أميل في الموضع الذي لا يوجب القياس إمالته ، كما أميل الحجاج إذا كان علماً ؛ لأنها

-
- (١) فيها قولان : أحدهما أنها مدنية ، رواه أبو صالح عن ابن عباس . والثاني أنها مكية ، رواه أبو كريب عن ابن عباس ، وقتادة . انظر : المحرر الوجيز ٥/ ٥٤٠ ، وزاد المسير ٨/ ٣٣٥ .
- (٢) انظر : السبعة في القراءات ٧٠٣ ، والقراءات وعلل النحويين فيها ٢/ ٨١١ ، والحجة ٦/ ٤٦٧ ، والمهذب في القراءات العشر ٢/ ٣٤٥ .
- (٣) وأيضاً كان لا يميلها أيضاً في موضع الرفع والنصب . انظر : المراجع السابقة .
- (٤) في (أ) : (العار) .
- (٥) في (أ) : (هذه) .

كثراً في الكلام فاستجيز ذلك فيهما ، فإذا أميل ﴿الْتَّاسِ﴾ حيث لم يكن معه شيء يوجب الإمالة للكثرة فإن يمال لكسرة الإعراب أجدر^(١) .

٤ . وقوله تعالى : ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ . قد تقدّم عند قوله : ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف : ٢٠]^(٢) .

وقوله : ﴿الْخَنَاسِ﴾ . قال ابن عباس : «هو الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فإذا سها وغفل وسوس ، وإذا ذكر الله خنس»^(٣) .

وقال مجاهد : «إذا ذكر الله خنس ، وإذا لم يذكر الله انبسط على قلبه»^(٤) . وهذا قول جماعة المفسرين في الوسواس الخناس .

ومضى تفسير الخناس عند قوله : ﴿بِالْخُنُوسِ﴾ [التكوير : ١٥] .

قال مقاتل : «هو شيطان في صورة خنزير يجري في جسد العبد مجرى الدم»^(٥) ، فإذا سها ابن آدم ابتلع قلبه فوسوس ، وإذا ذكر الله خنس عنه فخرج من جسده ، فهو الوسواس إذا سها ابن آدم ، وهو الخناس إذا ذكر»^(٦) .

(١) ما بين القوسين منقول عن الحجة ٤٦٦/٦ ، ٤٦٧ بتصرف يسير .

(٢) مما جاء في تفسيرها : قوله : ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ . قال الليث : «الوسوسة : حديث النفس والصوت الخفي من ريح تهز قصباً أو شيئاً كالهمس ، وبه سُمِّي صوت الحليّ وسواساً» . وقال ابن الأعرابي : «رجل يوسوس ، ولا يقال موسوس ، لأن نفسه توسوس له ، قال تعالى : ﴿وَعَلَّمَ مَا نُوسُوسُ بِهِ نَفْسَهُ﴾» .

(٣) ورد في جامع البيان ٣٠/٣٥٥ ، وقال بنحوه أيضاً قتادة . انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/٤١٠ .

(٤) ورد معنى قوله في تفسير مجاهد ٧٦٢ ، وجامع البيان ٣٠/٣٥٥ ، وبحر العلوم ٣/٥٢٨ ، وفتح القدير ٥/٥٢٣ .

(٥) غير مقروء في (ع) .

(٦) ورد قوله في تفسير مقاتل ٢٥٧ ب ، وورد مختصراً في الكشف والبيان ١٣/١٩٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢٦٣ ، وفتح القدير ٥/٥٢٣ .

وهذا معنى ما روى أنس أن النبي ﷺ قال : «إن الشيطان واضع خَطْمَه»^(١)
على قلب ابن آدم ، فإذا ذكر الله - عز وجل - خنس ، وإذا نسي الله - عز وجل -
التقم قلبه ، فهو قوله :

٥. ﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾^(٢).

أي بالكلام الخفي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع الصوت ، وهو
معنى الوسواس في اللغة ، وقد مرَّ^(٣).

٦. وقوله تعالى : ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾.

قال ابن عباس : «أخبر الله - عز وجل - أنه من الجن والإنس»^(٤) ، وهو قول
مقاتل^(٥) ، وسفيان^(٦) ، جعلوا الذي يوسوس من الجنة والناس .

(١) خَطْمُهُ : أنفه ، والخطم من كل طائر متقاره ، ومن كل دابة خَطْمُه ، مقدم أنفه وفمه . انظر : تهذيب
اللغة (خطم) ٢٥٦/٧ ، والصحاح (خطم) ١٩١٤/٥ .

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢٦٨/٦ ، ونسبه الهيثمي إلى أبي يعلى في مجمع الزوائد ١٤٩/٧ ،
وفيه عدي بن أبي عمارة ، وهو ضعيف ، وأخرجه أيضاً الثعلبي في الكشف والبيان ١٣/١٩٥ ،
ونسبه السيوطي في الدر المنثور ٨/٦٩٤ إلى ابن شاهين في الترغيب في الذكر ، وابن أبي الدنيا في
مكائد الشيطان ، وأبي يعلى ، والبيهقي في شعب الإيثار ١/٤٠٢ ، ٤٠٣ ح ٥٤٠ ، وأورده الشوكاني
في فتح القدير ٥/٥٢٤ ، وضعَّفَ محقق كتاب الوسيط ، والبسيط إسناد رواية الواحدي لوجود
زياد بن عبدالله النميري .

(٣) عند الآية ٢٠ من سورة الأعراف .

(٤) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٥) تفسير مقاتل ٢٥٧ ب .

(٦) لم أعثر على مصدر لقوله .

قال قتادة في قوله: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾: «من الجن شياطين، ومن الناس شياطين، فنعوذ بالله من شياطين الجن والإنس»^(١).

وقال الحسن: «هما شيطانان: أمّا شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس، وأمّا شيطان الإنس فيأتي علانية»^(٢).

وفي الآية قول آخر هو أن قوله: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ تفسير لقوله: ﴿فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾؛ أي يوسوس في صدور الناس من^(٣) القبيلتين: الجنة والناس.

والمعنى: يوسوس في صدور الجنى، كما يوسوس في صدور الإنس. وهذا (قول الكلبي^(٤)، و)^(٥) اختيار الفراء: قال: «وقع الناس في قوله: ﴿صُدُورِ النَّاسِ﴾ على الجنة، وعلى الناس، كقولك: يوسوس في صدور الناس جنتهم وناسهم، قال: «وُسُمِّيَ الجن نفراً، ورجالاً في قوله تعالى: ﴿نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١]، وقوله: ﴿يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ٦]، وقد قال بعض العرب: جاء قوم من الجن فوققوا، فقليل: مَنْ أَنْتُمْ؟ فقالوا: أناس من الجن»^{(٦)(٧)}.

(١) تفسير عبدالرزاق ٢/ ٤١٠، والنكت والعيون ٦/ ٣٧٩، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٦٣، والبحر المحيط ٨/ ٥٣٢، وفتح القدير ٥/ ٥٢٣.

(٢) بحر العلوم ٣/ ٥٢٨، ٥٢٩، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٦٣، وفتح القدير ٥/ ٥٢٣، وتفسير الحسن البصري ٢/ ٤٤٧.

(٣) في (أ): (على).

(٤) الكشف والبيان ١٣/ ١٩٤.

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٦) ورد في معاني القرآن ٣/ ٣٠٢ بتصرف.

(٧) علق الزمخشري في الكشاف ٤/ ٢٤٥ على المعنى الذي ذكره الفراء بقوله: «وما أحقّه، لأن الجن سُموا جنّاً لاجتماعهم، والناس ناساً لظهورهم، من الإيناس، وهو الإبصار، كما سُموا بشراً، ولو كان يقع الناس على القبيلتين، وصح ذلك وثبت، لم يكن مناسباً لفصاحة القرآن وبعده من التصنع...». وقد ضَعَفَهُ أيضاً الفخر في التفسير الكبير ٣٢/ ١٩٨، ورَدَّهُ الإمام ابن القيم في تفسير المعوذتين ١٢٠، ١٢١ =

وقال أبو إسحاق: «الناس في قوله: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّكَاسِ﴾ معطوف على الوسواس» .

المعنى: من شر الوسواس ، ومن شر الناس^(١) .

والمعنى على هذا ؛ لأنه أمر أن يستعيز من شر الجن والإنس ، ودليل ذلك قوله : ﴿مِنَ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢] ، ونحو هذا قال صاحب النظم ، قال : «لأن الخناس لا يكون من الناس ، فالناس في قوله : ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّكَاسِ﴾ منظوم بقوله : ﴿مِنَ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ على نظم من شر الوسواس الخناس ، ومن شر

من وجوه عدّة ، منها : «أنه لم يقم دليل على أن الجنّي يوسوس في صدر الجنّي ، ويدخل فيه كما يدخل في الإنسي ، ويجري منه مجراه من الإنس ، فأى دليل يدل على هذا حتى يصح حل الآية عليه ؟ الآخر : أن الجنة لا يطلق عليهم اسم الناس بوجه ؛ لا أصلاً ، ولا اشتقاقاً ، ولا استعمالاً ، ولفظهما يأبى ذلك . ثم أبطل أيضاً الاستدلال بالآيتين على عدم امتناع إطلاق الجن اسم الرجال ، ونفراً قال : وجواب ذلك أن اسم الرجال إنما وقع عليهم وقوعاً مقيداً في مقابلة ذكر الرجال من الإنس ، ولا يلزم من هذا أن يقع اسم الناس والرجال عليهم مطلقاً . وأنت إذا قلت : إنسان من حجارة ، أو رجل من خشب ، ونحو ذلك ، لم يلزم من ذلك وقوع اسم الرجل والإنسان عند الإطلاق على الحجر والخشب ؛ وذلك لأن الناس والجنة متقابلان ، وكذلك الإنس والجن . . . بخلاف الرجال والجن ، فإنهما لم يستعملا متقابلين ، فلا يقال : الجن والرجال ، كما يقال الجن والإنس» . ثم قال : «وحينئذ فالآية أبين حجة عليهم في أن الجن لا يدخلون في لفظ (الناس) ؛ لأنه قابل بين الجنة والناس ، فعلم أن أحدهما لا يدخل في الآخر . فالصواب هو أن قوله : ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّكَاسِ﴾ بيان الذي يوسوس ، وأنهم نوعان : إنس وجن ، فالجنّي يوسوس في صدور الإنس ، والإنسي أيضاً يوسوس في صدور الإنس» .

(١) زاد المسير ٣٣٦/٨ .

نكتة : لم أجد تفسيراً لهذه السورة عند أبي إسحاق في المخطوط لكتاب معاني القرآن وإعرايه ، وقد ذكر محقق المطبوع أن الرّجّاج لم يفسّر سورة الناس ، فعمد إلى تفسيرها تفسيراً لغوياً قريباً من طريقة الرّجّاج . وأقول : وباعتبار أن الإمام الواحدي أورد للرّجّاج تفسير هذه الآية (٦) من سورة الناس ، فلعل للرّجّاج تفسيراً لها لم يكتبه النّسّاخ ، وعليه لو استعان صاحب المطبوع على ما جاء عند الواحدي ، وابن الجوزي في ما أورده عن الرّجّاج في زاد المسير ٣٣٦/٨ لكان أفضل . بالإضافة إلى ما صنعه لإتمام كتاب المعاني ، والله أعلم .

الناس ، ويكون قوله : ﴿ مِنْ أَلْجِنَّةِ ﴾ وصفاً للخناس مخصوصاً^(١) ، فيكون^(٢) المعنى في الجملة : من شر الجن ، ومن شر الناس^(٣) ، هذا كلامه .

وعلى ما ذكره الفراء : « الناس عطف على الجنة ، والقول هو هذا »^(٤) ، (والله أعلم بالصواب .

هذا آخر الكتاب

(١) في (أ) : (عصواً) .

(٢) في (أ) : (ليكون) .

(٣) لم أعر على مصدر لقوله .

(٤) سبق الرد على ما ذكره الفراء .

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ الْمُبَشِّرُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي نَسْخَتِهِ الْأَصْلِ (١) :

وقد يسر الله تعالى ، وله الحمد لحسن توفيقه تحرير هذا الكتاب الذي لم يسبق إلى مثله في هذا الباب شرحاً ، وبياناً ، ونظماً وإتقاناً ، (وإطناً) (٢) غير ممل ، وإيجازاً غير مغل ، حتى برز عند تمامه كالروض غب رهامه (٣) ، وأثواب (٤) الوشي منهما ، وبدائع الحلي منظمًا قد أخرج لساني عن عهدة ضماني بإيفاء شرائطه ، والقيام بموجب حقوقه ، بعد تراخي المهلة ، وتطاول المدة من يوم افتتاحه إلى يوم اختتامه (لنكد الدهر ، وقلة مساعدة الزمان الخوان ذي اللوان) (٥) ، وقد كنت تعبت دهرًا طويلاً من عنفوان صباي إلى أن تناهى أيام شببتي في إحكام مقدمات هذا العلم ، رجاء أن أقتدر بها على تلخيصه وتهذيبه وترهيبه ، فحقق الله بفضل ذلك الرجاء ، وأتم بإتمامه عليَّ النعماء ، وهو المسؤول - عزت قدرته - أن يجعله وسيلة إلى مرضاته ؛ إلى التنجيح في جنبه ، إذ لم أقصد به إلا ابتغاء وجهه الكريم ، وفضله العظيم .

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) الرُّهْمَة (بالكسر) : المطرة الضعيفة الدائمة ، والجمع رَهَم ورهام ، وروضة مرهومة . قال أبو زيد : «ومن الديمة الرُّهْمَة ، وهي أشد وقعاً من الديمة ، وأسرع ذهاباً» . انظر : الصحاح (رهم) ١٩٣٩ / ٥ .

(٤) في (ع) : (أفواق) .

(٥) تضمن ما بين القوسين عبارات للإمام الواحدي ، فيها من سبِّ الدهر الذي تُهي عنه ، وجاءت الأدلة بتحريمه ، فقد ورد في الصحيح عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : «قال الله عز وجل : يؤذني ابن آدم ، يسب الدهر ، وأنا الدهر بيدي الأمر ، أقلب الليل والنهار» . أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب التفسير (سورة ٤٥) ٣ / ٢٩١ ح ٤٨٢٦ . ومعنى الحديث : أن العرب كان من شأنها ذم الدهر ؛ أي سبُّه عند النوازل ، لأنهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره ، فيقولون : أصابتهم قوارع الدهر ، وأبادهم الدهر ، فإذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد سبُّوا فاعلاً ، فكان مرجع سبِّها إلى الله عز وجل ؛ إذ هو الفاعل في الحقيقة للأموال التي يصنعونها ، فنهوا عن سبِّ الدهر . انظر : فتح المجيد ٤١٢ . والحديث صريح في النهي عن سبِّ الدهر مطلقاً ؛ سواء اعتقد أنه فاعل أو لم يعتقد ذلك كما يقع كثيراً ممن يعتقد الإسلام . نقلاً عن تيسير العزيز الحميد ٥٤٥ . والكلام في النهي عن سبِّ الدهر يُنظر فيه المصدران السابقان (فتح المجيد ، وتيسير العزيز الحميد) .

والحمد لله فوق حمد العارفين ، وفوق شأو الواصفين ، وصلواته ، وتحياته
على المبعوث بالبيان الساطع ، والبرهان اللامع ، والقرآن الكريم ، والكتاب
الحكيم ، محمد النبي ، وعلى أصحابه أجمعين ، آمين يا رب^(١) العالمين .

وذلك (عصر يوم الأربعاء)^(٢) لعشر بقين من (شهر)^(٣) ربيع الأول سنة
ست وأربعين وأربعمائة والحمد لله .

(وتم الكتاب بحمد الله ومنه)^(٤) .

كتبه الراجي عفو ربه عمر بن صديق بن معروف بالربوة المباركة ، وكان
الفراغ منه في العشرين من شهر رجب سنة ثلاث عشر وتسعمائة بعون الله وتوفيقه
والحمد لله وحده . بلغ مقابلة والله الحمد)^(٥) .

(قابلت هذا الكتاب من أوله إلى آخره ، أعني كتاب البسيط رحم الله مصنفه ،
وأنيته مطالعة والحمد لله . . .^(٦) وقف عليه بعدي . . .^(٧) فأسأله . . .^(٨) الله
العفو والمغفرة والرحمة . . .^(٩) صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

كتبه الراجي عفو ربه . . .^(١٠)^(١١) .

(١) في (ع) : (أمين رب) .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) ما بين القوسين خاص (ع) ، وقوله : (بلغ مقابلة والله الحمد) كتب في هامش المخطوط .

(٦) غير مقروءة في (ع) .

(٧) غير مقروءة في (ع) .

(٨) غير مقروءة في (ع) .

(٩) غير مقروءة في (ع) .

(١٠) غير مقروءة في (ع) .

(١١) ما بين القوسين خاص (ع) .